المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾(النساء:١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١)

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أما بعد :

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ! لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا.

فإن التاريخ كان ولا يزال الكلمة الأكثر أثراً في الحضارات والأمم ، فهي تحفل بكثير من المعطيات والمجريات والقصص والأحداث ما يجعل مدلولها داخلاً في كل مفصل من مفاصل الحياة ومرتبطاً مع كل جزيئة من جزئياتها ومتفاعلاً مع شخوصها وطقوسها تفاعلاً حقيقياً ، بغض النظر عن حال هذا التاريخ صحيحاً كان أو غير صحيح ، ثابتاً أو غير ثابت ، متفقاً عليه أو مختلفاً فيه .

ومن تلكم القضايا المهمة والمؤثرة التي حفل بها التاريخ ، وفاح بروائحها، وجاد بخراجها الشخصيات التي وجدت فيه تلك الشخصيات التي حددت الكثير

والكثير من جوانب ابنيته، وتحكمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مجرياته وطرائقه وطرقه وسلوكه ومسالكه ، وكان لها الدور الأصيل والاساسي والمباشر في تحديد مساره ورسم ملامحه على مر الأيام وتعاقب الأزمنة .

تلك الشخصيات ثبت لها هذا التأثير والتأثر وكذلك التفاعل والارتباط على الرغم من اختلاف حالها وتنوع أحوالها ، فهي سلبية كانت أم ايجابية ، صالحة أم طالحة، جيدة أم غير جيدة يثبت لها ذلك الحكم وتلك الصفة.

إن هذه الشخصيات التي حفل بها التاريخ منها ما أثرت في زمانها الذي عاشت فيه ، وانتهى بنهايتها هذا التاثير ولم يبق منه إلا نقله .

ومنها ما استمر أثرها ، وامتد ليصل إلى أزمنتنا هذه ووقتنا الحاضر ، والسبب في هذا الأستمرار كان نتيجة للدعاوى التي دعت إليها هذه الشخصيات والأفكار التي روجتها وسعت في الناس لنشرها وتبليغها وايصالها وتأصيلها لتحقيق أغراض شخصية أو عرقية أو دينية أو قومية .

هذه الدعاوى والأفكار بحكم رواجها وانتشارها ودخولها في حياة الناس وتأثيرها عليهم أدت إلى تجمع افراد من الناس والتفافهم حولها وحول من وعى إليها مما ساعد وساهم بشكل كبير في تكون الفرق والجماعات ونشوء الطوائف والتجمعات ، كما انها أثرت تأثيراً مباشراً في بلورة وتخصيص الصفات لهذه الفرق ، وتحديد الخطوط العامة للكيفيات والافكار والمفاهيم التي دار حولها وجودها وتطورها.

وأكثر الكلام الذي يتم تناوله في التاريخ وغالب الأخذ والرد والنقاش ومن ثم انتشارها وشيوعها إنما يتوجه إلى الشخصيات الوارد ذكرها فيه ذات الأثر السلبي على الفرق وأصحابها ، فالشخصيات الإيجابية الكل يفتخر بها وبالانتساب إليها اما الشخصية السلبية فإن إثبات وجودها أو إثبات وجود أي أثر لها على فرقة من الفرق وطائفة من الطوائف يتسبب في تشويه سمعة هذه الفرقة ويرميها بالنقائص وسوء الأصل والنبات .

لذلك تجد الفرق مهما كان توجهها تسعى للتنصل من أي شخصية سلبية تنصلاً كبيراً وتتهرب منها وتفر فرارها من المجذوم وتتبرأ من الانتماء اليها.

ومن تلكم الشخصيات السلبية التي كثر عنها الكلام واشتهرت في التاريخ الاسلامي اشتهاراً عظيماً وكان لها الدور الرئيسي في بلورة كثير من أحداثه ومجرياته شخصية (عبد الله بن سبأ) هذا الرجل اليهودي الذي ادعى الإسلام وتظاهر بالدخول فيه جاهراً بأفكار ومعتقدات غريبة ذات طابع تطرفي لا تمت للاسلام الحق بصلة ، من أمثال دعاواه في الوصاية ، وحب علي بغلو، والجهر بعداوة مخالفيه والخارجين عليه ، تلك الدعاوى المزعومة والممقوتة .

هذا الرجل مع ما دعى إليه من أفكار تنسب إليه كما ذكره المؤرخون واقره المحققون والباحثون الأبنية والأسس والأركان التي قامت عليها اعمدة الفكر الشيعي ، وتكونت من خلالها هذه الفرقة التي لقبت بعد التشكل وتحقق الكيان بالشيعة أو الطائفة الإمامية الاثني عشرية ، ومن ثم لقبت بالرافضة ، وكانت في بداية ظهورها تنسب له وتلقب بالسبئية .

والمهم في الأمر والمؤثر فيه أن هذه الدعاوى التي جاء بها ودعا إليها هي من مخلفات ديانته اليهودية ومن العقائد التي ورثها من هذه الديانة وهي كما تذكر كتب التاريخ اعتقاده الوصاية في يوشع بن نون بعد موسى .

ونظراً لخطورة هذا الأمر إذا ما ثبت والنتائج المخيفة التي تبنى عليه إذا ما تحقق حاول الشيعة جاهدين التهرب من النسبة لهذا الشخص بمختلف الطرق والوسائل لما تعذر عليهم امكانية نفيه وانكار وجوده وذلك لورود روايات صحيحة عندهم وكذا عند غيرهم تثبت وجوده وتحقق وروده على صفحات التاريخ وحدوده .

حتى ظهر منهم مؤخراً وبعد فترة من الزمان وانقطاع فيه شخص ينسب إلى العلم ويصل نفسه بأهل التحقيق والتدقيق يدعى بـ (مرتضى العسكري) أخرج للناس اكتشافاً جديداً لم يعرفه الشيعة ، وكشف اللثام عن حقائق يدعيها ويدعى خفاءها عن كل من سبقه سبعة قرون من الزمان .

هذا الاكتشاف الخطير منه تمثل بنفيه لوجود شخصية (عبد الله بن سبأ) والغاء تحققها مدعياً أنها شخصية مختلقة حاك فصولها وخيوطها رواة التاريخ الوضاعون والأفاكون وربطوا أكثر الأحداث التاريخية بها تبرئة لساحة أناس

والحاقاً لاتهام بساحة أناس آخرين ، وقد ضمن اكتشافه الخطير المثير هذا كتابه الذي ألفه لأجله والذي اسماه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) .

لقد حاول مرتضى في كتابه هذا إيهام القراء بصحة دعواه في أن هذه الشخصية (عبد الله بن سبأ) لا وجود لها ولا تحقق لكيانها في الخارج بمقدمات باطلة وتبريرات واهية لا قبول لها ولا تسليم بها ، ساعياً من وراء هذا النفي إلى انقاذ نفسه وطائفته من البحث عن المخارج والمعاذير للمعروف المشتهر لهذا الشخص من الدور الرئيسي والفعال في تأسيس عقائد الشيعة، وكذلك في تسببه المباشر في تأجيج الفتن بين المسلمين واشعالها .

ولكنه لبعده كثيراً عن الواقع وضوابط العلم والتحقيق لم يفلح في محاولته هذه ولم يكن موفقاً في اخراجه لاكتشافه ، ولم يأت بما له وزن في العلم أو قدر في التحقيق والاثبات ، وهذه الحقيقة تتضح من خلال الكتاب هذا نفسه ومن خلال المعروض فيه :

١ – فالكتاب بحث في ثلاث قضايا رئيسية :

الأولى :

الراوي (سيف بن عمر) الحكم عليه وأثره على التاريخ ومروياته وهذا الجانب أسهب فيه مرتضى اسهاباً كبيراً

الثانية :

(السبئية والسابئية) وهي ألقاب لطوائف وفرق تكلم عنها وعن حقيقة نسبتها وأسهب في الكلام عنها أيضاً .

الثالثة :

(عبد الله بن سبأ) موضوع الكتاب وأصل الاكتشاف الذي جاء به مرتضى أقل ما تم تناوله في هذا الكتاب ، وأدناه فيه منزلة واشارة .

فاما القضية الأولى وهي (سيف بن عمر) فلا تأثير لها مطلقاً على الموضوع المراد نفيه من قبل مرتضى ، فهو حاول من خلال إبراز هذه الشخصية (سيف) وتعظيم دورها في اختلاق حوادث تاريخية أن يجعل من (عبد الله بن سبأ) أحد نتائجه وجزءاً من مخرجاته وانه لم يعرف إلا عن

طريقه، ولكنه لم يفلح فقد حققنا في هذا البحث وحققه غيرنا ثبوت هذه الشخصية من طرق لا علاقة لها بسيف ولا تتصل به .

كما أن كلامه الطويل العريض عن هذه الشخصية لا يسمن ولا يغني من جوع لأن المحققين أصحاب التخصص وفرسان هذا العلم قد حكموا عليها بما تستحق وبما يتناسب مع ضوابطهم وقواعدهم في الحكم فهو لم يأت بجديد ولم يتكلم إلا بما سبق به ، وتصرفه هذا مع هذه الشخصية لا يعدو كونه مجازفة مرفوضة ذات نتائج بعيدة عن الواقع والصواب .

اما تناوله للقضية الثانية المتمثلة بـ (السبئية والسابئية) فهي محاولات فارغة والتفافات غير مجدية لأن النسبة والانتساب لها تعلقات بحسب الوجهة أولاً، وبحسب النساب ثانياً ، وهذا ما اتفق عليه المؤرخون ، وأجمعت عليه النسابة لذا وكما سيتبين أن كلامه عنها جعجعة فارغة بعيدة كل البعد عن العلم وأهله ، والتحقيق واصحابه .

أما الموضوع الذي من أجله يفترض إنشاء الكتاب وتأليفه وهو (عبد الله بن سبأ) الذي يتعلق به اكتشاف مرتضى وابتداعه فهو أقل المواضيع تناولاً في هذا الكتاب ، حتى انه لم يشغل إلا حيزاً بسيطاً منه لا يتناسب مطلقاً مع موضوعه ولا عنوانه ، وذلك لأنه وبرغم كل محاولاته لإثبات مدعاه في نفي هذه الشخصية إلا انه لم يتوصل إلى شيء يمكن أن يخدمه أو ينفعه في هذا الشأن.

وعليه فإن الكتاب الذي أخرجه مرتضى لأجل ابراز اكتشافه ، وإعلان ابداعه كان عليه لا له ، وضداً له لا مناصراً معه .

٢- هذا مع أن الكتاب مردود بما فيه ، وبجميع الطرح الذي تضمنه لانتفاء المقومات السليمة عنه التي يمكن بناء الأحكام عليها ، إلا أننا على الرغم من هذا اعتمدنا منهجية محددة في الرد على صاحبه ، وإبطال الدعاوى التي ضمنها صاحبه فيه يمكن تلخيص هذه المنهجية ، بالنقاط الآتية :

أ- لقد اعتمد مرتضى على تبريرات واهية بنى عليها مدعاه وانطلق منها في بث اكتشافه ونشره ، هذه التبريرات أفردنا لها أبواباً خاصة لبيانها وردها وفندناها تفنيداً تاماً لا يبقي لها أثراً ولا يدع لها مجالاً للنفوذ إلى عقول الناس

وأذهانهم ، وكشفنا عما بها من عوار ، وبينا اللوازم الباطلة التي تبنى عليها وتنتج على أثرها .

ب- سلطنا الضوء على المنهج الذي اعتمده مرتضى في التعامل مع الروايات والأقوال موضحين الانحرافات التي يمتاز بها هذا المنهج والغرضية والمصلحية التي يتصف بها .

ان تسليط الضوء على ان هذا المنهج دفعنا إلى التطرق إلى أمور جانبية كقضايا التحريف ، والنسخ، والتفسير لكونها توضح منهجية هذا الرجل المنحرفة في التعامل مع القضايا التي تناولها في كتبه الأخرى ، والمخالفة لمنهجه في هذا الكتاب مما يوضح انتفاء أي ثوابت معتمدة عنده في الكتابة والتحقيق وكذلك أي قواعد وضوابط محددة في الحكم والتعامل مع الروايات والأقوال .

ج – إن الرد على مدعى مرتضى الذي ينسفه من أصله يكفي بمجرد إيراد روايات الأئمة المعصومين عند الشيعة المثبتة لوجود عبد الله بن سبأ ، وكذلك بنقل إجماع المتقدمين من علمائهم على إثبات هذا الأمر من بداية التشيع إلى يومنا هذا .

لكننا آثرنا أن نوضح للقراء والباحثين المنهجية التي يعتمدها علماء الشيعة في التعامل مع القضايا المختلفة ، والانحرافات التي يتميز بها هذا المنهج والذي يمثل مرتضى أحد قادته وفرداً من مكوناته ، وقصدنا من وراء ذلك كله إسقاط هذا الرجل وإسقاط كل علماء الشيعة بفضح مناهجهم والكشف عن مخازيها .

د – بيان تهافت الأدلة وتهالكها تلك التي يعتمدها مرتضى في إثبات دعاويه مما يجعل صورته مكشوفة للناس لا لبس فيها يمكن بواسطتها الحكم بعد ذلك على حقيقة هذا الرجل وحقيقة ما يأتي به .

وبالجملة فإن جميع ما عرضه مردود بنفسه فيه من التناقضات والاشكالات ما لا يمكن معها إثبات ادعاء أو ترسيخه كما انه ينبني عليه من الالزامات الباطلة ما يكفي لنسف جبل من الدعاوى لا دعوى واحدة .

ولعل هذه الحقيقة تثير في نفس البعض تساؤلاً مفاده إذا كانت دعاوى هؤلاء القوم على هذه الدرجة من التهافت والتساقط فما الذي يدفعهم للتصريح بها واعلانها هكذا بكل جراءة وبدون حياء أو تردد ؟

والجواب على هذا السؤال بسيط وسهل فإن هؤلاء القوم عندما رأوا من المقابل المخالف – اقصد أهل السنة – تهاوناً في الرد ، وتكاسلاً عنه ، وتغافلاً عن البيان والتوضيح ، تمادوا في دعاويهم ، واستمرؤوا واستسهلوا القاءها .

فكم كتاباً صدر عن الشيعة بخصوص إثبات أفكارهم والرد على المخالفين من أهل السنة فيها من الطامات ما فيها ، ومن التجاوزات والانحرافات والكذب والافتراء الشيء الكبير والكثير والخطير ، لم نر من علماء أهل السنة من تصدى له للرد عليه ولبيان ما فيه ، أو فضحه أمام العالم ، وكشف زيفه وبطلانه.

فمن مثلاً كلف نفسه للرد على كتاب المراجعات لـ (عبد الحسين شرف الدين)، هذا الكتاب الذي ذاع صيته ، وامتد شرره وخطره لسنين وسنين– أكثر من نصف قرن – مع ما فيه من الكذب ، والانحراف ، والزيف ، والبطلان، وكذا غيره من الكتب التي يكل من تعدادها المجتهد ، ويمل من سردها النشيط .

إن هذا التهاون من أهل السنة المصحوب بالتكاسل هو الذي دفع علماء الشيعة للاستمرار والتمادي في مسعاهم الضليل ومسلكهم المنحرف .

وهذه القاعدة مع الاسف لم يطرأ عليها أي تغير إلى وقتنا هذا فهي قد شملت كتاب مرتضى العسكري الذي تناولت الرد عليه ، فهو أيضاً لم يتصد أحد للرد عليه ، أو لبيان ما فيه من الكذب والاباطيل والانحرافات ، هذا الكتاب له من العمر ما يناهز النصف قرن – أي ما يعادل عمر مؤلف كتاب الرد على مرتضى – وعلى الرغم من هذه السنين الطوال – الطبعة الأولى لهذا الكتاب كانت عام ١٣٧٥هـ – فإن جميع الذي وقعت عيني عليه ممن رد عليه من أهل السنة لم يتجاوز رده له مجرد الإشارة إليه في ضمن مبحث عام يتناوله ويتناول غيره ، أو يتكلم عن اختياره هذا مع جملة من له اختيارات خاصة في القضية موضوع الكتاب .

والعجيب في الأمر أني وجدت من الشيعة علماء ممن قد افردوا كتباً للرد على مرتضى العسكري في اختياره هذا بعد أن وجدوا الكم الكبير والخطير من المخالفات لثوابت مذهبهم التي حواها هذا الكتاب.

ولذلك لم أتوان عن الاعتماد على ما ذكروه ونقل ما جادت به أفكارهم مما به نقض وإبطال لما ذهب إليه مرتضى من جهة وكذلك لما فيه من تأكيد وتحقيق لما ذهبت إليه في ردي عليه فهم قد وافقوني في كثير من المسائل التي تحقق بها الرد وإن كنت قد انفردت عنهم في كثير من القضايا التي طرحتها وهم أيضاً وجدت عندهم انفراداً في بعض المسائل.

إن هذا الكتاب الذي نضعه بين أيديكم رادين فيه على تخبط مرتضى العسكري هو جزء من سلسلة أجزاء ثلاث سنقوم بإذن الله تعالى بإخراجها تباعاً.

أما الجزء الثاني فموضوعه (عقائد ابن سبأ) والذي سنثبت فيه بما لا يقبل الشك إن شاء الله ، أن لابن سبأ هذا أثرٌ كبير ومباشر (المنشئ والمؤسس) لأصول الفكر الشيعي التي يقوم عليها الآن ، مضمناً اياه بعض الإشارات لادعاءات مرتضى المتعلقة بهذا الأمر ناقضين لها ، ومبطلين لاثارها .

والجزء الثالث سيكون كتاباً منفرداً نثبت فيه إن شاء الله الأدوار الحقيقية والمؤثرة لعبد الله بن سبأ في الفتن التي دارت بين المسلمين أيام وجوده .

وفي الختام نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا سدوداً مانعة في وجوه أهل الزيغ والانحراف ، وأتراساً تحمي حمى الحق ، وتكشف وجه الباطل المزيف والخبيث، وأن يقيض لهذا الدين رجالاً يردون أهل البدع ، ويكشفون عوارهم ، ويدرؤون خطرهم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

كما أسأله وخير مسؤول أن يجعل عملنا في هذا الكتاب كله صالحاً وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يكتب له القبول وأن يجعلنا من الباحثين عن الحق المدافعين عنه المبينين للباطل الصادين له إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

علاء الدين البصير

٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٧ م

مدخل
عبد الله بن سبأ
ومرتضى العسكري

عبد الله بن سبأ

عبد الله بن سبأ شخصية ذات أثر في التاريخ الإسلامي لا يمكن أن يتغافل عنها ، أو يهمل بحثها ونقاشها ، والتدقيق في حيثياتها ، فهذه الشخصية اعتبرت من القضايا المهمة التي كان لها دور كبير في تبلور تاريخ الطوائف وخصوصاً الشيعة وامتد أثر هذا الدور لهذه الشخصية ليشمل تاريخ الإسلام والمسلمين عموماً بما أحدثت فيه من فتن ، وحروب ، ومشاكل وبما نشرت فيه من أفكار ومعتقدات دخيلة عليه وغريبة عنه .

عبد الله بن سبأ هذا ينسب إلى السبئية النابعة أصلاً من اليمن فيقال عنه (السبائي ، أو السباي ، أو السبائي) ، جاء من اليمن وكان من يهود صنعاء، وكان ينسب فيما ينسب إلى أمه فيقال عنه (ابن السوداء) ، وأمه هذه حبشية وقد عرف في كتب التاريخ بهذا اللقب حتى قال أكثر المؤرخين عنه (عبد الله بن سبأ) المعروف بابن السوداء[١] * .

هذه الشخصية اليهودية الأصل ظهرت على الساحة وانتشر خبرها وذاع صيتها في العقد الرابع الهجري ، عندما اعتنقت الإسلام ، وجابت أراضيه طولاً وعرضاً .

فمما ورد في حق (عبد الله بن سبأ) بخصوص هذا الشأن ما تناقلته كتب الأخبار من أنه كان يهودياً من أهل صنعاء فأسلم زمن عثمان ﷺ وأخذ ينتقل في بلدان المسلمين من قطر لآخر محاولاً إضلالهم ، فابتدأ في الحجاز ثم البصرة فالكوفة ثم الشام ، فلم يقدر على شيء منها حتى أتى مصر واستقر بها وطابت

---

(١) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٣٣ – ٣٤] [عبد الله بن سبأ واثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام / سليمان بن حمد العودة ص ٤٠ – ٤٢]

*** قال العالم الشيعي محمد علي المعلم :**

[إن عبد الله بن السوداء هو عبد الله بن سبأ ، وقد تكرر ذكره كثيراً بنسبته إلى أمه السوداء ...] .

[عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٦٤]

له أجواؤها *.

إن المهم في تناول هذه الشخصية (عبد الله بن سبأ) هو معرفة أن أصولها اليهودية ظلت راسخة في عقله ووجدانه ، وظلت رواسب المعتقدات تلك تجري مع دمه في شرايينه ، وظل الكره ، والبغض ، والحقد الذي يحمله على الإسلام والمسلمين هو الموجه له في مخططاته وتحركاته ، وهو الحاكم على أعماله وتصرفاته .

فالظاهر من حاله والمعروف عنه أن إسلامه كان إسلاماً صورياً فهو قد أصطبغ به ، وتوشح بردائه ، وتظاهر بإعتناقه محاولاً من خلال هذا الادعاء الظاهري بالإسلام تحقيق الحماية لنفسه مع التستر والتخفي لأجل ضرب الإسلام من داخله وانتهاز الفرص لتفريغ كل الحقد ، والكره ، والبغض الذي يحمله على الإسلام ، ساعياً من وراء عمله هذا القضاء على الإسلام وتدميره بكل الطرق الممكنه ، وبمختلف الأساليب المتاحة قذرة كانت ، أو غير قذرة من زرع لبذور الفتن ، وإشعال لفتيل المشاكل والحروب ، وهذا كله كان الهدف منه هو خلق الاضطراب الآني والوقتي بين المسلمين . وهناك هدف آخر سعى لتحقيقه يتمثل بزرع خط للفرقة ، وللتشرذم المستقبلي والذي تمثل ببثه لعقائد منحرفة غريبة عن الإسلام ، وبعيدة كل البعد عنه ، ولا تمت له بصلة ، وقريبة إلى درجة كبيرة من عقائد اليهود مع ما فعله مما يقوي هدفه هذا بإلقاء الشبه المشككة بأصول الإسلام المزعزع للنفوس عن طريقها، والهادف إلى تمزيق أوصالهم ، وتشتيت جمعهم بهذه الفتن وتلك الشبه وبالعقائد المنحرفة [١].

هذا هو إجمال للذي يمكن أن يطمئن إليه في أصل هذا الرجل وحقيقة دوره ومساعيه .

أما ما يخص نهاية هذا الرجل والحال الذي كانت عليه هذه النهاية ، فالذي

---

* كما سيتبين لك من نقلنا للمصادر التاريخية الكثيرة عن علماء السنة والشيعة في هذا المبحث .

(١) [عبد الله بن سبأ واثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام / سليمان بن حمد العودة ص ٤٣ – ٤٥] [عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / الشيخ علي آل محسن ص ٥٤ – ٥٩]

عليه الأكثر والمشهور من شأنه أنه قد نفي من الأرض بأمر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حين نفاه إلى المدائن بعد اشتهار أمره ، وظهور آثار أفكاره ودعاويه *.

وإن كان هناك من ذهب إلى أنه قد حُرِّق مع من حرقهم علي ﷺ ممن ادعوا فيه الالوهية ، ومنهم من رجَّح كونه قد هام في الأرض هارباً واختفت آثاره ولكن كل من هذين القولين لم يقم على دليل يمكن أن يرجحه ، أو تطمئن النفس به [١]. *

*** نفي ابن سبأ إلى المدائن قول مختار عند الشيعة**

ويؤكد بعض المحققين من علماء الشيعة حقيقة نفي (عبد الله بن سبأ) إلى المدائن– من قبل علي ﷺ – ، معللين اياها بالحفاظ عليه ، وبارساء قواعد التشيع لصلاحية المدائن لهذا الأمر .

يتساءل العالم الشيعي محمد علي المعلم : لماذا إلى المدائن من دون سائر البلدان ؟

ثم يجيب نفسه فيقول :

[كانت هذه المدينة عريقة ذات اهمية كبيرة قبل الإسلام .... وبعد الإسلام فقد ذكروا انه قد تعاقب على ولايتها ثلاثة من الولاة الشيعة وهم حذيفة بن اليمان ، وسلمان الفارسي ، وسعد بن مسعود الثقفي ، وقد كان لهؤلاء الثلاثة دور في ارساء قواعد التشيع والولاء لامير المؤمنين في المدائن حتى اصبحت من المدن الشيعية المعروفة آنذاك وبعد ذلك ... .

فإن اهلها من الشيعة ويتقبلون ما يظهره (عبد الله بن سبأ) من البراءة من المخالفين والطعن عليهم ، لأن الجهود التي بذلها حذيفة وسلمان قد اثمرت وهيأت النفوس لتقبل هذه الحقائق من الولاء لامير المؤمنين ، والبراءة من اعدائه واظهار فضائحهم] .

[عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤٧ – ٥٦ – بتصرف]

(١) [تأويل مختلف الحديث / ابن قتيبة ص ٧٣] [رجال الكشي / ص ٩٨ – ١٠٠] [تنقيح المقال / المامقاني ج٢ ص ١٨٤] [المقالات والفرق / القمي الأشعري ص ٢٠] [ميزان الاعتدال / الذهبي ج٢ ص ٤٢٦] [الوافي للوفيات / الصفدي ص ٢٠]

*** النفي مرجح على الإحراق**

إن ترجيح النفي على غيره هو الذي يميل إليه بعض محققي الشيعة ، وان كانوا يقرون بالخلاف في هذا الأمر لأن النفي هو الاقوى من حيث الاعتبار ، والارجح في دلالة النصوص.

يقول محمد علي المعلم في كلامه عن نهاية ابن سبأ عارضاً للروايات المتنوعة الواردة فيها ، مرجحاً نفي الإمام علي لابن سبأ إلى المدائن على التحريق ما نصه :

=

عقائده وأفكاره

كما ذكرنا قبل قليل أن عبد الله بن سبأ كان يسعى إلى تحقيق مطلبين هامين لأجل ضرب الإسلام من داخله :

أحدهما : وقتي وآني :

والذي يمثل المرتكز لإحداث شقاق وفصام مستقبلي ، وتمثل بإشعاله للفتن ، وزرعه لبذور الشقاق والخلاف المؤدية لنشوب الحروب والنزاعات .

والثاني : مستقلي ودائم ومستمر:

تمثل بنشره وبثه لعقائد منحرفة عن الطريق المستقيم ، وأفكار دخيلة على الإسلام استقاها من اليهودية التي كان يعتنقها وظلت معشعشة في وجدانه بعد إسلامه ، رابطاً اياها بهذا الدين بتعسف وإلصاق قسري عن طريق الاستدلال بآيات متشابهة محتملة لاوجه قام بصرفها عن معناها الظاهري المتبادر إلى الأذهان من المعلوم من الدين ، وحملها على الانحراف الذي يسعى إلى ترسيخه.

ولعل هذا الثاني كان هو الاشد خطراً ، والأقوى أثراً ، والأنكى فعلاً ودوراً لأنه أدى إلى ايجاد خط عقدي مستقل قام (عبد الله بن سبأ) بتثبيت أركانه على الأرض وفي نفوس معتنقيه مستغلاً الظروف ، ومستعيناً بالعواطف والمشاعر ،

=

[ورد في بعض الروايات المعتبرة أن أمير المؤمنين قد أحرق (عبد الله بن سبأ) بالنار بعد أن ادعى فيه الربوبية ، واستتابه أمير المؤمنين فأبى أن يتوب .

في حين نصت بعض الروايات على انه إنما أظهر الطعن على أبي بكر ، وعمر، وعثمان والصحابة ، وتبرأ منهم ، وأن أمير المؤمنين سأله عن ذلك فأقر به ، وأمر بقتله ، فأعترض الناس على أمير المؤمنين على قتله ، لأنه يدعو إلى حب أهل البيت وولايتهم والبراءة من أعدائهم ، فسيره أمير المؤمنين إلى المدائن ، وبقي فيها حتى جاءه نعي أمير المؤمنين فأنكر ابن سبأ وأصحابه موته .

ويؤيد ذلك :

أن الأشعري والنوبختي لم يذكرا شيئاً عن أمر الإحراق بالنار ، وفي ذلك من المنافاة ما لا يخفى] .

[عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٥٦ – ٥٨]

وترك الباقي على من يجيء بعده ممن انتحل ما بثه واعتقد الفكر الذي دسه .

لذلك يمكن أن نقول انطلاقاً من هذه الحقيقة أن عبد الله بن سبأ كانت له جهود حثيثة ، ومساعي كثيرة ، ومحاولات مستمرة لنشر انحرافه في أكثر من مكان، وفي مختلف البلدان ، ولجماعات متنوعة من بني الانسان فلم يستثن جاهلاً ، أو عالماً، حاكماً، أو محكوماً في الكوفة ، والبصرة ، أو الحجاز ، ومصر ، والشام من دعوته هذه ، وسعى من خلالها لنشر أفكار خاصة ، ومنفردة فيها صفة الغرابة الجاذبة للنفوس والعقول ، ومنطلقة من ضوابط ، وأصول مقررة في الشرع يجعل لها نوع قبول ، وهو في سعيه لنشر هذه الأفكار كان المحرك والدافع له هو أصله اليهودي مع ما يحمله من عقائد وهو على يهوديته وكره وحقد دفين على الإسلام واهله .

وحقاً نجح في فعلته هذه حيث ان عقائده التي بثها وأفكاره التي نشرها تحقق لها وجود بين الناس ، واعتنقها كثير منهم في ذلك الوقت ، وصار لها رواج على مسرح الاحداث ، ولقبت بالقاب تدل عليها وتدل على معتنقيها فعرفت مجاميع الناس التي اعتنقت أفكاره (بالطائفة السبئية) هذه الطائفة التي صارت عقائدها النواة الأولى للتشيع فيما بعد والاساس الذي انطلقت منه إلى الواقع الخارجي .

إن حقيقة نسبة عقائد شيعية إلى (عبد الله بن سبأ) أمر لا يخفى على أحد ويتعذر انكاره ، فكتب التاريخ تزخر بهذه الحقيقة ، والروايات المنقولة فيها تدل بما لا يقبل الشك على أثر هذا الرجل في اظهر معتقدات الشيعة إما إيجاداً وهو الذي نراه أو إعلاناً كما يدعي البعض .

ومن علماء الشيعة من يقر بهذا الأمر ويثبت بعض هذه العقائد لابن سبأ، فهذا العلم الشيعي محمد علي المعلم يقر بها معلناً ما يأتي :

[إن جميع ما ذكره ابن سبأ حق ، هو من عقيدة الشيعة الامامية إلا في قوله: انه كان ألف نبي ، فإن الروايات الواردة عن أهل البيت تصرح بأن عدد الأنبياء أكثر من ألف نبي .

وليس في ما ذكره عبد الله بن سبأ شائبة الغلو ، أو الخروج عن حد الاعتدال في الاعتقاد ، بل يدل ظاهر ذلك على التشيع والانتماء لاهل البيت والولاء لامير المؤمنين والبراءة من أعدائه] [١].

والذي ينبغي أن يعلم هنا أن الأفكار والعقائد التي بثها ابن سبأ لم تكن كلها صادرة عنه ، وأصل نشوئها منه ، بل الذي قام به كما ذكرنا هو تأصيله لاسس وأصول عقائده تاركاً الابنية والتفريع لمن اعتنق فكره ، وصدق بدعاويه، وامن بعقائده ممن كان في وقته ، أو ممن جاء بعده ممن بقى ملتزماً بتلك العقائد التي اصلها ، لذلك وبناءاً على هذا يمكن ان نقسم العقائد الدخيلة والمبتدعة والتي ترجع نسبتها إلى عبد الله بن سبأ إلى قسمين :

الاول :

جهة عقدية نسبت إلى (ابن سبأ) نفسه .

والثاني :

جهة من العقائد نسبت إلى فرقة (السبئية) .

فمن تلك العقائد التي نسبت إلى (عبد الله بن سبأ) وعرفت به ، وعن طريقه ما ذكره المؤرخون وتناوله أصحاب المقالات على الفرق من ان (عبد الله بن سبأ) هو أول من اظهر القول بما يسمى بمعتقد (الوصية) ، والمعتقد الاخر المسمى بـ (الرجعة) رابطاً لهذين المعتقدين بشخص علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فزرع عن طريق نشره لهذين المعتقدين نابتة الغلو ، وجعل منهما المحور الذي تدور عليه رحى التطرف منطلقة في نشر هذين المعتقدين واثباتهما ما كان عليه من معتقدات ، وهو على يهوديته فهو كان ممن يغالي بيوشع بن نون معتقداً فيه تلك العقائد فهذه الأقوال المنسوبة والثابتة لعبد الله بن سبأ عدها المؤرخون من أصحاب العلم في مقدمة العقائد التي تربط بابن سبأ ومن ثم دخلت في النظم الكامل لعقائد السبئية .

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٦٢]

الوصية

اما ما يخص معتقد (الوصية) فالوارد من الأخبار ان عبد الله بن سبأ قد وضعه قاعدة اصلية لمتبعيه من السبئية حينما قال لهم :

[انه كان الف نبي ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد .

ثم قال بعد ذلك : محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الاوصياء .

متدرجاً في قوله إلى ان وصل إلى ومن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله وثبت على وصي رسول الله] [١].

هذا المنقول يثبت أن ابن سبأ كان ينطلق في إثبات دعاويه في الوصية من المنطلقات الآتية :

١- إن دعوته هذه للوصية ، إنما هي راسب مما ترسب في نفسه من معتقداته وهو على يهوديته وهذا واضح من قوله : (انه كان الف نبي ، ولكل نبي وصي) وهذا هو المعروف في عقائد اليهود .

٢- إن دعاويه لم تكن أقوالاً مجردة من المقدمات ، أو دعاوى فارغة ، فهو كان يبني ما يريد بثه من معتقد على مقدمات يحاول اقناع الغير بها وعن طريقها يوهم المقابل بصحتها .

وهو ها هنا أصل دليلاً عقلياً ، معتمداً فيه على مشهور ، ومأثور ديني وعن طريق هذا التسلل بالدليل تمكن من إيهام ضعاف البصيرة ، قليلي العلم بصحة دعواه ، واستدرجهم للدخول في سلك معتقده .

٣- استخدامه لأشخاص ذوي منزلة رفيعة في قلوب الناس ، ويكنون لهم المشاعر السامية ، والنبيلة ، والكبيرة من الحب ، والتقدير ، والمودة ، والتعظيم لأجل ربط هذه العقائد بهم .

وهو ها هنا يحرك المشاعر ، ويدق على أوتار الأحاسيس مخاطباً العقل الباطن ومستثيراً للوجدان ، مستخدماً الحيل النفسية ليجعل منها الطاغي والمغطي على صوت العقل ، وخطاب الفكر ، فيجعل من الميول والمرادات هي العنصر

---

(١) [تاريخ الطبري ج٤ ص ٣٤٠] [المقالات والفرق / القمي الأشعري ص ٢٠] [الملل والنحل/ الشهرستاني ج١ ص ١٥٥]

المؤثر في تأصيل الاعتقاد وتثبيت الأفكار ، ولذلك نجده قد ربط دعوته عندما أظهر قالته هذه بالنص على إمامة علي ﷺ .

الرجعة

أما المعتقد الثاني الذي دعى إليه فهو ذلك المعتقد الملقب بـ (الرجعة) .

والرجعة كما ينقل تعريفها لنا أصحاب المقالات على الفرق : (إن الأموات يرجعون إلى الدنيا) .

هذا المعتقد قد تبناه ابن سبأ ودعى إليه ، وتبعه فيه جماعة من الناس ، وكان أول ما دعى إليه بخصوص هذا الأمر أن محمداً ﷺ سيعود بعد الموت إلى الدنيا، واستدل على ذلك بما نقل عنه من قوله :

[العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص : آية ٨٥]

فمحمد حقيق بالرجوع من عيسى] .

لذلك قالوا بأن ابن سبأ وفرقته يقولون بالرجعة إلى الدنيا ، وهو أول من قال بذلك[١] .

الطعن والتبرؤ من صحابة رسول الله ﷺ

أما الأمر الآخر الذي اشتهر به عبد الله بن سبأ وعرف عنه ، هو ما بناه على معتقده في (الوصية) من اللوازم القاضية بكون من لم ينفذ هذه الوصية مطعوناً فيه ، ومتهماً لذلك نسب إليه المؤرخون هذا الأمر وقالوا عنه :

[بأن عبد الله بن سبأ كان أول من اظهر الطعن في أبي بكر ، وعمر ، وعثمان، والصحابة وتبرأ منهم] [٢].

---

(١) [مقالات الاسلاميين / أبو الحسن الأشعري ج١ ص ٨٦] [المقالات والفرق / القمي الأشعري ص ١٩] [تاريخ الطبري ج٤ ص ٣٤٠] [الفرق بين الفرق / البغدادي ص ٢٢٣] [التنبيه والرد / الملطي ص ١٨]

(٢) [المقالات والفرق / القمي الأشعري ص ٢٠] [النوبختي / فرق الشيعة ص ٤٤]

أقول :

إذن فعبد الله بن سبأ عندما خط طريقه العقدي كان يستند فيه إلى أدلة متشابهة من القرآن ، وإلى مقدمات عقلية ، واقيسة تقنع الجاهل وتغريه وهذا ما يتضح في استدلاله على (الرجعة) حيث إنه جاء بالآية ، وحملها على معنى غير المراد منها ، كما استخدم لأجل تثبيتها بين محمد وعيسى قياس الأولى.

وهو عندما حكم على الصحابة بالتجاوز ، وأظهر الطعن فيهم ، وتكفيرهم لم يأت ابتداءاً به ، وإنما أصل معتقد (الوصية) كمقدمة ، وتوصل به وعن طريقه إلى الطعن بالصحابة وتضليلهم .

فكان الطعن بناءاً ونتيجة ، وهذا ما يدل دلالة واضحة على مكر هذا الرجل، ودهائه كما يدل على كونه خبيثاً في طرحه ، قاصداً للضلال والإضلال، والتفريق ، وزرع الخلاف وقد جمع له هذه الأمور المؤرخون وحصروها فيه وفي هذا يقول النوبختي الشيعي في كتابه فرق الشيعة :

[عبد الله بن سبأ أول من شهر القول بفرض إمامة علي ، وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه وكفرهم] (١).

ومن ها هنا اشتهر القول بأن (عبد الله بن سبأ) كان هو المؤثر في زرع أول نابتة للرفض والتشيع ، وكان المحرك الرئيسي لإنطلاق بناء فكر التشيع، ومنهجه ، ولهذا والله أعلم كان الشيعة أكثر تناولاً لهذه الشخصية من غيرهم من أهل الطوائف الأخرى .

تنبيه

اعتراض قد يرد على المنقول فيما يخص حياة ابن سبأ :

قد يعترض معترض على ما يتعلق بالمعلومات الشخصية الخاصة بـ (عبد الله بن سبأ) من حيث اختلاف العلماء في الوقوف عندها على قول فصل ومن حيث تعدد المنقول من تلكم المعلومات سواءاً منها :

[ما يخص اسمه ، وأصل نسبته ، وكذلك ما يخص بعض شؤون حياته

---

(١) [النوبختي / فرق الشيعة ص ٤٤]

كالأمكنة التي تواجد فيها ، والبلدان التي سعى فيها ، وكذلك أصل ديانته قبل أن يسلم] .

وهذا الاعتراض قد يرد على شكل تساؤل يتولد في النفس حال قراءة تلكم المعلومات المتعلقة به ، أو قد يكون سبباً للتشكيك في صحة هذه المعلومات وبالتالي التشكيك في الأصل الذي سيقت هذه المعلومات للتعريف به* ، لذا فبياننا لهذا الاعتراض سيكون لغرضين :

الأول :

رفع الإشكال ، والاجابة عن التساؤل الذي قد يرد في ذهن بعض القراء .

الثاني :

للرد على تشكيكات المغرضين وتهويلاتهم من أمثال مرتضى .

اختلاف العلماء في تحديد الكثير من المعلومات الخاصة بالمشاهير

فأقول :

إن أي شخصية من شخصيات التاريخ فيما سبق لا يخلوا تاريخ نشوئها بما يحمل من حوادث ومجريات من خلاف بين المؤرخين المثبتين لهذا التاريخ، والأسباب في هذا الاختلاف كثيرة ومعلومة :

منها : انتفاء التثبيت القيدي لتاريخ الولادة مثلاً ، وكذلك انتفاء الاعتماد على الترقيم الزمني إلى حد كبير وخصوصاً في التواريخ السابقة لهجرة النبي ﷺ .

ومنها : ما يتعلق بجهالة حال الأشخاص خصوصاً تلك التي يكون وجودها وظهورها قبل أن يكون للشخصية بروز ، أو أن يتحقق لها وجود مؤثر على الواقع .

---

* وهذا الذي فعله مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير اخرى) وبنى عليه نفيه ، وانكاره لوجود شخص عبد الله بن سبأ ، وسيتبين لكم من خلال المعروض هنا بطلان ادعاء مرتضى هذا ، كما ستتبين لكم بطلان جميع ادعاءاته الاخرى التي سعى من خلالها إلى انكار ابن سبأ في مباحث الكتاب المختلفة .

ولهذا إذا ما فتحت كتب التاريخ تكاد لا تجد شخصاً من الشخصيات التي وجدت في بدايات الإسلام ، وكذلك بعده أو قبله إلا وقد اختلف المؤرخون في الجزئيات المتعلقة بأصل نشأته ، وإن كان هذا الاختلاف قد يتفاوت ما بين هذه الشخصيات في جزئية من جزئيات أصل النشأة بحسب شهرة هذه الجزئية وشيوع واستفاضة خبرها من عدمه .

فمثلاً الولادة :

لا تكاد تجد أحداً من السابقين إلا وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته حتى الرسول الاكرم ﷺ قد اختلف العلماء في تاريخ ولادته .

الأصول والمنابع :

كثير من السابقين تجد خلافاً بين المؤرخين في أصل نسبتهم التي ينتسبون إليها وكذلك في مواطنهم الاصلية التي نزحوا منها .

ادوار حياتهم :

كذلك تجد خلافاً بين المؤرخين في تحديدها وضبطها بناءاً على تناثرها في جزئيات الزمان ، والصعوبة الفائقة في تحديد المكان الذي وقعت فيه في ساعة تنفيذها.

الوفيات :

أيضاً تجد خلافاً في تحديد تاريخ الوفاة للشخصيات بين المؤرخين قد يصل في الاغلب إلى تاريخ وفاة اناس مصدرين ممن ينبغي ان يقطع بتحديد تاريخ وفاتهم وعلى رأسهم الرسول محمد ﷺ.

قال آية الله محمد آصف محسني عن تاريخ وفاة النبي ﷺ ، ما نصه :

[ولا حديث معتبر يدل على تاريخ وفاته] [1].

---

(١) [مشرعة بحار الأنوار / محمد آصف محسني ج ١ ص ٤٠٣]

حقيقة يقر بها علماء الشيعة

وهذه الحقيقة معروفة جداً عند المؤرخين والمحققين ولا تضير أحداً ، أو تضر بمسألة لذلك فعرضها لأجل الوصول إلى ابطال قضية من القضايا أمر مستنكر ومرفوض وليس هو دأب المحققين ، ولا طريقة العلماء والمؤرخين .

وعلماء الشيعة كغيرهم يقرون بهذه الحقيقة ، معترفين بها اعترافاً تاماً لانه الواقع الموجود عندهم قبل غيرهم ، لذا فهم عندما يتعاملون مع هذا الاختلاف الوارد في نقل حيثيات الأشخاص يتعاملون به بموضوعية تامة ، وبتسليم مطلق.

وفي هذا يقول آية الله محمد آصف محسني في كتابه (مشرعة بحار الانوار) قولاً يؤكد فيه هذه الحقيقة مع عرض أمثلة دامغة لاثباتها ، واثبات تحققها واقعاً حيث يقول :

[الأقوال المتعددة في مولد الحسن عليه السلام ، ومدة عمره يوجب عدم الاعتماد على كلها ، ومثل هذا الاختلاف مشهود في كثير من الوقائع المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وآله والائمة ، وبكثير من الحوادث الواقعة في صدر الإسلام .

والسر في ذلك ظاهراً ، عدم اهتمام المسلمين الاوائل بضبط التواريخ بالشهر، فضلاً عن ضبطها بايام الشهر وايام الاسبوع ، بل ربما لم يهتموا بضبط السنة، ولذا اختلفوا في سنة ولادة الحسن عليه السلام وانها الثانية من الهجرة ، أو الثالثة .

فلا مجال للاعتماد على أقوال العلماء العظام في ذلك ، فإن عظمة القائل لا تصحح قوله فلا يغرنك حتى رأي الكليني ، والصدوق ، والمفيد ، والبرقي، والصفار رحمهم الله في ضبط التاريخ المتعلق بالصدر الأول ، فضلاً عن غيرهم] [1].

اما ما ذهب إليه مرتضى العسكري في كون الخلاف الوارد في حيثيات عبد الله بن سبأ دليلاً على الاختلاق فهو قول مردود بنفسه يخالفه فيه جميع العلماء والمؤرخين ومن جميع الطوائف ، وقد رد عليه قوله هذا الشيعة قبل

(١) [مشرعة بحار الأنوار / آية الله محمد آصف محسني ج ٢ ص ١٥١]

السنة فهذا العالم الشيعي محمد علي المعلم يرد على مرتضى العسكري ادعـــاءه هذا بأدلة قاطعة ، وببراهين ساطعة حيث قال :

[فهذا الرسول الاعظم ﷺ الذي هو مهوى القلوب وقبلة الانظار ، والـــذي لم يأل جهداً في اخراج الناس من الظلمات إلى النور بعلمه واخلاقه وسيرته ، قد اختلف اتباعه من بعده في وضوئه ، وصلاته ، فهل كـــان يمســـح رجليـــه ، أو يغسلهما في وضوئه ؟

وهل كان يقول في اذانه حي على خير العمل أو لا ؟

وقس على ذلك القضايا الاخرى من العبادات والمعاملات ، وهي وان كانت أموراً فقهية شرعية إلا ان لها نصيباً من التاريخ والتدوين .

ثم تعال إلى يوم وفاتهﷺ :

فهل كان في الثامن والعشرين من صفر ؟

او الثاني عشر من ربيع الأول ؟

وهو حدث لا يمكن تصور الغفلة فيه :

فلماذا وكيف اختلف المسلمون ؟

إلى غير ذلك من الحوادث التي وقع الخلاف فيها وهي من صـــميم تـــاريخ الإسلام] (١)* .

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٨١]

*** الاختلاف في شخصية المهدي المنتظر**

إذا كان الاختلاف فيما يتعلق بشخصية معينة من شخصيات التاريخ سبباً لنفي هذه الشخصـــية على ما يدعيه مرتضى ، فماذا سيكون قوله في (المهدي المنتظر) الذي اختلفـــوا وتضـــاربت اقوالهم حد التناقض في تحديد الكثير مما يتعلق بشخصيته، فأختلفوا مثلاً في تحديد اســـم امـــه على أقوال ، وكل اسم منها مخالف للاخر ، فهل له توجيه لهذا الاختلاف ، أو سيقبل بتطبيـــق قاعدته فينفى وجود هذه المرآة وبالتالي ينفي وجود امامهم المهدي ؟

ولعل هذا هو الراجح خصوصاً إذا ما أخذ بنظر الاعتبار كثرة الاختلافات التي تحيط بمتعلقات حياة المهدي هذا ، ومنها اختلافهم في انه هل ولد حقاً أم لم يولد ؟ وإليك بيان لقسم من هـــذه الاختلافات والتناقضات الواردة بحقه :

١ـــ من هي أم المهدي ؟

أهي جارية اسمها (نرجس) ، أم جارية اسمها (صقيل) ، أم جارية اســـمها (مليكـــة)، أم =

=

جارية أسمها (خمط) ، أم جارية اسمها (حكيمة) ، أم جارية اسمها(ريحانة) ، أم هي حرة اسمها (مريم) ؟!

٢ــ ومتى ولد ؟

أولد بعد وفاة أبيه (بثمانية) أشهر ، أم ولد قبل وفاة أبيه سنة (٢٥٢) ، أم ولد سنة (٢٥٥) ، أم ولد سنة (٢٥٦) ، أم ولد سنة (٢٥٧) ، أم ولد سنة (٢٥٨)، أم ولد في (٨) من ذي القعدة ، أم ولد في (٨) من شعبان ، أم ولد في (١٥) من شعبان ، أم ولد في (١٥) من رمضان ؟!

٣ــ كيف حملت به أمه ؟

أحملت به في بطنها كما يحمل سائر النساء ؟ أم حملته في جنبها ليس كسائر النساء؟!

٤ــ كيف ولدته أمه ؟

أولدته من فرجها كسائر النساء ؟ أم من فخدها على غير عادة النساء ؟

٥ــ أين يقيم ؟

قالوا : في (طيبة) ، ثم قالوا : بل في (مكة) بذي طوى ، ثم قالوا : بل هو في (سامراء)! حتى قال بعضهم :

[ليت شعري أين استقرت بك النوى ... بل أي أرض تقلك أو ثرى ، أبرضوى، أم بغيرها أم بذي طوى ... أم في اليمن بوادي شمروخ أم في الجزيرة الخضراء] .

٦ــ كم مدة ملكه ؟

قال محمد الصدر :

[وهي أخبار كثيرة ولكنها متضاربة في المضمون إلى حد كبير حتى أوقع كثيراً من المؤلفين في الحيرة والذهول] .

وقيل : ملك القائم منا (١٩) سنة .

وفي رواية : سبع سنين ، يطول الله له في الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنيه مكان عشر سنين فيكون سني ملكه (٧٠) سنة من سنيكم .

[كتاب ما بعد الظهور / محمد محمد صادق الصدر ص ٤٣٣ – ٤٣٦]

وفي رواية أخرى أن القائم يملك (٣٠٩) سنة كما لبث أهل الكهف في كهفهم .

[نقلاً عن كتاب أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق / إعداد وجمع : سليمان بن صالح الخراشي ص٦٧]

لا جدوى من الخلاف في شخصية لا وجود لها

إذن فالخلاف في أصول النشأة وتفاصيل حياة الأشخاص من الأمور الطبيعية جداً عند المؤرخين ، ولا ينبني عليها أي حكم يتعلق بذات الشخص المتناول في هذه الجزئية إلا من جهة إثبات وجوده .

فإن الكلام حول حياة الشخص . وأصل نشأته . ومن أي مدينة هو ؟ وإلى أي قبيلة يرجع نسبه ؟ ومتى ظهر على الساحة ؟ وما هي الاماكن التي قطن فيها وكان له دور في الاحداث التي جرت على ارضها ؟ كل هذا الخلاف المذكور دليل قاطع على إثبات وجود هذه الشخصية ، وحجة واضحة تثبت تحقق ذاته على الواقع ، لأن الخلاف حول معدوم أمر غير معقول ولا مقبول ، واتعاب النفس واجهادها في تحقيق مسائل ترتبط بمنفي أمر لا يصدقه أصحاب الالباب، ولا يتصرف به إلا الجاهلون ضعاف العلم قليلو الدراية .

والا لماذا يتعب العلماء انفسهم بالتحقيق والبحث عن حيثيات شخصية معينة وهذه الشخصية أصلاً غير موجودة ، فالحكم المنطقي الذي لا يقبل غيره أصحاب العقل واهل المنطق والدراية ان هذا لا يكون إلا مع شخص ثابت الوجود ، متحقق الأثر اقتضى وجوده المؤثر على الساحة ان يبحث فيه ويستفصل في البحث عن جزئيات حياته .

وكلما كانت الشخصية أكثر أثراً ، وأشد تأثراً وتأثيراً بالغير وعليه ، كلما كان تناول العلماء لها أكثر ومحاولاتهم للوصول إلى الحكم فيها وعليها أكثر وأكبر .

اهتمام العلماء في البحث بما يتعلق بابن سبأ

وبخصوص شخصيتنا هذه (عبد الله بن سبأ) نجد هذه الحقيقة قد تحققت فيه وبقوة ، فالعلماء والمؤرخون بحثوا عن أي شيء يتعلق بحياة هذا الرجل، وحاولوا ابرازه ، واخراجه إلى الواقع متلقفين أي معلومة ممكنة من أي جهة كانت ، ومهما كان وزنها لأجل الوصول إلى نقل صورة ولو جزئية ، أو منقوصة توضح للاذهان بعضاً من حقيقة هذا الرجل وأصل نشأته .

فكان بحثهم في شؤون حياته دليلاً قاطعاً على وجوده ، وخلافهم في تفاصيلها دليل على شدة اعتنائهم بالمعلومات الواردة عن حياته هذه، وعلى كون هذه الشخصية ذات تأثير كبير على الساحة وقت ظهورها ، وعلى الواقع التاريخي الذي عاشت فيه ، مما حدى بالمؤرخين والباحثين ان ينقبوا ويبحثوا عن تفاصيل حياته إذ ان هذه التفاصيل قد تخدم في تفسير بعض الاعمال التي قامت بها هذه الشخصية ، وتجعل من امكانية الفهم والتوجيه للدوافع والمقاصد من وراء هذه الاعمال امراً متحققاً .

أسباب أخرى للخلاف

واما فيما يتعلق بسبب الخلاف فنحن قد اشرنا في البداية لاسباب عامة ممكن ان نطبقها على هذه الشخصية وغيرها ، ونضيف إليها اسباباً أخرى خاصة بهذه الشخصية بالتحديد .

فكما هو معلوم ان المعلومات المتعلقة بشخص معين تؤخذ من طريقين :

الأول :

طريق التقييد الكتابي المثبت للمعلومة .

الثاني :

هو الطريق الجمعي للمعلومة من خلال السماع أو البحث أو أي وسيلة اخرى.

وعند السابقين كانت الطريقة الثانية هي الأصل المعتمد في تثبيت أي معلومة تتعلق بشخص ما خصوصاً مع انتفاء التقييد الكتابي للمعلومات .

وان البحث عن المعلومة والسعي لأجل تحصيلها لا يتحقق ، ولا يكون لـه طلب عند قاصده إلا بعد بروز الشخصية التي تطلب المعلومة عنها على الواقع، وبروز اثارها على الساحة فيتداول اسمها بين الناس ، ويذيع صيت هـذا الاسـم وتبدأ الاثار المتعلقة بهذا الاسـم الـذي ذاع واشـتهر بـالظهور ، والشـيوع، والاستفاضة فعند ذاك يطفو على السطح الاسئلة المشهورة التي يفرضها العقل :

من هذا الشخص ؟ من أين هو ؟ متى ولد ؟ ما هي امكانيتـه وطاقاتـه ؟ كيف استطاع ان يحتل هذه الدرجة ؟ ما هي حقيقة توجهاته ؟ هل اسمه هذا الذي يتداول حقيقي اولا ؟ هل له كنى والقاب ؟ هل يعرف اسم امه ؟ هل له ذريـة ؟ ان كان له قبيلة واعمام فاين هم ؟ ومن أي القبائل هو ؟

طريقة المؤرخين في جمع المعلومات

وإلى اخر ذلك من الاسئلة التي يجود بها عقل الانسان ، ويدفع إليها فضوله أو حبه للمعرفة مما تلقاه من الواقع الخارجي الذي يعيش فيـه ، فيبـدأ الباحـث بالاجابة عن هذه الاسئلة وقد تكون الاجابة عليها متأخرة في الزمن غالباً فياخـذ بالجمع فيسمع من هذا وذاك ، ويقيد المسموع ، ويتناول ما يذكر فـي القصـص والاخبار ، ويقيد هذا المتناول .

وبعد هذا الجمع يقوم بتشكيل المعلومات في صورة معينة ومحددة ينطلـق في تحديدها من مرجحات تتعلق بالشخص نفسه الذي نقلت منه المعلومة ، وكذلك بالمعلومة نفسها من حيث امكانية صدقها من عدمه .

وعلى هذا فإن الجامع للمعلومة قد يدون من بـين عشـرات المعلومـات معلومة واحدة أو معلومتين مما يرى فيها الاهمية في التعريف بالشخصـية ، أو امكانية الصدق مع قربها إلى الواقع الخـاص بالشخصـية عـن غيرهـا مـن المعلومات الاخرى ، وهذه الطريقة في ترجيح المعلومة ثابتة لجميع المـؤرخين والباحثين من حيث الأصل .

وهذا كما هو بالنسبة لمؤرخ وباحث فهو ينطبق على غيره من المـؤرخين، فالمعلوم ان المرجحات في تثبيت المعلومة تختلف بين باحث واخـر، والا فعنـد التطبيق نجد ان من المؤرخين من يثبت معلومة بحق شخص لا تجدها أصلاً عند

باحث اخر، وممكن ان يتفقوا على تثبيت معلومة معينة لاتفاق مرجحاتهم في تحققها .

وكذا الحال بالنسبة لمن تنقل عنه المعلومة ، فمن بين عشرات الأشخاص الناقلين قد لا يعتمد المؤرخ إلا على معدودين منهم اثنين أو ثلاث بناءاً على المرجحات التي يعتمدها فيمن ينقل عنه .

فهؤلاء الأشخاص المنقول عنهم منهم الصادق وفيهم الكاذب ، والصادق قد يكون ضابطاً للمعلومة متأكداً منها وقد لا يكون .

والمعلومة التي ينقلها قد يكون متلقياً لها ممن عايشها ، أو ممن نقلت له اخباراً إلى اخر ذلك من المرجحات .

وكذلك الحال بالنسبة للمؤرخين انفسهم ، فقد يلتقي احدهم بشخص ناقل لمعلومة لم يلتق به غيره من الباحثين المؤرخين .

وقد يكون هذا الشخص الذي التقى به احدهم هو صاحب المعلومة الصحيحة في الجزئية التي يتناولها ويتكلم عنها ، اما غيره من الاخرين ممن لم يطلع على هذه المعلومة لم يسطر إلا المتداول عنده مما استقاه من غيره .

وايضاً مما يؤثر في الحكم على المعلومة انها قد لا تكون ثابتة في ذهن صاحبها نفسه الذي يبحث عن تفاصيل حياته ، فقد يغيب عنه تاريخ ولادته ، فلا يعرف متى ولد ، ومن عاصره من هو اكبر منه سناً قد يكون اعلم منه في هذا الأمر ، وكذلك قد يغيب عن ذهنه اما لنسيان ، أو لكبر سن ، أو لمرض بعض الأمور التي قام بها في حياته مما يتناقله الناس وقد اشتهر هو بها .

وهذا حاصل في أي وقت ومحتمل في أي انسان ، فبالنسبة للولادة فمنذ قرن من الزمان أو حتى اقل لا تكاد تجد أحداً يعرف تاريخ ولادته بالضبط لانتفاء التقييد الكتابي – فآباؤنا وامهاتنا واجدادنا نجزم يقيناً انهم لا يعلمون تاريخ ولادتهم على وجه التحديد ، ولا كثيراً من الاحداث التي حصلت في حياتهم وهم معاصرون لها – .

وكذلك بالنسبة للامر الاخر فقد شاهدنا كثيراً من الناس ممن ذهبت ذاكرتهم فلم يعد يفرق بين شخص وشخص ولا يعرف في أي زمان هو ، القصد ان هناك من المعلومات قد تستسقى من صاحبها مباشرة مع عدم التأكد من

صحتها لوجود عارض أو مؤثر يمنع من التأكد ، أو قد تكون منقوصة ، أو قد ينفيها لنسيانه لها أو ذهوله عنها ، ويكون الغير هو صاحب القول الاصوب ، والاختيار الاسلم في تحديد المعلومة من صاحبها الاصلي .

اضافة إلى ما يعلم من حال الانقطاع الموجود عند السابقين فلا توجد في ذلك الوقت وسائل اتصالات ، أو طرق نقل متطورة حيث كانت كل مدينة ، أو ولاية، أو قرية تمثل كينونة مستقلة بحد ذاتها .

اضافة إلى ان من يبحث عنه يكون ارتباطه بالغير الناقل للمعلومة ارتباطاً جزئياً ، أي في بعض الأمور المتعلقة في شؤون الحكم والتجارة وعلى وجه مقصور وعسير في تحصيله ، وهذا مما يجعل الحصول على المعلومة امراً في غاية الصعوبة ، وقضية على جانب كبير من التعب والمشقة ، وقد يسعى الانسان الباحث طويلاً وبجهد ولا يحصل على المعلومة المطلوبة أصلاً ، أو قد يحصل على المعلومة الخطأ ، وهذا حاصل في زماننا هذا المسمى بعصر المعلوماتية ، فكيف هو الحال عند السابقين ؟

وبسبب كل هذا الذي ذكرناه وغيره يحصل الخلاف والاختلاف بين المؤرخين الذين جل قصدهم هو نقل ما امكن صدقه وصحته من المعلومات وجمعها في صورة مؤطرة وقالب معين وايصالها للاخرين ، ثم ياتي المحققون ويبرز هنا دورهم في تشكيل الصور تشكيلاً نهائياً فيقدمون الاصح على ما هو دونه في الصحة ، والاقوى فالاقوى على القوي ، ويردون المنكر الذي لا يمكن ان يقبل أو ان يثبت واقعاً وتبدأ تظهر الترجيحات المبنية على قواعد العلم ، وافرازات الواقع وحكم المنطق .

عبد الله بن سبأ شخصية مذمومة لم يجهد المؤرخون انفسهم في التحقق من حيثياتها

وهذا الذي عرضناه كله متحقق في شخص (ابن سبأ) ايما تحقق ، وان كانت مرجحات الخلاف عن جزئيات وتفاصيل حياته توجد فيه وفي امثاله أكثر من غيره على اعتبار انه شخصية مذمومة ، ذات طابع سلبي اقرب ما يكون إلى الصعاليك والممقوتين لا يأبه لامره ، ولا يعتنى بحاله ، فلا يتعب العلماء

والمؤرخون انفسهم في تحقيق المعلومات الواردة عنه ، ولا يجهدونها في التنقيح والتأكد ، لانها لن تغني عن شيء ، ولن توصل إلى فائدة عظيمة الأثر على الناس ، ولن تغلق باباً مفتوحاً لغرض الطعن في الإسلام والمسلمين فغيره اولى منه بالتحقق والتأكد من المعلومات الخاصة بهم وبحياتهم من ذوي التأثير الايجابي والمنافع الحسنة والاثار الخادمة للاسلام والمسلمين .

السبئية

قبل الدخول إلى بيان معتقدات السبئية التي نسبت إلى هذه الفرقة لا بد من بيان وتعريف لهذه الفرقة من جهة نشوئها ، وأصل نسبتها ، والذي دعانا إلى هذا البيان والتعريف بهذه الفرقة ما ذهب إليه مرتضى العسكري في نفيه وجودها تبعاً لنفيه للمنسوبة إليه وهو (عبد الله بن سبأ) .

السبئية أو السبائية : تسمية اطلقت على فرقة اظهرت بدعاً وانحرافاً في زمان علي ﷺ، وقد يكون أصل نشأتها في أواخر خلافة سيدنا عثمان ﷺ حيث ذهب المؤرخون إلى انهم كانوا في ذلك الزمان كتلة سياسية مسؤولة عن قتل الخليفة عثمان ﷺ وقد نسبت هذه الطائفة أو الفرقة إلى (عبد الله بن سبأ) أول من دعى إلى أفكار هذه الفرقة التي تكونت بعد ان تجمع اناس حوله ممن قبل بدعواه ، ولهذا نجد المؤرخين على شبه اجماع بأن طائفة السبئية منسوبة إلى (عبد الله بن سبأ) وهذا ما عليه الاتفاق التام عند أهل السنة :

* ذكر البغدادي : أن فرقة (السبئية) أظهروا بدعتهم في زمان علي ﷺ .
* يقول الاسفراييني : ابن سبأ قال بنبوة علي أول أمره ، ثم دعا إلى الوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك ، فاجابته جماعة .. .
* قال الهيتمي : اتسع الأمر أيضاً في خلافة علي ، فظهر في عهده فرقة (السبئية) .
* يقول الشهرستاني : أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي ﷺ (الى رحمة الله) واجتمعت عليه جماعة .
* قال ابن حبيب : عبد الله بن سبأ صاحب (السبئية) .
* قال ابن قتيبة : (السبائية) من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ .

* قال الخوارزمي : (السبائية) أصحاب عبد الله بن سبأ .
* قال ابن عساكر : عبد الله هو راس الطائفة (السبئية) .
* قال الصفدي : عبد الله بن سبأ رأس الطائفة (السبئية) .

وكذلك هو ما اكده علماء الشيعة حينما ذهبوا إلى ان السبئية هم أصحاب (عبد الله بن سبأ) :

* قال الناشىء الأكبر : وفرقة زعموا ان علياً عليه السلام حي لم يمت ، وانه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، وهؤلاء هم (السبئية) أصحاب عبد الله بن سبأ .
* يقول القمي : وهذه الفرقة تسمى (السبائية) أصحاب عبد الله بن سبأ .
* قال محمد جواد مغنية : الغلاة اصناف منهم (السبئية) أتباع عبد الله بن سبأ.

والذي نستفيده من هذا كله ارتباط هذه الطائفة (السبئية) بعبد الله بن سبأ، ارتباطاً يكاد يكون محل اجماع كتب المعارف العامة ، واصحاب المقالات، وكتب الانساب ...

إن هذه الطائفة أو الفرقة لم تكن طائفة هامشية أو ضعيفة التأثير على واقع الناس وعقائدهم وقت ظهورها ، وانما كانت مؤثرة وذات ظهور بدعاويها المخالفة لما عليه الناس ، وكذلك باثارتها للكثير من البلبلات والفتن التي جعلت من ذكرها امراً منتشراً يتداوله الناس فيما بينهم ويذكرون ما يتعلق بهذه الجماعة من الأمور التي قامت بها ، وحتى التسمية السبئية كانت امراً مقصوداً دفع إليه محاولة تمييز هذه الجماعة بمسمى يحددهم ليحذرهم الناس أو ليتوصلوا عن طريقه إلى جمع ما تمتاز به هذه الفرقة من خواص لا يشاركها فيها غيرهم حتى إذا ما اظهر احدهم دعوى من الدعاوي مما يختصون به عرف انه من هذه الجماعة ومن اتباع هذه الفرقة فيحذر ولا يتأثر به أحد .

إذن فالذي يرجع إلى كتب التاريخ على اختلاف ميول مصنفيها يجد اتفاقاً على وجود هذه الفرقة ، ولا يكاد يقف على طائفة السبئية إلا وهي منسوبة إلى

(عبد الله بن سبأ)[١].

معتقدات السبئية

هذا ما يتعلق بالسبئية ذكرناه لكم بأيجاز قاصدين منه البيان والايضاح لأن الذي يهم هنا هو (عبد الله بن سبأ) نفسه لكونه محور البحث ونعود الآن إلى الجانب المهم الذي اردنا تسليط الضوء عليه إلا وهو المعتقدات المنسوبة إلى هذه الفرقة، فالمعتقدات التي تنسب للسبئية هي كما اشرنا كانت ابنية وتفريعات على تلكم الأصول التي قعدها (عبد الله بن سبأ) فهو وضع القدم على أول درجة في سلم الغلو والتطرف ، عن طريق تعظيمه لاشخاص تعظيماً فوق المقرر شرعاً ، وبامور خارجة عن منظور العقل والتصور الانساني ، وجعل من هذا الأمر قضية لازمة ينبغي التعصب لها ، والتمسك بها فمهد بهذا السبيل لمن جاء بعده لكي ينطلق في دوائر الغلو ويتدرج في سلمه علواً ولهذا إذا ما رجعنا إلى المعتقدات المنسوبة إلى السبئية فإننا سنجدها معتقدات تتصف بالغلو والتطرف .

حياة علي ﷺ لا تقبل الموت

فمن تلكم المعتقدات ما يأتي مما ذكره في حقهم أهل الكلام على الفرق فـــ (السبئية) يعتقدون بناءاً على ما رسخ فيهم من معتقد (الرجعة) والناتج من مقتضياته بأن علياً حي لم يمت ، ويذهبون إلى ان القتل والموت لا يجريان عليه في ذلك الوقت ، وانما يثبت له بعد ان يملك الأرض ، ويسوق العرب بعصاه ، وبناءاً على هذا المعتقد اخذوا يوجهون الأخبار الواردة اليهم بشأن علي ﷺ والحوادث التي جرت له مما ينقل لهم ، فحينما بلغهم خبر موته قالوا للذي نقله إليهم :

[كذبت ياعدو الله لو جئت لنا بدماغه في صرة ، واقمت على مقتله سبعين عدلاً ما صدقناك].

فرجعت الإمام ليست مما دعى إليه عبد الله بن سبأ وانما هو من دعوة

---

(١) [راجع : عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام/ سليمان بن حمد العودة ص ١٩٩– ٢٠٥]

ومعتقد السبئية بناءاً على ما ثبته فيهم ابن سبأ من جـواز الرجعـة ، وامكانيـة حصولها [١].

الغيبة

ومن ذلك أيضاً ان السبئية كانوا يعتقدون بالغيبة للإمام علي ﷺ ويرون انه مستقر في السحاب ، ومن ها هنا كان معتقدهم في ان الرعد صوته ، وان البرق سوطه ، كما يذهبون إلى ان الله قد رفع عليﷺ إليه كما رفع المسيح[٢].

علي ﷺ شريك في النبوة

وايضاً مما ينسب إلى السبئية من معتقدات انهم كانوا يذهبون إلى ان عليـاً شريك النبي ﷺ في النبوة وأن النبي ﷺ مقدم عليه ، فلما مات ورث النبوة فكان يوحى إليه وياتيه جبريل [٣].

ألوهية علي ﷺ

ومن ها هنا بدأ الغلو ينمو ويكبر عند السبئية وبدأ المنحنى التطرفـي فـي الانفراج والتجافي بعيداً بعيداً حتى وصلوا بالسبئية إلى مقام النبوة كما مر، وبمـا ان أصل الغلو قد ترسخ عندهم وثبت لذا كان من الصعب بعد ذلـك تحجيمـه ، ومن المستعسر ضبطه وتقييده ، وعليه وكنتيجة حتمية للاستمرار في منهج الغلو والتطرف صدر منهم اخطر معتقد يمكن ان يحمله انسان إلا وهو القول بالوهيـة علي ذلك القول الذي جعلوه واقعاً مطبقاً عندما شاهدوا علياً امام اعيـنهم وقـالوا له: (أنت هو) ، فحصل ما حصل مما هو معروف عندما حفر لهم علي الأخاديد، وحرقهم في النار .

---

(١) [الفرق الاسلامية / الكرماني ص ٣٤] [التنبيه والرد / الملطي ص ١٨]

(٢) [التنبه والرد / الملطي ص ١٥٨] [الفرق بين الفرق / البغـدادي ص ٢٣٣] [تنقـيح المقال / المامقاني ج٢ ص ١٨٣]

(٣) [تنقيح المقال / المامقاني ج٢ ص ١٨٤] [معرفة أخبار الرجال / الكشـي ص ٧١] [شرح عقائد الصدوق/ المفيد ص ٢٥٧] [منهاج السنة النبوية / ابن تيمية ج١ ص ٨٣] [تأويل مختلف الحديث / ابن قتيبة ص ٧٣ وغيرها من المصادر الكثيرة]

الحلول والتناسخ

ولكن على الرغم من هذا التحريق للاشخاص فإن المعتقد لم يحترق ، ولم يمت بل ظل دائماً باقياً كما هو ، وأخذ من تبناه له يوجد تعليلات وتوجيهات ، ولهذا ظهرت عند السبئية معتقدات أخرى القصد منها إثبات الوهية علي وربوبيته .

ومن ذلك معتقدهم بـ (الحلول والتناسخ) ، فذهبوا إلى ان علياً ﷺ قد حلت فيه روح الآله واستقرت في جسده ، ومنهم من قال أن فيه الجزء الالهي.

التجسيم

وها هنا إضافة إلى اعتقادهم في الحلول دخلوا أيضاً في التجسيم ، وكذا كان يقولون في تناسخ الجزء الالهي في الأئمة فهو ينتقل من شخص إلى آخر ، فمن علي إلى الحسن والحسين وهكذا ... [١].

البداء

وكذا مما ينسب اليهم من المعتقدات معتقد (البداء) وهذا ما ذكره كثير من المؤرخين في شأنهم حيث أن (السبئية) كانوا يقولون ويزعمون أن الله تبدو له البداوات [٢].

تنبيه

مرتضى العسكري ينكر وجود الفرقة السبئية

إن مرتضى العسكري حاول كعادته في النفي والإنكار نفي وجود هذه الفرقة مدعياً كونها أسطورة من الأساطير مدعياً أن الذي قام بإختلاق هذه الفرقة هو الراوي (سيف بن عمر التميمي) حيث ذكر أنه أختلق مدلول السبئية وطوره من الإنتساب إلى (سبأ بن يشجب) إلى الإنتساب إلى (عبد الله ابن سبأ) ،

---

(١) [الفرق بين الفرق / البغدادي ص ٢٤١] [البدء والتاريخ / ابن طاهر المقدسي ج٥ ص ١٢٩] [الملل والنحل / الشهرستاني ج١ ص ١٥٥ – ١٥٦]

(٢) [التنبيه والرد / الملطي ص ١٩]

بانياً استنتاجه هذا على أصل قوله بأن (عبد الله بن سبأ) هو من مختلقات (سيف بن عمر) محاولا التوصل من كل هذا إلى نفي كل شيء يتعلق بابن سبأ سواءاً منه ما تعلق بذاته أو بالأمور التي ارتبطت به وألحقت بشخصيته، وسيأتي الرد الكامل والوافي على ادعائه مع بيان ما يتعلق بخصوص الراوي سيف بن عمر .

إن الغريب في فعل مرتضى هو تحويله نسبة (السبئية) من كونها فرقة ذات أصول عقدية ، وخصائص فكرية إلى قضية عشائرية قبلية تحقق النسبة لمن انتسب إلى (السبئية) عن طريقها [١].

ولا يخفى على المتتبع ما في كلام مرتضى هذا من البعد حيث انه ذهب بعيداً عن دائرة الكلام ، ومقصد البحث ، فالكلام يدور حول ظهور عقائد ابن سبأ وانتشارها بين الناس وتحول هذه النسبة (السبئية) إلى منظومة يؤمن بها اناس بعد ظهور العقائد وشيوعها ، ومن ثم تشكيل جماعة اعتنقت هذه العقائد وآمنت بهذه الأفكار .

أما ما تحدث عنه فإنما هو لسابق ذهابه إلى نفي وجود ابن سبأ فهو بعيد كل البعد عما يتناوله المؤرخون وكذلك فهو تحدث عن أصول انتسابية لا علاقة له بالموجود في كتب التاريخ مما يتعلق بفرقة (السبئية) ، وعليه فلا تردد في رفض ادعائه أصلاً لما يحمله من ضعف في التأصيل ، وقصور في الاثبات مع مخالفته لما عليه الاتفاق واعتماده على الظنون والتخمينات والتخرصات [*] .

---

(١) [عبد الله بن سبأ وأساطير اخرى/ مرتضى العسكري ج٢ ص ٣٠٦ – ٣٠٩]

*** علماء الشيعة يردون على مرتضى**

وقد رد بعض علماء الشيعة (محمد علي المعلم) على دعوى مرتضى هذه في المراد من السبئية بقوله :

[إن المراد من الفرقة السبئية حيث تردد هذا الإسم في كتب التاريخ والمقالات وغيرها هي الجماعة التي تزعمها (عبد الله بن سبأ) الذي كان يسعى لفرض إمامة أمير المؤمنين ، وأنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ بلا فصل ، وكان يحرك الناس على الطعن في الخلفاء الثلاثة ، وإظهار البراءة منهم ومن الصحابة] .

ثم أخذ بعد ذلك ببيان خصوصيات هذه الفرقة عن طريق حصر ما دعت إليه وتميزت به ، =

عبد الله بن سبأ شخصية اهتم بها المؤرخون

أقول :

هذا هو إجمال للمعتقدات المنسوبة إلى (ابن سبأ) ، وإلى فرقة (السبئية) حيث اننا بعرضنا هذا فرقنا ما بين الوارد في شأن ابن سبأ حصراً مما هو معروف عنه ومشهور به ، وبين المعتقدات الاخرى التي تنسب إلى فرقة (السبئية) كجماعة مستقلة .

وتبين من خلال هذا العرض لمعتقدات ابن سبأ ان هذا الشخص كان مؤثراً على الناس في ذاك الزمان الذي وجد فيه ، وكان له دور في بلورة كثير من الأفكار التي قامت عليها فرق وطوائف ، كما انه كان نقطة الانطلاق الكبرى، والاساس القوي الذي انطلقت منه دعوات الغلو وتوجهات التطرف ذات الانحراف عن الطريق المستقيم ، والمخالفة لمنهج الإسلام القويم .

ولهذا السبب كان للمؤرخين نوع اهتمام بهذا الشخص عن طريق جمع أي معلومة تتعلق به مع التركيز على ما يتعلق بمعتقداته التي بثها بين الناس وأفكاره التي دعى إليها لأنها هي المقصد من وراء البحث عن معرفة هذا الشخص .

=

بقوله :

[وبعبارة أخرى : إن الفرقة السبئية هي الفرقة التي كانت تعلن الخلاف على الخلفاء، وتذهب إلى أنه لا تقية في اظهار مخالفتهم ، واعلان الإعتقاد بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة بعد رسول الله ﷺ بلا فصل] .

ثم ذهب إلى القول بأن ظهور هذه الفرقة كان أيام الخليفة عثمان بن عفانﷺ، والسبب من تكون هذه الجماعة انطلق من مخالفته وكل من خالفه توجه إلى هذه الفرقة وانضم إليها ، قال:

[وحيث أن ظهور هذه الفرقة في أيام عثمان بن عفان ، كان كل من يريد مخالفة عثمان ينتمي إلى هذه الفرقة].

[عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٦٢ – ٦٣]

عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية

ان المقاصد المتبعة في العرف العلمي للحكم على أي شخصية من شخصيات التاريخ مهما كان وزنها ، ومهما كان قدرها بالوجود أو العدم ، وبالتحقق والثبوت ، أو الانتفاء تتركز بصورة مباشرة على تثبيت بعض الأمور المهمة المتعلقة بأصول الأحكام ، مع تحديد للمنطلقات التي على اساسها ينبني الحكم ويثبت ، والأصول التي يرجع إليها في هذا الشأن ينبغي حصر دائرتها ، وتحديد حيثياتها أولاً قبل اصدار الحكم.

وبخصوص شخص (عبد الله بن سبأ) فإن دائرة البحث الخاصة لاصدار حكم به من ناحية الوجود من عدمه ، والمرتكزات المؤصلة في هذا الشأن إذا ما رجعنا إليها مستحضرين لها نجدها واضحة ، ومنضبطة ، ودقيقة ، ومتوجهة بانطباق في اصدار الحكم على هذا الشخص بالوجود والتحقق ، مع التأثير والتأثر في جزئية محددة من جزئيات الزمان ، وفي واقع خارج من المكان ذلك ان المنطلقات والمرتكزات الخاصة بالحكم على أشخاص التاريخ بالوجود أو العدم ، انما هي كما هو معلوم الروايات التاريخية ، وتناول الكتب المعتمدة والمختصة ، واقوال العلماء واختياراتهم ، اضافة إلى الشهرة ، والشيوع، والاستفاضة .

وبالتوجه مباشرة إلى شخصية (عبد الله بن سبأ) وبتطبيق هذه المرتكزات عليه فإننا ولا شك سنجدها منطبقة عليه تمام الانطباق ، مثبتة لوجوده غاية الثبوت مما لا يمكن لاحد معها المحيد عن الحكم به ، أو التنصل منه .

روايات الأئمة المعصومين تثبت وجود شخصية ابن سبأ

فالروايات الواردة في حق هذا الشخص ، والدالة على إثبات وتحقق وجوده أكثر من ان تحصى مع كونها متنوعة المواضيع ، مختلفة في طرق عرض حيثيات هذه الشخصية ، ولهذا ساسوق لك أهم هذه الروايات مما سنعتمد عليها كثيراً في كتابنا ، وكذلك التي عليها الاعتماد في إثبات هذه الشخصية :

الرواية الأولى :

حدثني محمد بن قولويه القمي ، قال : حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي ، قال : حدثني بن عثمان العبدي ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن سنان ، قال : حدثني أبي ، عن أبي جعفر عليه السلام :

ان (عبد الله بن سبأ) كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى عن ذلك) .

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله ؟ فأقر بذلك وقال نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام :

ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب ، فابى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب ، فأحرقه بالنار وقال : ان الشيطان استهواه ، فكان ياتيه ويلقى في روعه ذلك .

الرواية الثانية :

حدثني محمد بن قولويه ، قال : حدثنى سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، قال :

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهو يحدث أصحابه بحديث (عبد الله بن سبأ) وما ادعى من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال :

انه لما ادعى ذلك فيه استتابه أمير المؤمنين عليه السلام فأبي أن يتوب فأحرقه بالنار.

الرواية الثالثة :

حدثني محمد بن قولويه ، قال : حدثني سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى ، عن علي بن مهزيار ، عن فضالة بن أيوب الازدي عن أبان بن عثمان ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

لعن الله (عبد الله بن سبأ) أنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبدا لله طائعا ، الويل لمن كذب علينا وأن قوما يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم .

الرواية الرابعة :

وبهذا الاسناد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير . وأحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبيه ، والحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي ، قال ، قال علي بن الحسين عليه السلام :

لعن الله من كذب عيلنا ، اني ذكرت (عبد الله بن سبأ) فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادعى أمرا عظيما ماله لعنه الله ، كان علي عليه السلام والله عبدا لله صالحا ، أخو رسول الله ، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله ، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله الكرامة من الله إلا بطاعته لله .

الرواية الخامسة :

وبهذا الاسناد عن محمد بن خالد الطيالسي ، عن ابن أبي نجران عن عبد الله، قال ، قال أبو عبد الله عليه السلام :

انا أهل بيت صديقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق الناس لهجة وأصدق البرية ، وكان مسيلمة يكذب عليه .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله ، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفترى على الله الكذب (عبد الله بن سبأ).

مزايا هذه الروايات

أقول :

لقد أثرت ان اتي بهذه الروايات الخمس لما لها من مزايا فهي :

قد رواها الكشي في كتابه عن الرجال وهو من الكتب ذات القيمة العالية عند الشيعة ، وهي واردة باسانيد عالية عندهم ، إذ ان ثلاثة من هذه الروايات وردت عن أئمة الشيعة المعصومين وهم : (زين العابدين ، الباقر ، الصادق).

وهي تثبت وجود شخصية (ابن سبأ) وتحققها واقعاً ، وتبين في نفس الوقت معتقداتها .

كما ان لها ميزة انها لا معارض لها من روايات عن الأئمة المعصومين عموماً ينفي ما دلت عليه ، أو يعارضه ، أو يصادمه .

لهذا نجد ان الكشي بعد عرضه للروايات قد سلم بها ، وقبل مضمونها ، ولذا أخذ يسوق المذكور بخصوص شخص (عبد الله بن سبأ) متعاملاً معه على اساس كونه موجوداً ومتحققاً ، فقال بعد سرده للروايات :

[وذكر بعض أهل العلم أن (عبد الله بن سبأ) كان يهوديا فأسلم ، ووالى عليا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي عليه السلام مثل ذلك .

وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فمن هيهنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية] [1] .

من فمك أدينك

وايراد روايات الكشي هذه هي من باب الزام الشيعة المنكرين لوجود (عبد الله بن سبأ) بما عندهم واخص بالذكر هنا مرتضى العسكري ، فكما ان الشيعة يرجعون إلى كتب غيرهم ممن يخالفهم لغرض الالزام والمحاججة وما اكثرها عندهم فنحن ها هنا نلزمهم بما عندهم ؟

قال العالم الشيعي محمد علي المعلم :

[وإذا كان علماء الشيعة يرجعون إلى كتب غيرهم فإنما هو من باب من فمك أدينك ، في مقام الإحتجاج وإثبات المدعى وإبطال حجة الخصم ليس إلا] [2].

فكذلك غيرهم ممن يتعدى عليهم الشيعة متجاوزين ، أو متهمين ، أو حتى مفترين عليهم يحق لهم وبدون أي معارضة أو ممانعة – من اتهام بنصب أو ظلم أو اعتداء – ان يتوجهوا إلى كتب الشيعة فيستخرجوا منها الحقائق التي يبرئون بها ساحتهم ، ويوضحون للغير حقائق من يعتدي عليهم .

---

(1) [اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) / الشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢٣]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٩]

فقاعدة (من فمك ادينك) حق مشروع للجميع إذا ما توافرت في هذه الادانة الشروط المعتبرة والقواعد المقررة ، كصحة الروايات واعتماد العلماء لها، مع اعتبار الأقوال المنقولة والكتب التي ينقل منها .

روايات في كتب متعددة للسنة والشيعة تثبت وجود ابن سبأ

كما ان هناك روايات كثيرة حوتها كتب التواريخ والسير عن هذه الشخصية وردت بطرق متعددة ، واسانيد مقبولة عن السنة والشيعة يمكن لاي أحد ان يرجع إليها في تلكم الكتب ويطالعها ويتأكد من وجودها ومن دلالتها حيث انها كانت متفقة على إثبات وجود هذه الشخصية ، وتحققها ومظان تلك الروايات انما هي تلكم الكتب التي ساعرضها عليكم فيما يأتي :

بعد ان تكلمنا عن الروايات ننتقل في عرض المرتكزات المعتمد عليها في إلحاق الأحكام بالشخصيات إلى المستدل من هذه الروايات وهم بناة الأحكام عليها والمستفيدون منها إلا وهم العلماء ، وقد بلغوا في هذا الشأن الخاص باثبات وجود (عبد الله بن سبأ) واثبات معتقداته حداً كبيراً ، وتناولوه في كتبهم تناولاً مستفيضاً .

ولهذا ساقوم بتقسيم هذه الأقوال لكثرتها إلى ثلاثة اقسام باعتبار الانتماء والتوجه للمستفيدين لأن المتناولين لـ (عبد الله بن سبأ) كانوا من جميع الطوائف ومن مختلف التوجهات لذلك يمكن ان نقول بأن هذه القضية المتعلقة باثبات هذه الشخصية مما وقع عليه الاجماع بين أهل الطوائف والملل ، والتقسيم للعلماء يكون على الشكل الاتي:

الطائفة الأولى : علماء الشيعة .

الطائفة الثانية : علماء السنة .

الطائفة الثالثة : غيرهم من المستشرقين .

الطائفة الأولى : علماء الشيعة

ان علماء الشيعة وخصوصاً كبارهم اثبتوا وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) وقبلوا بمضمون الروايات التي تثبت وجود هذا الشخص تلك المسندة إلى الأئمة المعصومين عندهم ، ومن خلال التتبع لأقوال هؤلاء العلماء يمكن ان نصل إلى

حقيقة ان الحكم بوجود (عبد الله بن سبأ) أمر مجمع عليه عند الشيعة منذ بداية التشيع وإلى يومنا هذا .

وإليك ابتداءاً تعداد للمصادر الشيعية والتي اوردت ذكر عبد الله بن سبأ على سبيل الحكم بتحقق وجوده (هذه المصادر ذكرها مرتضى العسكري في كتابه عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) :

[١- الكشي (رجاله) ٢- ابن الغضائري (الضعفاء) ٣- سعد بن عبد الله الأشعري القمي (المقالات والفرق) ٤- النوبختي (فرق الشيعة) ٥- علي بن إسماعيل (مقالات الإسلاميين) ٦- الشيخ الطوسي (إختيار معرفة الرجال) ٧- ابن طاووس (حل الإشكال) ٨- الشيخ الطوسي (رجاله) ٩- ابن قولويه ١٠- العلامة الحلي (الخلاصة) ١١- ابن داود (رجاله) ١٢- الشيح حسان بن زين الدين العاملي (التحرير الطاووسي) ١٣- القهبائي (مجمع الرجال) ١٤- التفريشي (نقد الرجال) ١٥- الأردبيلي (جامع الرواة) ١٦- المجلسي (البحار) ١٧- الحر العاملي (تفضيل الوسائل) ١٨- ابن شهر أشوب (المناقب) ١٩- الصدوق (الخصال) ٢٠- البحراني (الحدائق) ٢١- الحر العاملي (الوسائل) ٢٢- اغابزورك (الذريعة) ٢٣- قاموس الرجال ٢٤- الشيخ الطوسي (أماليه) ٢٥- النعماني (الغيبة) ٢٦- ابن شاذان (الفضائل) ٢٧ – النوري (المستدرك) ٢٨- حسين بن عبد الوهاب (عيون المعجزات) ٢٩ – الطوسي (التهذيب) ٣٠- الصدوق (من لا يحضره الفقيه) ٣١- الكليني (الكافي) ٣٢ – ترجمة الكشي (مصفى المقال) ٣٣- الوحيد البهبهاني (التعريف) ٣٤ – مناقب آل أبي طالب (ابن شهر اشوب) ٣٥- الثقفي (الغارات)] .

أقول :

إن هذه (٣٥) مصدراً من كتب الشيعة المتقدمة ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ كما يظهر أن منها أسماء كبيرة جداً في المذهب الشيعي ممن يعدون عندهم من الأساطين والمشاهير الذين بنوا المذهب وقام على أكتافهم من أمثال :

(الصدوق ، والطوسي ، والحلي ، والبحراني ، وابن طاووس ، ...) هناك غيرهم من المتأخرين ممن أورد بن سبأ على وجه الحكم بثبوته ولم يذكر

هنا كالخوئي وغيره . ولزيادة التأكيد وامعاناً في البيان وتحقيقاً لما ذكرنا من كون هؤلاء يذهبون إلى إثبات وجود شخص (عبد الله بن سبأ) عندما اوردوه في كتبهم سأنقل لك نموذجاً مما ذكره بعضهم فمما قالوه على سبيل المثال ما يأتي:

*** الناشىء الأكبر اورد عن ابن سبأ والسبئية ما نصه :**

وفرقة زعموا ان عليا حي لم يمت ، وانه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان عبد الله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء يهودياً اسلم على يد علي ، وسكن المدائن ... [1] .

*** القمي الأشعري في كتابه المقالات والفرق :**

عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر ، وعمر ، وعثمان والصحابة ، وتبرأ منهم ، وادّعى أن علياً أمره بذلك [2] .

*** النوبختي في كتابه فرق الشيعة :**

عبد الله بن سبأ أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام ، واظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه وكفرهم [3]

*** وقال أبو عمرو الكشي :**

كان يدعي النبوة وان علياً عليه السلام هو الله ، فاستتابه عليه السلام ثلاثة أيام فلم يرجع، فاحرقه في النار في جملة سبعين رجلاً ادعوا فيه ذلك [4].

*** شيخ الطائفة الطوسي :**

عده الشيخ في رجاله : ٥١ رقم ٧٦ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قائلا :

---

(1) [مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الاوسط في المقالات / تحقيق يوسف فإن اس (بيروت ١٩٧١ م) ص ٢٢ – ٢٣ – نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام / سليمان العودة ص ٥٩]

(2) [المقالات والفرق / القمي الأشعري ص ٢٠]

(3) [فرق الشيعة / النوبختي ص ٣٢ – ٣٣]

(4) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) / الشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢٣]

عبد الله بن سبأ الذى رجع إلى الكفر وأظهر الغلو [1] .

قال العلامة الحلي في كتابه خلاصة الأقوال :

عبد الله بن سبأ غال معلون ، حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار ، كان يزعم ان علياً عليه السلام إله ، انه نبي.

وهذه العبارة هي عين عبارة السيد أحمد بن طاووس في كتابه (حل الإشكال في معرفة الرجال) المنقولة في التحرير الطاووسي.

*** وقال الشيخ يوسف البحراني :**

وابن سبأ هذا هو الذي كان يزعم ان أمير المؤمنين عليه السلام اله ، فاستتابه أمير المؤمنين ثلاثة أيام ، فلم يتب فأحرقه [2] .

*** الشيخ حسن صاحب المعالم ، قال :**

عبد الله بن سبأ ، غال ملعون ، حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار ، كان يزعم ان عليا عليه السلام الها، وأنه نبي لعنه الله تعالى [3].

*** ابن داود :**

ذكره ابن داود في القسم الثاني من رجاله : ٢٥٤ رقم ٢٧٨ ناقلا في ترجمته عبارة الشيخ والكشى [4] .

*** التفريشي :**

عبد الله بن سبأ : الذي رجع إلى الكفر واظهر الغلو ، من أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ [5] .

---

(1) [التحرير الطاووسى / الشيخ حسن صاحب المعالم ص ٣٤٦]

(2) [عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص١١٨]

(3) [التحرير الطاووسى / الشيخ حسن صاحب المعالم ص ٣٤٦]

(4) [نقد الرجال / التفرشي ج ٣ ص ١٠٨]

(5) [نقد الرجال / التفرشي ج ٣ ص ١٠٨]

*** الخوئي في رجاله :**

عبد الله بن سبأ : الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو : من أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ (٧٦) [1] .

*** القهبائي في رجاله :**

عبد الله بن سبأ : الذي رجع إلي الكفر وأظهر الغلو . ثم ذكر روايات الكشي.. [2] .

*** الأردبيلي في كتابه جامع الرواة :**

قال عن عبدالله بن سبأ غال ملعون ... وإن كان يزعم ألوهية علي ونبوته [3]

*** نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية :**

قال عبد الله بن سبأ لعلي : أنت الإله حقا . فنفاه علي (ع) إلى المدائن، وقيل إنه كان يهوديا فأسلم ، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون، وفي موسى، مثل ما قال في علي... [4] .

*** محمد باقر الخونساري في روضاته :**

قال : ذكر ابن سبأ عنده على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ، لاتهامه بالكذب والتزوير، واذاعة الأسرار والتأويل [5].

*** المامقاني في كتابه تنقيح المقال :**

ترجم لابن سبأ وذكر أنه جاء ذكره في (كتاب من لا يحضره الفقيه) في (باب التعقيب) وفي (باب أصحاب أمير المؤمنين) نقل قول الصدوق : عبد الله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر ، وأظهر الغلو وقال : غال ملعون ، حرقه أمير

(1) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ١١ ص ٢٠٥]

(2) [مجمع الرجال / علي القهبائي ص ٢٣٤]

(3) [جامع الرواة / الاردبلي ج١ ص ٤٨٥]

(4) [الأنوار النعمانية / نعمة الله الجزائري ج٢ ص ٢٣٤]

(5) [روضات الجنات / الخونساري ج٣ ص ١٤١]

المؤمنين بالنار ، وكان يزعم أن عليا إله ، وأنه نبي ،ثم ذكر روايات الكشي في عبد الله بن سبأ [1] .

*** علي آل محسن في كتابه لله وللحقيقة :**

قال : إن المشهور بين علماء الشيعة، إن لم يكن إجماعا أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية ، ولم ينكر وجودها معروف من الأساطين ، وكتبهم خير شاهد على ما نقول [2] .

*** الأعلمي في دائرة المعارف :**

قال : عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام ، وطاف البلاد ليلفتهم عن طاعة الأئمة وهو أول من كذب .

عن علي قال : ان بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً احدهم أبن سبأ .

وقال : مالي ولهذا الخبيث الاسود ، وقد حرقه واحرق من تبعه بالنار ، وهم من الغلاة الذين يعتقدون الالهية في علي يقال لهم السبائية [3].

لا اختلاف بين علماء الشيعة في وجود مثل هذه الشخصية

أقول :

اذن هذه بعض أقوال علماء الشيعة الذين يعدون من اعمدة المذهب والمصدرين فيه ، قد اثبتوا بصريح ما ذكروه ان هناك شخصية وجدت في التاريخ اسمها (عبد الله بن سبأ) فهذه حقيقة واقعة عندهم لا خيال ، لا يختلف فيها علماؤهم وهي عندهم من المسلمات.

وحقيقة اتفاق علماء الشيعة قد اثبتها العالم الشيعي محمد علي المعلم ، بقوله:

[نستفيد من جميع ذلك اتفاق كلمة هؤلاء الرجاليين على وجود شخصية

---

(1) [المامقاني / تنقيح المقال ج٢ ص ١٨٣]

(2) [لله وللحقيقة رداً على كتاب لله ثم للتاريخ / علي آل محسن ص ٣٤- ٥٦]

(3) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٢٣]

تسمى بـــ (عبد الله بن سبأ) وانه كان من الغلاة] [1] .

والصفة البارزة لهؤلاء العلماء ان اغلبهم كانوا مـــن المتقـــدمين ، وهـــذه الصفة تعطي انطباعاً بأن الثابت عندهم الذي رسخوا تحققه ووجوده هو اقـــرب إلى الحق وإلى الصواب من تلك الاختيارات التي خالفهم فيها من جاء بعـــدهم، وذلك لسببين :

الاول :

انه قد تسنى لهم الإطلاع على كثير من الكتب المفقودة في زمننا هـــذا ، أو هي في عداد المفقود .

الثاني :

ان الذين جاءوا بعدهم من المتاخرين هم عيال عليهم ، منهم يقتبسون وعلى اثارهم يقتفون وبحججهم يستدلون ، مع الإشارة إلى ان ما ذهب إليه المتقـــدمون في اختياراتهم هو محل اتفاق بينهم وليس قولاً شاذاً انفرد به واحد منهم ، لـــذلك فخروجهم المتأخر عما ذهبوا إليه صعب عسير وتطبيقه غير يسير .

ومما يؤكد كون علماء الشيعة متفقين على هذه الحقيقة منذ ظهـــور التشـــيع كواقع مكتوب وإلى يومنا هذا ما ذكره مرتضى العسكري في كتابه حين قال :

[عشرة قرون والمؤرخون يكتبون هذه القصة ، وكلما تصـــرمت الســـنون ذاعت انتشاراً حتى ندر أن يكتب في العصور الأخيرة كاتب عن تاريخ الصحابة ولا يذكر هذه القصة] .

وقال :

[عشرة قرون والمؤرخون يكتبون هذه القصة] [2] .

فانظر عزيزي القارئ إلى العدد الكبير للعلماء المثبتين لوجود ابـــن ســـبأ، وانتبه معي إلى الدرجة العالية التي يحتلها الغالب من هذه المصادر.

---

(1) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٢٤]

(2) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج ١ ص ٤٥]

الطائفة الثانية : علماء أهل السنة

ان علماء أهل السنة الذين تناولوا شخصية (عبد الله بن سبأ) من حيث إثبات موجودها وبيان أصل نشأتها ومعتقداتها لا يقلون من حيث الكثرة والمنزلة عن علماء الشيعة الذين سبق ذكرهم .

ولا نبالغ في القول ان شخصية (عبد الله بن سبأ) من حيث أصل الوجود وكونها مؤثرة مما اتفق عليه علماء السنة المتقدمين سواءاً منهم المؤرخين، أو أصحاب المقالات والفرق وسأسرد لك اسماء الكثير منهم مع بعض النقولات تأكيداً لهذا الأمر وتحقيقاً له :

[الجاحظ / البيان والتبين – ابن حبيب البغدادي / المحبر – ابن سعد/ الطبقات– البلاذري / انساب الاشراف – الطبري / تاريخ الطبري – ابن الاثير/ الكامل – ابن عساكر / تاريخ دمشق – ابن كثير / البداية والنهاية – ابن حبان/ المجروحين – الذهبي / تاريخ الإسلام – ابن حجر / لسان الميزان – ابن طاهر المقدسي / البدء والتاريخ – المالقي / التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان– الصفدي / الوافي بالوفيات – الجرجاني / التعريفات – نشوان الحميري/ الحور العين – السمعاني / الانساب – ابن تيمية / الفتاوى– المقريزي / المواعظ والاعتبار – الشاطبي / الاعتصام]

فهؤلاء ثلة من اكابر علماء السنة اوردوا ما يتعلق بشخص (عبد الله بن سبأ) مثبتين لوجوده محققين كونه شخصاً ذا أثر على مسرح الاحداث في الايام التي ظهر فيها لا سيما عهدي عثمان وعلي .

وكذلك وافقهم على هذا الأمر المشاهير من أصحاب المقالات والفرق، واتفقت كلمتهم على وجود هذه الشخصية وتحقق أثرها السلبي الخبيث على واقع المسلمين انذاك ومن هؤلاء :

[أبو الحسن الأشعري / مقالات الاسلاميين – الملطي / التنبيه والرد – ابن حزم الاندلسي / الفصل – الاسفرائيني / التبصر في الدين – الشهرستاني/ الملل والنحل – فخر الدين الرازي / اعتقادات فرق المسلمين والمشركين]

هؤلاء وغيرهم ما تيسر لنا عرضه لكم من اسماء هؤلاء العلماء الذين اسماؤهم كافية في تعريفهم ، والكشف عنهم فهم المصدرون ، وبلغوا الذروة في الشهرة وعلو المنزلة ، اقوالهم كلها تأكيدات واضحة ، واحكام بينة باجماع لا يقبل النقض والابرام بشأن ثبوت شخصية (عبد الله بن سبأ) اليهودي هذا وكونه ممن أثر في زمانه عندما ظهر ، وتحقيقاً لما سردناه بخصوص هذه الاسماء سانقل لكم بعض النصوص من هذه الكتب السابقة الذكر المثبتة لحقيقة عبد الله بن سبأ :

*** يقول المالقي في كتابه البدء والتاريخ :**

وفي سنة (٣٣) هـ تحرك جماعة في شأن عثمان ﷺ وكانوا جماعة منهم مالك الاشتر ، والاسود بن يزيد ، و(عبد الله بن سبأ) المعروف بابن السوداء[١].

* وقال الذهبي في كتابه المغني في الضعفاء:

(عبد الله بن سبأ) من غلاة الشيعة ضال مضل [٢].

* ابن حجر العسقلاني في كتاب لسان الميزان :

قال : واخبار (عبد الله بن سبأ) شهيرة في التواريخ ... [٣].

* المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار:

قال : ان (عبد الله بن سبأ) قام في زمن علي ﷺ محدثاً القول بالوصية والرجعة والتناسخ [٤].

---

(١) [البدء والتاريخ / المالقي ج٥ ص ١٢٩]

(٢) [الضعفاء / الذهبي ص ٣٣٩]

(٣) [لسان الميزان / ابن حجر ج٣ ص ٢٩٠]

(٤) [المواعظ والاعتبار / المقريزي ج ٢ ص ٣٥٦]

الطائفة الثالثة : غيرهم من المستشرقين

ان إيراد هذه الشخصية وتناول حيثياتها لم يقتصر على علماء المسلمين فقط فلقد اهتم المستشرقون أيضاً بقضية (عبد الله بن سبأ) فاتجهوا إلى كتب الفرق دارسين لها ومحللين واخرجوا افكاراً استنتجوها من خلال ما جمعوه من معلومات من هذه الكتب ، وعلى رغم القصور الذي تحمله أفكارهم وتأليفهم في هذا الشأن إلا انهم اتفقوا على إثبات وجود هذه الشخصية ، ومن هؤلاء المستشرقين :

[مير خواندا / روضة الوفاء – فإن فلوتن / السيادة العربية والشيعة والاسرائليات في عهد بني امية – هوتسمان ، وينسينك ، ورنولد، وبروفنسال، وهيفينك ، وشادة ، وباسية ، وهارتمان ، وجيب / دائرة المعارف الاسلامية– ولهاوزن / الدولة الاموية وسقوطها – اسرائيل فريد لندر / المجلة الاشورية– جولد تسيهر / العقيدة والشريعة في الإسلام – كاي تاني / حوليات الاسلام– رينولد نكليسون / تاريخ الادب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام – دوايت.م. دونلدسن / عقيدة الشيعة – برنارد لويس / أصول الاسماعلية] [(١)].

فهذه هي أهم الاسماء الاستشراقية التي كتبت في موضوع (عبد الله بن سبأ)، وهناك غيرها الكثير ممن تناوله اثباتاً وتحقيقاً لوجوده قد جئنا بهم هنا لسببين مع العلم اننا لا نحتاج إلى ذكرهم ، ولا إلى الاستناد عليهم لأن الإجماع المنعقد عند أهل السنة والشيعة كافي ومغني في إثبات حقيقة هذه الشخصية .

اما السببان فهما :

١– بيان مدى الشهرة التي عليها شخصية (عبد الله بن سبأ) بحيث ان أي كاتب عن التاريخ مهما كان دينه أو منهجه لا بد ان يأتي به حينما يتناول أحداث التاريخ وشخصياته .

٢– إن المستشرقين غير محسوبين على جهة معينة ، أو طائفة من الطوائف بحيث تكون الضغوط أو الميول والاغراض هي المحرك لهم في إثبات شخص

(١) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج ١ ص٥٦ – ٦١] [عبد الله بن سبأ / سليمان بن حمد العودة ص ٧٤]

أو نفيه ، لأن المفترض في حق هؤلاء انهم متجردون في الفكر يوردون النتـــائج التي توصلوا إليها من خلال قراءاتهم وبحثهم بغض النظر عن اللوازم المتعلقـــة بها ، والأحكام والنتائج المبنية عليها .

النتيجة

هذا ما أردنا عرضه هنا من أقوال العلماء الخاصة بـ (عبد الله بن سبأ) والمتعلقة لوجوده تبين لنا من خلال عرضها انهم وعلى اختلاف اتجاهاتهم، وميولهم ، وحتى دياناتهم قد اتفقوا جميعاً ، واقروا بهذه الحقيقة متسالمين عليها وعلى ثبوت شخصية (عبد الله بن سبأ) ، وعلى ان هذه الشخصية قد تحققت في جزئية من جزئيات التاريخ ، وكان لها أثر على واقع الإسلام وعقائد المسلمين .

واضافة لما ذكرنا من المرتكزات المعتمدة عند أهل العلم في الحكم على الشخصيات وجوداً وعدماً ، لا بد لنا من ان نلحق بها امراً مهماً يتمثل بالشهرة التي يحكم بها في بعض الاحيان على الشخصيات والحوادث ، حيث ان هذه الشخصية كان لها شهرة كبيرة ، فذاع صيتها ، واستفاض الخبر المنقول عنها وعن ادوارها بين الناس ، إلى حد أصبح ذكر هذا الاسم من الأمور المتعارف عليها.

وهذه الشهرة أثرت كثيراً في إلحاق حكم الوجود في هذه الشخصية وجعلت من العلماء واقفين أثرها قابلين بما ينبني عليها من أحكام فلم يعترضوا لها بنفي أو تشكيك أو رد أو اعتراض ، لأن الثابت ان الاشتهار أقوى في الاثبات والاعتماد في بعض الاحيان من الروايات والاخبار كما انه يسد الحاجة عن التعدد والقوة المستفادة منه واعتماده معروف عند أهل الحكم ، بل جعله بعضهم من القواعد المقررة في الحكم ان الشهرة والاستفاضة في غالب الاحيان نوع من انواع أدلة الثبوت إذا ما تحققت فيها شرائط القبول وقرائن الالحاق حتى لو خلت القضية المحكوم عليها من الاثار والاخبار.

فهذه هي شخصية (عبد الله بن سبأ) شخصية متحقق وجودها ، ومؤصل وثابت كونها طرفاً في أحداث قد جرت في حقبة زمنية عصيبة في تاريخ المسلمين كان لها أثر في نشوء عقائد وتكون فرق استفاض ذكرها ، وذاع صيتها واشتهرت فاتفق الجميع على حكم واحد فيها ، والذي تمثل بما ذكرناه من إثبات

وجودها واثبات ان لها اثراً مهما كان نوع هذا الأثر وحجمه على واقع المسلمين وتوجهاتهم .

آراء مستحدثة لمتأخرين جداً بخصوص عبد الله بن سبأ

إن جماهير المتأخرين الساحقة والغالبة من السنة والشيعة قد اتفقت أحكامهم بخصوص وجود شخصية عبد الله بن سبأ مع ما سار عليه المتقدمون، واجتمعت عليه كلمتهم فهم أيضاً حكموا بتحقق وجود هذه الشخصية وثبوتها .

ومن هؤلاء المتأخرين بالطبع المعاصرون ، أو قريبو العهد بعصرنا هذا وهم من يسمى بـ (المتأخرين جداً) ونظراً لهذا الاتفاق ، والتوجه الواحد في الحكم على هذه الشخصية بالوجود والثبوت فإن المخالف مهما كانت درجته ، وايا كان تخصصه لا بد وسيكون له ظهور وبروز ، ولا بد ان يكون لمخالفته هذه صيت وانتشار ، فكما قالوا : (خالف تعرف) .

وهذا هو الحاصل من المتاخرين جداً ، حيث ظهرت فيهم دعاوى جديدة لم تكن معهودة ولا معروفة عند تناولهم لهذه الشخصية كان السبب فيها إما كونهم ليسوا من أهل الاختصاص أصلاً فهم أصحاب مجالات علمية بعيدة عن المجال الخاص باهل العلم والتحقيق في قضايا التاريخ ورجاله ، أو لأن بحثهم كان فيه قصور ادى إلى صدور المخالفات منهم ، أو لدوافع ، ومقاصد، ومرامي، واغراض جانبية مهما كان نوعها والصنف الذي تندرج تحته ، فهذه هي أهم الاسباب التي أثرت في شذوذ أكثر اقوالهم ، أو ربما كلها جميعاً .

ويمكن ان نجمل هذه الاتجاهات الحديثة الخاصة باصدار الحكم حول شخص ابن سبأ في ثلاث اتجاهات :

الاول : اتجاه التشكيك :

حيث اكتفى من تبناه بالتشكيك فقط بوجود هذه الشخصية ذاكراً ان الوارد في حقها لا يمكن ان يوصل الباحث إلى درجة الجزم بحكم خاص بها وعلى راس من تبنى هذا الاتجاه :

[طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) ، وكذلك في كتابه الاخر (علي وبنوه)] .

وقد رد هذا الاتجاه رداً حازماً قاطعاً لدابره منهياً له ، وخصوصاً ما كان من الاستاذ محمود محمد شاكر حيث نقض قول طه حسين هذا من عدة وجوه مبيناً ان المؤثر له في اتجاهه هذا هو قصور البحث ، وعدم الاختصاص ، مع وجود دوافع معينة لهذا القول واودع رده له في مجلة (الرسالة) وعلى شكل حلقات في الاعداد (٧٦١ – ٧٦٣) .

ايضاً ممن نحى منحى طه في التشكيك الاستاذ جواد علي عندما بحث في شخصية (عبد الله ابن سبأ) ، وبحثه هذا موجود في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السادس ١٩٥٩ ص ٦٦) [1] .

الاتجاه الثاني :

وهذا الاتجاه تمثل بحمل شخصية عبد الله بن سبأ على محمل اللقب الموهم ، أو الاسم الذي يتستر به حيث ان هذا الاتجاه يذهب إلى ان ابن سبأ نفسه لا وجود له أصلاً وان كان له وجود فما هو إلا (عمار بن ياسر) الصحابي الجليل منطلقاً في هذا الأمر مما وجده بين الشخصيتين من دعائم التشابه والاشتراك.

وعلى راس المتصدرين لهذا الاتجاه والذي يعد الأصل فيه الدكتور (علي الوردي) عندما أصل وثبت هذا الاتجاه في كتابه (وعاظ السلاطين) ووافقه عليه بعض الباحثين من أمثال الدكتور (كامل مصطفى الشبيبي) .

وهذا الاتجاه من الوردي مردود بنفسه ، لانه لا يعدو كونه مجرد ظنون، وتخمينات ، وتخيلات ، وخالي من أي أدلة منطقية مقنعة ، كما ان كثيراً من حوادث التاريخ التي جرت من عمار بن ياسر تبطل كون هاتين الشخصيتين متشابهتين ، مع ان علي الوردي بنى أصل توجهه القاضي بوجود اشتراك بين الشخصيتين على تحقق خلاف بين عمار وعثمان وهذا مما لا يثبت أصلاً بل المتحقق خلافه [2] .

هذان الاتجاهان لم يكن لهما ذلك التأثير وقت صدورهما لانهما لم ينفيا

(1) [عبد الله بن سبأ / سليمان بن حمد العودة ص ٧٤ – ٨٧]

(2) [عبد الله بن سبأ / سليمان بن حمد العودة ص٩٠ – ٩٣]

وجود عبد الله بن سبأ مطلقاً انما الحاصل منهما اما التشكيك بوجوده ، أو بادواره التي تنسب إليه ، أو إثبات هذا الوجود ولكن مع حمله على شخصية أخرى وذات غير المدعاة .

اضافة إلى انهما صدرا من أشخاص لا ينسبان إلى دائرة الدين العلمية ، أو نطاق العلم الشرعي ، فالاتجاه الأول صدر ممن اختصوا بالادب ، والثاني من علي الوردي وهو باحث اجتماع وكلهم ذوو اتجاهات علمانية [*] .

*** كون ابن سبأ هو عمار بن ياسر قول مردود عند علماء الشيعة**

أورد علي آل محسن في كتابه (عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل) قول الدكتور علي الوردي وادلته المرجحة عنده كون ابن سبأ هو (عمار بن ياسر) ، ملحقاً اياها باقوال وادلة من وافق الوردي في اختياره هذا (الشبيبي ، النشار) وكذلك بعض الاجلاء في حوزة النجف ممن لم يسمهم ، مردفاً اقوالهم بالرد القاطع لدابره القاضي على إثره ، حيث قال مبيناً فساد هذا الرأي: [هذا الرأي لا يعدو كونه مجرد احتمال لا مانع من وقوعه ، إلا انه لم يقم عليه دليل مقبول، بل ان الدليل قد قام على خلافه] .

ويمكن نقض هذا الرأي بأمور ، – عدها تسعة – وإليك من هذه الأمور ما يأتي :

١– انهم ذكروا ان (عبد الله بن سبأ) كان يهودياً أسلم في خلافة عثمان ، و (عمار) كان من السابقين إلى الإسلام ، فكيف ينطبق هذا على ذلك ؟

٢– انهم ذكروا ان أمير المؤمنين كما مر قد أحرق (ابن سبأ) بعد ان استتابه فلم يتب، أو نفاه إلى المدائن ، فبقي فيها إلى مقتل أمير المؤمنين .

وكل ذلك لا يصح في حق (عمار بن ياسر) ، فإنه نال الشهادة في صفين كما هو معلوم بالتواتر .

٣– انهم ذكروا ان (ابن سبأ) كان من المغالين في أمير المؤمنين الذين كانوا يقولون بألوهيته ، ورووا عنه انه قال لما بلغه مقتل أمير المؤمنين :

انه لم يمت ، وانما غاب كغيبة موسى ، وسيرجع فيملك الأرض ويسوق العرب بعصاه .

ومثل هذا كله لم ينسب لـ (عمار بن ياسر) ، ولا ينسجم مع معتقداته الصحيحة التي استقاها مباشرة من النبيﷺ ومن أمير المؤمنين .

٤– انهم ذكروا ان (ابن سبأ) جهر بمعتقداته وغلوه بعد مقتل أمير المؤمنين ، وهذا لا يصح في حق (عمار) الذي قتل في صفين في حياة أمير المؤمنين .

٥– ان الطبري وغيره ذكروا أن (عماراً) كان من ضمن الذين استمالهم (عبد الله بن سبأ) فأعانوه في دعوته ، فإن كان الأمر كذلك ، فكيف يمكن ان يكون (عمار) هو (عبد الله بن =

اما الاتجاه الخطير التي تترتب عليه الالزامات السلبية الكبيرة والاثار غير محمودة العواقب هو الاتجاه الثالث والاخير القاضي بنفي وجود هذه الشخصية أصلاً واعتبارها أسطورة من الاساطير وقصة من القصص الخرافية وهو على النحو الاتي .

الاتجاه الثالث :

ان هذا الاتجاه جاء بالمخالفة الكبرى ، والشذوذ الاعظم ، مع النسف التام لكل الاثار والاخبار ، والالغاء الشامل لأقوال العلماء جميعاً ، وعدم الاعتبار بالكتب والمصنفات والاثار والمرويات .

لأن ادعاء النفي لوجود هذه الشخصية ، وانكار ثبوت تحققها أمر غير مسبوق، وشذوذ واضح وبين ، والميزة في هذا الاتجاه انه صدر من باحث شيعي

=

سبأ) ؟!

٦- أنا لم نجد بعد التتبع والفحص أن واحداً من الحفاظ أو المؤرخين كان يكني عن رجل كان له أثر في أحداث التاريخ الاسلامي بأسم مغاير لاسمه لاي اعتبار كان، فضلاً عن ان نجد اطباقاً من جميع المؤرخين والحفاظ الذين ذكروا (عبد الله بن سبأ) على تسميته بغير اسمه .

وهذه كتب التاريخ والحديث بين ايدينا وهي خير شاهد على صحة ما نقوله .

فلا ندري بعد هذا كله لم صار (عمار) بدعاً من دون هؤلاء كلهم ، فخص باسم مستعار لئلا يتناوله القدح على أمور وقعت منه وجرت على يديه ؟؟

وبعد ذكره للامور التي نقض بها هذا القول صرح بالنتيجة التي توصل إليها بخصوصه بقوله:

هذه الأدلة كلها تدل بوضوح على ان شخصية (عمار بن ياسر) بعيدة كل البعد عن شخصية (عبد الله بن سبأ) ، وان كل ما قالوه من وجوه التشابه بين هذين الرجلين لا يدل بالضرورة على انهما شخص واحد ، لأن وجوه الاختلاف بينهما أكثر من اوجه التشابه .

ونتيجة البحث ان هذا القول لا يساعد عليه دليل ، ولا ينهض به برهان ، ولا يعدو كونه احتمالاً نشأ من وجود بعض التشابهات بين الرجلين ، التي لا تستلزم الاتحاد بينهما باي نحو من الانحاء .

[عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ٧٧ – ٨٤]

ينتسب إلى المدرسة الدينية الشيعية واصلاً فيها إلى درجة الاجتهاد ، كما انه متأخر جداً فهو لا زال حياً يرزق إلى وقتنا هذا .

هذا الباحث هو (مرتضى العسكري) حيث انه يعد من أكثر الشيعة المتاخرين المعاصرين اهتماماً بمسألة عبد الله بن سبأ ، والف في ذلك كتاباً خاصاً اسماه باسم عبد الله بن سبأ احدث ضجة عند صدوره ، واحدث نقلة نوعية عند الكثير من باحثي الشيعة المحدثين .

هذا التوجه من مرتضى القاضي بنفي بن سبأ يمثل الدرجة القصوى في الشذوذ ، ويحتل المرتبة الأولى في المخالفة والانحراف ، وله التصدر والانفراد في اللوازم الخطيرة المترتبة عليه ، والنتائج السلبية المتمخضه عنه .

وبما ان هذا الاتجاه من الصعوبة بمكان ان يكون له قبول لشدة شذوذه، وعظم مخالفته ، ونتيجة لما تركه من آثار سلبية على الواقع على مدار نصف قرن أو أكثر ، ونظراً لما ترتب عليه من أحكام سلبية وقاسية ومغلوطة على العلماء، والكتب ، والروايات ونتيجة لما ترتب عليه من كونه صار مخرجاً لكثير من الالزامات التي تلزم بها بعض الطوائف – اقصد الشيعة – ، ومنجياً لها من الاشكالات ، والاتهامات المحيطة بها اثرنا ان نفرد الرد عليه ، وان نقوم بنقضه عن طريق الرد على الكتاب الذي يحوي هذا الاتجاه ويحمل بين طياته المقدمات التي توصل عن طريقها صاحب الكتاب إلى الحكم المذكور.*

*** علماء أهل السنة لم يوافقوا مرتضى مطلقاً فيما ذهب إليه**

حاول البعض من علماء الشيعة من الرافضين لهذا الاتجاه ان يحسن صورة قول مرتضى الشاذ هذا في ابن سبأ ، معتبراً اياه رأياً من الاراء المحتملة مع كونه ليس منفرداً فيه ، فقد وافقه عليه بعض الباحثين من أهل السنة يقول علي آل محسن :

[وأما ما ذهب إليه السيد مرتضى العسكري ، والشيخ محمد جواد مغنية من نفي وجود ابن سبأ فهو رأي من الآراء التي وافقهما عليه بعض الباحثين من أهل السنة، وإن كنا لا نوافقهم فيه] .

[عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ٥٦]

أقول :

فعلي آل محسن هنا لم يقبل بهذا القول معتبراً اياه مرفوضاً بعيد عما عليه مسالك أهل العلم ، =

لذا فلننطلق سوية مصحوبين بالسلامة ، والامان ، والصدق ، والانصاف في سياحة علمية مع كتاب مرتضى العسكري (عبد الله بن سبأ وأساطير اخرى)، معرفين أولاً بصاحب الكتاب ثم بالكتاب نفسه ثم ننتقل إلى الحيثيات والتفاصيل.

=

لكنه حاول تحسين صورته إلا انه لم ينجح في مسعاه هذا .

فمرتضى ليس كغيره ممن تناول شخص ابن سبأ ، فهو قد بحث لسنين عديدة في هذه الشخصية ، مخرجاً كتاباً ضخماً ضمنه نتائج بحثه فيه بشيء من التفصيل لم يسبقه إليه ، بخلاف غيره ممن نقل الأقوال أو اورد رأياً عابراً ، أو تناول القضية على سبيل العرض .

اما بخصوص الموافقة من بعض الباحثين من أهل السنة المعتبرين عندهم ، فلم نجد منهم من سبقه إلى هذا القول ، ولا من وافقه عليه اختياراً بعد صدور كتابه ، وان كان هناك من اثنى على كتابه كجهد تحقيقي وقدم له ، لذا فكون ما ذهب إليه رأياً من الاراء نجده صعب القبول بعيداً عن الوصف الحقيقي الذي ينبغي ان يوصف به مثل هكذا مذهب ، فوفق المعايير التحقيقية لا يطلق على مثل هذا الفعل إلا وصف الشذوذ، والنكارة ، والمخالفة .

مرتضى العسكري

هو مرتضى بن محمد بن اسماعيل بن السيد مير محمد ، يرجع نسبه إلى محمد الجواد بن علي الرضا ، وامه طاهرة بنت المرجع ميرزا محمد شريف العسكري الطهراني ، لذا فهو شيعي من جهتي الاب والام مع كون هاتين الجهتين زاخرتين بالكثير من المراجع والمصدرين في عالم التشيع وعليه فمرتضى يصدق عليه انه شيعي إلى النخاع شرب ، ونهل ، ونشأ ، وتربى، وترعرع، ونما ، وبلغ ، وكبر ، وتعلم ، ونبغ ، وبرز ، وظهر في احضان التشيع وفي ثناياه ، وتحت اقبيته .

ولد مرتضى في سامراء ونشأ بها واكمل تحصيله العلمي الاولي فيها ، ثم انتقل إلى قم مهاجراً فالتحق بمدارسها وحضر هناك دروس كبار الاستاذة والعلماء في الحوزة العلمية من أمثال الخميني والمرعشي النجفي ، كما درس وهو في قم على ايدي الكثير من المراجع الشيعية والمشايخ مثل الميرزا حبيب الله والشيخ خليل الكمرئي ، والشيخ مهدي الشهيد .

وأصل دراسته وظهرت عليه في هذه الفترة معالم التذمر من الموجود في الحوزات ، مع محاولاته اكساء المذهب الشيعي بمكوناته عموماً من حوزات وكتب ، وعلماء ، وافكار ، ومعتقدات بالظواهر الحسنة ، والازياء المقبولة عند المخالفين لهذا المذهب والناس الخارجين عنه ، اضف إلى هذا سعيه الحثيث في محاولته صبغ هذا المذهب باصباغ جميلة الالوان ، حسنة المطلع ، وبهرجته بالاشكال المثيرة الخادعة للعيون ، ساعياً من وراء ذلك كله إلى تكوين نوع من الحصانة لهذا المذهب وبتحقيق حماية له من الكم الكبير والكثير من الاتهامات التي تنهال عليه ليلاً ونهاراً ، والاشكالات ، والتناقضات التي تحيط به وتملأ كينونته حد الطفح .

وقد ظهر عنده هذا التوجه جلياً من خلال مساعيه الحثيثة في التمرد عن الاسلوب التقليدي المتبع عندهم وروح التغير الذي يروم ايجادها ، من خلال ادخال أمور جديدة إلى النظام العلمي والسياسي الخاص بالشيعة والتشيع ، من مثل دعوته لتدريس القرآن في الحوزة ، مع الاعتناء بالدراسات القرانية

والتفسير، وكذا عمله في الجامعات الذي يعد نقله نوعية في مشايخ الشيعة ذلك الوقت ، وكفكرة المدارس الخاصة التي دعى إليها .

ومما يمتاز به مرتضى وهو معروف عنه مشتهر فيه انه لم يكن ثابتاً على حال مستقراً على منهج ، أو مداوماً على ارضية واحدة في الاختيارات الخاصة باصناف العلوم وكذا الكتابة والتعليم فهو كما وصفوه (يقرأ ليتغير) درس في اماكن متعددة وله تلاميذ كما ان له مشاركات سياسية في احزاب شيعية[١].

وكانت له كتابات كثيرة ومتعددة قصد منها خدمة مذهبه بشتى الصور وبمختلف الاساليب حتى لو اضطره الأمر إلى الطعن بكل من يجده امامه من أمثال ما سطره في كتبه :

[خمسون ومائة صحابي مختلق ، دور عائشة في تاريخ الإسلام ، دور الأئمة في احياء الدين ، معالم المدرستين] .

وكذلك الكتاب الذي نتداوله ونتناوله في بحثنا هذا (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى).

رأي مرتضى الغريب في عبد الله بن سبأ

كما ذكرنا في تناولنا لشخص عبد الله بن سبأ ان الأخبار والاثار التي ورد فيها ذكر له اثباتاً لشخصه ، وتحقيقاً لوجوده كانت كثيرة جداً ، ومتعددة إلى حد لا يمكن لاحد ان يردها مع تنوعها في العرض لصور مختلفة من حياة هذا الرجل، ومتعددة في التناول للادوار التي قام بها ، والاعمال التي جرت على يديه وساهم فيها ، وكانت هذه الروايات والاخبار في كثرتها وقوتها متوافرة وبفيض عند الشيعة قبل غيرهم حتى غلبوا ما عند السنة عدداً للاثار وقوة بناء في الاستدلال عليها فهي عندهم واردة عن طريق ائمتهم المعصومين .

وبناءاً عليه تلقى علماء الشيعة هذه الأخبار بالقبول ، وعملوا بمضامينها ، واقتفوا اثارها ، وحكموها في الحوادث ، وحكموا بها على مجرياتها وعلى

---

(١) [العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد / كامل خلف الكناني – بتصرف ص ١٦ – ٢٣]

الأشخاص الذين قاموا بها وبنوا عليها الاثار ، والنتائج المستخلصة عنها ، والمستفادة منها تلك التي دلت عليها.

ولقد تبين لكم من خلال عرضنا الكم الكبير ، والعدد الغفير من اولئك الجمهرة من العلماء الذين اثبتوا وجود هذه الشخصية ، ووجود اثارها من المسلمين سنة وشيعة، وكذا غيرهم من المستشرقين من أهل الملل الاخرى .

ان هذه الشخصية التي على هذه الدرجة من القوة في اثباتها ، والتي تسالم واتفق العلماء على اختلاف توجهاتهم ، وتنوع انتماءاتهم على اثباتها ، والحكم بوجودها ، وتحققها واقعاً في عهدي عثمان وعلي رضي الله عنهما ، واثبات اثارها وما خلفته من مناهج وافكار ، هذه الشخصية التي على هذه الصورة الثابتة لها كان لمرتضى تصور اخر لها، ومنحنى جديد ، ورأي حديث ومستحدث فيها ، وتوجه لم يسبق إليه خالف فيه السابقين ، وخرج به عن طريق المتقدمين ضارباً بالكل عرض الحائط غير آبه بما يترتب على قوله هذا من الزامات باطلة ، أو ينبني عليه من نتائج واثار سلبية ، وغير منطقية ، هذا التوجه الجديد منه والتصور الشاذ والمخالف هو انكاره لوجود هذه الشخصية في جزئية من جزئيات الزمان ، ونفيه لاي تحقق لها واقعاً مدعياً ان هذه الشخصية (عبد الله بن سبأ) بما لها وبما جرى على يديها ، وعلى الرغم من كل الوارد في حقها من روايات واخبار ، على الرغم من قبول العلماء لمداليل هذه الأخبار مدعياً انها عبارة عن أسطورة من نسج الخيال ، ومحض افتراء استحدثته ادمغة وافكار القصاص ، ساهم في ترسيخها والحكم عليها بالوجود الخارجي الواقعي أصحاب الاغراض والمنتفعين الذين يستفيدون من هكذا قصص لتحقيق اهدافهم وللوصول إلى مراميهم سواءاً كانت هذه الاغراض سياسية ، أو طائفية ، أو مصلحية .

ونظراً للشذوذ الكبير ، والمخالفة الخطيرة ، والمجازفة المروعة ، تلكم التي انتحاها مرتضى بتبني هذا القول واختياره ، قام بتأليف كتاب كامل لأجل المحاولة لاقناع الغير بدعواه هذه وايهام الناس بصحة توجهه هذا الذي ادلى به، قام ببحث الروايات والاخبار التي اوردت ما يتعلق بعبد الله بن سبأ متناولة شخصيته وما دعا إليه في كتاب مستقل مسمياً اياه بـ (عبد الله بن سبأ وأساطير

أخرى) هذا الكتاب ضمنه المخالفة الكبرى للمتقدمين والمتاخرين جـــاعلاً مـــنهم العنوان والموضوع الحاوي لقوله الشاذ ، وبناءاً عليه لا بـــد لأجـــل رد دعـــوى مرتضى هذه من القيام بالتعريف بهذا الكتاب وتحديد هويته قبل الدخول في نقـــد حيثياته وعرض التفاصيل الخاصه به .

تعريف بالكتاب

ان دعوى مرتضى هذه في انكار وجود شخص عبد الله بن سبأ واختلاق حيثياتها دعوى صعبة ، وثقيلة جداً من حيث قبولها من قبل المعروضة عليه ومن حيث امكانية اثباتها ، وتأصيلها ، والاقناع بها ، إذ ان الروايات التي حوتها كتب الشيعة تلك التي وردت بخصوص شخص (عبد الله بن سبأ) قد بلغت حداً من الكثرة كبير بحيث لا يمكن ردها ، أو توجيهها توجيهاً مخالفاً لما دلت عليه من إثبات هذه الشخصية ، واثبات اثارها مع الاخذ بالاعتبار للروايات والاخبار التي جاءت عن طريق أهل السنة والتي هي بمثابة الروايات الشيعية من حيث الوضوح على ما دلت عليه وان كانت اقل منها عدداً .

هذه الحقائق المعلومة عند الجميع والتي لا يمكن ان يتغافل أحد عنها حدت بمرتضى العسكري إلى افراد مجلدين كاملين ضخمين كبيرين لغرض محاولته في إثبات دعواه هذه ، ولاجل الرد على الروايات الناقضة لدعواه المبطلة لها أو لتوجيهها التوجه الموافق لاختياره المتناسب مع توجهه بغض النظر عن طبيعة هذا الرد وسلامة ذاك التوجيه .

وقبل الدخول في بيان الخطوط العريضة لمنهجه الذي اعتمده في كتابه هذا لا بد من عرض ترجمة معرفة بهذا الكتاب توضح حقيقته للقارىء وتبرزه امام اعين المطلعين ، وتكشف صورته التي هو عليها حقيقة وواقعاً حتى لا يتوهم متوهم بامكانية صحة دعواه نظراً لكثرة الصفحات ، وتعدد المواضيع التي حواها هذا الكتاب ، وإليك ترجمة هذا الكتاب معروضة امامك بصورة مفصلة وبدون رتوش ، أو زيادات ، أو تجاوزات بل هو عرض مجرد :

نبذة مختصرة معرفة بحقيقة الكتاب

من الضروري التعريف بمحتويات هذا الكتاب والعناوين التي قد تضمنها، ومن الضروري أيضاً بيان كيفية تعامل مؤلف هذا الكتاب مع شخصية عبد الله بن سبأ قبل الدخول إلى ايضاح منهجه فيه لأن هذا التعريف سيسهل للقارىء معرفة المنهج وسيوضح له بيسر تام الطرائق التي اعتمدها صاحب هذا الكتاب في تعامله ونقاشه لقضاياه .

ان كتاب عبد الله ابن سبأ وأساطير أخرى قام بتاليفه السيد مرتضى العسكري لأجل ايصال فكرة تبناها إلى اذهان الناس ، مفادها بأن عبد الله ابن سبأ هذا شخصية اسطورية لا وجود لها كما قد ذكرنا لكم .

وقد قام بهذا التاليف قبل نصف قرن من الزمان وتحديداً في العام (١٣٧٥ هـ) ، وهو كتاب مكون من مجلدين ومن القطع الكبير ، وساعتمد في تعريفي لهذا الكتاب على الطبعة السادسة المصححة منه والتي طبعت في العام (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) ، والتي قام بنشرها (دار نشر التوحيد) والسبب في اعتمادي على هذه الطبعة هو تصحيحها ، وتنقيحها ، واعتمادها من قبل المؤلف نفسه ، إذ ان مرتضى العسكري قال عنها في مقدمته للطبعة الرابعة ما يلي :

[طبع هذا الكتاب بعيدا عن إشراف المؤلف في النجف الاشرف عام ١٣٧٥هـ .

وفي القاهرة عام ١٣٨١ هـ .

وفي بيروت عام ١٣٨٨ هـ .

ومن ثم انتشرت فيه أخطاء صححناها في هذه الطبعة وخاصة أرقام صفحات مصادره الكثيرة ، كما استدركنا ما فاتنا هناك في خلال صفحاته بآخر الكتاب، فينبغي تصحيح النسخ المطبوعة سابقا على هذه الطبعة والكمال لله وحده] [(١)].

وساقوم ببيان التعريف لهذا الكتاب على شكل نقاط وكالاتي :

اولاً :

ان الكتاب مكون من مجلدين – كما ذكرنا – ومن القطع الكبير ، مجموع صفحات الكتاب كله هو (٧٤٨) صفحة ومقسم على جزئين كالاتي :

عدد صفحات الجزء الأول (٣٣١) صفحة .

عدد صفحات الجزء الثاني (٤١٧) صفحة .

---

(١) [عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى / السيد مرتضى العسكري ج ١ ص ٩]

ثانياً :

الجزء الأول

ما يخص محتويات الجزء الأول والمواضيع التي تم تناولها فيه فهي كالاتي:

[الاسطورة السبئية كما تخيلها مختلقها – كبار السبئين – منشأ الاسطورة السبئية مختلقها وسلسلة رواتها (ادرج تحت هذا العنوان (٢٢) عالماً اشارت إلى وجود شخصية عبد الله بن سبأ) – ترجمة سيف بن عمر – مؤلفات سيف– مصادر البحث – أحاديث سيف (ادرج تحت هذا العنوان المواضيع الاتية) :

[١– بعث اسامة ٢– السقيفة ٣– الردة ٤ – قصة مالك بن نويرة ٥– قصة العلاء بن الحضرمي ٦– نباح كلاب الحوأب ٧– استلحاق زياد ٨– قصة المغيرة بن شعبة ٩– حبس أبي محجن ١٠– أيام اخترعها سيف ١١– الشورى وبيعة عثمان ١٢– قماذان بن الهرمزان ١٣– بلاد اختلقها سيف ١٤– تحريف في سني الحوادث التاريخية) – سبب انتشار أحاديث سيف] .

خلاصة ما يحتويه هذا الجزء من الكتاب :

ان هذا الجزء من الكتاب على الرغم من كثرة صفحاته فإنه لا يحوي شيئاً يتعلق بالموضوع الذي يسعى مرتضى العسكري لاثباته إلا وهو انكار شخصية عبد الله بن سبأ ، فجميع ما يحويه بعيد كل البعد عن هذا الأمر ، ولا يتصل به على الاطلاق، ذلك انه تناول ما يتعلق بعبد الله بن سبأ في صفحات قليلة لا تتجاوز الـ (٤٠) ، اورد فيها مجموعة من اسماء العلماء ممن الفوا في السير والتواريخ ، فيهم المتقدم ، وفيهم المتاخر ، منهم المسلمون ، وفيهم المستشرقون الذين اثبتوا وجود شخصية عبد الله بن سبأ وذهبوا إلى انها شخصية حقيقية ذات أثر على الواقع الذي عاشت فيه .

هذا هو ما يتعلق بشخصية عبد الله ابن سبأ الوارد في هذا الجزء هو عبارة عن سرد لاسماء شخصيات تثبت وجوده وتعتبره ذا أثر قوي في التاريخ .

اما باقي هذا الجزء والذي يقارب (٢٥٠) صفحة فهو عبارة عن كلام طويل ومفصل عن شخصية (سيف بن عمر) وما قام به من اضافة واختلاق

لروايات التاريخ واحداثه ، والغريب في هذا الجزء والمثير للانتباه فيه هو تناول مرتضى لحادثة جانبية لا دخل لها في الكتاب ومضمونه لا من قريب ولا من بعيد وهي حادثة السقيفة وافرد لها (٧٢) صفحة ، وهو مجموع يفوق ما تكلم به عن (عبد الله بن سبأ) في كتابه كله بجزئيه جميعاً .

النتيجة :

ان الذي يقرأ هذا الجزء من الكتاب سيتوصل إلى الاتي :

١- ان هذا الجزء بعيد كل البعد عن القضية التي يسعى مرتضى العسكري لترسيخها إلا وهي انكار وجود هذه الشخصية .

٢- ان هذا الجزء من الكتاب تتناول في غالبه الاكثر منه الراوي سيف بن عمر والروايات التاريخية التي جاءت عن طريقه .

٣- ان القارئ لهذا الجزء يتوصل إلى إثبات وجود عبد الله بن سبأ ، لكثرة الاسماء التي اوردها مرتضى للعلماء الذين اثبتوا وجود هذه الشخصية مع انتفاء المعارض لها ممن يذهب إلى نفي هذه الشخصية .

النتيجة التي توصلنا إليها واضحة لكل مطلع

وكل من يطلع على هذا الكتاب من أي طائفة كان سيتوصل إلى هذه الرؤية التي عرضناها لشدة وضوحها مع انتفاء أي معارض لها.

فهذا العالم الشيعي محمد علي المعلم يقرر هذه الرؤية التي عرضناها عليكم حينما يعرض وصفه الخاص بالجزء الأول من كتاب مرتضى العسكري فيقول :

[أما الجزء الأول فهو لا يتناول البحث حول شخصية ابن سبأ ، وإنما كانت تدور أبحاثه حول المقارنات التي أتعب المؤلف فيها نفسه بين روايات سيف وغيرها من الروايات التي وردت عن طرق أخرى غير طرق سيف ...] .

ثم قال المعلم معقباً على ما فعله مرتضى في هذا الجزء ، ناقداً اياه في عرضه وفي معالجته للمسائل :

[والذي نراه أولاً :

أن الأمر لا يحتاج إلى هذا العناء ، فإنه تطويل بلا طائل ، وهو مما ينطبق عليه المثل المشهور : (اسمع جعجعة ولا أرى طحنا) ، وكان يكفي المؤلف أن

يشير إلى ذلك ويحيل على المصادر .

وثانياً :

أن المقارنة بين روايات سيف ، وروايات غيره ليست دقيقة من جميع الجهات، وذلك لأن السيد العسكري قد افترض الصحة ، بل التواتر في كل الروايات المخالفة لروايات سيف ، واعتبرها المقياس في الحكم على كذب سيف واختلاقه، وذلك لا يمكن التسليم به ، ولنا أن نسأل السيد العسكري عن الملاك في صحة هذا الإفتراض] .

ثم قدم نصيحة لمرتضى قال فيها :

[وكان الأليق بتسميته هذا الجزء باسم آخر لأنه لا يتناول التحقيق حول شخصية ابن سبأ إلا ما عرضه في أول الكتاب وعبر عنه بالأسطورة السبئية كما تخيلها مختلقها ، منشأها مختلقها ، سلسلة رواتها ، عرضاً مجرداً عن التحقيق][1].

ثالثاً :

الجزء الثاني

اما بخصوص الجزء الثاني وما يحتويه من مواضيع فكان كالاتي :

[انتشار الإسلام بالسيف والدم في حديث سيف ، تهويلات في أخبار الردة، ابرق الربذة ، ردة طي ، ردة أم زمل ، ردة أهل عمان ومهرة ، ردة اليمن الأولى ، ردة الاخابث ، ردة اليمن الثانية ، فتوحات موهومة ، فتوح خالد في العراق ، وقعة ذات السلاسل ، وقعة الثني أو المذار ، الولجة ، اليسا ، امغيشيا، يوم المقر وفم فرات بادقلي ، اساطير سيف ، خالد لا يؤثر فيه السم ، بشارات الأنبياء بعمر ، تهدم دور حمص من تكبير المسلمين ، الدجال يفتح السوس، قصة الاسود العنسي ، تصحيف وتحريف ، عبد الله بن سبأ في كتب الحديث، عبد الله بن سبأ في كتب أهل المقالات ، حقيقة ابن سبأ والسبائية ، حقيقة اكاذيب، خلاصة وخاتمة] .

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٧٨ – ٨٠]

خلاصة هذا الجزء :

ان هذا الجزء من الكتاب والمتكون من (٤١٧) صفحة لا يختلف في تناوله للمواضيع عما ورد في الجزء الأول ، فهو بعيد كل البعد عن تناول القضية الأساس موضوع الكتاب إلا وهي انكار وجود شخصية عبد الله بن سبأ، ولتلخيص محتويات هذا الجزء سأقوم بعرضها على وفق النقاط الاتية :

١- انطلق في هذا الجزء بالحديث عن روايات سيف بن عمر في كتب التاريخ لذا فهو يعتبر مكملاً لما انتهى إليه في الجزء الأول من هذا الكتاب وقد اخذت مساحة هذه الروايات (١٥٠) صفحة من هذا الجزء .

٢- تناول قضية التصحيف والتحريف التي ادعى انتشارها في كتب التاريخ، وهذا كما هو معلوم أمر عام يتناول عبد الله بن سبأ وغيره لذا تعلقه بعبد الله بن سبأ هو تعلق غير مباشر ولهذا السبب فإنه لم يكتب فيما يتعلق بعبد الله ابن سبأ إلا بمقدار سطرين فقط ، حيث قال :

[ومن أمثلة التصحيف عند سيف تصحيفه كلمة (عبد الله بن وهب السبائي) راس الخوارج إلى (عبد الله بن سبأ) واختلاق أسطورة ضخمة له][1].

٣- فيما يخص (عبد الله بن سبأ) بالذات والمواضيع التي تتعلق به تعلقاً مباشراً فإنه بدأ بتناولها من صفحة (١٦٧ إلى صفحة ٢١٥) ومن (صفحة ٣٠٨ إلى صفحة ٣١٧) ، ان مجموع هذه الصفحات لا يتجاوز الـ (٥٧) صفحة هي التي لها تعلق مباشر وصميمي بعبد الله ابن سبأ من مجموع الكتاب كله والبالغ (٧٥١) صفحة ، فاستغرب معي عزيزي القارى من هذه النسبة فانها قد ادهشتني .

٤- بقية مواضيع هذا الجزء لا تتعلق (بعبد الله بن سبأ) فهي تناولت الفرق السبئية والسبائية ، ورواتها عموماً ، ومنها :

[الفرقة الغالية من السبئية- الفرقة الثانية من السبئية – الفرقة الثالثة من السبئية – الفرقة الرابعة من السبئية- الناووسية – الكيسانية – النسناس- السبائية والسبئية – رواة الحديث السبائيين (أبو هبيرة عبد الله بن هبيرة السبائي –

(١) [عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ١٦٣]

عمارة بن شبيب السبائي – أبو رشدين حنش السبائي – أبو عثمان الحبشاني – ازهر بن عبد الله السبائي – اسد بن عبد الرحمن السبائي – سليمان بن بكار السبائي – جبلة بن زهير السبائي– حجر بن عدي السبائي)]

٥– وفي اخر الكتاب تناول اكاذيب ادعاها هو ، قام بادراجها هنا ولا تعلق لها مطلقاً بعبد الله ابن سبأ ، منها :

[كان للرسول عمامة سوداء اسمها السحاب – كان لون عمامته السحاب أسود– كان للنبي عمامة اسمها السحاب – النبي يعمم علياً بالسحاب يوم الخندق – يقول النبي اتاكم علي في السحاب – كيف توجه النبي بعمامته – توج النبي علياً أكثر من مرة – النبي سلمه السحاب في مرض موته – مصادر حقيقة اكاذيب] .

النتيجة :

ان الذي يقرأ هذا الجزء يجد صعوبة بالغة في العثور على المواضيع المتعلقة بشخصية (عبد الله بن سبأ) لاحتياج اخراجها إلى تنقيب حقيقي ، ويتعسر عليه الوصول إلى نتيجة فيها وذلك لندرتها البالغة ، إذ ان نسبتها لا تكاد تذكر ولضياعها ، وتشتتها بين صفحات ومواضيع هذا الجزء ، ولا يستطيع مطلقاً بعد قراءة هذا الجزء ان يصل إلى نتيجة في أي موضوع من المواضيع التي تطرق إليها للتخبط الكبير في عرضها ، وللغموض الذي يكتنفها .

فلك عزيزي القارى بعد هذا العرض ان تتصور معي حقيقة هذا الكتاب، وكيفية عرض صاحبه للمواضيع فيه .

حقيقة كتاب مرتضى العسكري

ويمكن ان نجمل ما ذكرناه بخصوص الجزئين باعتبارهما وحدة واحدة بما ياتي:

١– الجزء الأول افرد (٢٥٠) صفحة عن (سيف بن عمر) ، واتبعها بالجزء الثاني (١٥٠) صفحة فالمجموع الخاص بسيف بن عمر الذي تم سرده متوالياً (٤٠٠) صفحة .

٢- افرد لعبد الله بن سبأ فيما يتعلق بموضوع الكتاب فقط (٥٧) صفحة مع اسطر قليلة هنا وهناك من مجموع (٧٥١) صفحة.

٣- اما ما تبقى من صفحات الكتاب فقد تناول فيها صاحبه مواضيع مختلفة ليس لها تعلق مباشر بعبد الله بن سبأ .

إذن بعد هذا العرض يمكن لنا ان نقول ان هذا الكتاب بما يحويه من مواضيع لا يتناسب مطلقاً مع موضوعه الذي اؤلف من اجله ، ولا يستقيم مع القضية التي يسعى صاحبه لاثباتها .

والشيء الاهم والمهم ان هذا الكتاب لم يتناول قضيتين مهمتين ، يدور حولهما الكلام في غالب المواضيع التي تتعلق بشخصية (عبد الله بن سبأ) إلا وهما:

اولا :

انه لم يتعرض إلى ذلك الدور الذي لعبه (عبد الله بن سبأ) في تأسيسه لعقائد الشيعة وبنائه لاصولها وقواعدها .

ولم يتطرق إلى هذا الأمر مع الإشارة إلى ان الدور الذي قام به (عبد الله بن سبأ) في هذا الشأن قد صار محوراً يدور حوله كيان هذه الشخصية ، ومن المسلمات التي يثبتها علماء الشيعة قبل السنة ، ونذكر على سبيل المثال من علماء الشيعة ممن اثبتوا هذا الأمر : (الناشيء الأكبر ، القمي الاشعري، النوبختي ، الكشي) .

ثانياً :

ومن القضايا المهمة التي تتعلق بشخصية ابن سبأ والدور الذي لعبه في أحداث التاريخ ومجرياته ذلك الدور المتمثل بكونه أحد رؤوس الفتنة التي البت الناس على عثمان واغرتهم عليه حتى ادى ذلك التأليب والاغرار إلى مقتل عثمان.

وكذلك دوره الخبيث والسلبي في حادثة الجمل الذي أثر في أحداث فتنة لا تزال نارها إلى الآن لم تنطفيء بعد .

وبما ان الكتاب مصدر بعنوان عريض قد قدم عبد الله بن سبأ في بدايته فمن المفترض ان يتناول هذا الكتاب المتعلقات بهذه الشخصية وخصوصاً المهمة والمؤثرة الصادرة منها .

ولكننا في قراءتنا لهذا الكتاب نجد مرتضى العسكري قد احال النقاش في هذه القضايا إلى كتاب اخر له عنوانه (خمسون ومائة صحابي مختلق) ، وهو كما يتضح لك من عنوانه عام غير خاص ، كثير الموارد والمصادر بخلاف كتابه عن (عبد الله بن سبأ) المحدد في قضية والمحصور في جهة واحدة .

ان الذي دفعنا إلى هذا الاعتراض والبيان ترك مرتضى العسكري للمطلوب بيانه في كتابه هذا من بيان للادوار التي قام بها (عبد الله بن سبأ) .

الكتاب حوى كل شيء إلا عبد الله بن سبأ

لذلك نقولها كحكم منطبق على هذا الكتاب انه (قد حوى كل شيء إلا عبد الله بن سبأ) ، كما اننا ننصح بتغيير اسمه ليتناسب مع المواضيع التي طرقها كأن يسمى (دور سيف بن عمر في نقل التاريخ) أو (أثر سيف ابن عمر في نقل الروايات) أو يسمى (بالاساطير بدون تحديد) أو (أي اسم اخر يختاره صاحبه) يحفظ به ماء وجهه ويحافظ على سمعته .

حقيقة لا يمكن ان يغفل عنها احد

وختاماً أقول :

ان هذه الحقيقة التي امامك لا تخفى مطلقاً عمن يقرأ هذا الكتاب وقد قدمت على شكل اعتراض وانتقاد تم توجيهه إلى صاحب هذا الكتاب ، وكان رده عليه كالاتي :

فتحت عنوان ذكره مرتضى ، وهو :

[نقود أخرى تناولت تسمية الكتاب بـ (عبد الله بن سبأ) مع أن الحديث عن غيره في الكتاب أكثر] .

فاجاب مرتضى :

[هذا تساؤل أجبنا عنه في مقدمة الطبعة الأولى ، ثم إن ما ورد على الغلاف في طبعات الكتاب المختلفه (عبد الله بن سبأ) و (قصص أخرى) أو

(أساطير أخرى) ، فيه تصريح بأن الكتاب يبحث عن قصة عبد الله بن سبأ مع قصص أخرى .

وقلنا في مقدمة الطبعة الأولى :

سوف يرى القارئ أن البحث لا يقتصر فيه على (عبد الله بن سبأ) وقصصه وحدها وإنما هو أوسع من ذلك . . . ولا نعلم كيف خفي ذلك على الكتاب ؟][1]

أقول :

ان الرد على هذا الاعتراض يثبت صحته ، فهو يقر بأن أكثر الكتاب ليس بخصوص (عبد الله بن سبأ) كما ان الرد يمكن ان يكون له نوع قبول إذا كانت نسبة المتناول في الكتاب عن عبد الله بن سبأ تقترب من المواضيع الاخرى أو تساويها ، ولكن مع تخلف هذا الأمر ، وعدم وجود مثل هكذا نسبة فإن الرد لا يستقيم ، والاعتراض يبقى قوياً من حيث الأثر والنتيجة .

اما من حيث الأثر فإن الذي يرسخ في ذهن القارئ هو المواضيع الاخرى غير المتعلقة بقضية (عبد الله بن سبأ) ، كما انه يؤدي إلى إثبات حكم متعلق بالكتاب نفسه يجعل من كونه خاصاً (بعبد الله بن سبأ) امراً ممتنعاً .

اما من حيث النتيجة فإن الحكم الذي سيناط بهذا الكتاب هو خروجه عن الحد المطلوب فيه من كونه بحثاً خاصاً (بعبد الله بن سبأ) ، وبالكاتب بالحكم عليه بالتضليل ، وانعدام المنهجية من جهة كونه غير مؤصل لما أراد له ، ومن جهة عدم اتباعه لمسلك ثابت ومحدد للوصول إلى المطلوب.

وانطلاقاً من ذلك الأثر وهذه النتيجة ، فإن الانتقاد الموجه لهذا البحث كبير يجد، ومرجحات عدم قبوله قوية ومؤثرة ، وبالتالي فإن رفضه وانعدام الثقة فيه سيكون لا شك هو الحكم النهائي والثابت في هذا الموضع ، والذي سيتبين لك في مضامين هذا البحث إن شاء الله .

---

(١) [عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى / السيد مرتضى العسكري ج ١ ص ٢٥]

منهجية مرتضى العسكري في كتابه

بعد هذا البيان للكتاب وللمواضيع التي احتواها ، وبعد الوصول إلى رسم صورة واضحة بخصوصه وبخصوص المباحث التي تناولها منطلقاً من خلالها إلى محاولاته في إثبات دعواه ، لا بد من الإشارة إلى نقاط مهمة تتناسب مع الوصف الذي عرض في هذا الكتاب لأجل بيان حقيقة المسالك التي حواها هذا الكتاب ، وثبتها مرتضى منهجاً فيه لعرض مسائله ، وترتيبها ، والاعتماد عليها.

حيث انني بعد قراءة هذا البحث والتدقيق فيه لم اجد افضل مما ساذكره وصفاً منطبقاً عليه ، وموضحاً لحقيقته .

فالذي يمكن من خلال قراءة هذا الكتاب ان يوصف به بأن الذي عرضه فيه صاحبه وبجميع الأمور التي وردت فيه لا يخرج عن كونه محاولات منه، وتوجهات خاصة به لأجل إثبات دعواه، واقناع الغير بامكانية تقبل هذا الطرح والاكثار من إيراد المقدمات بغض النظر عن صحتها أو صدقها هذه المحاولات التي سعى من خلالها مرتضى للوصول إلى مبتغاه تتسم باللف والدوران، والتلاعب بالاسانيد والطرق ، ولي الاعناق للاخبار والاثار وتوجيهها إلى محامل بعيدة القبول مع ابتعاده في عرضه كثيراً ، وفي أكثر من جهة عن المقصد الحقيقي للكتاب ، وتغافله عن أمور رئيسية ينبغي ان تعرض لكونها احدى المفاصل الرئيسية في تحديد صحة مضمون البحث وامكانية صدقه.

وهذا الحكم في المذكور الذي تناوله الكتاب ليس تجاوزاً عليه ، أو افتراء أو تقول بل هو حقيقة حال هذا الكتاب وكما سيتبين لك ذلك لاحقاً ، في اثناء الرد على مبرراته .

اضافة لما مر فمما كان له أثر في اضعاف محاولات مرتضى وجعل ما ذكره بعيداً كل البعد عن الواقع الذي به الاقناع والاقتناع مخالفته في قوله هذا الذي تبناه للكم الكبير من العلماء سنة وشيعة ، وشذوذه الواضح والبين عن المقبول والمختار عندهم ، فهم قد تبنوا مضمون الروايات والاخبار القاضي باثبات وجود شخص (عبد الله بن سبأ) مع ما يعضدها من شهرة هذه القضية إلى حد يصل إلى التسالم والخضوع لها بغض النظر عن حال الأخبار الواردة أو

الاختلاف الذي قد ينشأ في بعض متعلقات هذه الشخصية .

ان هذا كله جعل كل تصرفاته وكل ما عرضه من محاولات وتبريرات عقيمة الدلالة ضعيفة العرض ، بعيدة كل البعد في الاستدلال عن ضوابط العلم وقواعده المقررة ، والمتفق عليها عند أهل العلم بالاخبار واصحاب التحقيق بالاثار، وكذلك بعدها الواضح عما يفترض اتباعه من الباحثين في التاصيل والتوجيه .

ان مجرد التدقيق والنظر الثاقب في الذي عرضناه إليك من مواضيع كتاب مرتضى هذا ، لا شك انه سيصيب كل قارىء بدهشة عظيمة ، واستغراب كبير إذ ان العناوين المعروضة في جانب وموضوع الكتاب في جانب اخر ، ولا اشك لحظة ان هذه الدهشة ستتعاظم ، والاستغراب سيكبر إذا ما قرىء الكتاب بتمعن وبتجرد .

حقيقة لا يمكن التغافل عنها

كما انك ستتفاجأ يامن ستقرأ هذا الكتاب كما تفاجأت انا بحقيقة مفادها :

كثرة ما حواه هذا الكتاب من مصادر نقلها مرتضى لعلماء مختلفي الاتجاهات، والاختصاصات ، والميول ، والانتماءات قد ذكرت هذه الشخصية ، وتعرضت إليها على وجه التبني لها ، والاثبات لوجودها ، ولكل ما يتعلق بها ، أو يرتبط من حوادث ، وافكار ، ودعاوى ، ومعتقدات .

اما الأمر الاخر الذي سيفاجئك ويدهشك فوق ما أنت عليه من الاستغراب والدهشة ان قراءة هذا الكتاب ستوصلك إلى نتيجة حتمية ، وقرار نهائي يتمثلان بأن شخصية عبد الله بن سبأ (لها وجود وتحقق وثبوت على الواقع)، وان هذا هو الحكم الوحيد الذي يمكن ان يثبت لهذه الشخصية ويربط بها.

لأن اهتمام العلماء كل اولئك الذين ذكرهم مرتضى في كتابه ، مضافاً اليهم من لم يتعرض لهم من المتقدمين والمتأخرين الحثيث والجدي بتدوين وتناقل حيثيات هذه الشخصية ، ابتداءاً من بحثهم حول أصله ، وأصل نشأته ، وصولاً إلى ديانته التي كان عليها قبل إسلامه ، انتقالاً إلى دخوله في الإسلام ، والعصر الذي اسلم فيه ، مع تسليط الضوء بتفصيل وتدقيق على الفتن التي ساهم في

اشعالها ، والعقائد التي بثها بين الناس ونشرها في البلاد والاقطار ، وتثبيتهم لهذه الحقائق على وجه التبني والاعتماد في مصنفاتهم وكتبهم الكثيرة والمتعددة، ليدل دلالة قاطعة ، ويعطي انطباعاً وتصوراً لا محيد عنه على ان هذا الحدث الخاص بهذه الشخصية لم يكن امراً عادياً ، ولا شيئاً عابراً ولكنه يدل على انه أمر مؤثر ذو جذور وأصول جدير بالاعتناء لا ينبغي التغاضي عنه ، ولا اهماله بل ينبغي توجيهه وتثبيته .

ولعل من المناسب بعد هذا التلخيص والتوضيح لتوجهات مرتضى في كتابه هذا ان نشير إلى نتائج متعلقة بمنهجه فيه ، ودوافعه لتأليفه نضعها كقاعدة بين يدي القارئ تكون كالعلامة والدليل الموضح لمقاصد مرتضى في بحثه، والمبين للكيفية التي يتعامل بها مع الحوادث والقضايا .

الميزان الاعوج

أقول :

ان الدافع لمرتضى العسكري في فعلته هذه التي اودعها كتابه انما هو الميزان الاعوج ، والمنهاج الانتقائي اللذان يتبعهما علماء الشيعة في تعاملهم مع الروايات والاخبار وفي استدلالهم منها ، فهؤلاء الناس في تعاملهم مع الروايات والاخبار يسلكون الطريقة الاتية :

إذا ما كانت الروايات والاخبار التي تتعلق بشخصية ما ، أو بحادثة ما تخدم اغراضهم ، وتصب في مصلحة فرقتهم ، وتثبت عقائدهم ، فهي مقبولة لا اعتراض عليها مهما كان حالها ، وبغض النظر عن درجتها من حيث القبول والرد .

اما إذا كانت الروايات والاخبار لا تخدمهم ، ولا تصب في مصلحة فرقتهم واثباتها قد يؤدي إلى القدح فيهم ، وفي معتقداتهم فهي مرفوضة ولا تقبل حتى لو اوردتها مئات المصادر ، وحتى لو وصلت إلى حد التواتر ، حتى ولو كانت باسانيد صحيحة لا يعترض عليها واتفق الكل على قبولها .

بجرة قلم نسف شخصيات التاريخ

وبخصوص قضيتنا هذه نجد بين ايدينا مصداقاً جلياً لهذا المنهاج وذاك الميزان الاعوجين الاهوجين حيث اننا نجد هذا السيد العسكري وبمجازفة عجيبة وبجرأة منقطعة النظير وبسهولة ويسر غير معهودتين تمثلتا بجرة قلم منه يقوم بنسف شخصية (عبد الله بن سبأ) ضارباً عرض الحائط الروايات التي حفلت بذكره، معترضاً على جميع المصادر والكتب التي اوردت ذكر هذه الشخصية لا لشيء وانما لأن هذه الشخصية لا يتلائم اثباتها مع معتقدات الشيعة ومنهجهم العام .

فقد سود هذا العالم صفحات مجلدين من كتابه لأجل انكار قضية وجودها اوضح من الشمس في رابعة النهار ، فبفعله هذا قد ضيع وقته ، ووقت القراء، وهدر اموالهم لشراء مثل هكذا كتاب .

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفرقان:٢٣)

وكان من الأولى له ان يذهب إلى كتبهم – الشيعة – في العقيدة والتفسير ليقوم بتحقيقها بنفس الطريقة والهمة التي حقق بها شخصية عبد الله بن سبأ ليخلصها من كل الخزعبلات والطامات التي طفحت بها .

ولو اردنا تطبيق طريقة العسكري المبتكرة هذه في بحث شخصيات التاريخ لما بقيت عندنا شخصية واحدة يمكن اثباتها والحكم بوجودها ، فهو بهذه الطريقة التي اخترعها يمكن لاي شخص وبجرة قلم انكار أي شيء ورد ذكره في كتب التاريخ .

فالقضية إذن خرجت عن كونها بحثاً علمياً ، أو تحقيقاً تاريخياً للروايات وانما هي اغراض ومصالح تحكم كل التوجهات ، وتضبط كل التصرفات ، فاي انصاف يحمله هؤلاء الناس ؟ واي عدل يحكمون به في الاحداث والقضايا ؟ فلا نقول مع مصاب العلم واهله بامثال هؤلاء القوم إلا انا لله وانا إليه راجعون وإلى الله المشتكى .

كتاب مرتضى منسوف بنفسه حتى عند الشيعة انفسهم

الحق لا يمكن ان يغطى ، ولا ان يحجب خصوصاً إذا ما كانت ادلته حاظرة وبقوة ومفضية إلى المطلوب ، وبدون أي موانع ومهما حاول مرتضى ان يغطي حقيقة ان (عبد الله بن سبأ) شخصية ثابتة في كتبهم وبروايات ائمتهم فلن يستطيع إلى ذلك سبيلاً ، ولذلك فإن علماء الشيعة انفسهم قد تصدوا إلى كتاب مرتضى هذا وإلى محاولته اليائسة فيه متوصلين في تصديهم إلى نتائج تقصم ظهر كتاب مرتضى وتنسفه من الوجود .

وفي هذا الشأن بالذات انقل لكم النتيجة التي توصل إليها العالم الشيعي محمد علي المعلم في نقاشه لمرتضى العسكري في كتابه لتتبين لكم حقيقة هذا الكتاب وحقيقة المعروض فيه ، قال المعلم :

[فإن النتيجة هي إن ما بذله السيد العسكري من جهود في تأليف هذا الكتاب لإثبات أسطورة (عبد الله بن سبأ) لم يحقق الثمرة التي كان يتوخاها من كونه شخصية خرافية خلقتها ذهنية (سيف بن عمر) ، والذي تبين لنا أن العكس هو الصحيح ، وقد أتعب المؤلف نفسه على غير جدوى ، على أن أصل فكرة الإختلاق التي ادعاها المؤلف قد سبقه إليها غيره من المستشرقين وغيرهم، فلم يأت بجديد .

ولقد كنا نتهيب الدخول في البحث حول هذا الموضوع ولا سيما مع ملاحظة تلك العبارات الكبيرة التي صدر بها المؤلف كتابه من أقلام شيعية وسنية .

ولكن بعد أن قرأنا الكتاب ، وتأملنا في أبحاثه وجدنا أن هذه العبارات كلها إغراق في المديح ، ومبالغات في الإطراء ولم تكن في محلها ، وهي وأبحاث الكتاب كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً] (١).

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣٣ – ١٣٥]

الكتاب بعيد كل البعد عن مناهج أهل العلم وضوابط أهل التحقيق

ان حقيقة هذا الكتاب المزرية التي لا تخفى على أصحاب التحقيق وحقيقة منهجية مؤلفه فيه بالذات وفي غيره من الكتب – ككتاب خمسون ومائة صحابي مختلق – البعيدة كل البعد عن ضوابط التحقيق ، وقواعد ومقررات العلم قد استدعت وبقوة إلى التساؤل عن حقيقة الاهداف التي سعى مرتضى العسكري إلى تحقيقها في اخراجه لهذا الكتاب أو لغيره .

وكذلك دعت إلى الاستغراب من كل التهويل الذي احاط بهذا الكتاب ، الضجة الفارغة التي احدثها صدوره مع الاستغراب لحسن الظن الذي حمله من تكلم عن هذا الكتاب ، ومدعا هذا التساؤل المصحوب بالاستغراب كون هذا الكتاب لا قيمة له أصلاً ولا وزن له في العلم والتحقيق ليحدث له كل الذي حدث.

وقد شاركنا من احس بهذا الأثر غير المنطقي ولا الواقعي في طرح التساؤل والاستغراب من علماء الشيعة انفسهم عندما ناقشوا هذا الكتاب ، فهذا المعلم يطرح التساؤل وكذلك الاستغراب منطلقاً من واقع الكتاب المزري وحقيقته البعيدة كل البعد عن مناهج أهل العلم وضوابط أهل التحقيق فيقول موضحاً هذا الجانب :

[وقد حاول السيد مرتضى العسكري – ولا ندري بأي دافع – أن يثبت أن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية ، واسطورة لا حقيقة لها صنعها خيال أحد الرواة وهو (سيف بن عمر التميمي) ، ووضع كتاباً في مجلدين أسماه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) .

واعتبر الكتاب في حينه قفزة من قفزات التحقيق والبحث العلمي ، وأحدث ضجة كبيرة ذات صدى ، حتى أن بعض المحققين من علماء الشيعة ، وأهل الفن والتحقيق في علم الرجال قد أحسن الظن بالمؤلف والكتاب فأحال عليه– من دون أن يقرأه – تسامحاً منه على غير عادته في التحقيق والتدقيق فكانت النبوة التي يقع فيها السيف .

وقد تجاوزت هذه الضجة الحدود الشيعية إلى مصر وغيرها من البلـــدان، فكتب عنه بعض الكتاب تأييداً للمؤلف أو مجاملة أو لغير ذلك .

ولكن كل ما أثير حول هذا الكتاب وما توصل إليه الكاتب في معزل عـــن التحقيق .

فإن شخصية عبد الله بن سبأ حقيقة وليست بخيال ، وقد كـــاد أن يشـــعل فتيل الفتنة، لولا أن أمير المؤمنين أخمدها قبل أن تشتعل وقضى على الفتنة فـــي مهدها.

هذا ، وقد أعقب السيد العسكري كتابه بكتاب آخر أسماه (مائة وخمســـون صحابي مختلق) ، ولم يحظ بتلك الضجة التي حظي بها كتاب عبد الله بن ســـبأ، إلا أنه رسخ الفكرة بأن المؤلف محقق متتبع ، ولم يكن الكتاب بأحسن حالاً مـــن أخيه ، لأن المؤلف اعتمد منهجاً غير دقيق في كلا الكتابين] (١).*

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤- ٥]

*** علماء شيعة ردوا على مرتضى العسكري**

ان اكتشاف مرتضى العسكري المتمثل بنفيه لوجود (عبد الله بن سبأ) والذي ضمنه كتابـــه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) يصعب قبوله إلى درجة كبيرة حتى اضطر بعض علمـــاء الشيعة إلى اعلان رد هذا الاكتشاف صراحةً وبدون أي تحفظات، وكان ردهم لاكتشافه هـــذا بحسب الذي اطلعنا عليه من كتب على شكلين :

الاول :

كتب اؤلفت في إثبات وجود (عبد الله بن سبأ) مع الرد على من ادعى خلافه وضمنت الرد على مرتضى العسكري وابطال اكتشافه هذا من أمثال كتاب (عبد الله بن سبأ دراسة وتحليـــل) للشيخ علي آل محسن ، وصائب عبد الحميد في كتابه (تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي) .

الثاني :

كتب اؤلفت للرد على (مرتضى العسكري) في كتابه هذا على وجـــه الخصـــوص متناولـــة طريقته في التوصل إلى الاكتشاف ومنهجيته في تثبيته وتعامله العام مـــع الروايـــات واقـــوال العلماء محاولةً تسليط الضوء على الخلل ، والقصور، والضعف، واساليب التلاعب (التدليس) التي امتازت بها منهجيته وطريقته في هذا الكتاب والذي عثرت عليه مما كتب في هذا المجال كتاب (عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة) للشيخ محمد علي المعلم .

=

=

فهذا الكتاب قد وافقني مؤلفه في الكثير مما ذهبت إليه في الرد على مرتضى وأكد صحة الأحكام التي الحقتها به واستخدمته حجة وبرهاناً للدلالة على انتفاء أي غرض ميولي قد يتهمني به البعض في ردي على مرتضى ، فالمعلم عالم شيعي من جلدة مرتضى وكلاهما خريج مدرسة التشيع .

وتحقيقاً لهذا الأمر واعترافاً مني بالجهد الكبير لهؤلاء العلماء قمت بتضمين كتابي هذا الكثير من اقوالهم ، والمتعدد من اختياراتهم ، وكذلك لأن ما رد به هؤلاء مرفوعة عنه أي شبهة ، أو تهمة فهم أهل مذهب واحد ، ودرايتهم بمذهبهم وكيفية التصرف معه لا يشوبها شائبة فكما قالوا (أهل قم ادرى بشعابها) .

الثالث :

انتقادات على توجهات مرتضى هذه اعلنت عن طريقة اجابة لسؤال ، وتوضيح لاشكال قد احدثه اختيار مرتضى هذا ، هذه الانتقادات كانت منصبة على بيان عدم امكانية نهوض ما أورده مرتضى العسكري من مقدمات لأجل إثبات مدعاه ، وذلك لوجود معارض أقوى ، والمتمثل بالروايات المثبتة لوجود ابن سبأ .

ومن مثل هذا ما اجاب به المحقق السيد آية الله جعفر مرتضى العاملي عندما سأل عن دعوى البعض (مرتضى العسكري) بأن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية وهمية فكان من ضمن ما اجاب في معرض رده على مرتضى العسكري ، ما نصه :

[اما محاولة نفي وجود الثاني أيضاً – عبد الله بن سبأ – فانها لم يحالفها التوفيق، من حيث ان الاستدلالات على ذلك كانت غير قادرة على إثبات هذا الأمر ، كما ان الاشكالات على الروايات المثبتة لوجوده لم تكن كافية لاسقاط تلك الروايات] .

[مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة / مرتضى العاملي ج ٥ ص ١٨٥]

الفصل الأول

مبررات مرتضى لدعواه ونقضها

تمهيد

كما تبين لنا مما عرضناه في المدخل الذي تناولنا فيه المتعلقات بشخص (عبد الله بن سبأ) من حيث وجوده ، وتحقق شخصه على الواقع ، وكذا مرتضى العسكري وتعامله الغريب مع هذه الحقيقة ، ان ادعاء مرتضى هذا الذي ذهب إليه في نفيه لوجود شخصية (عبد الله بن سبأ) ، وانكار حقيقته ادعاء خطير وذلك لما يترتب عليه من آثار ونتائج ذات ابعاد خطرة ، وفي نفس الوقت سلبية مع وجود لمختلف العقبات ، والكثير من المفاوز ، والمتنوع من الموانع تلك التي تمنع امكانية إثبات اختياره هذا أو الاقناع به.

ونظراً لثبوت هذه الحقيقة المترتبة على قوله هذا ، نجد في هذا الكتاب ان مرتضى العسكري قد أخذ يصول ويجول يميناً وشمالاً ، طارقاً كل باب، وسالكاً لكل درب يمكنه من ايجاد مخرج له من هذا المطب الذي اوقع نفسه به، ووسيلة يتذرع بها لاقناع الغير ولو بنسبة ضئيلة بأن له وجهاً في اختياره هذا، ومقدمات توصل عن طريقها لمذهبه المزعوم ، فحاص مرتضى لأجل تحقيق مبتغاه هذا حيصة حمار الوحش ، واعمل فكره في مجالات متعددة ونواحي متشتتة واتعب نفسه في أعماله لفكره .

فكان مخرجه ونتاجه عبارة عن تبريرات واهية ، ومحاولات عقيمة اقرب ما تكون إلى الوهن والضعف ، واشبه باحلام اليقضة التي يمني بها المرء نفسه، وابعد ما تكون عن العلم والتحقيق وبينها وبين الالزام للغير ، والاثبات للدعوى كالذي بين المشرق والمغرب .

وانا فيما اذكر هنا لست متجنياً على هذا الرجل ، ولا قاذفاً اياه بالتخرصات والظنون والمزاعم كما يفعل هو في تعامله مع القضايا والمسائل ، ولكني اذكر حقيقة الحال الذي هو عليه ، والصورة الواقعية لما أصله وبنى عليه .

وفي هذا الفصل ساقوم بإذن الله وبمعونته بعرض محاولات مرتضى هذه التي سعى من خلالها لإثبات دعواه قدمها على شكل مبررات اتاحت له اختياره هذا مصحوبة بالرد الناقض والمبطل لها من جميع الوجوه الممكنة للرد، والمبنية على ضوابط العلم وقواعد التحقيق ، وحقائق الواقع كاشفاً لعوار وزيف هذه

التبريرات مبيناً اثارها السلبية المتمخضة منها ، ونتائجها السقيمة والمهينة المبنية عليها والتي تحول دون امكانية الاقتناع بها أو قبولها ، ولاجل ترتيب هذا الرد وجمع اطرافه قمت بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث رئيسية وكالاتي:

الأول :

يتعلق هذا المبحث بالراوي (سيف بن عمر) حيث جعل منه مرتضى المصدر الوحيد ، والمنبع الاصلي للروايات المثبتة لوجود (عبد الله بن سبأ) ، ثم قام بتسقيط هذا الراوي بغية تسقيط الروايات ، فقمت فيه بايضاح حقيقة الراوي سيف بن عمر مع بيان لبطلان دعوى مرتضى العسكري الخاصة بهذا الراوي .

الثاني :

يتعلق بالرد على ما ادعاه من تهم ومطاعن في كتاب رجال الكشي بغية اسقاطه والغائه من الاعتبار ، كونه الحاوي للروايات عن الأئمة المعصومين المثبتة لوجود شخص ابن سبأ والتي عليها الاعتماد .

الثالث :

افردت فيه تبريراته الاخرى الخارجة عن التعلق المباشر بنطاق كتاب رجال الكشي جامعاً لها جمعاً مرتباً ، راداً على كل تبرير على حدة ، وناقضاً له نقضاً مباشراً .

وفي نتيجة الرد على هذه التبريرات كلها سعيت إلى بيان حقيقة افلاس هذا الرجل من امتلاك أي دليل مقنع ، أو حجة ملزمة من العلم ، أو المنطق يمكن عن طريقه إثبات مدعاه هذا ، مع التوضيح التام في كل حيثية من حيثيات الرد إلى منهجه في التعامل مع القضايا والحكم على الروايات والوقائع والاحداث لأن إثبات النهج ، وتوضيح حقيقته واسلوبه يوصل لزوماً إلى الحكم المفترض على صاحبه المؤصل له والمعتمد عليه .

المبحث الأول
مرتضى العسكري وسيف بن عمر

سيف بن عمر

كما هو معلوم ان الباحث في قضية ما في أي مجال من مجالات العلوم لا بد عليه أولاً ان يحدد دائرة البحث ، وان يقنن ويثبت المنطلقات التي على اساسها يحدد توجهه في بحثه ، وعرضه للمسائل ، وبناءه للاحكام ، والغالب في اثارة هذه المنطلقات هو عرضها على شكل أسئلة في الذهن ، ثم بعد ذلك يتم البحث عن اجابة لهذه الاسئلة لغرض الوصول إلى المقصد البحثي ، والمطلب الذي يراد تحرير القول الفصل فيه .

وفي هذا الكتاب الذي بين ايدينا والخاص بعبد الله بن سبأ الذي الفه مرتضى العسكري على اعتبار انه بحث خاص في هذه الشخصية ، قام فيه بوضع أسئلة جعلها المرتكز في رسم منهجه ، وتحديد خيوط بحثه ثم حاول الاجابة عنها للوصول إلى مطلوبه .

اسئلة مفترضة في الطرح تناولها مرتضى العسكري

كالسؤال التقليدي الموجه إلى الذات المطلوب الحكم عليها والذي هو ها هنا، من هو ابن سبأ ؟

ثم بعد ذلك السؤال عن الجماعة الذين انتسب اليهم وانتسبوا إليه ، من هم السبئيون ؟

وبعده السؤال عن الدعاوى التي قام عبد الله بن سبأ بنشرها أو حاول ذلك، والسؤال الخاص بها ، ما هي دعاواه ؟

وكذا السؤال الخاص بالادوار التي قام بها في خضم مجريات الاحداث والذي يعبر عنه بما هي أعماله ؟ (١)

هذه الاسئلة الأربعة هي مرتكز منطقي يفرضه الواقع عندما يشرع في البحث عن أي شخصية من الشخصيات .

---

(١) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٣٣]

مرتضى يشكك بوجود هذه الشخصية

ولكن الجديد في الأمر عند مرتضى ، انه جعل من هذه الاسئلة الأربعة محوراً يدور عليه حكم التشكيك بوجود هذه الشخصية ، وعنصراً من عناصر الحكم عليها بانها إلى الخرافة اقرب منها إلى الحقيقة مستنداً في ذلك إلى ان الاجابة عن هذه الاسئلة تعطي انطباعاً بعدم الثقة في أي حكم خاص بها ، فلا الشخص يمكن ان تصل في المنقول من الأخبار عنه إلى قول جزم في نسبه ، أو أصل نشأته وكذلك عن ابسط احواله كديانته ، أو بلدته التي جاء منها .

مرتضى يشكك بظاهرة السبئية

ثم ينتقل بعد ذلك إلى تحقيق هذه الحالة نفسها في الجواب عنه السؤال الخاص بـ (السبئين) فهذه النسبة كما يقول مشوشة جداً عندما يبحث عنها ، ويعتريها غموض شديد، ولا يمكن ان تستقر في الحكم عليها على حال منضبط .

وكذا دعاوي بن سبأ وأفكاره التي كما يقول ويزعم امكانية الجزم بصدورها منه أمر مستبعد والخضوع له غير ممكن .

مرتضى يشكك بدور ابن سبأ بالفتن التي قامت بين المسلمين

ثم ينتقل إلى الاهم من ذلك كله وهي أعماله التي تنسب إليه ، فيذكر بخصوص أعماله المؤرخون انه كان صاحب الدور الفاعل في كثير من الفتن التي جرت في زمانه كحادثة مقتل عثمان ، أو ما جرى بعد ذلك من محن في زمن علي رضي الله عنه.

ويدعي مرتضى ان الادوار التي تنسب إلى (عبد الله بن سبأ) انه قام بها في تلك الازمان من الصعب تصديقها ، ومن المستبعد كبيراً من جهة العقل ان يكون هذا الرجل قد ساهم فيها .

فاثبات مثل هذه الأمور له يجعله من أصحاب الخوارق كما يدعي لانها أمور متعددة جرت في اماكن مختلفة ومتباعدة ، وكل منها مستقل عن الاخر من جهة الدافع لها ، والمؤثرات التي ادت إلى قيامها وحدوثها فلا يمكن وهذه الحال

التي عليها الفتن التي جرت ان يكون لعبد الله بن سبأ دور فيها [١].

النتيجة التي وصل إليها مرتضى العسكري بعد كل هذا التشكيك

وخلص إلى نتيجة من خلال هذا المطروح من الاسئلة مفادها :

ان وجود هذا الشخص لا يمكن اثباته ، بل على العكس كل القرائن المحيطة به تشير وبقوة إلى انتفاء وجوده ، وكونه خيالاً من خيالات بعض الناس اخرجوه إلى الواقع موهمين الناس بوجود هذه الشخصية ، مسندين إليها عقائد معينة بانها هي التي اوجدتها ، معتبرين اياها السبب الفعلي ، وصاحبة الدور الأكبر في نشوب كثير من الخلافات بين الصحابة ، وحدوث الفتن تحقيقاً لاغراض سياسية ، وتوصلاً إلى مقاصد مصلحية تدفع إليها ميول طائفية ، أو تحزبات، أو تحث عليها الانتماءات [٢].

مرتضى العسكري يبحث عن تخريجات لانكار وجود شخصية ابن سبأ

وبعد ان ثبت هذه النتيجة في ذهنه وحكم بها جزماً في وجدانه ، أخذ يبحث يميناً وشمالاً ، ويقلب الكتب والمصادر ، ويعمل آلاته ، واسباب العلم عنده في الروايات والاخبار واسانيدها وطرقها ، مع التنقيب عن الرجال الذين رووها من أهل هذه الأسانيد لعله يصل إلى ايجاد مستند يتوصل به إلى إثبات الحكم الذي اصدره بخصوص هذه الشخصية ، ولعله يتمكن من التوصل إلى حجة صالحة للاقناع بالنتيجة التي اخرجها من بحثه عن هذه الشخصية .

سيف بن عمر هو الأصل في إثبات وجود ابن سبأ حسب مرتضى

وبعد طول عناء منه واخذ ورد وتجاذب كشف عن أمر خطير ، ومسألة تعد في العلم مجازفة ، وفي التحقيق والبحث غريبة ومستغربة ، وفي أحكام العقل والمنطق تخميناً وتخرصاً ، هذا الأمر هو :

ادعاؤه ان مصدر انشاء هذه الشخصية ، واثباتها واقعاً يرجع إلى راوي واحد لا

---

(١) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٣٣ – ٣٦]

(٢) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٤٠]

غير اسمه (سيف بن عمر) مدعياً ان هذه الشخصية لم تعرف إلا عن طريق هذا الراوي ، وان كل من ذكره انما كان سيف هو مرجعه فيه [١].

تاريخ الطبري الوعاء الوحيد لروايات سيف الخاصة بأبن سبأ . حسب مرتضى

مضيفاً إليه ادعاءه الاخر الاغرب والاخطر من ان كتاب تاريخ الطبري هو الذي اشتهرت عن طريقه روايات (سيف بن عمر) الخاصة بعبد الله بن سبأ فكان هو المعتمد في هذا الشأن ، وان جميع من نقل قصة ابن سبأ بكل متعلقاتها انما قام باخذها من معين الطبري ، واستقى اخباره من كتابه هذا سواءاً اشار إلى ذلك صراحة بأنه قد اخذه من الطبري عن طريق ذكره للجزء والصفحة ، أو كان متناولاً لكتابه هكذا من غير اعتماد ، أو حتى لو لم يذكر ، أو يشير إلى الطبري فهو يعتبر اخذاً منه باعتبار الطبري له مصدراً وعليه الاعتماد لمن جاء به بعده .

فهذه المقدمة الأولى التي ثبتها مرتضى ان (عبد الله بن سبأ) لم يعرف إلا عن طريق الراوي (سيف بن عمر) ، وان الطبري الوعاء الوحيد لروايات سيف الخاصة بعبد الله بن سبأ [٢].

اساقط الراوي سيف بن عمر

اما المقدمة الثانية :

فتتوجه إلى شخص (سيف) مباشرة باعتباره راو من الرواة ، وما هي الأحكام الصادرة بحقه من قبل أهل الاختصاص بجرح الرواة وتعديلهم ، وبعد ان ساق الأقوال الخاصة بالحكم على (سيف) ، متناولاً اياها من جهة واحدة وبطريقة تتناسب مع اختياره .

وصل إلى حكم باسقاط هذا الرجل (سيف) جملة وتفصيلاً ، تمثل بالغاء اعتبار أي مروي ورد عنه سواءً كان هذا المروي عنه فيما يخص الأحكام ، أو

---

(١) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٤٥ – ٦٨]
(٢) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٧٦]

الأخبار لأن الضعف الصادر بحقه مسقط لكل صادر عنه ومنقول عن طريقه[١].

لذا فالذي يأتي به سيف اخباراً كانت أو احكاماً مردود ومرفوض ولا يمكن ان يعتمد عليه أو يستند إليه ، وبالتالي فإن أخبار (عبد الله بن سبأ) التي رواها (سيف) تندرج تحت هذا الحكم وتلغى من الاعتبار ، وتكون من صنف الاباطيل، والاكاذيب ، والمخترعات ، فهذه هي صورة الدليل الذي عليه بنى مرتضى حكمه وبواسطته ثبت حسب ظنه مدعاه ، واسس لتفريعه القاضي بانكار وجود شخص (عبد الله بن سبأ) .

ولتصوير دليله على شكل معادلة ، نقول :

المقدمة الأولى :

عبد الله بن سبأ لم يعرف إلا عن طريق (سيف بن عمر) .

المقدمة الثانية :

سيف بن عمر ضعيف ، والرواية عنه مردودة وباطلة .

النتيجة :

عبد الله بن سبأ الرواية الواردة فيه مردودة وباطلة .

---

(١) [عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٧٣ – ٧٥]

مقدمات مرتضى العسكري تتساقط واحدة تلو الاخرى

ان الذي ينظر إلى هذا الدليل المعروض قد يتبادر إلى ذهنه في بادىء الأمر امكانية ان يكون له وجه قبول لوجود قوة ظاهرية في عرضه ، وفي تأصيله وفي بناء الأحكام عليه ، ومما يثبت هذه القوة الظاهرية في الذهن مصادمة هذا الدليل ، والناتج عنه لما عليه العلماء والمؤرخون السابقون لمرتضى ، وكذلك مخالفة صاحبه لجميع المتقدمين والمتأخرين باخراجه هذا القول الشاذ، واعلانه لهذا الاكتشاف ، كما ان العرض المحرر لهذا الدليل ومقدماته يوحي بالاستقصاء التام ، والاستقراء الكامل الذي قام به صاحبه والذي عليه بنى نتيجته التي توصل إليها بالحصر للمرويات عن عبد الله بن سبأ براوي واحد، وقصره للكتب التي اوردته بكتاب واحد .

ولكن هذه القوة الظاهرية لا تلبث ان تزول وتنمحي ، ويبدأ أثرها بالاضمحلال والاختفاء ، ويبدأ ضوئها الذي يشع ابتداءاً بالخفوت والانطفاء، عن طريق عملية بسيطة جداً لا عناء فيها ولا تعب تتمثل باخضاع المقدمات هذه التي ذكرها للبحث والتحقيق باستخدام الطرق العلمية الصحيحة والمعتبرة في البحث واعمالها فيها .

وكذلك باخضاعها إلى عملية تتبع وتأكد للروايات ورواتها في المصادر التي حوتها، وستظهر للباحث بعد ذلك بدون ادنى شك حقيقة ذات قوة ظاهرية وباطنية ، مفادها :

ان هذا الدليل الذي بنى عليه مرتضى ادعاءه ، وتلكم المقدمات التي توصل عن طريقها إلى النتيجة والاكتشاف لا يمكن ان تقبل ولو احتمالاً ، ولا يمكن ان يجزم بها مع التأكد والتحقق منها مطلقاً ، وان القصور والضعف يعتري هذا البحث الذي قدم له مرتضى من كل الوجوه ، وان أي نتيجة أو قرار اتخذ بناءاً على هذا المعروض لا يسلم له ، ولا يخضع العقل والعلم لمدلوله ، ولا يقبله الواقع .

هذه الحقيقة كما ذكرت يمكن لاي انسان باحث الوصول إليها إذا ما بحث في الموارد والمصادر الخاصة بعبد الله بن سبأ الموردة لاخباره والحيثيات المتعلقة به، سواءاً منها التي عرضها مرتضى أو التي لم يعرضها .

ولتسليط الضوء على هذه الحقيقة ساقوم بتناول مقدماته واحدة تلو الاخرى مبيناً واقعها الحقيقي التي هي عليه متوصلاً بذلك إلى نقضها وابطالها .

مجازفة كبيرة وغريبة من قبل مرتضى

المقدمة الأولى :

[والمتمثلة كما ذكرنا بادعائه ان مصدر الروايات الخاصة بعبد الله بن سبأ هو سيف بن عمر وحده] .

أقول :

ان الروايات التي حوتها كتب الأخبار سواءً منها الشيعية أو السنية التي وردت بخصوص شخص (عبد الله بن سبأ) قد بلغت حداً من الكثرة كبير ، ومن التنوع في العرض والبيان الشيء الكثير .

لذلك فإن اصدار أي حكم محدد لمصدر هذه الروايات يعتبر من المجازفة غير المحسوبة والتصرف غير المسؤول وعليه ففعل مرتضى هنا يمكن ان يوصف بأنه مجازفة كبيرة وغريبة ، وفي نفس الوقت عجيبة لأن ارجاع مصدر كل هذه الروايات على الرغم من تعددها ، وتعدد مضامينها إلى راو واحد هو الراوي (سيف بن عمر) مدعياً انه هو الذي قام بوضعها واختلاقها أمر خطير وكبير .

ولعل هذا هو الذي حدى بالسيد مرتضى العسكري لافراد مجلدين كاملين لأجل توجيه هذه الروايات وتطويعها لتكون متناسبة مع الادعاء الذي عرضه .

ان ابطال مقدمة مرتضى هذه لكشف حقيقتها لن يحتاج منا إلى وقت طويل، أو جهد كبير ، ولكننا لأجل اقامة الحجة ، وترسيخ هذه الحقيقة سنعرضه بشيء من التفصيل على شكل نقاط لأجل حسم مادة هذه المقدمة حسماً قاطعاً لدابرها، وكالاتي :

اثبات وجود ابن سبأ بأسانيد ليس فيها سيف بن عمر

اولاً :

ان هذه المقدمة قاصرة قصوراً بيناً لعدم استيعابها دائرة البحث المعتمدة الاستيعاب المطلوب فالقصور التحقيقي يحيط بنسجه هذه المقدمة الخاص بمصادر الرواة الذين نقلوا ما يتعلق بشخصية (عبد الله بن سبأ) ، فإن الباحث في الروايات الخاصة بعبد الله بن سبأ وما يتعلق به يتبين له جلياً ان الاعتماد في إثبات هذه الشخصية لم يكن عن طريق (سيف بن عمر) وحده ولا انحصرت هذه القضية به فقط فهناك أسانيد وطرق كثيرة غير المذكورة عن (سيف بن عمر) وردت عن السنة والشيعة اثبتت وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) واثبتت عقائده ودعاويه التي دعى إليها .

وسأسوق إليك بعضاً منها ومن كلا الطائفتين الشيعة والسنة لتثبيت الحكم عليه بالقصور البحثي ، وعدم الدقة في التحقيق والبحث واصدار الأحكام .

ففي كتب الشيعة قد وردت روايات عن الأئمة المعصومين عندهم تثبت وجود هذا الشخص ، وتثبت أثره عليهم وليس في سندها (سيف بن عمر) وقد سقنا إليك هذه الروايات في المدخل ويمكن ان نبوب ما تضمنته بما ياتي :

ان عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله ، أو ان الأئمة لعنوا من كذب عليهم وكان على رأسهم عبد الله بن سبأ هذه مضامين هذه الروايات ، وساذكر إليك اسانيدها فقط لتعرف هذه الحقيقة :

* حدثني محمد بن قولويه القمي ، قال : حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي ، قال : حدثني بن عثمان العبدي ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن سنان ، قال : حدثني أبي ، عن أبي جعفر عليه السلام .

* حدثني محمد بن قولويه ، قال : حدثنى سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

* حدثني محمد بن قولويه ، قال : حدثني سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى ، عن علي بن مهزيار ، عن فضالة بن أيوب الازدي عن أبان بن عثمان ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

* وبهذا الاسناد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير . وأحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبيه والحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي ، قال ، قال علي بن الحسين عليه السلام :

* وبهذا الاسناد عن محمد بن خالد الطيالسي ، عن ابن أبي نجران عن عبد الله، قال ، قال أبو عبد الله عليه السلام [1] * .

أقول :

ولما عليه هذا الأمر من الوضوح الكبير فإن أي أحد يمكنه إلا التصريح بها واعلانها ورفض ما أورده مرتضى في هذا الجانب رفضاً قاطعاً .

قال محمد علي المعلم راداً على مرتضى العسكري ادعاءه ان مختلق الاسطورة السبئية هو (سيف بن عمر) رواها عنه الطبري ، ومن ثم اشتهرت عن طريقه ما نصه :

[ولكن جميع الروايات التي وردت من طرق الشيعة والمروية في كتاب الكشي بالذات لم يرد فيها ذكر (سيف بن عمر) ، ولم يثبت ان الكشي قد روى عن الطبري شيئاً من تاريخه في كتابه] [2] .

---

(1) [اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) / الشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢٣]

* **أورد هذه الروايات الكثير من علماء الشيعة في كتبهم ومنهم :**

[وسائل الشيعة / الحر العاملي ج ٢٨ ص ٣٣٦] [مستدرك الوسائل / الميرزا النوري ج ٩ ص ٩٠] [خاتمة المستدرك / الميرزا النوري ج ٤ ص ١٤٢] [معجم رجال الحديث / الخوئي ج١١ ص ٢٠٥] [مجمع الرجال / القهبائي ص ٢٣٤] [جامع الرواة / الاردبلي ص ٣٢١] [البحار / المجلسي ج ٥٢ ص ٢١٣] .

(2) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢٨]

وأقول :

فهذه هي الأسانيد امامكم شيعية خالصة وتنتهي إلى القمم عند الشيعة وهم ائمتهم المعصومون ، ليس فيها مطلقاً (سيف بن عمر) ، بل ليس في اسماء رواتها أحد اسمه (سيف) أو اخر اسم ابيه (عمر) .

فما هو ياترى قول مرتضى في هذه الأسانيد ؟ ولماذا أعرض عنها ؟

الجواب :

هذه الروايات تسربت ودست في كتبهم

ان ادعاء مرتضى العسكري بأن شخصية (عبد الله بن سبأ) كانت من اختراع الراوي (سيف بن عمر) تقتضي حصر وجود هذه الشخصية باهل السنة لذلك فهو أعرض عن إيراد هذه الروايات الشيعية باعتبارها أصلاً يعتمد عليه في ايرادها ، ولكنه اوجد توجيهاً يرمي إلى كون هذه الروايات قد تسربت اليهم، ودست عليهم كما سيتضح ذلك لاحقاً في مناقشتنا لتبريراته .

اما نحن فنقول :

ان هذه الأسانيد دليل قاطع على بطلان دعواه ، وحجة دامغة تنقض ما سطره، بدليل قبول علمائه لها وخضوعهم لمضامينها ، كما ان العبرة في اصدار الأحكام وتأصيلها انما هو الواقع المشهود والمذكور المتحقق ، وكلاهما يقضيان بأن هذه الشخصية كما انها وردت عن (سيف بن عمر) فقد وردت عن غيره، ولا يوجد مانع لا من العلم ، ولا من العقل ، ولا من الواقع يمنع من ورود هذه الشخصية عن أكثر من راوي ومن طرائق متعددة ومختلفة .

اضافة لكل ذلك فإن الشهرة التي حملتها هذه الشخصية ، وثبتت لاتباعه جعلت من قبول الروايات الواردة في حقه امراً متسالماً عليه ومقبولاً من قبل الجميع وعليه فإن ادعاء مرتضى هنا لا يخرج عن كونه دعوى فارغة ، مبنية على التخمين والاستنتاج البعيد كل البعد عن الضوابط العلمية ، والمقررات المنطقية، والواقع المشهود .

اهل السنة اوردوا إثبات ابن سبأ من غير طريق سيف وفي غير كتاب الطبري

وكذلك فإن أهل السنة عندما اوردوا الروايات الخاصة بعبد الله بن سبأ لم تنحصر طرق رواياتهم بسيف بن عمر ، فهو ليس المصدر الوحيد لاخبار عبد الله بن سبأ وهذا ثابت عنهم ومقرر فيما بينهم ، وإذا كان الغالب من روايات (عبد الله بن سبأ) وردت عن سيف بن عمر فهذا لا يدل مطلقاً على انحصارها به عقلاً، فضلاً عن تحققه واقعاً .

فهذا ابن عساكر لم تقتصر طرق روايته على سيف وانما اورد في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها أصلاً وكلها تثبت وجوده ابن سبأ وتحقق اثاره وإليك البيان :

* عن عمار الدهني ، قال سمعت أبا الطفيل يقول ، رايت المسيب ابن نجبه اتى به ملببه يعني ابن السوداء وعلي على المنبر فقال علي ما شأنه ؟ فقال يكذب على الله ورسوله .

* وعن يزيد ابن وهب عن علي قال : مالي ومال لهذا الحميت الاسود .

* ومن طريق زيد ابن وهب أيضاً ، عن سلمه عن شعبة قال علي بن أبي طالب : مالي ومال هذا الحميت الاسود يعني عبد الله بن سبأ ، وكان يقع في أبي بكر وعمر *.

فهذان طريقان ثابتان عند السنة تؤكدان حقيقة وجود ابن سبأ وتحققه في الواقع ليس فيهما (سيف بن عمر) فالاول عن عمار الدهني ، والثاني عن يزيد بن وهب .

---

* [نقلت هذه الاحاديث من كتاب (عبد الله بن سبأ / سليمان بن حمد العودة ص٩٨) المأخوذة أصلاً من كتاب (تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر ورقة ١٢٤)]

قال الشيخ سليمان بن حمد العودة عن هذه الأحاديث ما نصه :

[أرسلت للشيخ ناصر الدين الألباني (جزاه الله خيراً) أسانيد هذه الروايات لدراستها فضبطها بين صحيح ، وحسن صحيح لغيره] .

وكذلك مما يذكر هنا انهما لم يكونا من محتوى تاريخ (الطبري) ، وانما اوردهما ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ، وهذا وحده كاف في نقض ادعاءات مرتضى العسكري وابطال تخميناته وظنونه .

فها هنا العبرة بالوجود لرواة اخرين غير (سيف بن عمر) قد تحققت وثبتت فلماذا الاعراض عنها ؟ وكيف التوجيه لها ؟

ان هذا يثبت ما ذكرناه من ان مرتضى لم يكن دقيقاً في بحثه ولم يحصر دائرة بحثه هذا حصراً تاماً والنتيجة كانت هي الموجه إليه في مسعاه ، فترتب على ذلك حدوث النقص والتقصير في بحثه وتحقيقه * .

*** روايات أخرى لم ترد عن طريق سيف بن عمر**

واذا ما اعترض احدهم على هذه الروايات بقوله انها من القلة بمكان بحيث يصعب الخضوع لها أو الاعتماد عليها في بناء الأحكام على مثل هكذا قضية شائكة وخطرة ؟

قلنا له ان المقام ليس مقام سرد للروايات ، وجمع للطرق فنحن قصدنا فيما ذكرنا ابطال دعوى مرتضى بانحصار إيراد (عبد الله بن سبأ) في الروايات بـ (سيف بن عمر) وهذا الابطال يكفي فيه إيراد رواية واحدة قد نقلت عن غير سيف وهذا الذي فعلناه .

اما الذي يبحث عن التكثر والاستزادة من الطرق والروايات ، فعليه اما ان يبحث بنفسه أو ان يرجع إلى من جمع طرقاً وبحث عن الروايات فسيجد ضالته هناك ، فعلى سبيل المثال وبحسب علمي ان الدكتور سليمان بن حمد العودة قد عثر على (خمس) طرق أخرى اوردت ذكر (عبد الله بن سبأ) ولم تكن عن (سيف بن عمر) .

وقد استدرك عليه الدكتور حسن بن فرحان المالكي ثلاث أخرى فصار المجموع (ثمانية) و (الثلاثة) الأول فتحصل عندنا (أحد عشر) رواية ضاماً إليها ما عند الشيعة من روايات مسندة إلى ائمتهم فاجتمع لنا عدد لا يستهان به من تلكم الروايات التي اوردت ذكر ابن سبأ ولم تكن عن طريق (سيف بن عمر) .

وفوق كل هذا تلقي العلماء سنة وشيعة – متأخرين ومتقدمين – لقضية ابن سبأ بالقبول وتوافقهم على الحكم بوجوده واثبات الأثر له فلا اظن بعد كل هذا ان يبقى مجال للاعتراض ، أو ان تبقى في الذهن حيرة أو شك من هذا الأمر تؤدي بالبعض إلى التردد ، أو الاستغراب ، أو التساؤل .

[راجع كتاب : آراء واصداء حول عبد الله بن سبأ وروايات سيف في الصحف السعودية / ص ١٦٤ – ١١٩]

[راجع تحقيق بعضا من هذه الروايات في كتاب : توضيح البيان عن مؤسس الشيعة عبد الله ابن سبأ بين اقلام أهل السنة والشيعة وغيرهم / أبي الحسن علي بن أحمد بن حسن الرازحي ص ٤١ – ٥١]

ثانياً :

تلقي العلماء للروايات المثبتة لوجود شخص ابن سبأ بالقبول

هناك قضية مهمة تتعلق بهذا الحكم الذي اصدره مرتضى بشأن (عبد الله بن سبأ) ، والقاضي بكونه شخصية مختلقة اختلقها (سيف بن عمر) ، مفاده بأن المتلقى من السابقين على وجه القبول والرضا لا ينظر فيه بعد هذا التلقي إلى الاسانيده ، أو حكمها .

وهذه قضية مؤثرة ، وعلى جانب كبير من الاهمية فكثير من أمور الدين ومسائله والتي عليها الاعتماد ، وتقوم على أثرها الفتاوى لا دليل ناهض يثبتها، ولا يمكن ان تجد لها حجج مقبولة ، فعند التتبع لاسانيدها ، وعند البحث عن الأحكام الصادرة بحقها نرى ان هذه الأسانيد لا ترقى إلى درجة القبول ، وكذلك نجد ان الأحكام الصادرة بخصوص هذه الروايات هي الضعف المبني عليه الرد والبطلان .

ولكن في الجانب الاخر يأتي مرجح ، يقوي من شأن هذه الحجج ، ويرقي درجتها ، ويجعل منها مرجعاً يمكن ان يعتمد عليه في البناء والاستدلال .

المرجح هو تلقي العلماء لهذه الروايات بالقبول ، وتسليمهم بالاحكام المبنية عليها ، والمضامين التي دلت واشارت إليها ، على الرغم من وجود علل في تلك الروايات يحكمها بالضعف .

والقول هذا ليس امراً كيفياً ميلياً وانما هو قبول أثرت فيه عوامل عدة من مثل تحقق العلم بمضمون هذه الروايات نتيجة لشيوع الأمر الذي تدل عليه واشتهاره بين الناس، فتكون حينها الرواية امراً ثانوياً يؤتى به للتعاضد والتقوية، أو قد تكون وجود مطابقة لهذه الرواية لواقع يعيشون فيه ويتعاملون معه ، أو قد تكون هذه الروايات موافقة للاصول المقررة عندهم والضوابط المعتمدة فيما بينهم ، وقد تكون حالات الضعف المنسوبة لاسناد والملحقة براوي منتفية بخصوص هذا الأمر المتلقى بالقبول .

وجوب الالتزام بما اتفق علية المتقدمون

لذا فالذي عليه المتأخرون هو الوقوف امام ما اتفق عليه المتقدمون ، بالتسليم وتلقي ما اقروا به واعترفوا بالقبول ، حتى لو لم يكن الدليل عليه ناهضاً أو مستقيماً ، لأن حال المتأخر هو التلقي التام ، والانقياد المطلق ، والخضوع للوارد عن السابقين في كل الاحوال ، فحتى في الخلاف فالمتأخر لا يخرج عن خلافهم المتقدمين وترجيحه انما يكون بناءاً على الادلة التي نقلوها ، فكيف إذا كانوا متفقين ، وقابلين لحالة من الحالات أو حكم من الحكام أو خبر من الأخبار لا شك ان الانقياد لهم سيكون اتم واشد واسلم .

وفي قضيتنا هذه الخاصة بعبد الله بن سبأ نجد ان المتقدمين من العلماء، والمؤرخين ، والمصنفين من أصحاب الكتب المختلفة قد اتفق قولهم على إثبات وجود هذه الشخصية ، والقبول بمتعلقاتها وحيثياتها ، وتناقلوا اخباره متعاملين معها على اساس البناء والاعتماد .

تطبيق قواعد مرتضى على المذهب الشيعي ينسفه نسفاً

لذا فعلى مرتضى ان لا يغفل عن هذا الأمر ، وان لا يتجاوز قدره ، خصوصاً في هذه المسائل لأن هذا الباب في المخالفة لو فتح على مصراعيه لم يبق أمر من المنقول عن السابقين والمعتمد عندهم إلا وانطبقت عليه هذه الحالة وامكن رده بناءاً عليه بكل سهولة .

واخص بالذكر هنا (الطائفة الشيعية) فالغالب من معتقداتها ، وتاريخها، ورموزها ، وشخصياتها وحتى عباداتها لم تثبت إلا عن طريق التلقي بالقبول لها من علمائهم المتقدمين لانتفاء الادلة الناهضة المثبتة لها .

فلو طبقنا عليها قاعدة مرتضى العسكري هنا في التحقيق والبحث لنسفت حيثيات التشيع نسفاً ولم يبق لها على الأرض عوجاً ولا امتا لانتفاء أي دليل ملزم يمكن ان يثبتها أو يخضع لها .

لهذا فما جاء به مرتضى هنا يمثل جرأة عجيبة ، واقدام خطير فهو الغى كل اعتبار للعلماء والمؤرخين من السابقين المعتمدين عندهم باقدامه على انكار

ما هو ثابت ومشتهر عندهم والواصل إلى درجة اعتباره من الأمور المفرغ منها فيما بينهم ، كما انه لم يهتم بما ينبني على فعلته هذه من لوازم خطيرة تقضي باستئصال مذهبه هو من الجذور والعروق .

ثالثاً :

انكار ابن سبأ ممتنع بعقائد وجماعات نسبت اليه

ان (عبد الله بن سبأ) عندما تناوله أهل التواريخ ، وكذا أصحاب المصنفات في العلوم المختلفة لم يقصدوا بتناولهم له شخصه بعينها أو ذاته المجردة ، وانما كان مرادهم من تناوله هو البيان للاثار التي خلفها في الواقع بعده ، وللعقائد التي تركها مبثوثة بين الناس ، فنفي تحقق ابن سبأ كشخص ، أو انكار وجوده في الواقع لن يكون ذا تاثير مباشر على القضايا المتعلقة به من الأفكار التي بثها والعقائد المنسوبة اليه.

لذلك فالذي يحاول ان ينكر شخصية ابن سبأ ، أو ينفي وجودها فعليه لزوماً نفي كل ما يتعلق بهذه الذات من عقائد بثتها ونسبت إليها ، ومن مخلفات فكرية بقيت رواسبها عالقة في اذهان الناس إلى يومنا هذا .

وهنا وفي مقام ايضاح الخلل الذي تحويه هذه المقدمة التي اصلها مرتضى، نقول :

ان حصر إثبات هذه الشخصية بالراوي (سيف بن عمر) لأجل نفيها غير كاف في هذا المقام ، وذلك لوجود عقائد وافكار منسوبة إلى هذه الذات منتشرة بين ثلة من الناس مؤمنين بها ومعتقدين بمضامينها ، خاضعين مذعنين، وداعين اليها.

فكيف إذا ما تم نفي ذات ابن سبأ وانكارها يتسنى انكار هذه العقائد ، أو توجيهها ، أو حملها على محامل تتناسب مع نفي الذات التي هي الأصل في هذه العقائد والافكار ؟

فنحن عندما نرجع إلى كتب المقالات والفرق نجد انفسنا امام كم كبير من الجماعات والفرق ، هذه الجماعات عندما يتم تناولها في هذه الكتب يتفرع هذا التناول إلى فرعين :

الفرع الأول :

ما يتعلق بتسمية الفرقة ، والدعاوى والعقائد المنسوبة إليها والخاصة بها والمميزة لها عن الاخرى .

والفرع الثاني :

ما يتعلق بالشخص المنشىء لها القائم بتأصيل معتقدها ونشره بين الناس ، والعبرة في الحكم على فرقة من الفرق أو جماعة من الجماعات انما هو بالعقائد الخاصة بها والمميزة لها .

الاصل في النقاش الفكر والمعتقد وليس الاشخاص

اما مسألة الشخص المخترع المكون للفرقة فهي مسالة ثانوية في البيان والتوضيح لاصل النشأة وكيفية الانطلاق ، ولهذا عندما يتم الرد على أهل الفرق والنقاش معهم لا ينظر اصالة إلى المنشئْ والمكون لمعتقد هذه الفرقة لانه غير مؤثر بصورة مباشرة ، ولا يترتب على تناوله وذكره أي اعتبار جوهري في الحكم على المعتقد ، وانما الذي يتم نقاشه ويعرض للمناظرة هو المعتقد والفكر الذي يلمس أثره ويحس بخطره ويجب معالجته لئلا يضيع الحق ويضل الناس عن الصراط المستقيم .

فنحن عندما نناقش الخوارج لا ننظر بالذات إلى من قام بتأسيس هذه الفرقة، أو من هو الشخص الذي دعى إلى هذه الدعوى ، لا نكلف انفسنا في تحقيق الأمور المتعلقة بها من حيث :

اين ولد ؟ ومتى ولد ؟ وكيف نشأ ؟ واين تربى ؟ ومن هي والدته ؟ وما هو عمله ؟

فهذه أمور جانبية إذا ما تم تناولها فانما يكون ذلك بقصد البيان والايضاح، والاثراء بالمعلومة ، خصوصاً إذا ما علمنا ان هؤلاء الأشخاص المؤسسين لم تكن الانظار قبل دعوتهم موجهة اليهم ، ولم يكن أحد يفكر فيهم ، أو يتعرض اليهم ، فهم اناس حالهم كحال البقية من العوام لا يأبه بشأنهم ، ولا يهتم بامر من امورهم ، ولكن بعد ظهور دعوتهم ، وتفشي اثرهم السلبي يأخذ الناس في

عرض ما يتعلق بهم من باب البيان والايضـــاح ، لا التكلـــف التحقيقـــي بقصـــد تأصيل الأحكام على هذه المعلومات .

فرق كثيرة لا تعرف معلومات كافية عن مؤسسيها

فالخوارج عندما يتم تناولهم في أي كتاب من الكتب ، وفي أي مجـــال مـــن مجالات العلم فإن التوجه المباشر سيكون للمعتقد الذي يحملون إلا وهو تكفيرهم المسلم بالكبيرة ، وعلى هذا المعتقد يدور الاخذ والرد والنقاش .

وكذا الحال مع بقية الفرق الاخرى ، مثل الجهمية ، والمعتزلة ، والخطابية، والقدرية ، والكرامية ، والقرامطة ، فهذه المعتقدات كلها تنسب إلى أشـــخاص إلا ان المعلومات الواردة بشأنهم مما يتعلق بتفاصيل حياتهم غير مكتملة ،ولا مؤكدة، ولا متيقن منها .

فعلى سبيل المثال لو أخذنا أي فرقة من هذه الفرق وتناولنا جانباً من حيـــاة مؤسسها صاحب الانطلاقة الأولى فيها ، والداعي إليها فإننا لن نجد عن حياتـــه تفصيلاً يشفي الغليل أو يسد باب التساؤلات والايراد عنه – مع وجود تفاوت في المعلومات عن هذه الشخصيات ، لاسباب وظروف خاصة بكل واحد منها مكانية كانت هذه الظروف أو زمانية خاصة به أو طارئة عليه – ، لأن المهم في الأمر كما ذكرنا هو المعتقد .

كأن المعتقد والفكر هو بحد ذاته صار معرفاً لهذه الشخصيات مثبتـــاً لهـــا كيانها فنحن عرفنا (الجهم بن صفوان) من خلال معتقد الجهمية والا فلـــو لـــم يكن لهذا المعتقد وجود لما عرف (الجهم بن صفوان) ، ولا مـــا كـــان لـــه أي تناول أو ورود ، أو حتى ذكر لا في كتاب ولا في مصنف ، وكذا (عمرو بـــن عبيد)، و(واصل بن عطاء) اللذان ينسب لهما فكر الاعتزال ، وهكذا بالانتقـــال إلى بقية الفرق .

فالمعتقد والفكر صار دليلاً يستدل به على الذات والشخصية ولذلك استغنى مـــن استغنى من الكتاب والمؤرخين عن تناول التفاصيل الخاصة بأمور حياة هـــؤلاء الناس المؤمنين للفرق ، ولم يتعبوا انفسهم بجمع الأسانيد والطرق المتعلقة بهـــذا

الشأن لانها بطبيعة الحال لن تغني شيئاً ، ولن تأتي بجديد في معرفة ونقاش المعتقد فهي تحصيل حاصل وتناول لواقع ثابت ومفروغ منه ، فكما قالوا :

[البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير] ، و [الدخان يدل على النار] و [العلة تدل على المعلول] ، و [السبب يدل على المسبب] .

وكذا في تعدية هذا الحكم نقول :

ان الفكر والمعتقد المبثوث والمنتشر بين الناس يدل على صاحبه ، ويشير إليه ويعرف به ، فعندما يقال (السبئية) أو (السبئيون) فيتبادر إلى الذهن مباشرة عند هذا الاطلاق (عبد الله بن سبأ) باعتباره المؤسس لهذه العقائد الناشر لها .

القصد من هذا كله ان ارجاع الروايات الخاصة باثبات شخصية (عبد الله بن سبأ) إلى الراوي (سيف بن عمر) بقصد انكارها ، ونفي وجودها لا يكفي في هذا الشأن، ولا ينبني عليه حكم جازم وقاطع ، فنحن امام معتقد كامل ينسب إلى هذا الرجل وافكار خاصة وجدت عند جماعة من الناس يرجع اصلها إليه هي المحدد لهذه الشخصية والمثبت الحقيقي لوجودها وهي المطلب الرئيسي الذي ينبغي ان يتعامل معه وان تتوجه إليه الانظار .

لذا فهذه المقدمة قاصرة من جهة تحديد المطلب الذي عن طريقه يحكم بوجود الشخصية ، أو نفيها فهي لم تستوعب جميع متعلقات الشخصية التي عن طريقها يتم الاثبات ويتحصل تحقيق الحكم بالوجود .

رابعاً :

شهرة ابن سبأ مكاناً وزماناً

لقد ذكرنا في تناولنا لشخصية (عبد الله ابن سبأ) ان تناول الشخصية اثباتاً أو نفياً له متعلقات متعددة ، ويكون بطرق مختلفة ، ويتحدد بمعطيات كثيرة، واشرنا في ذلك المبحث إلى قضية الروايات ، واقوال العلماء والاثار وكذلك إلى الأمر المتعلق بالشهرة .

تلكم الشهرة التي قد تغني في بعض الاحيان عن الأثر والخبر ، وتكفي في تحقيق النسبة ، واثبات الحكم دون الحاجة إلى جمع أسانيد ، وتحقيق رواية.

وهنا في قضيتنا هذه عندنا شخصية قد تحقق لها من الشهرة الشيء الكثير ولا يمكن ان يستهان به ، فتناول هذه الشخصية سواءاً ما يتعلق بالذكر الزماني ، أو الذكر المكاني من قبل الناس كان واسعاً .

فبالنسبة للزمان الذي وجدت هذه الشخصية فيه نجد استفاضة من قبل أهل التواريخ في تناولها وعرض ادوارها في صور عدة ، وتحت عناوين حوادث كثيرة ، ومجريات تاريخية متنوعة ، فكثير مما جرى في العقد الرابع الهجري يسمع اسم هذه الشخصية في اثنائه مرتبطاً بحيثياته ، فلا تخلو حادثة أو تكاد إلا ونجد اسم (عبد الله بن سبأ) متداولاً فيها معروضاً في ثناياها .

وكذلك الحال بالنسبة للدور المكاني ، فلا نجد مكاناً من تلكم الامكنة التي يتم تناولها في تلك الحقبة إلا وهو متواجد فيها حاضر في ربوعها .

الشهرة والشيوع واستفاضة الذكر لا تنطلق من فراغ

وبالانتقال إلى حيز اخر وهو المتعلق بالاثر الوجودي ، نجد ان لهذه الشخصية آثار قد انتشرت ، وافكار قد بثت واستشرت وثبتت على واقع كثير من الناس وفي اذهانهم ، وانبنت عليه ردود افعال خاصة وعامة من الحكام ومن الرعية .

ان هذه الشهرة قد اكسبت هذه الشخصية دعماً اسنادياً في مجال اثباتها وفي توثيقها وتأصيلها ، كما انها رسخت القول الذاهب ليس فقط لاثباتها وانما لكونها عنصراً فعالاً في كثير من الاحداث التاريخية ، وفي المتعدد من القضايا والمجريات .

فشهرة هذه الشخصية ، وشيوع ذكرها بين الناس واستفاضة الأقوال والاختيارات القاضية باثبات وجودها ، واثبات اثارها ومعتقداتها قد قامت مقام الأسانيد المتعددة الموردة للاخبار ، وقد احتلت مكان الطرق الموصلة للاخبار.

ونعيد ونقول ان الشهرة والشيوع واستفاضة الذكر لا تخرج من فراغ إذا كانت مجردة ، فكيف إذا كانت مسندة ، وهناك أصول وطرق صحيحة ومعتمدة توردها ، وتثبتها ، وتقويها ، وتعضدها.

ان هذا الأمر يعطينا انطباعاً واضحاً ، وتصوراً كاشفاً ومنكشفاً عن السبب الذي لم يدفع العلماء والمحققين إلى التكلف في البحث والتحقيق في هذه الشخصية من جهة الأخبار الواردة في حقها ، والاثار المتناولة لها لأن أصل الشخصية روائياً ثابت وارد .

والشهرة اغنت عن زيادة البحث والتفصيل ، فصار اتعاب النفس في هذا الأمر شغل لا نفع به ، وعمل لا ينبغي ان يكون معنياً بنفسه ولا ان يضيع المرء الاوقات والجهود لاجله ، فكما ذكر ان الاشتهار يقدم مقام المتعدد من الأخبار .

احداث تاريخية ودينية ادلتها قليلة جداً

وهذا الأمر كما هو في شخص (عبد الله بن سبأ) فهو كذلك في كثير من الأمور الاخرى ، سواءاً منها المتعلق بالدين ، أو بغيره من التواريخ ، والسير في زمننا هذا ، وكذلك في الازمان الماضية .

فمن أمور الدين مثلاً حديث (النية) فهو حديث احاد ، لم يأت إلا عن شخص واحد ولكنه صار عمدة في التأصيل ، وانبنت عليه جميع أحكام الدين فقضية النية من الاشتهار بمكان بحيث لا تخفى على أحد ، أو يحتاج في اثباتها وتأصيلها إلى تكلف في جمع الروايات ، أو البحث عن أسانيد وطرق .

وكذلك في أمور التاريخ قديماً وحديثاً نجد ان كثيراً من احداثه لم يكلف العلماء انفسهم في تحقيق اسانيدها ، أو البحث عن طرق متعددة لأجل تثبيتها ، أو تأصيلها ، وانما اكتفوا بشهرتها وشيوع خبرها بين الناس .

فمن الذي يسأل عن أسانيد احتلال (المغول) لبغداد ؟ ومن الذي يبحث عن إثبات هذه الواقعة ، أو الوقائع الملحقة بها والناتجة عنها ؟

وكذلك (صلاح الدين الايوبي) وما جرى على يديه من معارك وفتوحات نصره الله بها ، من الذي يبحث عن أسانيد وطرق لأجل إثبات تلك الحوادث أو الوقائع الخاصة بشخص صلاح الدين أو ما جرى على يديه ؟

وكذلك من كان قبله من (آل زنكي) واخبارهم التي قد ملأت اجواء البلاد وافئدة العباد ، انتقالاً إلى (ملوك الدويلات) واخبارهم كـ (الحمدانية، والبويهية ، والاخشيدية) .

وصولاً إلى مجريات (العهد العباسي الأول) والحوادث التي جرت فيه وما قضية (وامعتصماه) من أهل التحقيق بالاخبار ببعيد .

وصولاً إلى ما يدعى من رفع (عمر بن عبد العزيز) لـ (سب علي) من على المنابر.

مروراً بقضية (حرق) الكعبة ، ورميها بـ (المنجنيق) على يد (الحجاج).

عروجاً إلى (استباحة المدينة) على يد جيش (يزيد) .

انتقالاً إلى الطامة الكبرى ، والفاجعة العظمى التي لا يزال الناس يعيشون اثارها إلى يومنا هذا ، إلا هي (واقعة الطف) وما ادراك ما هذه الواقعة، ومن الذي قام بنقلها ؟! واقعة زرعت الكثير من الاحقاد والهبت المشاعر والاحاسيس، والقت بثقل الكره والبغضاء على الغير حتى انتجت اسوأ ما يمكن ان يتصور من القتل والتهجير واستباحة الاموال والاعراض مما سمعنا به ومما نراه الآن تحت شعار (يالثارات الحسين) المنطلق من وحي معركة الطف .

هذه الحادثة على رغم كل هذه الاثار السلبية والمجحفة المتولدة بسببها ، فإن أكثر ما روي عنها جاء عن طريق أبي مخنف (لوط بن يحيى) ، وهو أسوء حالاً، واشد ضعفاً عند رجال الجرح والتعديل من سيف بن عمر .

أحداث ما قبل الإسلام

ذهاباً بالزمان بعيداً إلى ما قبل الإسلام والمنقول فيه من الأخبار كحفر عبد المطلب لبئر (زمزم) ، واخراجه الكنوز المدفونة فيه ، وحلف الفضول، واخبار القبائل العربية وما جرى بينها من حروب كـ (خزاعة ، وجرهم، والعماليق ، وقريش) ، إلى تلكم الأخبار البعيدة الغابرة في الزمان كاخبار (الاسكندر المقدوني) ، وملوك الرومان والقائمة تطول .

ان هذه النماذج البسيطة جداً والتي على أعلى درجة من درجات الشـــهرة ، لو اخذت تبحث عن اسانيدها ، والطرق المثبتة لها لاصابك العجب لأنك امـــا لا تجد لها طريقاً أصلاً ، أو تجد لها طريقاً ولكنه طريق ضعيف لا تقوم به حجـــة، أو يكون مدار نقل الاحداث كله عن شخص واحد لا غير ، وقد يكون ساقطاً في الاعتبار اما لانه لا دين له ، أو لكونه متهماً في دينـــه بزندقـــة ، أو كـــذب ، أو خيانة.

الاحداث المعاصرة

وفي وقتنا الحاضر من الذي يبحث عن اسناد ، أو طريق لإثبـــات وقـــوع الحرب العالمية الأولى ، أو الثانية ، أو إثبات للشخصـــيات التـــي قامـــت بهـــذه الحرب من القاعدة والزعماء ؟

ومن الذي يبحث عن أسانيد وطرق لإثبات الجهاد الفسطيني لليهـــود قبـــل اعلان الدولة اليهودية قبل (٤٨) ، فهل يستطيع أحد ان ينكر وجود (عز الدين القسام) ، أو (الحسيني) الذي خلفه ؟

ومن الذي يبحث عن أسانيد لإثبات (ثورة العشرين) في العراق ؟

ومن ذا الذي ينكر ان الشيخ (ضاري) هو الذي قتل اللورد (ســـجمن) ؟ ومن ... ومن .. . ومن .... .

ان الحاصل في هذه القضايا انها اصبحت من الأمور المشهورة المعلومـــة عند الناس ، والمفروغ منها ، والمتناقلة بينهم عفوياً وعرفيا وبالسليقة ، فشهرتها قامت مقام ضوابط العلم ، وقواعد التحقيق فنقلت مـــن الابـــاء المعاصـــرين، أو القريبي عهد من الحوادث إلى الابناء ، ومن المشايخ إلى الطلاب ، ومن الاساتذة إلى التلاميذ ، حتى إذا ما دونت لم يحتج المدون لها إلى جمـــع طـــرق، أو نقـــل أسانيد ، أو ان يكون الناقل لها ممن يتصف بالدين والورع .

فالمتكلم عن (الحرب العراقية الايرانية) في وقتنا الحاضر سيتكلم عنهـــا كحقيقة واقعة مشهورة ومشتهرة لا تحتاج إلى دليل ، ولا تفتقر إلـــى اســـناد، أو طريق .

الذي يكتب عنها بعد (١٠٠) سنة أيضاً سيكون معتمداً على نفس المعطيـــات،

ومنطلقاً من نفس المعايير ، ولن يحتاج في كلامه عنها وكتابته إلى اسناد طريق طريق ، وهكذا نقلت لنا الحوادث والمجريات التاريخية التي حصلت قبل (١٠٠) أو (٢٠٠) سنة ، كفتح (القسطنطينية) أو ما جرى على يد (قطز وبيبرس) في اسقاطهم للدولة المغولية .

فنحن قد تناقلنا احداثهم عن من عاصر وعايش ، وذكرها كحقائق اشتهرت بين الناس ، فانا عندما اذكر (قطز وبيبرس) لا احتاج إلى سند ، وكذا (عبد القادر الجزائري) و (عمر المختار) و (أحمد ابن ماجد الشريف الحسين) و(محمد علي الكبير) ، فهؤلاء كلهم مشهورون ، وقضية اثباتهم مستغنية عن الدليل والبرهان ، فشهرتهم واستفاظة اخبارهم لهم قامت مقام الطريق والاسناد.

شخصية عبد الله بن سبأ في زمانها لا تقل شهرة عن غيرها من شخصيات التاريخ

وكذلك الحال في (عبد الله بن سبأ) فعندما تناوله أهل ذلك الزمان القريب العهد به تناولوه على انه شخصية مشهورة ، معلوم عندهم أثرها ، متحقق فيهم الحكم عليها بالوجود ثابت عندهم الدور الذي قامت به ، فهم عندما تناولوها كان تناولهم لها كتناولنا نحن الآن للشخصيات المشهورة التي ظهرت على الساحة قبل (٣٠٠) أو (٤٠٠) .

فهذه هي حقيقة الحال ، وهذا هو الأمر كما هو على حقيقته فالشهرة هي الطاغية في هذا الأمر ، والشيوع والانتشار هما القاضيان في الاثبات والاستفاضة والمعلومات المستشرية بالعرف والسليقة هي المحددة ، والاثار المعلومة والقضايا المحسوسة الملموسة هي مناط الاثبات والمربط الذي تلجم به الحوادث والشخصيات ومتعلقاتها .

فلا ياتي شخص بعد تصرم كل هذه القرون ، وبعد كل هذه الشهرة، والاستفاضة ، والانتشار ليبحث عن سند ، وينقب في طريق ، ويعالج قضايا من اشهر ما يمكن اجتمعت عليها كلمة الأمة على اختلاف طوائفها ، مبطلاً لها،

طاعناً فيها بشبهة اقرب ما تكون إلى الخيال ، لا وزن لها ، ولا قيمة ، ولا عبرة فيها أو مثال ، فهي قياساً بواقع الحال كحبة رمل تحاول هدم جبال وجبال.

هذا ما ايراده فيما يتعلق بـ (المقدمة الأولى) تبين من خلال كل هذه الحقائق التي عرضناه قصورها ، وضعفها ، وبطلانها ، وركاكتها ، فهي لا تقوى على ان تقوم بنفسها لقصورها ، وخوارها فضلاً عن ان تكون دليلاً للوصول إلى نتيجة أو مستنداً لإثبات دعوى .

اما المقدمة الثانية :

[سيف بن عمر ضعيف والرواية عنه مردودة وباطلة] .

فهي تتعلق بالحكم على الراوي (سيف بن عمر) بصورة مباشرة ، فبعد ان بينا بطلان مقدمة مرتضى الأولى ، وعدم امكانيتها في النهوض لأجل إثبات حكم أو بناء أي قضية عليها .

نعرج الآن إلى هذه المقدمة ، والتي سيكون الكلام عليها لا لأجل الاعتماد في نقض ما توصل إليه من ادعاء ، لأن هذا قد تحقق في ابطال مقدمته الأولى ولكن لأجل تأكيد بطلان ادعاءه هذا ، مع زيادة كشف وايضاح لهذه المقدمة ابرازاً لحقائق متعلقة بها ينبغي معرفتها تكشف عن مستور مرتضى وتفضح عواره .

ان هذه المقدمة قد أصل صاحبها فيها حكماً عاماً في (سيف بن عمر) مفاده رد جميع ما ورد عنه لانه ضعيف لا يحتج بما روي عنه ، وعممت الحكم على جميع ما يرد عن طريق (سيف بن عمر) وهذا التعميم في الحكم على (سيف بن عمر) وعلى مروياته لا نراه سديداً ، ولا يمكن ان نحكم عليه بأنه أمر متفق عليه والكل مجمعون على المترتب منه .

ويمكن ان نوضح هذه الحقيقة بالنقاط الاتية :

سيف بن عمر ضعيف محدثاً

اولاً :

ان الذي يرجع إلى كتب الرجال يجد نفسه أمام أقوال كثيرة ومتعددة من علماء الجرح والتعديل تتعلق بـ (سيف بن عمر) مبينة للحكم الخاص به من

جهة كونه راوياً من الرواة الذين ورد اسمهم في أسانيد كثيرة حوتها كتب الحديث والتواريخ هذه الأقوال بينت الحكم الخاص بسيف ، والقاضي بكونه ضعيف في الاعتبار لا يحتج فيما انفرد به من الحديث ، ولا يبنى على الوارد عن طريقه أي حكم يلزم به الناس .

وإليك أقوال علماء الجرح والتعديل الخاصة بسيف بن عمر :

* قال يحيى بن معين : ضعيف الحديث فليس خير منه .
* قال أبو داود : ليس بشئ ، كذاب .
* قال النسائي صاحب الصحيح : ضعيف متروك الحديث ، ليس بثقة ، ولا مأمون.
* قال ابن أبي حاتم : متروك الحديث .
* قال ابن السكن : ضعيف .
* قال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الاثبات ، أتهم بالزندقة ، وقال: قالوا: كان يضع الحديث .
* قال ابن عدي : ضعيف ، بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها.
* قال الحاكم : متروك ، أتهم بالزندقة .
* قال الفيروز آبادي : صاحب تواليف ، وذكره مع غيره وقال عنهم : ضعفاء.
* قال ابن حجر بعد إيراد حديث ورد في سنده اسمه : فيه ضعفاء أشدهم سيف.
* قال صفي الدين : ضعفوه ، له في الترمذي فرد حديث [١].

مرتضى اختار ما يناسبه من أقوال علماء الجرح والتعديل

أقول :

هذا رأي العلماء على مدى العصور في سيف وأحاديثه ، أي ما يتعلق بسيف بن عمر حال كونه محدثاً يروي الاحاديث التي يبنى عليها الأحكام ، وتستفاد منها أمور الدين ، وهذا الحكم فيه لا يختلف عليه أحد ويتفق عليه

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ١ ص ٧٤]

الجميع.

ولكن المشكلة التي اوقع مرتضى نفسه بها انه وقف عند هذا الحد في الحكم على سيف ، ولم ينقل كل الوارد في حقه المؤثر في تحديد الحكم عليه ، وحكم المروي عنه .

فمرتضى عندما نقل هذه الأقوال قام بنقلها على وجه التبني لها والاعتماد عليها، فهو اعتمد على علماء الجرح والتعديل من أهل السنة فيما يتعلق بسيف وقلدهم في هذه الجزئية ولم يعتمد كل الوارد في حق سيف عنهم .

وبما انه قلدهم في الحكم على سيف فالذي ينبغي له في هذه الحالة هو ان يكون مستمراً في خطه التقليدي معهم في كل المذكور لا ان يأخذ جانباً معيناً من الحكم النافع له والمتماشي مع مقاصده واغراضه، ويعرض عن الجوانب الاخرى التي تتصادم مع دعاويه ، ولا تتناسب مع اختياراته .

واقصد هنا أقوال علماء الجرح والتعديل في (سيف بن عمر) حال كونه اخبارياً أي يقوم بنقل الأخبار المتعلقة بالحوادث التي جرت والوقائع التي دارت زمن الصحابة وما بعدهم ، وكذلك فيما يتعلق بالسيرة ، حيث اننا إذا ما رجعنا إلى هذه الأقوال فإننا سنجد حكماً اخر مغايراً لذلك الحكم الخاص بكونه محدثاً ومن هذا الذي ورد ما ياتي :

حكم رجال الجرح والتعديل على سيف بن عمر مؤرخاً

* قال الذهبي :

كان اخبارياً عارفاً [١].

* ويقول عنه الحافظ (ابن حجر) – وهو من هو في علم الحديث وخصوصاً ما يتعلق بالرجال – : ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ ، وقد افحش ابن حبان القول فيه [٢].

أقول :

فهذا هو حال (سيف بن عمر) إذا ما روى احداثاً تتعلق بالتاريخ فعلماء

(١) [ميزان الاعتدال / الذهبي ج٢ ص ٢٥٥]

(٢) [تقريب التهذيب / ابن حجر ج١ ص ٣٤٤]

الرجال كانوا يقبلون منه الرواية إذا كانت مما يتعلق بالتواريخ لكونها من مجال اختصاصه وفي حدود عمله وتوجهاته ، وهذا واضح في قول الإمام الذهبي حين اثبت له المعرفة بشؤون التاريخ .

ومما يثبت كونه مختصاً بهذا الشأن ما ذكره الحافظ بن حجر عندما اعتبره عمدة أي يعتمد عليه في هذا الشأن ، وتؤخذ منه الأخبار الخاصة في هذا المجال.

وايضاً مما يضاف إلى قول هذين العالمين الجليلين لإثبات هذا الحكم وتأكيده في حق (سيف بن عمر) جعل الإمام الطبري منه مصدراً من المصادر المهمة في نقل الأخبار مع عدم انكاره لما ورد عنه خلافاً لما فعل مع محمد بن عمر (الواقدي) حيث كان يستبشع منه بعض الأخبار ، وينكر عليه الأمور غير المقبولة ، كحديثه في أخبار أسباب مسير المصريين إلى عثمان .

وايضاً جعله الإمام الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام أحد المصادر المعتمد عليها في هذا الشأن ، وكذلك ابن كثير فعلى الرغم من ايراده روايات كثيرة في صفة قتل عثمان ، ومنها تلك التي وردت عن خليفة بن خياط أحد شيوخ البخاري إلا انه مال إلى تصحيح روايات سيف الناقلة لهذا الخبر [١].

فهذا هو حكم علماء الجرح والتعديل العارفين بالرجال وشؤونهم في (سيف بن عمر) واضح وبين فهم حكموا عليه بأنه رجل مختص بشؤون التاريخ ، متفرغ لجمع حوادثه ووقائعه ضعيف أو قليل الاهتمام بامور الرواية الخاصة باحاديث الأحكام وما يتعلق بها .

لكل عالم اختصاصه ومجاله الذي يتميز به

وهذا ليس امراً مستغرباً في الحكم على الرجال فـ (أبو حنيفة) مثلاً امام في الفقة ، وعمدة لا يجارى في مجاله ، لكنه في الحديث لا يعد من اهله، ولا من المختصين به [*] .

---

(١) [عبد الله بن سبأ / سليمان بن حمد العودة ص ١٠٥ – ١٠٦]

*** حكم علماء الجرح والتعديل في سيف لا ترضي علماء الشيعة**

هذه هي مجموع أقوال علماء الجرح والتعديل في (سيف بن عمر) وهي بحكمها لا تخدم =

=

اراء علماء الشيعة في (عبد الله بن سبأ) ، سواءاً منهم المثبتين لوجود عبد الله بن سبأ ، أو النافين له ، ولذلك تجدهم عندما يتناولون الحكم على (سيف بن عمر) لا يوردون إلا الأقوال الجارحة له الطاعنة فيه من جهة كونه (محدثاً).

اما الأقوال الاخرى والخاصة بالحكم عليه من جهة كونه (اخبارياً) وهذه الجهة كما هو معلوم هي المتعلقة بخصوص (ابن سبأ) فلا يوردونها مطلقاً، ولا يتعرضون لها .

وعندما ينقلون أقوال العلماء المعتمدين في علم الرجال ممن يفصل في حال (سيف) تجدهم اما ان يقتطعوا الحكم الخاص بكونه (محدثاً) فقط ولا ياتوا بالحكم الآخر الخاص بكونه (خبارياً) ، أو ياتوا بحكم على سيف في سند حديثي يتعلق بالاحكام لا بالأخبار .

مرتضى انتقى من أقوال علماء الجرح والتعديل في سيف ما يخدم أغراضه

ومصداق ما ذكرناه عالمنا الذي نناقشه في كتابه عن عبد الله بن سبأ (مرتضى العسكري) فهو من النفاة لوجود ابن سبأ ، حيث انه لم يورد أي قول من أقوال العلماء الحاكمة على (سيف بن عمر) من جهة كونه (اخبارياً) ، لانها لا تخدمه ، وتنسف كل ما بناه ، وجميع ما أصله ، والتف بمكر على ابن حجر (رحمه الله) ، فلم يات بحكمه الصريح في كتب الرجال على (سيف بن عمر) ، وانما اتجه بعيداً إلى حكم له على سيف في سند حديثي موهماً القارئ ان ابن حجر – وهو من هو خاتمة الحفاظ ، وصاحب القول الفصل في اختيارات العلماء الحديثية – يذهب إلى إسقاط (سيف بن عمر) اسقاطاً نهائياً ، ويلغي أي اعتبار له في الرواية على وجه العموم دون تخصيص حيث ذكر في كتابه :

[قال ابن حجر بعد ايراده حديث ورد في سنده اسمه فيه ضعفاء اشدهم (سيف)].

[عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / مرتضى العسكري ج١ ص ٧٥]

وكان الأولى به ان يذهب إلى الكتاب الذي وضعه ابن حجر للحكم على الرجال ليعرف حقيقة رأيه فيه ، ومتى يكون مقبولاً المنقول عنه ، ومتى يكون مرفوضاً ، وهو الذي صرح به في كتابه (تقريب التهذيب) عندما قال :

[ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ ، افحش ابن حبان القول فيه (أي اتهامه بالزندقة)].

فمرتضى لم يات بقول ابن حجر هذا لغرضين :

الأول :

ان حكمه عليه من جهة كونه (اخبارياً) لا يخدم مرتضى مطلقاً ، ويتعارض معه معارضة تامة بل ينسف ما بناه من الأصل .

الثاني :

ان فيه دفاعاً عن (سيف بن عمر) في الاتهام الموجه إليه من قبل ابن حبان والذي أورده

=

و (عاصم بن أبي النجود) امام في القراءة متخصص فيها ، وهو العمدة في القراءة التي كان يختص بتدريسها واقراءها حتى نسبت إليه قراءة (عاصم) لكنه في الحديث غير معتبر ، ولا من الذين يحتج بالمروي عنه ، فلكل مجال يختص به ، وعلم ينشغل باحتواء تفاصيله قال تعالى: ﴿ لِّكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ موليها ﴾.

وقال ﷺ : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

=

مرتضى في ترجمة سيف ، فإذا ما نقل قول ابن حجر فإنه سيوجد تخريجاً لهذا الاتهام ورداً له من قبل أهم المحققين ، والمعتمد في تمييز أقوال العلماء الحديثية في الرجال ، وتحقيقها وتنقيحها ، وعند ذاك يسقط كل ما سعى مرتضى إلى ببنائه في نقل ترجمة (سيف بن عمر).

اما أقوال العلماء المتعلقة بسيف من جهة كونه (اخبارياً) محضاً فلم يتطرق إليها مطلقاً ، كقول الذهبي فيه انه : [كان اخبارياً عارفاً] .

ولا تصرفات أصحاب كتب التواريخ والسير مع (سيف) وقبولهم لكثير من مروياته إلى حد تقديمها في كثير من الاحيان على غيرها من الأقوال .

ان هذا الفعل من (مرتضى) كما انه يدل على عدم دقة هذا الرجل في البحث والتحقيق ، فهو كذلك يدل على غرضية هذا الرجل في نقل الأقوال وسرد الأحكام ، مع دلالته الواضحة على ضعف مصداقيته فيما ينقل ويكتب ، وعلى رفع الاطمئنان عن الأحكام التي يصدرها والاختيارات التي يذهب إليها ويوجهها.

علي آل محسن يقتطع من كلام ابن حجر اقتطاعاً مخلاً

والمصداق الاخر لهذا النهج نجده فيمن يثبت وجود شخص ابن سبأ فهذا المثبت فعل نفس فعلة مرتضى في سرده للاقوال الطاعنة بسيف ابن عمر من جهة كونه (محدثاً) ولم يتطرق إلى المذكور عنه من جهة كونه (اخبارياً).

لأن الروايات الواردة عن سيف بحق ابن سبأ لا تخدمه ، ولا تتماشى مع ثوابت مذهبه .

ولكن هذا الرجل كان أشد تجاوزاً ، واقبح فعلاً من مرتضى بخصوص المنقول عن ابن حجر ، إذ انه اقتطع قول (ابن حجر) الذي اوردناه لك قبل قليل فجاء بالجزء الأول منه حيث قال :

[كان ضعيف الحديث] فقط ولم يكمل البقية .

ففضح نفسه ، وكشف عن حقيقة منهجة ، ذلك هو (الشيخ علي آل محسن) في كتابه (عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل) في نقله للاقوال الخاصة بسيف .

[عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / الشيخ علي آل محسن ص ٤٢]

اعتراض

وإذا ما اعترض معترض على هذا المذكور في الحكم على (سيف) بأنه غير منضبط ، ولا يمكن ان يعمم وخصوصاً في جانب الأخبار لأن ابن حبان قد نقل في ترجمته انه اتهم بـ (الزندقة) وهذا أمر يضعف امكانية قبول المروي عنه في التاريخ من هذه الجهة ، قلنا :

رد الاعتراض

ان هذا الاتهام الوارد عن ابن حبان لا ينبني عليه حكم مؤثر على المرويات التاريخية وذلك لما ياتي :

١- رده من قبل المحققين في علم الجرح والتعديل ، فقد قال عنه ابن حجر:

[قد افحش ابن حبان القول فيه] ، وهذه عبارة تدل على التجاوز الكبير من قبل ابن حبان في حق هذا الشخص وكونها من الأمور غير المقبولة ، ولهذا وصفه بكونه (فحش) ، وهو المتعاظم والمتناهي في البعد عن الصواب .

٢- لم يأخذ العلماء بهذا الحكم ، ولم يعتبروه مؤثراً على (سيف بن عمر) في رواياته التاريخية ، ولذا نجدهم قد تناقلوا الأخبار الواردة عنه ، واعتمدوا على الكثير منها كما بينا ذلك .

٣- ان ابن حبان لم يصدر حكماً جازماً بحق (سيف بن عمر) ولكنه ذكر عنه انه اتهم ، وكما هو معلوم ان هناك فرق بين القول (فلان زنديق) وبين (اتهم بالزندقة) .

فالاول :

يثبت الحكم على الشخص ، ويؤكده وينبني عليه اثاره .

اما الثاني :

فهو عبارة عن بيان لبعض الاراء الواردة بحق الشخص ، والقاضية بحمله على الزندقة من غير دليل مثبت ، ولا بينة محققة ، لذا يبقى هذا الراي مجرد اتهام لا ينبني عليه حكم ، ولا يكون مطعناً حقيقياً في الشخص ، ولهذا لم يعتمده أحد من العلماء ، ولم يحملوه على محمل الجد ورفضه منهم كان هو الظاهر .

عالم شيعي يبطل محاولة مرتضى في استخدامه الزندقة لاسقاط سيف

ان محاولة مرتضى العسكري استخدام تهمة الزندقة التي رمي بها سيف كذريعة لأجل الصاق صفة الاختلاق به أمر مرفوض ، ومحاولة عقيمة لبعدها عن الواقع، ولابتعادها عن مناهج المحققين ، ومسالك المؤرخين .

ولن نتعب انفسنا في الكشف عن بطلان هذه المحاولة منه لأن علماء الشيعة انفسهم قد كفونا مؤنة هذا الأمر ، فهذا العالم الشيعي محمد علي المعلم يرد على مرتضى محاولته هذه ويبطلها من وجوه عدة معتبراً اياها نكساً للحقائق، وتلاعباً في الأحكام ، وابتعاداً عن المطلوب ، فيقول :

[لقد اخفق السيد العسكري في تفسير زندقة سيف بن عمر بما ذكره ، وقد حاول التأكيد على تثبيت هذه التهمة في الجزء الثاني على العكس منه في الجزء الأول وقد اشار في (ص ١٨) من الجزء الثاني إلى ان الزندقة دفعت بسيف بن عمر إلى تشويه الحقائق ، واختلاق الاساطير ، واظهار الجيوش الاسلامية بمظهر الوحش القاسي ، وان حروبه كانت ابادية للبشر ، وجعل ذلك أهم ما ابرزته زندقة سيف بن عمر .

ولكن لو أن السيد العسكري رأى ما ذكره هو بقلم غيره فهل تراه يوافق على هذا التحليل والتوجيه والتفسير ؟

هل أن الزندقة بما ذكر لها من المعنى يمكن أن تكون بهذه البساطة والسذاجة، ويكفي في صيرورة الشخص زنديقاً أن يصحف في الأسماء ويجعل خالداً بدل عبد الرحمن ، ويزيد في أسماء البلدان والأشخاص ، ويضيف إلى أحاديثه أحاديث من عنده أو يغير التاريخ (من ١٤ إلى ١٦ أو من ١٥ إلى ١٣، أو من ١٥ إلى ١٦) وهل يمكن للزندقة أن تحقق هدفها الخطير من خلال كتابة أخبار وتسجيل أحداث يشترك الغير في تسجيلها ؟

إن الذي نفهمه من الزندقة هي الإلحاد في الدين ، وطعن أصول العقيدة في الصميم ، وإثارة التشكيك في أساس المعتقد ، وإنكار وجود الله تعالى ، كما صرح بذلك الباحثون ، أما تسجيل أحداث الردة وأخبارها ، وحرب الجمل

ومسير عائشة ، ونحو ذلك مع إضافات من نفس الكاتب فليست من الزندقة في شيء .

وغاية ما يمكن أن يقال :

إن سيف بن عمر قاص بارع ، يتمتع بخيال واسع في رصف الأحداث والأشعار غير أنه لا يبالي بتوثيق ما كتب ، ولذا يذكر مستنداً يمكن للباحث أن يرجع إليه وأين هذا من الزندقة ؟!!

والذي يبدو أن السيد العسكري حينما وجد في ترجمة سيف أنه متهم بالزندقة، ولكي لا يذهب هذا الوصف سدى فلا بد من توجيهه ، وإثبات هذه التهمة وتأكيدها، وحيث لم يجد لسيف غير ما أنفرد به من الأخبار فلا بد من تحميل ذلك كتابات سيف وأنها مصداق للزندقة وإن لم تكن كذلك][1].

وامعاناً في ابطال محاولة مرتضى هذه يكشف المعلم عن نقض العسكري لوعوده في كشفه عن أدلة زندقة سيف بن عمر معتبراً هذا النقض دليلاً على افلاسه وابتعاد حكمه هذا عن منطلقات العلم والمنهجية وحتى الواقع ، يقول المعلم :

[وقد وعد السيد العسكري بالبحث عن هذا الموضوع في كتابه الثاني (خمسون ومائة صحابي مختلق) ، ولو أنك رجعت إلى كتابه هذا لما وجدت شيئاً يرتبط بزندقة سيف بن عمر، وكل ما ذكره أن سيفا عاصر ثلاثة ممن رموا بالزندقة، وهم عبد الله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ومطيع بن إياس ، وقد جعل ذلك سبباً كافياً لإثبات زندقة سيف * .

ولكن هل أن معاصرة الزنديق تكفي للحكم بالزندقة ؟!

هذا مع أن السيد العسكري لم يذكر أي شيء يشير إلى علاقة أي من هؤلاء الثلاثة بسيف أو أخذه عنهم ، أو تأثره بهم .

على أن ما ذكره من أدلة لإثبات زندقة بعض هؤلاء موضع نظر ، ولا

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٩٣ – ٩٤]

* ان سمة اخلاف الوعد ثابتة لمرتضى فكما انه نقض وعده ببحث موضوع زندقة سيف ، فكذلك اخلف وعده بنقاش عدد آخر من المسائل في كتابه (خمسون ومائة صحابي مختلق) .

ندري كيف صدق السيد العسكري بالتهمة ورتب آثارها على سيف وحاكمه وحكم عليه من دون بينة وبرهان ؟ ولا يهمنا من ذلك إلا بقدر ما يرتبط بموضوعنا وهو ما ذكرناه] [١].

وفي ختام هذا الأمر يعرض المعلم مناقشته للعسكري على شكل نتيجة مستخلصة توضح ما توصل إليه ، فيقول :

[وخلاصة القول إنا لم نفهم معنى لزندقة سيف بن عمر ، وما فسره به السيد العسكري لا يستقيم مع ما ذكر للزندقة من معنى ، ونؤكد على أنا لسنا في مقام الدفاع عن سيف بن عمر ، وإنما في مقام مناقشة السيد العسكري في ما حلل وفسر به التاريخ] [٢].

لا يحق لمرتضى ان ينتقي ما يخدم اغراضه من أقوال علماء السنة

النتيجة التي نريد تقديمها هنا ان الحكم الذي توصل إليه (مرتضى العسكري) بشأن (سيف بن عمر) والروايات الواردة عن طريقه قد تم تلقيه جملة وتفصيلاً من قبل علماء (أهل السنة) ، فهم المعتمد عنده في هذا الأمر ، وهم المرجع الذي اتبعه في هذه القضية .

لذلك ينبغي عليه والحال هكذا ان يكون ماشياً معهم على نفس الخطى ، اخذاً بجميع ما ذكروه متناولاً للحكم على هذا الرجل من خلال الذي اصلوه فهذا هو مقتضى العلم ، وهكذا يكون التصرف ، وبهذه الوسيلة تثبت الحقائق .

اما تصرفه هنا فهو مرفوض ، ولا يمكن ان يستساغ ، وبناء الأحكام عليه متعذر جداً ان لم يكن منتف لبعده عن المجال الذي يتعلق به والوقائع التي يتوجه إليها ، وهذا بحد ذاته كاف لابطال مدعاه هنا ، وابطال ما ينبني عليه من نتائج .

مرتضى حاول إسقاط سيف عن طريق المعارضة

ومرتضى العسكري كان على علم بهذه الحقيقة الثابتة لسيف بن عمر والمتداولة بين علماء الجرح والتعديل المختصين بشؤون الرجال ، لذلك فهو

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٩٣ – ٩٤]
(٢) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٩٣ – ٩٧]

حاول ان يوجد امراً خارجياً لأجل إسقاط الراوي (سيف بن عمر) ذلك الأمر هو المعارضة حيث انه عارض روايات (سيف بن عمر) لبعض الاحداث من أمثال :

[١- بعث اسامة ٢- السقيفة ٣- الردة ٤- قصة مالك بن نويرة ٥- قصة العلاء بن الحضرمي ٦- نباح كلاب الحوأب ٧- استلحاق زياد ٨- قصة المغيرة بن شعبة ٩- حبس أبي محجن ١٠- أيام اخترعها سيف ١١- الشورى وبيعة عثمان ١٢- قماذان بن الهرمزان ١٣- بلاد اختلقها سيف ١٤- تحريف في سني الحوادث التاريخية] .

بروايات أخرى صحيحة السند – حسب وجهة نظره هو – متوصلاً عن طريق هذه المعارضة إلى وجود خلافات مخلة بين ما يرويه (سيف بن عمر)، وما يرويه غيره ، مستدلاً بذلك على تعمد (سيف) بوضع هذه الزيادات والمخالفات المخلة ، وهذه حجة وقرينة تثبت حكم الضعف فيه ، وتجعل من امكانية قبول رواياته حتى لو كانت في التاريخ امراً غير مقبول ولا مستساغ .

دعوى مرتضى غير مقبولة

من جهة ، ان هذه الدعوى من مرتضى غير مقبولة فهو ليس من أهل الاختصاص بهذا الشأن ليحكم بنفسه على الرواة والروايات ، فهناك علماء اجلاء لهم قدم السبق في هذه العلوم هم من يتولى العناية بالروايات ، وتحديد المكذوب منها من المقبول .

ومن جهة أخرى ، ان قضية رد الروايات ، أو الطعن بالراوي لا تكون عن طريق الروايات المتعلقة بالاخبار من حيث الأصل وان كان عن طريقها فلا يكون ذلك بدعوى مجردة ، أو بتخمين ، وانما يكون وفق ضوابط معينة تتعلق بالراوي نفسه تثبت له ابتداءاً ثم تعدى بعد ذلك إلى الزيادة وعن طريق الربط ما بين الصفة المثبتة للراوي وتلك الزيادة الواردة عنه في رواياته يتم التوصل إلى حكم خاص بالرواي وبالرواية ، ولتوضيح هذه الحقيقة نضرب مثلاً :

شخص متهم بالميل إلى جماعة ، والتعصب لهم ، والغلو فيهم ، مع بغض يحمله لمخالفيهم يقوم برواية حادثة قد جرت بين من يحب ومن يبغض ، وفي

هذه الرواية زيادات عن الروايات الواردة عن طريق غيره ، وصفة هذه الزيادات انها ترجح جانب من يميل إليه ، وتنقص قدر جانب من يبغضه، وتشنع عليه .

فعند ذاك يقف العلماء من هذه الرواية موقف شك وريبة ويتوقفون في الحكم عليها ، وإذا ما انتفى امكان تخريجها يحكمون بردها .

فهذا هو التعامل مع الروايات الواردة في الأخبار والتعامل مع رواتها في حال الاختلاف بالزيادة أو النقصان اما مجرد الاجتهاد الشخصي المبني على اختيارات بعيدة عما وضعه أهل الاختصاص فلا يمكن ان يقبل ، ولا ان يلزم بها أحد ، بل على العكس هو دليل على ضعف منهج من يحاول إثبات هذا المدعى .

وكذلك هو دليل على انتفاء الضوابط العلمية عنده مع تجاوزه على مقادير أهل الاختصاص المتولين بشأن هذه العلوم .

مرتضى ينتقي ما ينفعه من الكتب والاخبار والروايات

ومما ينبغي ان يذكر في هذا الشأن أمر مهم يتعلق به تعلقاً وثيقاً ويرتبط معه ارتباطاً صميمياً هذا الأمر هو ان مرتضى العسكري بعمله هذا انما قصد إسقاط (سيف بن عمر) عن طريق بيان تناقض ما يرويه مع الروايات الاخرى الصحيحة في الباب ، ولكنه في سعيه هذا قد هدم جانباً كبيراً من الجوانب التي بنى عليها كتابه ، وذلك باثباته وجود روايات صحيحة تحدثت عن وقائع ومجريات تاريخية يمكن بناء الأحكام عليها، وتحقيق الصور الحقيقية لمجريات الاحداث منها ، وباثباته عدم انفراد (سيف بن عمر) في رواية تلك الحوادث، سيتحقق الاستغناء عن رواياته لها ، وتنتفي الفائدة المرجوة منها لوجود ما يخالفها ، أو يضادها فلا حاجة إذن لاشغال النفس ، واتعابها ، واجهادها مع سيف ورواياته ، ولا حاجة بعد ذلك للاطالة ولا للف والدوران لغرض إثبات كذبه واختلاقه ، ومن ضمن هذه الأمور التي لن نحتاج بها إلى سيف هو موضوعنا وموضوع مرتضى الذي الف من اجله الكتاب إلا وهو (عبد الله بن سبأ) حيث ورد إثبات وجوده من طرق أخرى غير طريق سيف بن عمر

ويكون كلام مرتضى في هذا الشأن عبارة عن لغو وجعجعة فارغة وتفريغ طاقة واتعاب نفس .

وهنا ينبغي التنبية لنقطة مهمة توضح منهج هذا الرجل في التعامل واستخدام المصادر ، حيث انه عندما عارض روايات (سيف بن عمر) لم يات بجميع ما يتعلق الموضوع ، وانما توجه إلى الكتب ، والمصادر، والروايات التي تخدمه في غرضه إسقاط (سيف بن عمر) مع عدم كشفه لحقيقة هذه الحوادث ولصورها التي تتبني عليها الأحكام المطلوب اثباتها لمثل هذه الحوادث عن طريق جمع كل الروايات التي وردت فيها .

ولتأكيد غرضه في إسقاط سيف لم يات بالروايات المشابهة لروايات (سيف بن عمر) في الطرح والمضمون الواردة عن غيره لما فيها من تقوية لجانب سيف.

وهنا نوجه سؤالاً إلى مرتضى مبنياً على اثباته لروايات أخرى للحوادث المذكورة انفاً التي لم ترد عن طريق (سيف بن عمر) ، مفاده :

هل تقبل يامرتضى بجميع الروايات الاخرى – اقصد الروايات المخالفة لمعتقد الشيعة التي تعمدت تركها (كروايات أهل السنة لحادثة السقيفة مثلاً) – التي تناولت الحوادث التي سردتها هنا ؟

وهل تقبل بجميع مضامينها ؟ أم انك أيضاً تنتقي منها الذي تريد مما يتناسب مع مذهبك ويخدم اغراضه ، ويحقق مصالحه ومطالبه .

ثانياً :

تعميم قواعد مرتضى يقتضي فساداً وافساداً

ان الذي ذكره مرتضى هنا بخصوص التعامل مع رجالات التاريخ والأحكام التي اناطها بهم واخذ يفرع عليها التطبيقات لا يخرج الأمر فيه عن حالين :

اما ان يكون حكماً خاصاً في جزئية من الجزئيات .

أو ان يكون حكماً عاماً باعتباره منهجاً يستخدم في معالجة مثل هكذا قضايا.

فإن كان امراً خاصاً بجزئية معينة ، فهو يحتاج إلى ضوابط خاصة ، واحكام محددة للتوصل إلى المطلوب وبانتفائها تنتفي هذه الخصوصية ، وهنا الانتفاء للخصوصية هو المحقق من جهة ان المعتمد في الحكم الذي توصل إليه مرتضى هو الضوابط العامة المعتمدة في الجرح والتعديل ، والحكم على الرجال ، فهو لم يرد الأخبار الواردة عن سيف بخصوص (عبد الله بن سبأ) لمانع يتعلق بهذه الجزئية ، أو لمقصد تم تحقيقه في (سيف بن عمر) بخصوص ابن سبأ يمنع من قبول رواياته المتعلقة به .

لذا لم يبق إلا الأمر الثاني :

وهو الانطلاق في الحكم على سيف من الضوابط العامة المعتمدة في الحكم على الرجال ، وعند ذاك يعتبر هذا الأمر الصادر من قبل مرتضى منهجاً له في الحكم على الرجال الذين وردت عن طريقهم الأخبار المتعلقة بالسير والتواريخ ، وبناءاً عليه نقول :

ينبغي على مرتضى لزوماً ان يعمم منهجه هذا الخاص بتلقي الروايات الواردةفي وقائع التاريخ عن رجال فيهم قدح وان لا يخصصه في رجل ، أو في حصره بحادثة من حوادث التاريخ دون غيرها .

بمعنى ان هناك رواة كثير من ، ورد عن طريقهم الكثير من حوادث التاريخ كـ (الواقدي ، والكلبي ، وابي مخنف) ، والمهم منها عند بعض الفرق، التي يبنون عليها جل توجهاتهم ، والكثير من معتقداتهم .

فهؤلاء إذا ما رجعنا إلى كلام علماء الجرح والتعديل فيهم سنجدهم ساقطين في الاعتبار ، وتطبيقاً لقاعدة مرتضى عليهم ينبغي ان ترد جميع المرويات الواردة عنهم مما انفردوا بنقله ، أو خالفوا غيرهم فيه اما بزيادة مجحفة ، أو بنقص مخل.

ومن هؤلاء على سبيل المثال أبو مخنف (لوط بن يحيى) الراوي الاخباري الذي يعتمد عليه الشيعة في إيراد الكثير من الأخبار ، التي منها ما يتعلق بما اختصوا به واعتمدوا عليه في إثبات كثير من توجهاتهم واحكامهم على مجريات الاحداث والقائمين بها .

خصوصاً إذا ما علمنا ان بعضاً من تلك الاحداث قد انفرد بروايتها أبو مخنف، ولم تعرف إلا عن طريقه كالكثير من مجريات (واقعة الطف) ، فلو قمنا بحذف الروايات التي وردت عن طريقه بشأن هذه الحادثة واسقطناها من الاعتبار لحصل خلل كبير بين في الأحكام المبنية على هذه الحادثة وعليها .

وإذا ما رجعنا إلى أقوال العلماء فيه وحكمهم عليه ، فسنجد الاتي من الاقوال:

قال عنه ابن معين : ليس بثقة .

وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، وسئل عنه مرة فنفض يده وقال : أحد يسأل عن هذا .

وقال الدارقطني : ضعيف .

وقال الذهبي : اخباري تالف ، لا يوثق به [١].

واذا ما طبقنا قواعد مرتضى ، ومنهجه في التعامل مع الرجال الذين يروون الأخبار والسير على أبي مخنف هذا فإننا ولا شك سنسقط جميع الوارد عن طريقه على الصورة التي اشرنا إليها .

إذن فهذه المقدمة التي وضعها مرتضى منتقضة من جهة كونها قاصرة في استيعابها لجميع الأمور المتعلقة بالمجال الذي تناولت ، وكذلك قاصرة عن امكانية تطبيقها واقعاً في المجال العملي ، وهي لا تخرج عن كونها وسيلة يحاول مرتضى عن طريقها تثبيت نتيجته ، وايهام الغير بصحة دعواه ، والا فحال المقدمة واضح من كونها متسمة بالضعف ، وركاكة الاركان مع انتفاء الدقة المطلوبة في تثبيت الادلة عنها ، وخروجها عن المسلك العلمي المفترض اتباعه، فهي اقرب ما تكون إلى اسلوب اللف والدوران المبني على التلاعب بالممكن ، وخداع الغير بالمتاح من أقوال العلماء ، أو من بعض الشواهد ، فحالها كحال سابقتها في كونها غير مؤهلة لبناء نتيجة عليها ، ولا يمكن عن طريقها الوصول إلى مطلب من المطالب .

---

(١) [حقبة من التاريخ / الشيخ عثمان الخميس ص ١٩]

النتيجة

حقيقة مقدمات العسكري على خلاف ما عرضه فيها

بعد ان تبين لنا من خلال مناقشة المقدمات التي بنى على اساسها مرتضى العسكري نتيجته هذه من بطلان لاركانها ، مع قصور كبير يعتريها ، وابتعاد واضح عن مناهج الباحثين وضوابط طرق العلم بالتأصيل والتثبيت ، لم يبق إلا الحكم ببطلان هذه النتيجة المبنية على المقدمات المردودة ، وانتفاء أثرها فالدليل الموصل إلى هذه النتيجة إذا كان منتقضاً وباطلاً ، فالنتيجة لا محالة ستكون باطلة ومردودة .

وبما اننا اثبتنا بالدلائل الواضحة البينة عكس مضمون هذه المقدمات فالنتيجة أيضاً ستكون على العكس ، وعليه فتثبت شخصية (عبد الله بن سبأ) ، ويحكم عليها بالوجود والتحقق ، لثبوت الادلة القاضية بهذا الحكم ، ولانتفاء المعارض القاضي بخلافه.

المبررات والدوافع

ان المبررات والدوافع التي لاجلها الف مرتضى كتابه هذا واودعه اكتشافه الجديد مع ما فيه من انحرافات وتجنيات قد اشرنا إلى قسم منها فيما سبق مبينين ان الغرضية والمصلحية هي الدافع الأكبر والقضية التي لاجلها فعل مرتضى ما فعل فهو كان يسعى في جميع محاولاته وايراداته لالحاق للطعن بالمخالف باي صورة من صور الطعن مع خدمته لمذهبه باي طريقة من طرق الخدمة وهذا الذي ادى به إلى اصدار كتابه هذا وحتى غيره من الكتب ، هذا الأمر يفسره لنا بعده الكبير عن المنهجية وانحرافه الشديد عن الحقائق والواقع .

ان هذه الدوافع والدواعي إذا كانت بهذه الدرجة من الوضوح لنا فهي قد لا تزال في حيز الغموض ، أو خشية التصريح بها ان كانت واضحة عند علماء الشيعة ، لانهم لم يجدوا تفسيراً منطقياً لما فعله مرتضى في هذا الكتاب فهم ربما ينظرون إلى فعله هذا من زاوية دنيوية كالشهرة وغيرها ولذلك لم يصرحوا بحقيقة دوافعه واكتفوا بأيراد التساؤل عنها ، يقول محمد علي المعلم نافياً علمه بدافع مرتضى في تأليفه لهذا الكتاب :

[وقد حاول السيد مرتضى العسكري – ولا ندري بأي دافع – أن يثبت أن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية ، واسطورة لا حقيقة لها صنعها خيال أحد الرواة وهو (سيف بن عمر التميمي) ، ووضع كتاباً في مجلدين أسماه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى)] [1] .

أتعب المؤلف نفسه على غير جدوى

ان هذا الاستغراب المشوب بالتساؤل من علماء الشيعة عن حقيقة دوافع مرتضى قد اخرجها الحكم النهائي والذي لا يوجد غيره على كتاب مرتضى وما تضمنه من كونه بعيداً كل البعد عن المنهجية ، ولم يتوصل إلى ما سعى إلى اثباته وابطل نفسه بنفسه ، وفي هذا يقول المعلم :

[فإن النتيجة هي إن ما بذله السيد العسكري من جهود في تأليف هذا الكتاب لإثبات أسطورة (عبد الله بن سبأ) لم يحقق الثمرة التي كان يتوخاها من كونه شخصية خرافية خلقتها ذهنية (سيف بن عمر) ، والذي تبين لنا أن العكس هو الصحيح ، وقد أتعب المؤلف نفسه على غير جدوى ، على أن أصل فكرة الإختلاق التي ادعاها المؤلف قد سبقه إليها غيره من المستشرقين وغيرهم، فلم يأت بجديد] [2] .

ان فعل مرتضى في كتابه هذا لم يلق القبول من الجميع سنة وشيعة، وظهرت معالم الرفض عليه لا على شكل أقوال فقط بل على شكل كتب ومصنفات ، وهذا بحد ذاته يشعر بتهافته من جهة وباثاره السلبية والخطيرة على الواقع من جهة أخرى ، وهو ما يكفي في إسقاط جميع ما سعى إليه .

ان مرتضى العسكري لم يقف عند هذا الحد في تدخلاته السافرة في قضايا لا تعنيه وفي حشر نفسه في أمور لا تمت له بصلة لا من قريب ولا من بعيد فهو قد ادخل نفسه عنوة في مسائل الصحابة وما يتعلق باسمائهم وشخوصهم

---

(1) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤– ٥]

(2) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣٣ – ١٣٥]

ليتوصل إلى معرفة المختلق منها والاصيل ، وكأنه بفعله هذا يوهم الناس بحرصه على التاريخ وحرصه على تنقية جيل الصحابة من الدخيل عليهم المدرج كذباً فيما بينهم .

وهذا ليس فعله فقط بل شاركه فيه غيره ممن ينتسب إلى التحقيق من علماء الشيعة ولا ابالغ في القول ان جميع علماء الشيعة قد تكلموا في مسائل الصحابة وقضاياهم ، لكن المميز لمرتضى انه اخرج كتاباً يخص هذا الموضوع اسماه كما ذكرنا (خمسون ومائة صحابي مختلق) .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ، ما هي الدوافع التي جعلت من علماء الشيعة يهتمون بجانب الصحابة كل هذا الاهتمام مع كونهم يتبرؤون من أي وشيجة تصلهم بهم ، بل ويعتبرونهم الاشد عداءاً لائمتهم ؟

أيضاً أليس هناك من أهل السنة من قد تكلم بقضايا الصحابة وشؤونهم ابتداءاً من اسمائهم والأحكام المتعلقة بهذه الاسماء انتقالاً إلى بيان ادق تفاصيل حياتهم وصولاً إلى إلحاق الأحكام بكل فرد منهم من كونه صحابياً أو لا مع بيان إثبات من كان صحابياً بالدليل ؟

فإذا كان هذا الحال والامر قد محص واغلق ، فلماذا ينبش الشيعة ما قد فرغ من بحثه وتحصيله ؟

سؤال يحتاج إلى تأمل ونظر ودقيق اجابة .

ولاجل تسليط الضوء على هذه القضية لما لها من اهمية ساضع لكم بعض النقاط على الحروف كاشفاً لكم بعض العلل والدوافع الكامنة وراء تصرف علماء الشيعة مع الصحابة هذا .

العلة من اهتمام علماء الشيعة في تحقيق سيرة الصحابة

أقول مبينا هذا الامر :

كثيراً ما يظهر علماء الشيعة نوع اهتمام مفتعل في تحقيق شخصيات الصحابة وتحقيق ما يتعلق بهم من حوادث ومجريات ، وما ورد في حقهم من أحاديث وروايات، وكثيراً ما يتعبون انفسهم بامور لا طائل تحتها بالنسبة لهم ، ولا نفع يرجى منها مباشر يخدم اغراضهم ، أو يثبت معتقداتهم .

ومن هذه الأمور التي اشغل بعض علماء الشيعة انفسهم بها ما يتعلق باختلاق شخصيات لبعض الصحابة من قبل بعض الرواة معتبرين هذا الأمر انجازاً لهم، رامين من ورائه تحقيق مقاصد واهداف مشبوهة .

وقبل ايضاح هذا الأمر ، ننقل لكم قولاً لمحمد جواد مغنية المتعلق بقضية الاختلاق لاسماء صحابة على وجه الخصوص يوافق فيه ما ذهب إليه مرتضى ولكنه يوضح المنهج العام لعلماء الشيعة بخصوص اختلاق اسماء لصحابة في كلمات يسيرة ، ثم ندخل بعد ذلك في توضيح المقاصد ، يقول مغنية :

[فلقد اختلق (سيف بن عمر) لرسول الله ﷺ أصحابا لا وجود لهم ، وأسماهم بأسماء لم يسمع بها الرسول ، ولا أحد من أصحابه ، مثل سعير ، والهزهاز، وأط، وحميضة ، وما إلى ذلك .

كما ابتدع رجالا من التابعين وغير التابعين ، ووضع على لسانهم الأخبار والاحاديث] [١].

علماء أهل السنة هم الاعرف برجالاتهم وبأحوالهم

أقول :

ابتداءاً ان (سيف بن عمر) إذا كان مختلقا أو غير مختلق لاسماء صحابة أو لغيرهم ، فهذا ليس من شأنك ، ولا من شأن أي عالم من علماء الشيعة .

فاهل السنة ولله الحمد عندهم من الأصول ، والضوابط ، والقواعد ، وكذلك من العلماء ، والمحققين ، واهل الاختصاص ما يمكنهم من تحديد المختلق عليهم

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ١ ص ١٢]

من غيره ومن تحديد اكاذيب الرواة من غيرها ، ومن وضع اليد على الدخيل عليهم وتمييزه عن الاصيل ، ولهذا فالامر بعيد عنك ، والشأن ليس إليك ، ولم يطلب أحد منك الادلاء بدلوك ، وتقديم المساعدة ، وكما قيل من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

لماذا هذا البحث عن سيرة الصحابة وهم عندكم كفار مرتدون إلا نفر يسير ؟ !

اما الأمر الاخر والاهم ، فما لك وللصحابة أنت وامثالك لتعتنوا بشؤوهم، وتسلطوا الضوء على الاصلاء فيهم ، والدخلاء عليهم ، وهم عندكم في حكم المعدوم ، وفي درجة المذموم لا تعتدون بهم ، ولا تلقون لهم بالاً ، بل تعتبرونهم عليكم وعلى معتقداتكم وبالاً ؟

فما ضير الاختلاق الذي تدعون والذي سردت بعضاً من صوره بعرضك لاسماء ادعيت اختلاقها ، وأنت وامثالك ضربتم بـ (١٢٠) الف صحابي ادعيتم زوراً وبهتاناً حضورهم بيعة (الغدير) عرض الحائط ، وحكمتم عليهم بالارتداد ، والضلال ، ومخالفة أمر الله ورسوله متفضلين عليهم ، مانين باستثناء انفار يعدون على الاصابع من هذه الأحكام القذرة (المقداد ، أبو ذر، سلمان) .

قال الكشي في رجاله :

[أبو الحسن أبو اسحاق حمدويه ، وابراهيم ابنا نصير ، قالا حدثنا محمد بن عثمان ، عن حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

كان الناس أهل ردة بعد النبيﷺ إلا ثلاثة ، فقلت :

ومن الثلاثة ؟ فقال : (المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي) ، ثم عرف الناس بعد يسير.

وقال : هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا ، وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايع] [١] .

---

(١) [رجال الكشي/ ج١ ص ٢٧] [روضة الكافي / الكليني ج١٢ص ٣٣٨]

ارتداد الصحابة إلا انفار أصل ثابت في المذهب الشيعي حسب ما قرره علماؤه

وهذا الحكم على الصحابة هو الأصل المقرر عندكم الذي تدل عليه الأخبار التي تروونها فيما بينكم ، ولا تخرجون منه أحداً إلا بدليل رافع لهذا الأصل الثابت بمقتضى الأخبار الواردة عن ائمتكم .

وحصرتم الاستثناء في جهتين :

المستشهد في زمانهﷺ .

والوارد في حقه توثيق من قبل الإمام .

اما غيرهما فهو مرتد ، لمخالفته أمر الله ورسوله لقبوله إمامة غير المنصوص عليه وهو الإمام عليرضي الله عنه كما تدعون ، يقول العلامة المحقق علي النمازي الشاهرودي مؤصلاً هذه الأحكام – فائدته السادسة – في حق الصحابة ما نصه:

[مقتضى الأخبار الكثيرة الناطقة بارتداد من عدا (الثلاثة أو الأربعة) بعد النبيﷺ هو كون الأصل في كل صحابي بقي بعد النبيﷺ ولم يستشهد في زمانهﷺ هو الارتداد ، لتقديم غير المنصوص عليه بالولاية على المنصوص عليه ، أو الفسق بالتقصير في حقه ، فلا يمكن توثيق غير من استثنى إلا بدليل شرعي] (١).

الفتنة وزرع الشقاق هما وراء تكلم علماء الشيعة عن سيرة الصحابة

أقول :

إذن كلامكم عن الصحابة وبحثكم ، وتنقيبكم ، وتفتيشكم عن كل ما يتعلق بهم من حوادث جرت ، أو وقائع حصلت ، أو أحكام لعلماء صدرت عليهم، أو انتقادات وجهت اليهم ، أو كما تقولون اختلاق جرى لشخصيات الحقت فيهم وليست منهم لا يمت لكم بصلة ، ولا يصب في خدمة دينكم ومذهبكم مباشرة لسبق حكمكم عليهم بعدم الاعتبار ، والكفر ، والارتداد ، والسقوط من الانظار.

(١) [مستدركات علم الرجال / الشيخ علي النمازي الشاهرودي ج١ ص ٦٧]

فادعاؤكم التحقيق في شؤون الصحابة للوصول إلى الحقائق ، ومعرفة المطالب الدينية حجج واهية ، وكلام فارغ ، وبعيد كل البعد عن الواقع الذي تعيشون وتتعاملون فيه مع هؤلاء الصحابة .

اما إذا اردنا ان نضع اليد على مقاصدكم الاساسية ، ومراميكم الرئيسية في البحث والتحقيق عن الصحابة فيمكن ان نجمل هذا الأمر في النقاط الاتية :

اولاً :

تشويه صورة الصحابة ، باعتبارهم العائق الأكبر ، والسد الاعظم امام معتقد الامامة ، المبطل لها اثراً ، والقاضي بانتفائها وجوداً ، لذا قمتم بمحاولة تذليل هذا العائق بالحاق أي مطعن بهؤلاء الصحابة يمكنكم عن طريقه تسويغ تشويهكم لهم ، فتوجهتم إلى آيات النفاق الواردة في القرآن وجعلتموها أصلاً فيهم، وكذا بعض الآيات التي تحوي معنى الارتداد وقصرتم دلالتها عليهم.

ثانياً :

تسويق الفتن بين المسلمين عن طريق تسليط الضوء على الفتن التي حصلت بين الصحابة ، وتركيز الكلام عنها ، وتسليط الضوء عليها بصورة مباشرة وتفصيلية ، مع استخدام العبارات المؤججة اثناء عرضها ، وبناء الأحكام السلبية على المستفاد منها ، ونقل اثارها إلى الازمان التي بعدها ، عن طريق ربط التوجهات الفكرية والعقدية التي يحملها الناس بها ارتباطاً مباشراً بجعلها أحد أهم ثمارها .

ثالثاً :

زرع الفرقة الحقيقية بين الطوائف المنتسبة للاسلام ، فالبحث في الصحابة والحاق أحكام بهم غير التي علمت ضرورة من الدين، وغير التي التزمها المسلمون مما فيه طعن بهم ، أو تجريح لهم ، أو لعن وقدح بشخوصهم ، يؤدي بالضرورة إلى إلحاق الأحكام السلبية بمن يتبعهم أو يحكم عليهم بخلاف ما يتوصل إليه هؤلاء الباحثون المغرضون ، وعند ذلك تتحقق الفرقة بتحويل هذا الطعن والأحكام السلبية المتوصل إليها بقصد سيء إلى منهج عام ، وطريقة شاملة تلحق الأحكام بالمتبعين لهؤلاء الصحابة فتحصل الفرقة على أعلى درجاتها بين المسلمين .

رابعاً :

ضرب الإسلام من داخله وتشويه منهج باكمله ، فالاسلام الذي يتبعه الغالبية العظمى من الناس قد جاء عن طريق الصحابة ، والمنهج المخالف لما عليه الشيعة يعتمد اعتماداً كلياً في موروثه الشرعي قراناً وروايات على هؤلاء الصحابة ، لذلك فإذا ما اريد ضرب هذا الإسلام ، وتقويض هذا المنهج فلا يوجد سبيل امضى من حيث الأثر من ان يطعن في الصحابة باعتبارهم الأصل والمرتكز الذي يبنى عليه هذا التوجه .

خامساً :

الايهام والتغرير ، فهم لأجل تحقيق مسعاهم في إلحاق النكاية بالصحابة، والصاق أقسى واسوأ الأحكام بهم ، يصعب عليهم ان يكون التوجه لهذا الأمر بصورة مباشرة ، وبدون مقدمات ، وعليه قاموا بهذه الحركة الانتقالية للوصول إلى هذا الطلب ، موهمين الناس ان الذي توصلوا إليه لم يكن بدافع ميول طائفية، أو احقاد موروثة ، وانما منطلقهم فيما ذهبوا إليه هو بحث مستفيض، وتعامل علمي وجدي مع الآيات ، فاغروا بها الجاهلين ، واستخدموها كحجج في نقاش المعارضين .

وهذا الكلام الذي ذكرناه وانطلقنا بشجونه مع مغنية يوجه نفسه إلى (مرتضى العسكري) عندما ترك مذهبه ، واصحاب ائمته ومروياتهم ، ليتوجه وبقوة إلى صحابة رسول الله ﷺ ، اؤلئك الساقطين في الاعتبار عنده ، فينفق من عمره سنوات لأجل اخراج كتاب يتحدث عنهم عنونه بـ (مائة وخمسون صحابي مختلق) .

وهنا نقول كخاتمة لهذا الفصل ان الاقنعة قد تكشفت ، والمناهج قد اتضحت، والصور كلها قد عرضت وبوضوح ، والمقاصد للجميع قد علمت ، لذا فلن تنطلي بعد اليوم حيلكم على أحد ، ولن تتمكن دسائسكم من اختراق اذهان الناس، ولن تجد اوهامكم إلى قلوبهم سبيلا ، بل على العكس الذي ستجدونه منهم وعلى الدوام هو الرفض ، والانكار ، والمحاججة ، والاعتراض .

بعد هذا العرض الجانبي لما يتعلق بدوافع انشغال علماء الشيعة بالصحابة وقضاياهم نعود إلى موضوع بحثنا الاصلي إلا وهو الرد على ادعاء مرتضى،

هذا الرد الرامي إلى دحض الادعاء المزعوم لمرتضى وإلى إسقاط مرتضى نفسه بكشف حقيقته امام الناس ، فكما اشرنا فإن هذا الدليل الذي عرضه مرتضى بخصوص سيف ورواياته وتوصل عن طريقه إلى النتائج قد تبين للجميع بطلانه كما اوضحنا ، ولكن مرتضى العسكري قد تعامل معه على اساس القبول التام له ولما ينبني عليه من الزامات، وتصرف به على مقتضى كونه امراً مؤثراً يمكن عن طريقه تحديد الكثير من نقاط الحل للاشكالات وتوجيه الكثير من الأمور التي قد تتعارض معه .

فبعد ان رسخ الحكم – حسب ظنه – بأن (سيف بن عمر) شخص وضاع كذاب مختلق وان شخصية (عبد الله بن سبأ) هي من جملة مختلقاته، وموضوعاته أخذ يوجه كل الأمور المعارضة لهذه القضية التي ثبتها بناءاً عليها منطلقاً منها ، فاي كتاب اورد القصة ، واي عالم سردها فانما قد دست إليه وترسبت وتسللت عن بطريق من الطرق ، وبشكل من الإشكال والا فأصلها يخرج عن سيف ولا يتجاوز حده كما يدعي ، واخذ يتناول أهم المصادر، ومختلف المواطن الموردة للروايات الخاصة بعبد الله بن سبأ ويتعامل معها على مقتضى الأصل الذي زعمه وادعاه وقد سعى إلى إلحاق الطعن بأهم كتاب عندهم اورد روايات تثبت وجود عبد الله بن سبأ وهو (رجال الكشي) وطعنه هذا والرد عليه هو موضوع المبحث الثاني الذي سنتناوله [*] .

*** المعلم ينسف كتابين من كتب مرتضى**

قرر محمد علي المعلم ان ما ذهب إليه العسكري بخصوص (سيف بن عمر) ومحاولة إثبات كونه مختلقاً لشخصية ابن سبأ ، أو غيرها مجازفة كبيرة لا يمكن قبولها لمخالفتها الواقع ، ولان تعميمها يثمر نتاجاً سلبياً على التاريخ برمته حيث قال:

[اعتبر العسكري ان كل شخص ذكره سيف في رواياته ولم تذكر له ترجمة في كتب الرجال فهو شخص اختلقه سيف كما نص على ذلك في أكثر من موضع .

ولا يخفى ان ذلك مجازفة في القول لانه بناء على هذه الدعوى تكون كل رواية (وان لم تكن من طريق سيف) لم يترجم راويها فهي موضوعة ، وراويها مختلق ، إذ لا خصوصية لسيف من هذه الناحية ، ما دام لم يذكر الراوي في كتب التراجم ، وهذه الدعوى اسلوب اخر في طمس التاريخ بصورة علمية البسها اصحابها ثوباً اسمه التحقيق في التاريخ .

=

=

وهل يمكننا موافقة السيد مرتضى في دعواه هذه ونحن نعلم ان الرجاليين لم يذكروا كل الرواة وهناك الكثير من المهملين والمجهولين ، وكم ترك الاوائل للاواخر ؟

ومما يؤكد ذلك ان بعض المشاهير من العلماء لم ترد لهم ترجمة في كتب الرجال المتقدمين ، وانما ورد في كتب المتأخرين فهل يعني ذلك ان من لم نجد له ترجمة نحكم عليه بأنه مختلق؟ وهل هذا هو التحقيق في التاريخ ؟؟

على ان هناك كتباً كثيرة وضعت تستدرك على المتقدمين ما فاتهم من الرجال وتراجمهم] .

[عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٨٣]

أقول :

ان المعلم بقوله هذا نسف كتاباً اخر لمرتضى العسكري وهو (خمسون ومائة صحابي مختلق) وذلك ان هذا الكتاب قد قام على نفس الأسس التي قام عليها كتاب (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) من جهة ارجاع نسبة معرفة هؤلاء الصحابة إلى الرواي (سيف بن عمر) وحصر هذه النسبة فيه ، وإذا ما تبين بطلان هذا الأمر في كتاب (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) فإن ذلك يعني بطلان الأمر من حيث المبدأ وبالتالي تناوله في أي مكان يعتبر باطلاً وعليه يكون كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) باطل الأسس والمضمون .

المبحث الثاني
رميه كتاب رجال الكشي
بالتهم والمطاعن

مدخل

ان هذا المبحث يتناول أهم المحاولات والمساعي والطرق والمسالك التي اعتمدها مرتضى لأجل إثبات دعواه وانتهجها في تحقيق مسعاه ، حيث تناول ما يتعلق بجهده الخاص بتسقيط كتاب (رجال الكشي) .

حيث ان مرتضى لأجل تحقيق مطلبه هذا لم يبق منقصة إلا ورمى بها هذا الكتاب وصاحبه ، ولم يترك تهمة على وجه الأرض يمكن ان يتهم بها كتاب وكاتبه إلا ورماه بها ، ولم يغفل عن أي شاردة وواردة في أي كتاب قرأه من كتب السنة أو الشيعة تلك التي تتعلق بالكتب والأحكام عليها إلا وجاء بها لأجل الغاء هذا الكتاب من الاعتبار .

وهو في سعيه هذا يرمي إلى تسقيط الروايات التي جاء بها الكشي في كتابه راوياً اياها عن الأئمة المعصومين والمثبتة صراحة ويقيناً لوجود شخصية عبد الله بن سبأ ، إذ ان مرتضى عندما اعيته السبل ، وضاقت عليه الوسائل في رد هذه الروايات التف حول الكتاب لأجل اسقاطه متوصلاً بهذا الاسقاط إلى رد الروايات .

كما انني في هذا المبحث سلطت الضوء على الحقيقة الواقعية لتعامل مرتضى مع هذا الكتاب مبيناً الاباطيل والاكاذيب تلكم التي رماه بها ، موضحاً حقيقة نواياه ، وكاشفاً عن نهجه في هذا التعامل مع بيان تام ووافي للالزامات المترتبة على هذا النهج والاثار الناتجة عنه .

وقمت بتقسيم هذا الفصل إلى اربعة مطالب باعتبار المطاعن الموجهة إلى الكتاب، والوسائل المعتمدة من قبل مرتضى في رده للروايات الموجودة فيه المثبتة لشخصية عبد الله بن سبأ . وإليك هذه المطالب :

المطلب الأول :

إسقاط كتاب رجال الكشي من الاعتبار .

المطلب الثاني :

روايات الإحراق واثرها على كتاب رجال الكشي .

المطلب الثالث :

تسامح علماء الشيعة في نقل الروايات من كتب أهل السنة .

المطلب الرابع :

دعواه تسرب روايات عبد الله بن سبأ إلى كتاب رجال الكشي .

المطلب الأول
اسقاط كتاب رجال الكشي
من الاعتبار

تسقيط كتاب رجال الكشي من الاعتبار

ذكر مرتضى العسكري عن كتاب رجال الكشي لغرض تسقيطه ما يلي :

[أضف إلى ذلك تصريح العلماء مدى القرون بعدم اعتمادهم على رجال الكشي، وتضعيفهم لهذا الكتاب كما يأتي :

عدم اعتماد العلماء على رجال الكشي ، وتضعيفهم لهذا الكتاب :

قال النجاشي بترجمة الكشي من رجاله :

الكشي أبو عمرو كان ثقة عينا . وروى عن الضعفاء كثيرا ، وصحب العياشي وأخذ عنه وتخرج عليه ، له كتاب الرجال كثير العلم وفيه أغلاط كثيرة.

وقال الشيخ أبو علي الحائري المتوفى في منتهى المقال :

محمد بن عمر أقول : ذكر جملة من مشايخنا أن كتاب رجاله المذكور كان جامعا لرواة العامة والخاصة ، خالطا بعضهم ببعض ، فعمد إليه شيخ الطائفة طاب مضجعه فلخصه ، وأسقط منه الفضلات .

وقال النجاشي في ترجمة أستاذه العياشي : " كان يروي عن الضعفاء كثيرا: وكان في أول أمره عامي المذهب ، وسمع حديث العامة فأكثر منه .

وقال النوري في الفائدة الثالثة من خاتمة المستدرك ، عن اختيار رجال الكشي: قد ظهر لنا من بعض القرائن أنه قد وقع في اختيار الشيخ – أيضا – تصرف من بعض العلماء أو النساخ .

وقال صاحب قاموس الرجال :

وأما رجال الكشي فلم تصل نسخته صحيحة إلى أحد حتى الشيخ والنجاشي، وقال فيه النجاشي :

فيه أغلاط كثيرة . وتصحيفاته أكثر من أن تحصى وإنما السالم منه معدود... .

فاني لم اقف فيها على تحريف وان كان محتملاً ، وقد تصدينا في سوى ذلك في كل ترجمة على تحريفاته ، وقل ما سلمت رواية من رواياته عن التصحيف، بل وقع فيه خلط أخبار ترجمة بأخبار ترجمة أخرى . وخلط طبقة بأخرى .

فخلط فيه أخبار أبي بصير ليث المرادي بأخبار أبي بصير الاسدي .

وحرف عنوان أبي بصير (أبي يحيى) مع علباء الاسدي بأبي بصير عبد الله بن محمد الاسدي .

وخلط الخبر الأول من عنوان عبد الله بن عباس بعنوان خزيمة قبله .

وخلط في علي بن يقطين بين خبرين بإسقاط ذيل أحدهما وصدر الآخر .

ونقل في محمد بن أبي زينب وهو أبو الخطاب ثلاثة وعشرين خبرا غير مرتبطة به ، ولذا نقلها القهبائي في ترتيبه بترجمته كما وجدها ، ثم ضرب بالخط عليها .

ونقل الحميري الذي من أصحاب العسكري ، في أصحاب الرضا .

وعد لوط بن يحيى في أصحاب علي بن أبى طالب مع أنه من أصحاب الباقر أو الصادق ، وإنما جد أبيه مخنف بن سليم من أصحاب علي ابن أبي طالب .

ثم إن الشيخ اختار مقدارا من رجال الكشي مع ما فيه من الخلط والتصحيف وأسقط منه أبوابه .

والقهبائي الذي رتب الأخبار أراد إصلاح بعض ما فيه فزاد في إفساده وتحكم بتحكمات باطلة .

وبعد كل ما قلنا من وقوع التحريفات في أصل الكشي بتلك المرتبة لا يمكن الاعتماد على ما فيه إذا لم تقم قرينة على صحته ، فإن اتفاق المتأخرين – مثلا – على كون أبان بن عثمان ناوسيا – كما في نسخة رجال الكشي أنه (كان من الناوسية) – في غير محله ، إذ من المحتمل أن يكون محرفا من (كان من القادسية) .

ثم إنه حدث في اختيار الشيخ لرجال الكشي أيضا تحريفات إضافة إلى ما كان في أصله ، ولهذا نرى نسخ الاختيار أيضا مختلفة ، لا سيما نسخة القهبائي فإنها تختلف عن النسخة المطبوعة ، والظاهر أن نسخته كانت مخلطة الحواشي بالمتن .

ثم إن الخلاصة وإن كان وقع فيه أيضا تحريفات ، إلا أنها قليلة مع أنه يمكن أن يقال : ليس ما فيها من تصحيف النساخ بل من أوهام المصنف .

وأما كتاب ابن داود فتحريفاته أكثر من أن تحصى ، وهو في كتب المتأخرين ككتاب الكشي في كتب المتقدمين .

كما أن السبب في كثرة تحريفات نسخة رجال الكشي أيضا رداءة خطه ، وعدم إقبال معاصريه على كتابه] [١]. (انتهى كلامه) .

وذكر في هامش له ، ما يطعن به بكتاب رجال الكشي عن طريق توجيه بعض العبارات فيه توجيهاً يثبت الاختراق والدس عليه من قبل كتب المخالفين حيث قال في هامش (ج٢ ص ١٣٧) تعليقاً على قول الكشي (ذكر بعض أهل العلم):

[انما عنى بقوله (ذكر بعض أهل العلم) الطبري الذي نقل الاسطورة السبئية عن (سيف بن عمر) الزنديق والتي بينا زيفها في فصل عبد الله بن سبأ والاسطورة السبائية في الجزء الأول من هذا لكتاب] .

حيلة عليلة لا تخدمه

أقول :

لقد سعى مرتضى لأجل إثبات قوله في نفي شخص (عبد الله بن سبأ) مساع متعددة عرضها على شكل (تبريرات) ليتسلل من خلالها إلى ايهام الغير بصحة دعواه .

ومن بين أهم (التبريرات) التي حاول من خلالها الوصول إلى مبتغاه إسقاط كتاب (رجال الكشي) اسقاطاً تاماً منهياً معه كل اعتبار له ، وذلك لأن هذا الكتاب يحوي بين ثناياه الروايات التي تثبت وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) وجوداً واقعياً باسانيد صحيحة ومسندة إلى الأئمة المعصومين عندهم ، وهو كان حائراً بين أحد امرين لأجل إسقاط هذه الروايات :

اما ان يردها ، عن طريق نقاشها نقاشاً علمياً ، وتحقيق اسانيدها .

واما ان يسقط الكتاب نفسه .

وعندما لم يتمكن من ان يرد تلك الروايات التي سردها الكشي في كتابه، لجأ إلى حيلة يسقط فيها الكتاب كله ، ليسقط بالنتيجة كل جزئية حواها هذا

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ١٧٨ – ١٨١]

الكتاب، وكل امكانية للاستدلال عليه ، والاعتماد في بناء الأحكام على المذكور فيه .

وهذه حيلة قديمة حديثة فقد سبقه إليها الكثير ، لكنها في نفس الوقت حيلة عليلة لا تخدمه في هذا الحيز بالذات ، والمانع من انتفاء خدمتها له سيتوضح لك من خلال النقاط الاتية :

اولاً :

اتفاق علماء الشيعة على الاعتماد على كتاب الكشي

ان هذا الحكم الذي اصدره مرتضى على كتاب رجال الكشي لا اجماع عليه عند الشيعة، ولا نعلم اتفاقاً فيما بينهم على تسقيط هذا الكتاب من الاعتبار ، ولا على عدم الاعتماد عليه في الحكم والتأصيل ، بل الذي بين ايدينا مما هو متناول في كتب الشيعة وعند علمائهم ، وفيما هو متداول في ما يعرضون الاعتماد على هذا الكتاب، وجعله في مصاف الكتب المقدمة في الحكم على الرجال .

فانك لا تكاد تجد عالماً شيعياً قام بسرد كتب الرجال وسوقها إلا وقد اعتمد على كتاب رجال الكشي وذكره مبيناً كونه مصدراً يرجع إليه ، وهذا بحد ذاته ناقض لحكم مرتضى هنا، إذ ان عدم اتفاقهم على مدعاه بل اتفاقهم على ضد ادعائه دليل على كون هذا الحكم هو اختيار خاص لمرتضى العسكري لا يمكن تعميمه، ولا يخضع العقل والفكر له إذ هو بعيد كل البعد عن المنهج السليم في الحكم على الكتب واصحابها وهذا يدل على ان ما ذهب إليه مرتضى هنا هو من خصوصيات منهجه، لا من عموميات المذهب الشيعي .

وهذا الحكم الثابت لكتاب رجال الكشي والقاضي بقبوله والاعتماد عليه هو الذي يتناقله علماء الشيعة فيما بينهم ويصرحون به في كتبهم اثباتاً له ورداً على من خالفه ، وبما ان مرتضى قد خالف هذا الحكم الثابت لهذا الكتاب لذلك قام علماء الشيعة برد ما ذهب إليه عن طريق محاججته باقوال علمائهم الذاهبة إلى خلاف قوله هذا .

وقد نقل محمد علي المعلم في مقام الرد على تضعيف مرتضى لكتاب الكشي بعضاً من أقوال هؤلاء العلماء في كتابه (عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة) تحت عنوان مستقل (كتاب الكشي وقيمته العلمية) مورداً ما نصه :

[اعتبر الرجاليون كتاب الكشي أحد الأصول الرجالية ، واعتمدوا عليه في معرفة احوال الرواة ، وما قيل فيهم من قدح ، ومدح ، وتوثيق ، وتضعيف، لتوقف صحة العمل بخبر الواحد على احراز اعتبار رواته ، فيضطر الفقيه إلى النظر في تلك الأصول] .

قال السيد الخوئي في المعجم :

ومما تثبت به الوثاقة أو الحسن ان ينص على ذلك أحد الاعلام كالبرقي، وابن قولويه ، والكشي ، والصدوق ، والمفيد ، والنجاشي ، والشيخ وأضرابهم ... . وقال الخوئي أيضاً في المقدمة السادسة من المعجم :

ان هذه الأصول (عدا رجال البرقي) معروفة تناولتها الايدي طبقة بعد طبقة، ولا يحتاج ثبوتها إلى شيء ، ومع ذلك فقد ذكرها العلامة في اجازته الكبيرة، وذكر طريقه إليها] [1].

ثانياً :

يجب على مرتضى اظهار الاغلاط وتحقيقها لا إسقاط الكتاب كله

ان وجود سقط ، أو خلل في كتاب لا يدل على سقوط الكتاب كله ، بل يدل على انتفاء الحجة بالخلل أو الخطأ ان امكن تحديده واثباته ، فتعميم الحكم على الكتاب كله بالبطلان ، وانتفاء حجيته أمر لا يصح لمجرد الشك بوجود زلل وخطأ في ذلك الكتاب .

والمنهج العلمي القاضي بتنقيح الكتب وتحقيقها يقتضي ان يتوجه العلماء إلى الكتب الحاوية على اخطاء فيقوموا بالاشارة إليها ، وتحديدها لينتفع الناس مما في هذه الكتب من حق وصواب .

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٠٥ – ١٠٦] [معجم رجال الحديث / الخوئي ج١ ص ٤١ – ج١ ص ٩٥] [قواعد الحديث / الغريفي ص ١٥٧] (نقلاً عن كتاب المعلم نفسه) .

اما عمل مرتضى هنا في تسقيطه للكتاب كله لمجرد وجود اخطاء مشكوك فيها حواها هذا الكتاب فهور أمر غير مقبول ولا مستساغ عند أهل العلم في التحقيق، والظاهر من خلال ما كشفه من طعونات في هذا الكتاب امكانية تحديد الأخطاء والاخلاط التي وقع فيها صاحبه ، بدليل ما ذكرت من أمور حكم بها النجاشي على الكتاب محدداً لهذه الأخطاء ، ومعدداً لتلك الاغلاط .

ومن هنا يتبين لنا ان فعل مرتضى العسكري في تعامله مع هذا الكتاب بعيد كل البعد عن المنهج العلمي المعتمد في البحث والتحقيق ، كما انه يدل وبقوة على عدم سلامة هذا الرجل في تعامله مع الكتب ، وفي حكمه على الرجال وهذا يجعل من امكانية الاعتماد على ما ذكر امراً مستحيلاً وقضية لا يمكن قبولها، لابتعاده عما يجب ان يتوافر من شروط وضوابط في الحكم على الكتاب وكتبهم.

يؤصل ولا يطبق

وهذا الذي ذكرناه من المنهج الواجب الاتباع في التعامل مع الكتب ومحتوياتها هو عينه ما قد صرح به مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) ولكنه في التطبيق أعرض عنه واهمله ، فقد قال مرتضى العسكري في كتابه :

[لا نقصد من هذا القول ترك روايات كتب أمثال كتاب رجال الكشي ، بل نقول بلزوم الفحص عن هذه الروايات ، والبحث فيها ، ونقدها ، ومقارنتها بغيرها](١).

وبعد هذا التصريح من مرتضى العسكري ، نوجه له السؤال الاتي :

لماذا لم تلتزم بفحص الروايات التي سردها الكشي في كتابه ؟

ولماذا لم تبحث فيها ؟

ولماذا لم تنتقدها ؟

ولماذا لم تقارنها مع غيرها ؟

كل هذه الأمور التي اصلها مرتضى العسكري من أجل مناقشة روايات الكشي لم يطبق اياً منها في كتابه ، وهذا ما سيتبين لك عزيزيء القارئ واضحاً

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٢٠٥]

في الصفحات القادمة ، فتربص معي حتى حين .

ثالثاً :

مرتضى يعتمد كثيراً على كتاب الكشي

ان مما يذهب بحكم مرتضى العسكري هنا بعيداً هو عدم استقراره في الحكم على هذا الكتاب ، وعدم انضباطه في الاستدلال منه ، وبناء الأحكام عليه.

ففي هذه القضية التي لا تخدمه ولا تنفعه وهي ورود روايات تثبت وجود بن سبأ في كتاب رجال الكشي صحيحة ومقبولة نجده يضعف هذا الكتاب، وبمختلف الاساليب ، وبشتى الطرق ، لغرض نفي هذه القضية وابعادها كل البعد عن تصورات الناس واذهانهم.

ولكن بالرجوع إلى تعامل مرتضى العسكري في كتبه الاخرى معه سنجد انه يعتمد على هذا الكتاب (رجال الكشي) في الكثير من المواضع ، ويعتبره مرجعاً من المراجع التي يبنى الحكم عليها ، ويستفاد منها الجزئيات ، وكذا هو حال بقية علمائهم ، فهذا منهج عام لهم في التعامل مع الكتب يستدلون بها في القضايا التي تنفعهم ويسقطونها عندما تكون القضايا التي اوردتها هذه الكتب لا تخدمهم * .

والامثلة عندهم على منهجهم هذا كثيرة وكثيرة جداً ، فعلى سبيل المثال لا الحصر كتبهم في التفسير ، كما سيتبين لك عزيزي القارئ بعد صفحات تحقق حدوث هذا الأمر من قبل مرتضى ، وبقية علماء الشيعة الذين قاموا باسقاط هذه الكتب .

---

* في كتاب مرتضى العسكري : (مع أبي الفتوح التليدي في كتابه الأنوار الباهرة)، وتحت عنوان : (مقابلة أئمة أهل البيت للغلاة) اورد مرتضى روايات عديدة عن أئمة أهل البيت في كشف الغلاة والتحذير من أخذ الحديث عنهم ، نقلها جميعاً من كتاب الكشي ، الذي ينادي مرتضى بتضعيفه هنا عن طريق الحكم عليه بالدس والاختراق.

اخباريون فيما بينهم اصوليون في تعاملهم مع أهل السنة

ومنهج علماء الشيعة هذا لا يقتصر على الحكم على الكتب فقط ، فهو شامل للاستدلال منها والاعتماد عليها ، فمثلاً تعاملهم مع كتبهم المعتمدة عندهم في رواية الأخبار عن الأئمة وعلى راسها كتاب الكافي للكليني ، فانك إذا ما حاولت ان تستدل على قضية من القضايا برواية أو روايات بل بابواب كاملة منه ، يأتيك الجواب المشهور منهم مصحوباً بالبكاء والعويل :

إن الكافي ليس كله صحيحاً عندنا، ومن الذي قال لكم انه صحيح عندنا !!؟ فلا إلزام علينا به ، إلى أخر هذه العبارات المكررة والأجوبة الجاهزة الحاضرة عندهم وان هذه رواية غير صحيحة!!!! فهم يفرحون بأنه ليس لديهم كتاب صحيح لحد الآن ، ولم اعثر – حسب اطلاعي – على فرقة أو ملة تفرح بعدم وجود كتاب لها صحيح غير الإمامية .

وذلك لأن الاستدلال بهذه الروايات لإثبات هذه القضية لا يصب في مصلحتهم، ولا يخدم اغراضهم .

اما إذا كان الاستدلال بنفس هذه الروايات أو الابواب فيما بينهم فستكون كل الكتب عند ذلك صحيحة ولا يناقش في ذلك لانهم منطلقون من قاعدة تنص على انهم اخباريون فيما بينهم اصوليون في تعاملهم مع أهل السنة أو غيرهم .

اسئلة لا اجابة عليها

ومما ينبغي ان يشار إليه هنا ويطلب من المقابل توضيح كامل له هو :

كيف نميز الصحيح والضعيف الذي عندكم ؟

وما هي الضوابط التي تعتمدون عليها في هذا الشأن ؟

وكيف تحددون المعتمد عندكم من غيره حتى يعرفه الناس ؟

ومن أين تاخذون دينكم وعقائدكم ليعرفها من يحاول استبيان ما عندكم وذلك لأجل اما الدخول في مذهبكم ، أو النقاش معكم للوصول إلى نقاط مشتركة وضوابط محددة؟

لانكم وبدون ادنى شك لا ارضية ثابتة لكم يمكن الاعتماد عليها في تحديد دينكم واثبات عقائدكم ، فمناهجكم المتبعة في هذا الشأن غير منضبطة ، وذات

طابع مطاطي ومرن ، ذات هيئة انتقائية يصعب الاقتناع بهـا أو بنـاء الأحكـام عليها، فهذه هي الحال الذي تنتهجون وهذه هي الطريقة التي بها تتعـاملون قـد تبين ضعفها وبطلانها * .

رابعاً :

كتاب الكشي جرت عليه تعديلات من قبل علماء الشيعة

ان مما ينبني على حكم مرتضى العسكري على كتاب الكشي هذا الزامات تنسحب اثارها على الشيعة جميعاً بلا استثاء ، وعلى علمائهم من غيـر قيـد أو حصر، فكل كتاب عندهم له نفس هذا الحال ، وكل عالم عندهم سائر على نفـس الطريقة.

من جهة ان المتأخرين يعتمدون على المتقدمين في النقل للروايات والأقوال وبالتالي فإن الأخطاء والداخل الغريب والمدسوس الموجودة في كتب المتقـدمين ستبقى على حالها وتزداد يوماً بعد يوم اثراً وكمية ما يجعل جميع مصادر الشيعة مشكوك فيها ، غير ممكن بناء الأحكام عليها ، وهذا مما يعـدم الثقـة بعقيـدتهم كلها، وبجل فكرهم الذي تحملون فإن حكم مرتضى العسكري على كتاب رجال الكشي هنا ليس حكماً خاصاً بالكتاب وصاحبه فقط، بل هو حكم متنـاول لجميـع علماء المذهب بلا استثاء .

خصوصاً إذا ما علمنا ان الذي قام بتلخيص هذا الكتاب وتحقيقه هـو شـيخ الطائفة الطوسي ، فقد قام كما صرح بذلك مرتضى باسقاط ما فيه من فضلات .

كما ان الشيخ القهبائي كان له دور في محاولة اصلاح هذا الكتاب .

وكذا النجاشي ، فكيف إذن بعد كل هذه المراجعات للكتاب من كبار علماء الشيعة يحصر الحكم على هذا الكتاب وصاحبه فقط بالتسقيط؟

أليس كل هؤلاء الكبار قد تناولوه وحققوه ؟

وكذا استمر الاعتماد عليه قروناً عديدة ، على الرغم من وجود ما يدعيـه مرتضى فيه لذلك إذا أراد مرتضى ان يسقط أحداً فعليه ان يسقط مذهبـه كلـه ،

---

* للإجابة عن هذه الاسئلة بدقة وشمولية ننصح بالرجوع إلى كتابنا (الصلاة خير من النـوم في الأذان حقيقة أم اتهام) ، فستجد ضالتك هناك .

وعلماءه جميعاً لانهم سمحوا ببقاء هذا الدس في هذه الكتب ولم يكلفوا انفسهم تحديده وضبطه ليكون الناس على بينة منه .

علماء الشيعة يقرون بحقيقة كتاب الكشي وحقيقة قيام التعديلات فيه

إن هذا الذي ذكرناه بخصوص كتاب الكشي وما جرى عليه من تعديلات هو الحقيقة التي يعرفها جميع علماء الشيعة ويقرون بها بدون أي تحفظات ، وإليك جملة من تصاريحهم بخصوص هذه الحقيقة :

* قال العلامة المامقاني في المقباس :

[ومنها اختيار الرجال المعروف في هذه الازمنة برجال الكشي ... كتاب رجال الكشي كان جامعاً لرواة العامة والخاصة خالطاً بعضهم ببعض فعمد شيخ الطائفة فلخص وأسقط منه الضعفاء ، وسماه باختيار الرجال].

وقال أيضاً في ترجمة الكشي من التنقيح :

[والمعروف بين المشايخ ان كتاب رجاله المذكور كان جامعاً لرواة العامة والخاصة خالطاً بعضهم ببعض فعمد إليه شيخ الطائفة فلخصة واسقط منه الفضلات ، وسماه باختيار الرجال ، والمجود في هذه الازمنة في هذه الازمنة بل وزمان العلامة وما قاربه انما هو اختيار الشيخ لا الكشي الأصل] .

* قال المحقق البحراني في اللؤلؤة :

[وكتاب الكشي المذكور لم يصل الينا ، وانما الموجود المتداول كتاب اختيار الكشي للشيخ أبي جعفر الطوسي] .

* قال المحدث النوري :

[وصرح جماعة من أئمة الفن ان الموجود المتداول من رجال الكشي من عصر العلامة إلى وقتنا هذا هو اختيار الشيخ ، واما الأصل فذكر جماعة من المتتبعين انهم لم يقفوا عليه] .

* قال البحاثة الطهراني في الذريعة :

[اختيار الرجال لشيخ الطائفة الطوسي .... وهو مختار من رجال الكشي الذي اسمه معرفة الناقلين كما ذكره ابن شهر اشوب في معالم العلماء ، وكانت فيه أغلاط كثيرة وهذبه فسمي اختيار الرجال ...] .

* قال السيد الخوئي في المعجم :

[كتاب الكشي هو أحد الأصول الرجالية ، لم يصل إلى المتأخرين فلم ينقلوا عنه شيئاً ، وإنما وصل اليهم اختيار الكشي الذي رتبه الشيخ واختاره من كتاب الكشي [١]] .*

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٠٩]

*** سؤال وجيه**

لماذا قام الطوسي بإزالة ما اسموه الفضلات من كتاب رجال الكشي ؟

وما حقيقة هذه الفضلات ؟

وبما انهم لم يصرحوا بحقيقة هذه الفضلات ولا السبب الداعي لحذفها إلا باشارة منهم إلى كونها تخص رواة العامة – أهل السنة – لذلك سنقوم بايراد احتمالات يفرضها واقعهم ، ومتطلبات التحقيق لأجل محاولة الوصول إلى سبب هذه الازالة فنقول :

ان المحذوف اما ان يكون خادماً لاغراضهم ومصالح المذهب ، أو لا يكون خادماً .

فإذا كان الأمر الأول :

فلا شك ان هذا لن يحذف أو يزال لتحقيقه متطلباً يقوم المذهب عليه ، إما بإثبات فضيلة لمن ينتسب إليه ، أو إلحاق طعن بمن يخالفه .

وإذا كان الأمر الثاني :

فأيضاً الذي لا يشك فيه انه سيحذف ويزال أثره لنفس العلة السابقة لكونه يلحق مطعناً بمن ينتسب إلى هذا المذهب ، أو يثبت فضيلة لمن يخالفه .

وعليه فالمتبادر إلى الذهن والظاهر الذي تدل عليه القرائن ان المحذوف المزال كان ضاراً بهم ملحقاً نقيصة بمذهبهم من جهة العقائد ، أو المنهج اما لكونه مبطلاً لها ، أو ملحقاً نقائص بمن يحملها ، أو يثبت فضيلة لمن يخالفها من جهة توثيقه ، أو رفع الطعن عنه ، كان يكون صحابياً ممقوتاً عندهم ورد في هذا الكتاب فضله من جهة رواية عن امام ، أو نقل توثيق له عن امام ، أو يكون عالماً ، أو راوياً مقدوحاً فيه عندهم ورد في هذا الكتاب تزكيته وتوثيقه.

أصل كتاب الكشي اختفى من الوجود .. لماذا ؟!

والذي يرجح هذا الاحتمال هو انتفاء وجود أصل كتاب رجال الكشي بتقصد ازالته من الوجود لغرض إزالة هذه الاثار .

ايضا مما يرجح هذا الاحتمال ، انه لم يعهد ان يأتي محقق إلى كتاب فيحذف منه ما يشاء ويزيل ما تشتهي نفسه من غير ما إشارة إلى هذا المزال ، ومن دون توضيح لمنهجه في الحذف والرفع ، إلا ان تكون القضية تحمل طابعاً خطيراً ، وتشكل امراً مخيفاً تجعل من =

مرتضى ينتقي ويقتطع حتى من أقوال علماء الشيعة ليثبت ما يريده

ان منهجية مرتضى المنحرفة في التعامل مع الروايات واقوال العلماء أمر ظاهر للعيان لا يخفى على أحد ، فكل من له ادنى المام بالاقوال والروايات أو كان له نوع اهتمام بالبحث والتحقيق يلمس هذه الصفة فيه على عمومها.

وبخصوص الاقتطاع المخل ، والانتقاء الذي يقصد منه تحقيق الغرض واثبات المراد ، فإن القتطاع مرتضى وانتقاؤه من الأقوال والروايات لم يقتصر على ما عند أهل السنة فقط بل تعداه إلى الشيعة ولهذا السبب بادره محققوهم بكشف حقيقة فعله هذا فاضحين اقتطاعه وتدليسه .

فمحمد علي المعلم وقف له هنا بالمرصاد منقباً خلفه ما ينقله من أقوال لسابق معرفته بانعدام منهجيته ، فتحت عنوان (كشف المغالطات) ساق أمثلة كشف فيها تصرف مرتضى المخل بالمنهجية ، والبعيد كل البعد عن التحقيق واساليبه واوردها على الشكل الاتي ، قال المعلم :

[كما ظهرت المغالطة في كلام السيد العسكري حيث قال إن العلماء لا يعتمدون على رجال الكشي كما في (ص ١٧٨) ، وكرر ذلك في خلاصة بحثه في (ص ٢٠٧) .

وهناك مغالطة أخرى دعتني للتشكيك فيما ينقله عن المصادر ، فإن السيد العسكري يعمد إلى نقل العبارة التي تخدم غرضه فحسب .

وخذ على ذلك شاهداً . فقد نقل في (ص ١٧٨) عن النوري في الفائدة الثالثة من خاتمة المستدرك عن اختيار رجال الكشي قوله :

=

المحقق يزيل ويحذف من دون بيان ولا إشارة ولا توضيح لمنهجه في هذا الحذف .

ويقوي هذا الاحتمال اعني خطورة ما في هذا الكتاب على المذهب كثرة الايادي التي حاولت اصلاحه ، أو استدراك ما ورد فيه خشية ان يكون احدهم قد نسي حذف أمر فيه خطورة عليهم ، أو غفل عن بعض ما يشكل معارضاً لتوجهات مذهبهم ولهذا جاء من بعد شيخ الطائفة الطوسي كل من : (القهبائي والنجاشي) ليتأكدوا من سلامة حذفه وازالته للضار والمفسد ، وليتداركوا ما نسيه أو غفل عنه .

(قد ظهر لنا من بعض القرائن أنه قد وقع في اختيار الشيخ – أيضاً– تصرف من بعض العلماء أو الناسخ) .

هذا ما نقله السيد العسكري ، وليته ذكر متعلق الجملة ليتم المعنى ، ويتضح مراد المحدث النوري ، ولكنه لم يفعل ، ولو فعل لما كانت عبارة المحدث النوري تخدم الغرض الذي يريده السيد العسكري .

ونحن نذكر العبارة كاملة ليتبين صدق ما ذكرناه .

قال المحدث النوري :

(واعلم أنه قد ظهر لنا من بعض القرائن أنه قد وقع في اختيار الشيخ – أيضاً– تصرف من بعض العلماء أو النساخ باسقاط بعض ما فيه ، وأن الدائر في هذه الأعصار غير حاو لتمام ما في الإختيار ، ولم أر من تنبه لذلك ، ولا وحشة من هذه الدعوى بعد وجود القرائن التي منها ...) .

ثم ذكر ثلاث قرائن على مدعاه .

وقد عمد السيد العسكري إلى حذف المتعلق وما بعده ، الأمر الذي أوجب الإيهام ، والحال أن مراد المحدث النوري أن كتاب الإختيار عرض عليه التصرف بالنقصان لا بالزيادة وكم فرق بين الأمرين .

والذي نريد قوله :

إن الموجود من كتاب الكشي بما فيه الروايات الواردة في شأن (عبد الله بن سبأ) كله كان تحت نظر الشيخ الطوسي ، وإنما وقع التصرف في الكتاب بناء على قول المحدث النوري بالحذف لا بالزيادة ، ولكن السيد العسكري بتر عبارة المحدث النوري فأوهم بأن التصرف وقع في الكتاب مطلقاً.

وهكذا فعل فيما نقله عن صاحب القاموس فإنه انتقى العبارات التي تثبت وقوع التغيير في كتاب رجال الكشي ، واقتصر عليها واستنتج منها رأيه ، ولم يذكر نتيجة بحث الشيخ صاحب القاموس حيث قال :

(وبعد ما قلنا من وقوع التحريفات في أصل الكشي بتلك المرتبة لا يمكن الإعتماد على ما فيه إذا لم تقم قرينة على صحة ما فيه).

وقد عده من المدارك المعتبرة وقال :

(وبالجملة في مقام التعارض لا عبرة بفهرست ابن النديم ، وأما في باقيها فليرجح بالقرائن) .

فأين عدم اعتماد العلماء على رجال الكشي ؟ ومَنْ مِنَ العلماء صرح بعدم الإعتماد عليه ؟؟] [١].

وبعد عرضه لهذه الامثلة توصل إلى نتيجة مبنية على هذا العرض تحدد منهجية مرتضى في التعامل مع الأقوال والروايات عموماً في هذا الكتاب وبخصوص روايات (سيف ابن عمر) باعتبارها محوره الأساس الذي بنى عليه كتابه هذا فقال :

[ومن هنا يتبين لنا أمر خطير قد لا حظناه من خلال قراءتنا لكتاب (عبد الله بن سبأ) بكلا جزئيه ، وهو اقتضاب واختصار النقل لروايات سيف دون سواه، فنجده يسهب في النقل عن غيره إلى حد الخروج عن الموضوع ، كما في قصة مقتل حجر وأصحابه وغيرها ، بينما يختصر روايات سيف اختصاراً مخلاً ليبادر للمقارنة واستخراج النتيجة ، وما هكذا يفعل المحققون] [٢].

واخيراً وبعد تثبيته لحقيقة تصرفات مرتضى والحاقه الأحكام المناسبة به انطلاقاً تصرفاته ككونه مقتطعاً اقتطاعاً مخلاً وفعله يخالف ما عليه المحققين، وان اغراضه ومراداته هي الحاكمة على تصرفاته واختياراته اعلن النتيجة النهائية المستخلصة من كل ما ذكر والخاصة بالحكم على كتاب رجال الكشي مثبتاً فيها الاعتماد عليه ، ومشيداً باهميته ، بقوله :

[والنتيجة أن كتاب رجال الكشي أصل من الأصول الرجالية المعتمدة ، وهو خال عن الأغلاط ، وقد عمد شيخ الطائفة إلى تصحيحه وإسقاط الفضلات عنه، وهو مرجع للفقهاء ولا غنى لفقيه عن هذا الكتاب ، نعم كل فقيه يعمل مبانيه الرجالية في كل رواية من رواياته . وليس الأمر كما ذكره السيد العسكري .

وعلى هذا فلا مناص من الأخذ بالروايات الصحيحة المعتبرة الأسناد

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٢ – ١١٤]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٤]

الواردة في كتاب رجال الكشي لثبوت حجيتها وقيام الدليل على اعتبارها ، وهو النتيجة الطبيعية لما ذكرناه].[١]

خامساً :

مرتضى يوجه عبارات الكتب حسب ما تمليه عليه اهواؤه

لم يكتف مرتضى العسكري في طعنه بكتاب رجال الكشي بالمتن فقط وانما انتقل إلى الطعن بالهوامش أيضاً وكذلك لم يكتف بالطعن المباشر للكتاب بنقل أقوال العلماء المبينة لحاله ، وانما انتقل إلى طعن اخر عن طريق توجيهه لعبارات هذا الكتاب توجيهاً يوحي باختراقه ووقوع الدس فيه .

وهذا ما فعله كما نقلنا لكم هامشه عندما حاول ان يحمل عبارة (ذكر بعض أهل العلم) الواردة في كتاب الكشي على الطبري خصوصاً ليوهم الناس بأن ما أورده الكشي في كتابه فيما يخص (عبد الله بن سبأ) قد تلقاه من (الطبري) مما رواه عن طريق (سيف بن عمر) .

ان ما يمكن ان نطلقه على فعل مرتضى هذا هو ايغاله في التخمينات والتخرصات ويأسه من ايجاد مبررات علمية منطقية لإثبات دعاويه لذلك نجده لا ينفك عن إيراد استنتاجاته وتخميناته التي لا تزيد من قوله إلا ضعفاً ومن اختياره إلا بعداً ، والتي لا تضفي على مباحثه هنا إلا انكاراً من قبل المحققين واعتراضاً من قبل الباحثين .

والعجيب في الأمر ان مرتضى لم يكتف بتوجيه هذه العبارة في كتاب رجال الكشي فقط بل تعداه إلى غيره من الكتب فهو في هامش (ص ٢٢٠) علق على قول الأشعري (وحكى جماعة من أهل العلم) بقوله :

[يقصد قول المؤرخين الذين اخذوه من (سيف بن عمر) المتوفى (١٧٠ هـ) والذي اوردناه في الجزء الأول من كتابنا عبد الله بن سبأ . وهذه أسطورة ابن سبأ الأول] .

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٥]

أقول :

ان ما ذهب إليه مرتضى في توجيه هذين الهامشين لا يستحق ان يناقش أو يرد لانه مردود بنفسه ومحكوم عليه منه بالفساد والبطلان ولكننا من باب البيان وتأكيد البطلان نورد ما ذكره محمد علي المعلم في كتابه ، حيث قام برد ما ذكره مرتضى في هذين الهامشين رداً مسقطاً لهما ، وكاشفاً للعوار وشديد الضعف الذي يحيط بهما ، حيث قال :

[أن الكشي لم يكن ناقلاً عن الطبري ، وانما نقلها عن الأشعري ولم يكن للطبري ذكر في كتاب الأشعري ، إلا ان السيد العسكري قد تخيل وادعى بأن المقصود من أهل العلم ، والطبري تارة ، والمؤرخون تارة أخرى من دون دليل على دعواه ، وتخيل انه اصاب الواقع ، وما هكذا تورد ياسعد الابل .

ولنا ان نسأله ، ما هو الدليل على ان هذا البعض هو الطبري أو المؤرخون؟ ولماذا عبر عنه أو عنهم ببعض أهل العلم ، ولم لم يسم هذا البعض؟

على انه لم يذكر في الجزء الأول سوى أقوال الكتاب وارجع اقوالهم إلى خمسة مصادر وتاريخ الطبري أحدها كما بيناه ولم يزيف شيئاً .

ولو سلمنا – جدلاً – ان المراد ببعض أهل العلم هو الطبري كما يقول السيد العسكري ، فماذا عن الروايات التي نقلها الكشي بأسانيد معتبرة عن الأئمة المعصومين ، وهل للطبري أو سيف بن عمر دخل فيها ؟ هذا ما لم يذكر عنه السيد العسكري شيئاً ، واكتفى بالتهمة العامة لكتاب الكشي وقد اجبنا عنها .

مضافاً إلى انه لو كانت هذه الروايات مدسوسة في كتاب الكشي ، فلماذا تركها الشيخ الطوسي ، وهو شيخ الطائفة الخبير بالرجال وامام من أئمة هذا الفن؟ ولماذا لم يسقطها كما اسقط الفضلات من كتاب رجال الكشي ؟

وثانياً :

ان الشيخ الصدوق أورد في كتابه الخصال حديث الاربع مائة ، وقد ورد فيه ذكر (عبد الله بن سبأ) ، وهذه الرواية لم ينقلها الكشي في رجاله ، وهي معتبرة السند ، فهل اخذها الصدوق من الطبري ، أو سيف بن عمر ؟

ولو كان المراد بعبد الله بن سبأ هو عبد الله بن وهب الراسبي السابي – كما يريد السيد العسكري ان يقول – فلماذا لم يذكر ذلك وينص على ان المعني هو (عبد الله بن وهب السأبي) لا (عبد الله بن سبأ).

ثم ما المانع ان يكون المراد هو (عبد الله بن سبأ) ، فقد كان أول أمره رجلاً من الشيعة ، وأما انحرافه فانما كان بعد ذلك ، والسؤال انما وقع في حاله الأولى لا الثانية] [١] .

أقول :

لقد اثرى المعلم في بيان بطلان هذين الهامشين ، وبطلان دعوى مرتضى فيهما، ولكن الذي نريد ان ننوه عنه ان هذا التصرف الذي قام به مرتضى ليدل دلالة واضحة على انتفاء منهجية هذا الرجل في التعامل مع القضايا وكذلك القصور الكبير والواضح الذي يحيط بتحقيقاته وتوجيهاته .

وهذا يتضح وبجلاء في رد المعلم عليه عندما جابهه بما أورده الشيخ الصدوق في كتابه الخصال في حديث الاربع مائة التي ورد فيها ذكر (عبد الله بن سبأ) وهذه الرواية لم ينقلها الكشي أصلاً في رجاله وسندها معتبر ، فمن أين جاء بها الصدوق كما قال المعلم ، هل اخذها من الطبري أو من سيف ؟ ان على مرتضى فيما يكتبه ان لا يقتصر في حذره وانتباهه من المتتبعين من أهل السنة له ، فإن من الشيعة من هم أشد تتبعاً لزلاته وهناته من أهل السنة انفسهم وخير مصداق على هذا تصرف المعلم معه .

سادساً :

الرواية عن الضعفاء أمر مشهور عند فقهاء الشيعة ومحدثيهم

ان كتب الشيعة سواء منها الفقهية والحديثية المتقدمة والمتاخرة طافحة بالروايات الضعيفة ، وهذا ما صرح به كبار علماء الشيعة ، فالرواية عن الضعفاء مما يتسامح به عندهم ولا يعد اشكالاً في حد نفسه .

وهذا الأمر قد تسالم عليه علماء الشيعة ، وهو ليس مقتصراً على كتاب الكشي ليجعل منه مرتضى سبباً في تسقيطه فهو حكم عام اتفقت عليه جميع كتب

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣٠]

الشيعة ، وعن هذه الحقيقة قال الشيخ علي النمازي الشاهروردي :

[ولا يرد الإشكال على قولهم أنهم لا يروون إلا عن ثقة ، نقل بعض رواياتهم عن الضعفاء ، لأن الرواية عن الضعيف في حد نفسه من حيث هو عمل بها الأصحاب من الفقهاء والمحدثين من القدماء والمتأخرين ، فإن كتب الحديث وكتب الفقه مملؤة من رواية الضعفاء] .

وقال العلامة الخوئي في رجاله مؤكداً هذه الحقيقة :

[وأما الرواية عن ضعيف أو ضعيفين أو أكثر في موارد خاصة ، فهذا لا يكون قدحاً ، ولا يوجد في الرواة من لم يرو عن ضعيف ، أو مجهول ، أو مهمل إلا نادراً] (١).

أقول :

فهذه هي الحال التي عليها كتب مذهبك صرح بها واعلن حقيقتها الكبار من علمائه يامرتضى ، لذلك فما ذهبت إليه في إثبات حال كتاب رجال الكشي ليس امراً جديداً فإن حاله لا يختلف عن حال غيره من الكتب .

ولعلك غفلت أو تغافلت عن حقائق مهمة جداً تتعلق بكتب مذهبك جميعاً بلا استثاء فإن كانت خافية عليك فسأبرزها لك كاشفاً عنها فقط لأن الذي صرح بها هو أحد كبار علماء مذهبك ، وهو السيد علم الهدى الشريف المرتضى حينما اعلنها مدوية بأن كتب المذهب وبصورة عامة لم يقتصر حال رواتها على الضعف بل ان كثيراً منهم كان يحمل العقائد الفاسدة ، وقد ملئت كتب الشيعة بعقائدهم هذه ، فرجال الكشي ليس بدعاً وقولك فيه هو القول في جميع الكتب الاخرى فبتسقيطك له ونفيك لكونه معتمداً عليه في الاثبات تسقيطاً لمذهبك كله ولجميع كتبه .

وإليك ما صرح به السيد الشريف المرتضى ، منقولاً من كتاب مدخل إلى فهم الإسلام للشيخ يحيى محمد :

[وإن معظم هذه الاختلافات جاءت عن طريق الرواة أصحاب العقائد الفاسدة الذين لا يخلو منهم حديث شيعي ، كما صرح بذلك الشريف المرتضى

---

(١) [مستدركات علم الرجال / الشيخ علي النمازي الشاهروردي ص ١٩]

في رسائله فقال :

[إن معظم الفقه وجمهوره لا يخلو مستنده ممن يذهب مذهب الواقفة اما أن يكون أصلا في الخبر ، أو فرعا ، راويا عن غيره ، ومرويا عنه وإلى غلاة، وخطابية ، ومخمسه ، وأصحاب حلول كفلان وفلان ومن لا يحصى أيضا ذكره، وإلى قمي مشبه مجبر ، وأن القميين كلهم من غير استثناء أحد منهم إلا أبا جعفر بن بابويه بالأمس كانوا مشبهة ، مجبرة وكتبهم وتصانيفهم تشهد بذلك وتنطق به، فليت شعري أي رواية تخلص وتسلم من أن يكون في أصلها وفرعها، واقف ، أو غال ، أو قمي مشبه مجبر ، والاختيار بيننا وبينهم التفتيش] .

ثم قال :

[لو سلم خبر أحدهم من هذه الأمور لم يكن راويه إلا مقلداً بحتاً معتقداً لمذهبه بغير حجة أو دليل ، ومن كانت هذه صفته عند الشيعة جاهلاً بالله تعالى لا يجوز أن يكون عدلاً ولا ممكن تقبل أخباره في الشريعة ...، فمن أين يصح لنا خبر واحد يروونه ممن يجوز أن يكون عدلاً مع هذه الأقسام التي ذكرناها حتى ندعي أن تعبدنا بقوله] [١] .

وبذلك فإن الشريف المرتضى يكاد ينفي صراحةً أن يكون هناك خبر في الفقه يخلو من طعن يتعلق بالسند .

وكذلك فإنه قد أكثر من نقد الرواية والراوي في كتب الشيعة ، إلى درجة كاد أن يطعن بجميع الروايات الشيعية بما فيها الأحاديث الخاصة بعلم الفقه التي تعد زاده ومعينه الأساس فهو من جهة يستخف بمصنفات أصحاب الحديث التي تعتمد على خبر الآحاد ، فيقول :

دعنا من مصنفات أصحاب الحديث من أصحابنا ، فما في أولئك محتج ، ولا من يعرف الحجة ، ولا كتبهم موضوعة للاحتجاج] [٢] .

---

(١) [مدخل إلى فهم الإسلام / يحيى محمد ص٣٩٣] [رسائل الشريف المرتضى / ج٣ ص٣١٠-٣١١]

(٢) [مدخل إلى فهم الإسلام / يحيى محمد ص٣٩٣] [رسائل الشريف المرتضى / ج٣ ص٢٦-٢٧]

نصيحة نقدمها لمرتضى العسكري

أقول :

بناءاً على هذا الذي نقلناه من الأقوال يكون كتاب رجال الكشي كتاباً مقبولاً حسن الحال ان لم يكن في مصاف الكتب المقدمة والمصدرة عند الشيعة .

إذ ان هذه الأقوال اثخنت في الطعن ، واوغلت في الفضح لكتب الحديث عند الشيعة وهي في طعنها وفضحها قد صدرت من قبل عمود من اعمدة المذهب.

لذا فننصحك يامرتضى ان تحفظ ماء وجهك اما بالتراجع عن قولك في حكمك على كتاب رجال الكشي ، أو ان تأخذ كتب مذهبك جميعاً وترميها في عرض البحر، أو تحرقها في اخاديد لأن حالها يرثى له ، ولا يسر عدواً ولا صديق .

وإن هذه النصيحة منا لمرتضى بخصوص كتب مذهبه لم نقصد بها الاستهزاء منها ، أو تعمد التقليل من شأنها ولكنها نصيحة خرجت من معرفة حقيقة هذه الكتب، تلك الحقيقة التي يعترف بها علماء الشيعة انفسهم ويقرون بوجودها واشكاليتها وإليكم تعريفاً بهذه الحقيقة من عالم رد بها على مرتضى نفسه بمثل ما رددنا نحن به عليه وهو محمد علي المعلم ، حيث يقول :

[ان المتتبع لروايات أهل البيت يرى ان قسماً كبيراً من هذه الروايات ليست موافقة لاصول مذهبهم بل موافقة لمذاهب العامة مع توفر شرائط الحجية فيها، حتى ان الإمام المعصوم قد يفتي في المسألة الواحدة بأكثر من حكم ، وقد يعمد الإمام إلى القاء الخلاف بين شيعته في محاولة من الأئمة بالابقاء على شيعتهم والحفاظ على وجودهم بهذا النحو من الاسلوب ... ولذلك انتشرت أخبار التقية، والأحكام الثانوية وهي مثبتة في الموسوعات الروائية] [١] .

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٧]

علماء الشيعة يدافعون عن كتاب الكشي

وبعد هذا البيان لحال الكتب الشيعية ، وبعد ان اتضح انها على نفس الشاكلة وان حكمها واحد من حيث المطاعن الموجهة إليها وان كتاب رجال الكشي لا يخرج عن نطاق هذا الحكم ، بعد كل هذا البيان لا بد من توضيح ان الطعن الموجه من قبل بعض علماء الشيعة من أمثال النجاشي إلى كتاب الكشي والمتمثل بأن الكتاب يحوي على (أغلاط ، أو انه يروي عن الضعفاء) ، قد رده علماء الشيعة انفسهم ، فهذا الشيخ حسين عبد الله مرعي في كتابه (منتهى المقال في الدراية والرجال) ، قال :

* [ولكن قد يتوهم متوهم أن هذا الكتاب مشتمل على أغلاط والكشي يروي عن الضعاف ، فلا يمكن الاعتماد على هذا الكتاب أو الأقل يوجب التشكيك .

لكن هذا مدفوع ، لأن الرواية عن الضعاف لا تضر بوثاقته وعلمه ، ولا يوجب وهن كتابه حيث ذكر فيه الأسانيد ، فالسند غير التام يترك ، والتام يؤخذ به.

وأما وجود الغلط ، فهو من ذكر بعض الروايات الضعيفة الموجبة لتوثيق البعض أو توثيقه لمن ضعفهم النجاشي ، والاول لا يؤخذ به لعدم تمامية السند، والثاني لا يؤخذ به للمعارضة .

فبالجملة الأخذ بما فيه الكتاب لا يكون إلا بعد التثبيت .

هذا فضلاً عن كون الشيخ الطوسي قد هذب الكتاب ، وأسقط منه الزوائد والاشتباهات وسماه (باختيار معرفة الرجال) وعدّه من جملة كتبه ، لا باعتبار نفيه عن الكشي بل باعتبار أنه هذبه ونقحه .

وقد اعترف في ترجمة الكشي في اطلاعه بعلم الرجال فقال : [ثقة بصير بالرجال والأخبار مستقيم المذهب] .

وكيف كان فلا إشكال عندهم في صحة هذا الكتاب وفي أهميته ، خاصة وأنه اشتمل على الروايات بما فيها الصادرة عن المعصومين في التوثيق والتضعيف، أو الروايات المتصلة إلى الرجالين القدامى ممن يؤخذ بقولهم .

وأمّا الطريق إليه فلا يحتاج إلى إثبات ، مع ذلك فالعلامة ذكر طريقه إلى الشيخ في هذا الأصل إضافة إلى لباقي كتب الشيخ الرجالية وكتاب النجاشي][١].

* قال الشيخ أبو الهدى الكلباسي في كتابه (سماء المقال في علم الرجال) ناقلاً كلام صاحب كتاب مجمع الرجال :

[ان روايته عن الضعفاء لا يضر فيه بعد التامل في الترجمة ، فإنه يظهر منها حرصه على الاخذ ولو من الضعيف ، لاشتماله على نفع جداً وكثير من الاكابر، كانوا يروون عن الاضعف : مثل الحسن بن محبوب] [٢].

* وقد اجاب على الاشكالات التي اوردها السيد مرتضى العسكري على كتاب رجال الكشي بنقله لما ذكره النجاشي محمد علي المعلم من وجوه عدة تدحض هذه الاشكالات ولا تبقي لها أي أثر أو اعتبار ، وننقل لكم جوابه على هذه الاشكالات بالنص :

[والجواب أولاً :

ذكر العلامة المامقاني في المقباس من ان بعضهم قد احتمل ان الاغلاط الموجودة في كتاب الكشي من تصرفات الكتاب بمرور الازمنة لانه معاصر للكليني ، وقد بين ذلك الشيخ التستري في قاموس الرجال ، وهذا أمر لا يختص بكتاب الكشي وحده ، ولا يعني ذلك رفض الكتاب من أصله كما لا يخفى .

ثانياً :

إذا كان الكشي يروي عن الضعفاء ، وان كتابه اشتمل على أغلاط كثيرة فلا يعني هذا رفض جميع ما في الكتاب ، بل لا بد من الاخذ بما صح منه مما رواه عن الثقات وخلا عن الاغلاط وهذا ما جرى عليه العلماء .

وقد ذكرنا ان الاغلاط التي اشتمل عليها كتاب الكشي هي ما يحدث عادة في المؤلفات من الاشتباهات التي يقع فيها المؤلفون والنساخ كالتصحيف والتقديم والتأخير وسقوط بعض الالفاظ ، وهو أمر مألوف حتى مع تطور أساليب الطباعة ، وليس المراد من الاغلاط هو المعنى الشامل للكذب ، والدس،

---

(١) [منتهى المقال في الدراية والرجال / الشيخ حسين عبد الله مرعي ص ١٦٥ – ١٦٧]

(٢) [سماء المقال في علم الرجال / الشيخ أبو الهدى الكلباسي ج١ ص ٧٤]

والتدليس ونحو ذلك .

ثالثاً :

على فرض ان كتاب الكشي يشتمل على أغلاط كثيرة كما قال النجاشي ولكن الطوسي قد عمد إلى كتاب الكشي فهذبه ورتبه واسقط منه كل الاغلاط ، وان الكتاب المتداول المعروف باسم اختيار الرجال ، أو معرفة أخبار الرجال أو رجال الكشي هو الذي صححه الشيخ الطوسي حتى ان بعضهم قال ان هذا الكتاب في عداد كتب الشيخ الطوسي] [١].

وبعد أن ساق المعلم أقوال العلماء المثبتة لما ذهب إليه والمقررة لهذه الحقيقة في كتاب رجال الكشي صرح بالنتيجة المستفادة من المذكور والتي لا مجال لغيرها ، ولا مناص لعلماء الشيعة عنها بقوله :

[وعلى أي حال فقد ظهر أن ما ذكره النجاشي من وجود الأغلاط الكثيرة في رجال الكشي انما كانت موجودة قبل تهذيب الشيخ له ، وتلخيصه ، واسقاط الفضلات منه ، فيرتفع الإشكال من اساسه] [٢].

أقول :

هذا الذي بين أيدينا رد على طعون بسيطة وجهت إلى كتاب (الكشي) لا تعد، ولا يكون لها وزن إذا ما قيست بالطعون التي وجهها مرتضى العسكري لهذا الكتاب ، والسؤال الذي يفرض هنا ما هو حجم وكيفية الرد على (مرتضى العسكري) إذا ما عرضت طعوناته هذه للنقاش ؟

رجال الكشي قبلة لمن أراد معرفة شخص ابن سبأ وعقائده

إن علماء الشيعة على اختلاف توجهاتهم قد جعلوا من كتاب رجال الكشي الوجهة المعتمدة ، والمقصد الموثوق منه لأجل إثبات ما جاء به ودعى إليه (عبد الله بن سبأ) فإذا ما سأل أحدهم عن دعوى هذا الشخص وإذا ما أرادوا هم أن يبينوا للناس هذه الدعاوى فستجد المصدر الذي يطمئنون إليه في هذا الجانب هو

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٠٦ – ١٠٧]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١١]

رجال الكشي .

وستجد هذا التوجه للكتاب حاضراً وبقوة إذا ما كان القصد إثبات غلو عبد الله بن سبأ فيما دعى إليه ، وتطرفه الزائد فيما يعتقد ، فهذا آية الله جعفر سبحاني وجه من يبحث عن أقوال الأئمة وعلماء الشيعة في حقيقة دعاوى ابن سبأ إلى كتاب الكشي حيث قال :

[ومن أراد أن يقف على كلمات أئمة الشيعة في حق الرجل ، فعليه أن يرجع إلى رجال الكشي ، فقد روى في حقه روايات كلها ترجع إلى غلوه في حق علي](١).

أقول :

إن هذا التوجيه من آية الله سبحاني إلى هذا الكتاب يعتبر في الحكم توثيقاً لهذا الكتاب ، واطمئناناً لجانبه ، واعتماداً عليه وإلا فلو كان يشك في هذا الكتاب من حيث ثبوته أو الدقة فيه ، أو كان غير موثق له لما احال عليه ، ولما نصح الغير بالتوجه إلى المذكور فيه ، فجعفر سبحاني كما هو معلوم محقق ومدقق كما يعرف عنه عند الشيعة فلا يحيل إلا بعد التأكد ، ولا يوجه إلا بعد التوثيق .

سادساً :

تبرير جديد تحت عنوان (رداءة الخط)

لقد حاول مرتضى العسكري أن يثبت مدعاه في تسقيط كتاب رجال الكشي من وجوه عدة كلها مشكوك فيها وغير منضبطة في تحديد الحكم ليصح بناءه عليها، ومن تلك الاسباب التي اوردها في سياق هذه الأمر ادعاءه كثرة التحريفات التي تحويها نسخة رجال الكشي نتيجة لرداءة خطه مما جعل من اقبال معاصريه عليه ضعيفاً ، ونحن نقول له كما قلنا سابقاً ان اطلاق الكلام هكذا مجرداً من غير تحديد ولا ضبط يترتب عليه التشكيك فقط ، وهو غير كاف في الالزام والاخضاع وإنما المطلوب منك إن أردت الزام الغير أن تحدد أمرين مهمين :

---

(١) [أضواء على عقائد الشيعة الإمامية / الشيخ جعفر السبحاني ص ٧٩]

الأول :

في أي نسخة ثبتت رداءة الخط ؟

أين وقع التحريف بسبب رداءة الخط ؟ هل هو في نسخة رجال الكشي الاصلية التي أخذ منها شيخ الطائفة الطوسي ملخصه (اختيار معرفة الرجال) ؟

أو هو في ملخص الطوسي نفسه ؟ إذ ان الأمر كما هو معلوم مختلف فينبغي التحديد لكي تضبط المسألة .

الثاني :

حكم جزافي

إن التحريف الوارد على الكتاب بسبب رداءة الخط كما ذكرت غير محدد بل هو حكم جزافي فما هو الدليل المرجح عندك القاضي بأن شخصية (عبد الله بن سبأ) والروايات الواردة فيها هي من ضمن هذه الأمور المحرفة لانها ربما تكون من ذلك الجزء الذي لم يطرأ عليه التحريف خصوصاً إذا ما علمنا ان هذه الشخصية قد اخذت مكاناً مستقلاً في الكتاب تحت عنوان (عبد الله بن سبأ).

كما انها وردت في حقها تحت هذا العنوان روايات متعددة تناولت هذا الشخص، والافكار التي دعى إليها ، وهذا مما يرجح كون هذه الشخصية بما ورد في حقها لم يكن من تلكم الاجزاء التي طرأ عليها التحريف لكون جزئيات تناولها منضبطة صريحة في الدلالة والإشارة .

والسبب الذي دعانا إلى أن نتناول هذا الأمر هنا ، هو بيان الضعف الشديد الذي عليه مرتضى العسكري في ايراده للأسباب الداعية إلى تقوية مذهبه في إنكار هذه الشخصية حيث إننا نجد أحكاماً جزافية فقط ، وتشكيكات لا جزم فيها مطلقاً وهذا كما هو معلوم غير مقبول عند أهل العلم ، ولا يمكن الالزام به ولا التزامه .

كما إننا أردنا من ذلك توجيه أذهان الناس إلى حقيقة حال كتبهم ، وكيفية تعاملهم هم انفسهم معها ، فهي كتب على درجة عالية من الركاكة ، وعدم الدقة بحيث إن الطعن فيها أمر سهل ومتيسر لكثرة الاحتمالات المقوية لهذا الطعن والتي عد مرتضى العسكري منها الكثير من أمثال :

[تصحيف النساخ ، أوهام المصنف ، رداءة الخط ، الرواية عن الضعفاء التحكمات المفسدة ، الخلط ، الدس ، التسرب ، إلى اخر ذلك مما ذكره] .

هذا هو مجمل الرد على تبريره هنا تبين لك عزيزي القارئ فيه الكم الهائل الذي يحويه هذا التبرير من عدم الانضباط ، وانتفاء التحديد إذ هو لا يخرج عن كونه طعناً مجرداً ، وتسقيطاً عاماً مبنياً على مقدمات لا يمكن الالتزام بها، أو الانقياد لمضامينها وبالتالي فهو لا يخدم هذه القضية لاننا نتحدث عن جزئية محددة متمثلة بشخص (عبد الله بن سبأ) يمكن حصرها وضبطها وتحديدها في التحقيق والبحث .

وعلى هذا الأساس فتبريره هنا باطل فاسد لا يستقيم على حال ، ولا تقوم عليه أحكام . وفي الختام انقل لكم الحقيقة التي عليها كتاب رجال الكشي عند علماء الشيعة، في كونه كتاباً معتمداً معتبراً يعول عليه ويطمئن بالمذكور فيه ، تلك الحقيقة التي لا يستطيع لا مرتضى ولا غيره ردها ، أو مجابهتها ، ولذلك قام علماء الشيعة بمحاججته بها ، ومعارضته بواقعها .

فهذا محمد علي المعلم يذكر هذه الحقيقة معتبراً اياها الأمر الذي لا يتوصل الباحث إلا إليها لانعقاد اجماع علماء الشيعة عليها ، فيقول :

[من خلال البحث حول الموضوع توصلنا إلى أن كتاب رجال الكشي هو أحد الأصول الرجالية المعتمدة ، ولا غنى للفقيه عن هذا الكتاب ، ولذلك عول عليه الجميع منذ ان هذبه الشيخ الطوسي ، وجرده من الفضلات وإلى يومنا هذا][1] .

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢٥]

المطلب الثاني
روايات الإحراق وأثرها على كتاب رجال الكشي

روايات الإحراق وتأثيرها على كتاب الكشي

وانطلاقاً مع مرتضى العسكري في التبريرات التي اعتمد عليها لأجل إثبات مدعاه في نفي وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) عن طريق الطعن بكتاب الكشي ومحاولته تسقيط الروايات التي اوردها بخصوص شخصية (عبد الله بن سبأ) نورد هنا تبريراً جديداً له متشعب الموارد كثير المتعلقات يحتاج إلى تسلسل في العرض لأجل ايضاح المقصود منه وبيان كيفية توصل مرتضى عن طريقه بن سبأ إلى تحقيق المطلوب منه ، هذا التبرير يمكن ان نلخصه بالعرض الاتي :

قام مرتضى العسكري في محاولة منه للطعن بروايات الكشي الخمسة المثبتة لوجود ابن سبأ بمصادمتها ومعارضتها بروايات أخرى وهي ما يسمى بـ (روايات الإحراق) متوصلاً عن طريق هذه المعارضة ، وتلك المصادمة إلى محاولة إثبات تناقض يرد بها روايات الكشي الخمسة ، ويتضح هذا الأمر بأن الدلائل التي اشارت إليها روايات الكشي تلك تخالف مضمون ما جاءت به هذه الروايات والتي كما قلنا تسمى روايات الاحراق.

ولتأكيد هذه الصورة التي رسمها مرتضى العسكري في الاذهان وامعاناً منه في إثبات هذا التناقض جاء بـ (٧) روايات وعارضها بروايات الكشي الخمسة

فتحت عنوان : (تناقض روايات الإحراق) ، قال مرتضى :

[في كتب الحديث والرجال روايات أخرى تحكي عن غلاة ألهوا الإمام علي فأحرقهم الإمام ، أو احرق اجسامهم وليس فيها اسم ابن سبأ مثل الروايات الاتية] [١] .

ثم بعد ذلك قام بتأطير هذه الروايات باطار عام مجمل ، بعيداً عن كل التفصيلات الجانبية ليحقق مطلوبه من جهة في ترسيخ مدعى التناقض وليوجه الاذهان إلى مدعاه هذا توجيهاً مباشراً فتنصرف الاذهان عن المتطلبات الرئيسية

---

(١) [عبدالله بن سبأ / مرتضى العسكري ص ١٨٤ – ١٨٨]

لإثبات المدعى اياً كان والأسس المعتمدة لتحقيق التناقض الذي على اساسه ترد الروايات .

هذا هو مجمل ما حاول مرتضى العسكري تثبيته هنا وهذا هو تحرير استدلاله في هذا الشأن وهذا الجانب ، ولنا معه فيه تصرفه هذا وقفات نضع اليد فيها على التخبط الذي وقع فيه في هذا التبرير ، ونوجه الاذهان ونصرفها إلى التفاصيل المهمة تلك التي أعرض عنها مرتضى والتي بها تكتمل حقيقة الامور، وتتضح امكانية ثبوت هذا التبرير من عدمه ، وهذه الوقفات هي :

أولاً :

لم يحقق مرتضى أسانيد هذه الروايات

هذه الوقفة يمكن أن نسميها وقفة كاشفة توضح السمة التي التزم بها مرتضى نهجاً في كتابه هذا ، وعمل على اطّرادها تطبيقاً في جزئيات مباحثه، وتتركز نقطة وضوحها هنا في انه قام بايراد روايات الإحراق هذه ايراداً عاماً، وسردها سرداً من غير ما تحقيق لاسانيدها ، ولا مناقشة لمضامينها ، ولا تحقيق لمصادرها ومواردها .

والعلة في هذا كما ذكرنا ونذكر هي ان تحقيق اغراضه ، وتثبيت ادعاءاته لا يمكن ان يكون لها أثر في الاذهان ، ولا نتائج على الواقع إلا بهذا الطريق والا باعتماد هذه الوسيلة .

اما النقاش ، والتحقيق ، والتفصيل فهو مسقط ايما إسقاط لجميع محاولاته، ولكل تبريراته ، لانها كما تبين لنا لا تخرج عن كونها ، اما استنتاجات، أو محاولات ربط يائسة ، أو أوهام أثر فيها القرار المتخذ مسبقاً ، والحكم المتأصل المبرم ابتداءاً ، وهذا الذي ذكرناه هنا يتضح جلياً من خلال النقطة الثانية .

ثانياً :

نقاش الروايات سنداً لا يخدمه

بناءاً على الحكم الاجمالي الذي ذكرناه في النقطة الأولى والمتمثل بأن التحقيق، والتفصيل ، والنقاش العلمي مبطل لادعاءات وتبريرات مرتضى سنقوم هنا بتطبيقه عملياً على الروايات التي قام بإيرادها مرتضى ، لنرى هل هي

مؤهلة واقعاً وحقيقة لأجل إثبات مدعى الاعتراض والتناقض أو لا ؟

مناقشة الروايات التي استدل بها مرتضى

وسنستخدم معه الضوابط المعتمدة عنده ، وعند علماء مذهبه في هذا الشأن حتى لا نكون مجازفين فيما نذكر متعدين في الأحكام التي نتوصل إليها ، وعليه سنبدأ بهذه الروايات ليصدر الحكم بعد تحقيقها على بينة .

اعتمد على روايتين من كتاب الكشي الضعيف

١- جاء مرتضى العسكري من هذه الروايات بروايتين اثنين ، هما أصلاً قام الكشي بايرادهما في كتابه ، وقد اورد مرتضى سند احدى الروايتين وكما يلي :

(عن رجل ، عن أبي جعفر ، عن أبي عبد الله) .

فهذا هو حال هاتين الروايتين انه اعتمد على كتاب الكشي في ايرادهما ، وعليه نقول له :

لقد سبق منك الحكم على كتاب الكشي بالضعف وعدم الاعتبار ، ورميته بكم كبير من الاتهامات التي تسقط اكبر كتاب على وجه الأرض – كما تبين لكم ذلك في عرضنا – فكيف يتسنى لك بعد هذا الحكم منك عليه ان تستدل بالوارد فيه ؟ وان تعتمد عليه ؟ وان يكون لك مصدراً ترجع في التثبيت إليه ؟ هذا ما يخص كتاب الكشي .

استدل برواية أحد رجال سندها مجهول العين والحال

اما الطامة الكبرى والاخرى التي وقعت بها ، هو تصريحك بذكر سند رواية أحد رجال سندها مجهول العين والحال ، وهو كما تعلم ويعلم كل طلاب العلم قبل العلماء ان هذا من اوضح الاسباب واجلاها في رد الحديث، أو الرواية والحكم عليها بعدم الاعتبار .

فما المسوغ الذي دفعك إلى الاعتراف بها ، ومن ثم الاعتماد عليها في المعارضة ؟

وكيف رفعت درجتها إلى القبول مع ثبوت الضعف فيها ثبوتاً لا شك فيه ولا نقاش ينتظر حوله.

والعجيب انك بعد ايرادك هذه الرواية ، تتساءل مستغرباً ومتعجباً عن هذا الرجل المجهول الذي رويت عنه هذه الرواية بقولك :

[روى هؤلاء الاجلة من العلماء هذه الرواية عن (رجل) ، ولا ندري من هو الرجل الذي رواها عن الامامين ورووها عنه] ؟!!

فالتحقيق يقول ان التناقض موجود في حكمك على هذه الرواية وفي تعاملك معها لا في كونها مناقضة لروايات الكشي أو مصادمة لها .

فلذلك نقولها لك كما قالها من قبلنا من لامثالك : (اثبت العرش ثم انقش).

حدد وجهتك واثبت على شأن يمكن ان تنطلق منه ثم بعد ذلك ابدأ بالحكم على الروايات والمعارضة بينها .

مرتضى يوثق عكرمة باعتماد مرويه

٢- اورد على جهة الاعتماد رواية رواها الإمام أحمد في مسنده عن عكرمة، ونظراً للمترتب على هذه الرواية ولان نصها له نوع رد على مرتضى لما يترتب عليها من الزام فساقوم بايراد نصها إليك :

[روى أحمد بن حنبل عن عكرمة : أن عليا حرق ناسا ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس ، فقال :

(لم أكن لأحرقهم بالنار ، وإن رسول الله ﷺ قال : لا تعذبوا بعذاب الله وكنت قاتلهم لقول رسول الله ﷺ : من بدل دينه فاقتلوه ، فبلغ ذلك عليا كرم الله وجهه فقال :

ويح ابن أم ابن عباس إنه لغواص على الهنات .

وفي رواية :

فبلغ ذلك عليا ، فقال : صدق ابن عباس] [١].

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص١٨٧]

عكرمة مطعون فيه عند علماء الشيعة

أقول :

هذه هي الرواية التي اعتمد عليها مرتضى ها هنا لإثبات تبريره ومـــدعاه ، وفي مقام الرد عليه ولبيان انتفاء امكانية المعارضة بهذه الرواية أقول :

ابتداءاً أن الثابت عند علماء الشيعة أن عكرمة مطعون فيه ، ولا عبرة بـــه عندهم ، وعليه فالروايات الواردة عن طريقه لا يمكن قبولها ، أو الاعتماد عليها وإليك ما قاله آية الله الخوئي في كتاب معجم رجال الحديث في بيان الحكم على عكرمة :

[قال الكشي عكرمة مولى ابن عباس : حدثنا محمد بـــن مســـعود ، قـــال : حدثني ابن ارداد (ازداد) بن المغيرة ، قال : حدثني الفضل بن شـــاذان ، عـــن ابن أبي عمير ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة ، قال :

قال أبو جعفر : لو أدركت عكرمة عند الموت لنفعته ، قيل لابـــي عبـــد الله عليه السلام بماذا ينفعه ؟ قال : كان يلقنه ما أنتم عليه فلم يدركه أبو جعفر ولـــم ينفعه .

قال الكشي : وهذا نحو ما يروي : (لو اتخذت خليلا لاتخذت فلانا خليلا): لم يوجب لعكرمة مدحا بل أوجب ضده] [١].

آية الله سبحاني يطعن بعكرمة

* قال آية الله جعفر سبحاني في كتابه (أهل البيت سماتهم وحقوقهم) وهـــو يرد رواية عكرمة التي يثبـــت مـــن خلالهـــا أن آيـــة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب/٣٣) .

إنما نزلت بحق أزواج النبي ﷺ فتحت عنوان (عكرمة مـــن الخـــوارج لا قيمة لقوله) ، قال :

[والأسف ان المفسرين نقلوا أقواله وأرسلوها ولم يلتفتـــوا إلـــى ان الرجـــل كذاب على مولاه وعلى المسلمين ، فواجب على عشاق الكتاب العزيز وطـــلاب

(١) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ١٢ ص ١٧٧]

التفسير تهذيب الكتب عن أقواله وآراء ذلك الدجال ومن يحذو حذوه] [١] .

أقول :

إذن فعكرمة ساقط عندهم على أعلى درجات التسقيط وهذا آية الله سبحاني يصمه باقبح وصمين على وجه الأرض (كذاب و دجال) وكل ذلك ليرد ما رواه من تفسير لاية التطهير لكونه ضد توجهاته وعلى النقيض مما يدعيه فيها لذا فهر عندما أراد ان يرد هذا التفسير قام بتسقيط ونسف الناقل له (عكرمة).

أما مرتضى وانطلاقاً من منهج النفعية والانتقائية والميول الذي انتهجه هو وكذا سبحاني فيما ذكره فكان له مع عكرمة حالان :

حال يعتمد فيها على المروي عنه وذلك عندما يكون هذا المروي نافعاً له، وخادماً لاغراضه كما اشرنا إليكم في عرضنا المتقدم .

عكرمة ضعيف حين يروي ما لا ينفع مرتضى

والحال الثاني :

يتمثل في عدم الاعتماد على المروي عنه عندما يكون هذا المروي لا ينفعه ولا يخدم اغراضه وهذا ما نجده في كتابه (أحاديث أم المؤمنين عائشة) فمرتضى قد اتهم عكرمة في هذا الكتاب بالكذب ، وذلك ان الرواية التي اوردها عنه لا تنفع مرتضى ولا تخدم اغراضه .

وبناءاً على منهجه الذي يعتمده المبني على الانتقاء لما ينفعه والاختيار لما يخدمه فقد رد هذه الرواية وطعن بعكرمة .

وإليك ما حكم به مرتضى على عكرمة في كتابه بعد ايراده للروايات ، حيث قال :

[لعل تظافر هذه الروايات في كتب الصحاح والسنن والتفسير والسيرة والتاريخ بمدرسة الخلفاء وتعاضد بعضها بعضا الآخر يكون سببا لاطمئنان الباحثين إلى محتواها ، غير انها تنهار لدى تمحيصها كالاتي بيانه ، عند دراسة سندها ، ففي سندها :

---

(١) [أهل البيت سماتهم وحقوقهم / جعفر سبحاني ص ٤٠] راجع أيضاً [في رحاب العقيدة / باقر شريف القرشي ص ٤٩ – ٥٠]

عكرمة متهم بالكذب عند علماء الرجال ، وكان يروي الاحاديث الموضوعة عن ابن عباس] [١].

أقول :

فهذا هو المنهج الذي يسلكه علماء الشيعة حال تعاملهم مع الرواة ومروياتهم، فالثوابت عندهم منتفية ، والضوابط مرتفعة ، والقواعد لا رسوخ لها ولا يمكن الاعتماد عليها ، فمن الممكن ان تجد راوياً محكوماً عليه بالكذب في موضع، تجده نفسه صادقاً في موضع اخر ، والمؤثر في تغير هذا الحكم واختلافه هو النفع المترتب لهم من جراء هذه الرواية ، والخدمة التي يتم تحصلها منها ، فإذا ما كنت الرواية خادمة لاغراضهم فهي مقبولة رواتها ثقات ، وتتقلب الحالة مع انقلاب الوصف .

فالرواية إذن وفق الأحكام الرجالية المعروضة عندكم مردودة من جهة السند لأن فيه رجلاً قد طعنتم فيه أشد الطعن ، وهذا هو الذي دفع مرتضى لأن يأتي بها هكذا دون تحقيق لسندها .

الرواية تنفي العصمة عن علي رضي الله عنه

ومن جهة أخرى ان نص هذه الرواية يثبت انتفاء العصمة عن علي رضي الله عنه من خلال إلحاق الأخطاء به ، وبيان ان امكانية صدور هذه الأخطاء عنه واردة وثابتة وبما لا يقبل الشك وامر متعارف عليه عند الناس ذلك الوقت بدليل ان ابن عباس وجه إليه الاعتراض مباشرة ، واعترف علي رضي الله عنه لمضمون الاعتراض وصرح ان السقطات والهفوات تصدر منه عندما قال : (إنه لغواص على الهنات) .

وهذا ما صرح مرتضى العسكري به ضمناً عندما بين ان علماء المسلمين لم يعتمدوا على مدلول هذه الرواية كحكم شرعي يمكن ان يطبق ، حيث قال :

[من الغريب أن أحداً من فقهاء المسلمين لم يعتمد هذه الروايات ويفتي بأن حكم المرتد الحرق . بل أفتوا جميعا :

---

(١) [أحاديث أم المؤمنين عائشة / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٢٥٤]

أن حكم المرتد القتل استنادا إلى الروايات المعارضة لها والمروية عن رسول الله ﷺ والائمة من أهل بيته] [١].

فالاستغراب منه بناء على المذكور ما ذكرناه لم يكن على انتفاء وجود الإحراق نفسه فهذا أمر ثابت لا شك فيه ولكن على انتفاء تطبيق هذا الحد بالمرتد مع كونه صادراً من إمام تثبت له العصمة ، وهذه نقطة مهمة ينبغي الانتباه لها هنا لأنها تحل كثيراً من الاشكالات وتوضح حقيقة تصرفات مرتضى مع الروايات .

إن هذه الحادثة المشهورة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك ان الإمام علياً قد اخطأ في حكمه هذا ، ولم يوافقه علماء الصحابة المعاصرون له وعلى رأسهم ابن عباس عليه ، ولم يعمل به أي واحد من علماء المسلمين ، وهذه الحادثة وامثالها، هي الادلة التي اعتمد عليها أهل السنة في استدلالهم على انتفاء العصمة عن علي رضي الله عنه .

إذن فإن المستفاد من هذه الرواية يناقض الأصل الاعتقادي الذي يبنى عليه الفكر الشيعي والمتمثل بعصمة الأئمة .

فهل يقبل مرتضى بهذه النتيجة ؟

وهل يسلم بهذا المدلول من هذه الرواية ؟

النتيجة إذن أن هذه الرواية مردودة على وفق ضوابط الشيعة وقواعدهم ومعتقداتهم سنداً ومتناً ، فكيف بعد هذا تسنى له مرتضى الاستدلال بها ؟ وما إيراد الرواية الوجه العلمي والمعقول الذي عن طريقه سوغ لنفسه الاستدلال بهذه الرواية ؟

رواية واضحة السخف

٣- أورد رواية أسندها لابن شاذان في الفضائل ورواها عنه المجلسي ، وكذا رواها النوري ، هذه الرواية لا تستقيم مطلقاً مع مقتضيات العقل ، ولا ثوابت الدين والعقيدة ، لما في متنها من الخرافات المحضة والأحداث التي هي

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص١٩١]

أقرب إلى الخرافات والأساطير ، ولذلك نجد أن مرتضى نفسه عندما عرض هذه الرواية وساق متنها حكم عليها بما تستحق فقال : (رواية واضحة السخف).

ونحن إذ نوافق مرتضى على حكمه هذا في هذه الرواية ، نقول له :

كيف بعد حكمك هذا عليها تتسنى لك امكانية الاستدلال بها ، أو الاعتماد عليها في المعارضة والمناقضة ؟ وما هو الأساس الذي بنيت عليه قبولك لها وردك لروايات صحيحة عند علمائك متفق على مداليلها ومضامينها ؟

إننا إذ نطرح عليك هذه التساؤلات نطلب منك توضيحاً ، وإجابة ، لأن الواقع وكل المعطيات التي تفرزها اقوالك وتبريراتك واحكامك التي تصدرها ترفض وبقوة احكامك ، وتأصيلاتك وما تذهب إليه .

ولا يمكن مع تطبيق الضوابط والقواعد العلمية ، لا أقول المتعارف عليها عند المسلمين جميعاً بل ما يخص مذهبك ان يسلم لمدعى واحد مما تدعي ، أو يقبل بنتيجة من النتائج التي عرضتها وحاولت اثباتها .

وهذا الذي ذكرناه يتعدى على جميع الأمور التي تناولها مرتضى وبضمنها الروايات الاخرى المتبقية التي حاول إثبات التناقض عن طريقها فإن الحكم المتعلق بها من حيث السند والمتن لا يخرج عن الحكم المتعلق بالروايات التي تناولناها ، وبالتالي تنتفي عنها الامكانية المزعومة من مرتضى في إثبات التناقض ، وتحقيق التعارض .

النتيجة

لقد استمر مرتضى العسكري على منهجه الغرضي المصلحي ، المبني على تحقق الخدمة ، وترتب المصلحة ، ودرء المفسدة والمضرة في تعامله مع الروايات، وهذا كما ذكرنا هو منهجه العام في التعامل مع المرويات بعيداً عن كل المرجحات العلمية ، والضوابط المعتمدة ، والقواعد المقررة .

المطلب الثالث

تسامح علماء الشيعة في نقل الروايات من كتب أهل السنة

تسامح علماء الشيعة في نقلهم للروايات من كتب أهل السنة وبدون تثبت:

يقول مرتضى العسكري :

[تسامح علماء الشيعة لدى رجوعهم إلى روايات التواريخ ، والسير، والتفسير ومعرفة البلاد ، وفنون أخرى واعتمادهم – أحيانا – على كتب مثل تاريخ الطبري ، وروايات كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ونظائرهما في التفسير.

ومتابعة أهل كتب الملل والنحل في رجوعهم إلى ما يتقوله الناس في ما ألفوا في هذا الباب ! وهكذا تسربت بعض أخبار الزنادقة المنتشرة في أمثال تاريخ الطبري إلى كتب تاريخهم .

وتسربت بعض الاسرائيليات عن طريق بعض التفاسير التي أخذت من كعب الأحبار ونظائره إلى تفاسيرهم .

وتسربت أساطير الخرافة إلى تآليفهم في الملل والنحل .

منوا بكل ذلك بسبب تسامحهم في ما يرجعون إليه من أخبار هذه العلوم ... وكان من نتيجة هذا التسامح انتشار روايات غير صحيحة في بعض كتب التراجم مثل رجال الكشي ، والمقالات للاشعري .

فقد روى الكشي في ترجمة المغيرة بن سعيد عن يونس ، عن هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله يقول :

كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ، ويأخذ كتب أصحابه ، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة ، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ، ويسندها إلى أبي ! ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم بأن يبثوها في الشيعة .

وقال يونس :

وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر (ع) ووجدت أصحاب أبي عبد الله (ع) متوافرين فسمعت منهم ، وأخذت كتبهم ، فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا (ع) فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله (ع) وقال لي :

لعن الله أبا الخطاب ! وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الاحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله .

ثم قال مرتضى العسكري:

أمثال هذه الروايات سواء أصحت وثبت أن الزنادقة دسوها في أمثال كتب الكشي ، أو أن الكشي وهم في إيراد أمثال هذه الروايات الكاذبة في كتابه- على كلا التقديرين - تثبت انتشار روايات غير صحيحة في أمثال كتاب رجال الكشي] [(١)].

مرتضى ادخل كتب علماء الشيعة في نفق مظلم

أقول :

ان هذا التبرير قد ادخل كتب الشيعة جميعها في نفق مظلم على اختلاف صنوفها وتنوع اشكالها ، فمرتضى العسكري في تبريره هذا فتح مجالاً واسعاً للتشكيك في كل المرويات التي تحويها كتب الشيعة وذلك عن طريق جعله اياها ساحة مباحة وغير محمية مما قد يدخل عليها من المدسوس ، والمكذوب، والمطعون فيه ، وهو إذ ذاك لم يبق أحداً مطلقاً إلا وقد طعن فيه سواءاً منهم الاخذ أو المأخوذ عنه .

هذا هو الذي فعله مرتضى العسكري هنا لأجل إثبات مدعاه في انكار وجود شخصية عبد الله بن سبأ ، ونحن إذ لا نوافقه على فعلته هذه فإننا سنبين السبب الداعي إلى عدم هذه الموافقة مع الإشارة إلى بطلان هذا التبرير لما فيه من خلل كبير ، ولما يحويه من اخطاء فادحة ، وسيكون ردنا عليه وفق النقاط التالية :

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠٥]

اولاً :

دعوى عريضة ذات ابعاد شائكة

لقد سار مرتضى العسكري في تبريره هذا على منهج يعتمد على التشكيك ورفع الثقة عن الكتب التي تورد أخبار التاريخ وسير الناس ، وذلك انطلاقاً من أسباب اعتمدها هو تتمثل :

بأن اغلب هذه الكتب قد اخذت مادتها من كتب مخترقة كتاريخ الطبري وامثاله من كتب التفسير التي ادعى ان كثيراً من الأخبار المكذوبة والمطعون فيها قد حوتها هذه الكتب .

وهذه كما هو معلوم دعوى عريضة ذات ابعاد شائكة ومتناثرة إذ انه بواسطتها قد طعن بجهتين :

الجهة الأولى :

الكتب المصادر التي يستقي منها من جاء بعدها الأخبار والروايات .

الجهة الثانية :

كتب متلقية قد اعتمدت على هذه المصادر وتلقت الأخبار والروايات منها، وبما ان المصدر مطعون فيه فكذلك المتلقي مطعون فيه .

ونحن إذ نعرض هذه الدعوى من مرتضى العسكري فإننا نرد عليه من جهة:

ان هذه الدعوى اتهام وطعن صريح وعليه فهو يحتاج إلى بيان للدليل الذي اعتمد عليه في هذا الطعن لتثبيت اتهامه لأن طعنه هذا ان لم يكن بدليل واضح وصريح فهو مرفوض لا يقبل وان كان عنده دليل على طعنه هذا فينبغي ابرازه وتحديده لأن المقام مقام إثبات وتأصيل ، هذا من جهة .

ما المقصود بالمدسوس عندك ؟ واين نجده ؟

ومن جهة أخرى :

انه إذا كان عالماً حقاً بوجود مدسوس في هذه الكتب وان كنا لا نعتقد هذا فالواجب عليه ان يحدده ويبينه تبياناً تاماً لا ان يرسله هكذا ارسالاً موهماً يجعل من كلامه هذا كلاماً ضبابياً مرفوع عنه دلائل الدقة وامارات التحقيق وذلك انه

إذا ما حدد المدسوس منضبطاً فيمكن والحالة هذه ان يحذر منه، ويستبعد من الاعتماد عليه ، اما إذا لم يحدد ذلك المدسوس ، ولم يضبطه بضابط فعند ذاك يبقى الأمر محيراً ، ولا ارضية له وعليه ينسحب الحكم على الكتب جميعاً بكل ما تحتويه، فإذا ما طولب الاعتماد على رواية من تلك الروايات التي تحويها هذه الكتب فالجواب يكون جاهزاً وحاضراً :

بأن هذه الكتب قد تطرق إليها الدس لانها مخترقة ومن المحتمل ان يكون هذا الذي يطلب له الدليل من ذلك المدسوس .

فالنتيجة من كل هذا ان مرتضى العسكري قد رفع الثقة أو حجبها عن كل الكتب التي تحوي روايات التواريخ ، والسير ، والتفسير ، والرجال ، ومعرفة البلاد ، لانها كتب قد تسامح مصنفوها في تأليفها ، فلم يقيدوها بما يحفظها وذلك بسبب اعتمادهم فيما أورده فيها على كتب مطعون فيها .

ثانياً :

منهجاً انتقائياً

بناءً على النقطة الأولى التي طعنت بكل الكتب تقريباً حاول مرتضى العسكري عن طريق هذا الطعن التشكيك بروايات عبد الله بن سبأ ليتوصل بعد ذلك إلى انكارها جميعاً وبالتالي انكار وجود هذا الشخص .

والذي يلزمه في هذا المقام امران :

الأمر الأول :

لماذا استفاد فقط من هذا التشكيك لكي يطعن بعبد الله بن سبأ فقط ؟

ولماذا لا يعمم الحكم على كل ما دلت عليه الروايات التي حوتها هذه الكتب؟

لأن هذا الأمر ان بقي على هذا الحال يعد كما ذكرنا انتقاءاً اهوائياً لا يمكن قبوله ولا التسليم له لانعدام السبب الذي يدفع بالعقل إلى الاذعان والقبول بالمدعى .

فمرتضى العسكري وامثاله ممن ينتهجون هذا النهج يضعون القارئ والمتتبع امام حقيقة تستفاد من هذا النهج مفادها :

ان حقيقة هذا النهج يراد منه خدمة المصالح الشخصية ، والاغراض الذاتية فمتى ما تعارضت هذه الأمور مع قضية ما سهل الخروج منها عن طريق استخدام هذه الضوابط الخاصة والتي لا يمكن تعميمها .

الامر الثاني :

لذلك نقولها لمرتضى وامثاله ممن ينتهجون هذا النهج ، هل يقبلون بأن نستخدم قواعدهم هذه في الحكم على جميع القضايا ، وفي مختلف المواضيع أو لا يقبلون ذلك فإن كانوا قابلين ، فلا نظن ان قضية من قضايا مذهبهم إلا وسيتطرق إليها الطعن والتشكيك في المصادر التي يعتمد عليها في اثباتها كقضية الامامة ، والعصمة ، والطعن بالصحابة ،..... ، والقائمة تطول .

لم يحدد الادلة والكيفية

واذا لم يقبلوا بهذا الأمر فنطالبهم بالدليل المانع من الرفض ليتبين السبب وعند ذاك نخضع لمدعاهم والا فإننا وغيرنا من أهل العلم والبصيرة لا يمكنهم قبول هذا الادعاء هكذا على اطلاقه لفراغ محتواه من كل مقوم يمكن عن طريقه الالزام بالقبول .

إذن تخصيص مرتضى العسكري روايات عبد الله بن سبأ في بالرفض وعدم القبول لا يمكن التسليم له هكذا إذا لم يحدد الادلة التي بنى عليها رفضه من جهة، وإذا لم يحدد الكيفية التي حصر فيها عبد الله بن سبأ فقط في دعواه .

ثالثاً :

هدم المذهب الشيعي

ان قوله هذا أو بالاحرى محاولة تبريره هنا ينبني عليها الزامات يترتب عليها هدم المذهب الشيعي باكمله ، وهذه حقيقة لا جدال فيها إذ انها تترتب وبقوة على تبريره هذا وذلك من خلال ما سنعرضه لكم من هذه الالزامات :

كتب الشيعة مخترقة

١- انه باتهامه كتب الشيعة هنا بانها مخترقة قد دخلت عليها الروايات غير المقبولة ولا المعتمدة من أمثال روايات كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، فإنه قد

الصق بهم تلك التهمة القديمة التي بسببها طعنوا باهل السنة ، وشنعوا عليهم وذلك باتهامهم بانهم ينقلونها ويعتمدون عليها .

ولكن الفرق ما بين الاثنين ان أهل السنة عندما يروون عن كعب الأحبار ووهب بن منبه فانهم يعلمون هذه الروايات علم اليقين ، ويعرفون اسنادها، ويحيطون بدلالتها ، ولهم من المتابعات والشواهد عليها ما يمكن به تقويتها ورفع شأنها .

اما الشيعة فعلى قول مرتضى هنا هناك اعتراف بالدس لروايات هؤلاء إلى كتبهم ولكن مع عدم التحليل والتمييز لذلك فحالهم من السوء بمكان ما لا يمكن معه الوثاقة باي مرويٍّ في كتبهم .

الشيعة عيال على أهل السنة

٢- لقد اثبت مرتضى العسكري على مذهبه ما يحاولون دائماً التهرب منه وهو قضية انهم عيال على أهل السنة فيما ينقلون من روايات ، وفي تصنيفهم للكتب على اختلاف انواعها .

والادهى من ذلك انه جعل منهم أمعة تامة المعنى ، وذلك لانه رفع عنهم الحصانة المانعة التي بها يميزون المنقول من التمييز للمنقول من تلك الكتب المنسوبة لاهل السنة ، فهم على حد قوله يأخذون الغث والسمين وما هب ودب، بل حتى الخرافات والاساطير كما يدعي عندما يتلقون المطروح في هذه الكتب .

فالقضية إذن ليست قضية تسامح وانما ان الشيعة ليسوا من أهل هذه العلوم، ولا امكانية لهم في الاستقلال عندما يكتبون فيها ، لذا قاموا باخذ كل ما في هذه الكتب مع تغييرات تتناسب مع عقائدهم وافكارهم من غير ما تمحيص ، ولا تمييز لهذا المأخوذ من هذه الكتب .

فهل يقبل مرتضى العسكري بهذا الالزام الذي تدل عليه كلماته وبدون ادنى شك فيها ؟

ام ياترى سيجعل من التشكيك حتى في قوله الذي سطره تبريراً للخروج من هذا الالزام ؟

كتب الشيعة تحتوي على الاسرائيليات

٣- كثيراً ما سمعنا عن الشيعة انهم يتهمون السنة برواياتهم للاسرائيليات في كتبهم ويجعلون من هذه التهمة مطعناً كبيراً بهم يترتب عليه الطعن في مذهبهم عموماً ، والحكم على كتبهم بانها ساقطة في الاعتبار .

وهو هنا يلزم نفسه ومذهبه إثبات هذه التهمة عليهما ، وذلك عن طريق ادعائه ان كتبهم قد تسربت إليها هذه الاسرائيليات عن طريق بعض التفاسير التي اخذت من كعب الأحبار ونظائره .

وهو في هذا المجال بالذات بين امرين لا ثالث لهما :

اما ان يثبت التهمة على أهل السنة ، وبالنتيجة فإنه سيثبتها عليه وعلى مذهبه لتصريحه بوجود تسرب لهذه الروايات الاسرائلية في كتبهم ، وعند ذاك فلا فضل لاحد على الاخر ، إلا في جهة التمحيص ، والتحقيق ، وتحديد المقبول من المرفوض ، أو ان ينزه نفسه من هذه التهمة وهذا أمر لا يتناسب ولا يتوافق مع دعواه هنا بوجود التصريح بالتسرب والاختراق .

وبالنتيجة فإن كتبهم وتاليفهم قد صارت أيضاً مسرحاً لكثير من الاسرائليات ولكن مع امتيازها بعدم التحديد لها أولاً ، وبانتفاء امكانية توجيهها الوجهة المقبولة ثانياً مما يسحب الحكم لهذه التهمة على جميع مروياتهم التي تحويها كتبهم وبلا استثناء .

جميع كتب الشيعة مخترقة

٤- ان تبريره هذا الذي بناه على تسامح علماء الشيعة في ادراجهم لروايات في كتبهم يلزم منه التعميم في الحكم على جميع الكتب المصنفة وفي مختلف العلوم وهذا الذي عبر عنه مرتضى العسكري بقوله : (وفنون أخرى) .

فهذه العبارة يمتد حدها ليشمل كتب الفقه ، والعقائد المتضمنة للاحكام التي ينبغي على الناس الالتزام بها ، وبناءاً على قوله بأن امكانية الدس متحققة والتسرب لاخبار الزنادقة حاصل في كتبهم ، مع ما لهذه الكتب من درجة دنيا قياساً بكتب الفقه والعقائد واهميتها اقل من كتب الفقه والعقائد .

فإن هذا يعطي اشعاراً قوياً على ان الدس الداعي له والدافع من ورائه في هذه الكتب أقوى ، والغرض المنتظر من ورائه تحققه فيها أشد واوضح لانه يترتب على الدس فيها افساد عقائد الناس ، وتضليلهم .

وعليه فإن قوله هذا يلزم منه وبدون ادنى شك تعميم الحكم في الدس للروايات الباطلة ، واثبات الاختراق من قبل الغير بدرجة واسعة وعلى جميع المستويات في كتبهم المصنفة في مجالات العلوم المختلفة ، ويلزم منه بالنتيجة انعدام الثقة فيها ، وعدم امكانية الاطمئنان لما تحتويه من مضامين لانسحاب الشك عليها جميعاً .

مرتضى يطعن بعلماء الشيعة

٥- ان دعوى مرتضى هذه تلحق الطعن بعلماء مصدرين وبارزين في مذهبه عليهم الاعتماد في النقل الروائي للتواريخ والسير وتوثيقهم معروف ومشهور فيما بينهم فقوله هذا يجعل منهم اناس على قدر كبير من الغفلة ، ومصابين بداء الاهمال ، ولا يأبهون بالذي ينقلونه ، ولا بكيفية هذا النقل فنتج كما يدعي تسرب الكثير من الاكاذيب والاساطير إلى كتبهم .

ولخطورة هذا الادعاء لم يقف امامه علماء الشيعة مكتوفي الايدي بل ردوه ببيان مخالفته للواقع وبعده عن الأحكام الحقيقية الملحقة بهؤلاء العلماء الذين طعن فيهم مرتضى .

وفي هذا المجال بالذات يرد عليه محمد علي المعلم بقوة مع نوع من التفصيل لينفي أي أثر لهذا الادعاء على الواقع ، فيقول ما نصه :

[على أن ما ذكره السيد العسكري من تسرب أساطير الخرافة إلى كتب الملل والنحل إنما هو لذكر الشبح المخيف (عبد الله بن سبأ) فيها ، وقد تقدم البحث حوله وسيأتي تتمته .

وأما حملته على كتابي المقالات والفرق للأشعري ، وفرق الشيعة للنوبختي، فمما لا وجه ولا مبرر له .

فإن الأشعري وهو سعد بن عبد الله ممن عاصر الإمام الحسن العسكري، وحظي بلقائه ، وقد عد شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها ، وكان جليل القدر

واسع الأخبار كثير التصانيف ، وكانت وفاته في زمان الغيبة الصغرى سنة ٣٠١ هـ وقيل ٢٩٩ هـ .

وأما النوبختي وهو الحسن بن موسى فهو من متكلمي الشيعة وفلاسفتهم، وهو المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاث مائة وبعدها ، وكان غزير العلم وله مصنفات كثيرة ، وهو وان لم يحدد وفاته إلا انه لا يبعد ان يكون في زمان الغيبة الصغرى أيضاً .

واذا كان هذان العلمان بهذه المثابة من الجلالة والعلم والمعرفة فهما ارفع شأناً من ان يأخذا علمهما من افواه العوام ومن دون تثبت .

واذا كان ما ذكره يصح في لمؤلفي السنة وكتابهم ، فهو لا يصح في مؤلفي الشيعة وعلمائهم .

واذا كانا قد اوردا في كتابيهما ما لا يعجب السيد العسكري ، ولا يروق له فليس معناه انهما مخطئان ، وذلك لا يبرر قدحه وطعنه في علماء الشيعة وحفظة الاثار إلى حد الاستهزاء ، والاسفاف ، والتهريج .

وهذا هو الذي يفسر لنا الحساسية المفرطة لدى السيد العسكري من كتاب رجال الكشي حيث أورد الروايات التي اشتملت على (عبد الله بن سبأ) ، وقد قام بهذه المحاولة لإثبات تسرب الدس إلى كتاب الكشي ، واظهاره بصورة تفهم القارئ ان العلماء قد أعرضوا عنه ، ولا يعتمدون عليه لانه كثير الاغلاط، وروى صاحبه عن الضعفاء .

وقد اخطأ السيد العسكري الطريق ، وما حملته على العلماء ونسبتهم إلى التقصير المعيب لتجدي نفعاً في إثبات مدعاه ، ونحن نربأ بالسيد العسكري من ان يورط نفسه وقراءه في هذا المزلق الخطر التي لا تحمد عقباه ، وهو وان جاء باسم البحث العلمي والتحقيق في التاريخ الاسلامي إلا انه بمعزل عن العلم والتحقيق] [١].

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢١ – ١٢٢]

لا دور للائمة المعصومين في التحصين والحماية

٦ – لقد تضمن تبريره هذا طعناً غير مباشر في ائمتهم ، وذلك عن طريق الغاء أي دور لهم في حفظ وصيانة كتبهم ورواياتهم .

كما انه الغى أي دور لهم في وضعهم لضوابط ، وقواعد يمكن الرجوع إليها في تحديد المدسوس ، وبيان مواضع الاختراق .

وهذا الفعل المنفي عن الأئمة يجعل منهم اناساً غير منضبطين في تعليمهم للناس وفي توجيههم لاتباعهم .

كما انهم ينفي عنهم أي اهتمام لحفظ هذا الدين ، وصيانة تشريعاته من الانحرافات الناتجة عن طريق الدس والاختراقات .

فإن قال قائل بأن الأئمة قد حذروا من بعض الناس بانهم قد دسوا أو كذبوا عليهم فيما يرونونه عنهم قلنا له :

ان هذا الأمر يزيد الطين بلة فانهم قد اثبتوا الدس والكذب عليهم ولكن من غير ما تحديد له ، ولا ضبط لتلك المرويات والاكاذيب ، وهذا ما يؤدي إلى التشكيك بكل المرويات الصادرة عن الأئمة لوجود الاحتمال القاضي بكونها مدسوسة أو مكذوبة .

مع وجود مرجح اخر يقوي هذا التشكيك إلا وهو ان الذين يدسون أو يكذبون لن يقوموا بهذا العمل باسمائهم المعروفة المحددة لشخوصهم وانما سيقومون بتلفيق أسانيد خاصة ، واسماء مختلقة تجعل من امكانية كشفهم امراً عسيراً، وتجعل من تمرير مروياتهم عملاً سهلاً يمكن تقبله من قبل الناس .

رابعاً :

متطفلون على موائد اهله يأخذون الفتات منها

سنركز في هذه النقطة على أمر مهم جدا رمى به مرتضى العسكري مذهبه عموماً ، والعلماء الذين صرح بذكرهم وذكر كتبهم خصوصاً .

واعني هنا كتب التراجم والفرق التي تناولها وهي رجال الكشي ، والمقالات للاشعري هذا الأمر كان منطلقه من دعوى وجود روايات غير صحيحة في هذه الكتب هذه الروايات التي لم يحددها بل اطلقها اطلاقاً قد منوا بها كما يدعي.

بسبب تسامحهم فيما يرجعون إليه من أخبار هذه العلوم واسس على ذلك ان الروايات التي وردت بشأن (عبد ا٠لله بن سبأ) هي من هـذا النـوع وعليـه، فالشك محيط بها من كل جانب ولا يمكن الاعتماد عليها .

ونحن نقول له بعد هذا العرض لوجه استدلاله ان مما يؤسف لـه ان يـاتي عالم يدعي التحقيق فيذهب إلى مثل هذا القول ، ويدعي مثل هذا الادعـاء فهـذا القول بعيد كل البعد عن دائرة التحقيق ، ولا يصرح به إلا جهال لا يملكون مـن العلم شيئاً ، ومتطفلون على موائد العلم ياخذون الفتات منها ، ويدعون انهم مـن اصحابها ، وذلك لأن قوله هذا يتصادم بقوة مع المعطيات الموجودة على الواقـع ومع الوقائع التي يمكن استخراجها من هذه الكتب ولبيـان هـذا الأمـر سـاقوم بتوضيح ذلك بالنقاط الاتية :

لم يحقق هذه الروايات

١– كما ذكرنا في معرض بيان هذه النقطة انه ادعى عدم صحة الروايـات التي يستدل بها على شخص (عبد الله بن سبأ) ويعرف عن طريقهـا دعاويـه واثاره، وهو في ادعائه هذا لم يكلف نفسه ابراز تحقيقـه لهـذه الروايـات ، ولا عرضه للاسانيد التي عن طريقها تم رواية الأخبار ليكون المطلع عليها على بينة من وجه الضعف الذي به ترد هذه الروايات .

والامر الاخر :

قد اثبتنا وكما هو واقع الحال ورود روايات صحيحة تدل على وجود مثـل هذه الشخصية ، واوضحت كذلك هذه الروايات اثارها على أهل ذلـك الزمـان ودعاويها التي بثتها بين الناس ، وهذا يقدم على ادعائه عدم الصحة لأن دعـواه مجردة عن الدليل ، ومرسلة من غير تقييد ، ومبنية على احتمـالات مـن غيـر الممكن ضبطها .

اما الروايات الصحيحة فهي ثابتـة ، واعتـرف علمـاء الشـيعة بثبوتهـا وصحتها، وبنوا عليها الأحكام الخاصة بها ، والمتمثلـة باثبـات وجـود هـذه الشخصية، لذلك فإننا نجد صعوبة بالغة وعسر غير مسبوق في تقبل ادعائه هـذا لانه كما ذكرنا خالٍ مما يمكن ان يلزم به الغير ، أو يخضع له العقل .

لماذا يقيد الحكم بوجود روايات غير صحيحة بشخص ابن سبأ

٢- ان الطعن الذي رمى به كتب التراجم الخاصة بالشيعة مثل رجال الكشي والمقالات للاشعري ، افقدها كل اهمية يمكن ان تنسب إليها وجعل منها مكاناً ينشر فيه المغرضون ما يشاؤون نشره من أخبار كاذبة ، وروايات باطلة وهذا يعني سقوط هذه الكتب من حيث الاعتبار سقوطاً كلياً لا يبقى لها معه أي وزن أو اعتبار ، أو قيمة للاعتماد .

والادهى من ذلك انه اتهمها بوجود دس فيها حتى وصل ذلك إلى اتهامها بانها قد دس فيها ما يدعو إلى الكفر والزندقة عن طريق من سماهم بالزنادقة.

وبالنتيجة فإنه قد رمى هذه الكتب بالطامات التي تجعل منها مجالاً لاضلال الناس ، ومسرحاً لدعوتهم إلى الكفر والزندقة وهذا يلزم منه ان هذه الكتب غير صالحة في الاعتبار ، ولا يمكن بناء الأحكام عليها ، وهو ينسحب على كتب المذهب عموماً التي اعتمدت عليها .

وبالنتيجة ينسحب على المذهب كله لانه لم يكن هناك تثبت لعلمائه في نقلهم للروايات وفي ادخالهم الأقوال المأخوذة من غيرهم بل ان مجال الدس فيها قد فتحه مرتضى هنا على مصراعيه مما يجعل امكانية قبول شيء منها امراً مستحيلاً .

لذلك نقولها هنا :

لماذا يقيد الحكم بوجود روايات غير صحيحة بشخص عبد الله بن سبأ ، مع العلم ان الحكم الذي اطلق هنا يشمل كل المواضيع ، وفي كل الاتجهات؟

لذلك فالتحليل غير مقبول والاسناد إلى قضية واحدة لا يمكن التسليم له ، لأن العبرة كما هو معلوم بانطباق المنظور على الواقع فمتى ما امكن ذلك يتم الالحاق والا فلا .

وعليه فالالحاق بجميع القضايا أمر لازم لا انفكاك عنه ، وإذا ما حاول البعض اخراج قضية من القضايا عن هذا الحكم فإنه ملزم بالدليل لصحة الاخراج، ومع عدمه فيبقى الحكم على اطلاقه وينتفي الاستثناء .

خامساً :

تهرب جديد بدعوى الدس

بعد ان وجد مرتضى العسكري نفسه غير قادر على استعمال التبريرات الجاهزة عند الشيعة في تخريجهم للقضايا التي لا يمكن ان يقبل بها عندهم لعدم تماشيها مع اصولهم وثوابتهم كقولهم :

(بالتقية ، أو ان هذا الأمر موافق لمذهب العامة – أهل السنة –) .

لعدم خدمته في هذه القضية بالذات ، وذلك لانها تتناول موضوعاً تاريخياً، فهي قضية خارجة عن الأحكام الشرعية ، اضطر إلى البحث عن مخرج جديد لهذا المشكلة ، وتبرير يمكن ان يكون له نوع قبول في هذه المسألة ، وكذلك يسعفه فيها الدليل ، فلم يجد افضل من دعوى الدس والاختراق من قبل المغرضين ليتوصل به إلى مبتغاه في نفي هذه الشخصية .

وهذا ما فعله هنا باخراجه إلى العيان تبريراً جاهزاً جديداً في طرحه حديثاً في تناوله لم يسبق إليه في تناول قضية في مثل هذا الحجم والنوع .

ونحن نقول له ان تبريرك هذا مع بعده عن التحقيق المطلوب فإنه يلزم منه أمور ينبغي ان نطرحها ونعرف الرد عليها لنرى هل يقبل بها مرتضى وامثاله أو يرفضون ؟ وهي :

هل الدس موجود في جميع كتب الشيعة ؟؟؟

١– هل يقبل مرتضى العسكري ومن هو على شاكلته منا ومن غيرنا ان نستخدم تبريره هذا وتخريجه في طعننا وتشكيكنا في كثير من المسائل التي حوتها كتبهم والعقائد التي يعتقدونها ، والمناهج التي يسيرون عليها ، أو انه يحصر امكانية استعمال هذا التبرير لنفسه فقط مدعياً ان حقوق الاستعمال محفوظة ؟

والدافع لنا في هذا الطلب هو تعميمه حكم وجود دس من قبل الزنادقة في كتبهم، وكذلك اتهامه علماءهم بانهم اناس قد يهمون في إيراد الروايات في كتبهم وهذا ما يجعل طلبنا طلباً مستساغاً لا يرفضه العقل ، وينبغي قبوله من مرتضى وامثاله دون أي اعتراض ، فما هو جواب مرتضى ؟ وما هو جواب امثاله ؟

لم يصرح أحد من علماء الشيعة قبل مرتضى ان هذه الروايات مدسوسة

٢- ان مما ينبني على قول مرتضى هنا ان أي دور للائمة في تحديد الدس وضبطه غير موجود مع اشارتهم إلى وجوده وهذا ما يدل على ان هؤلاء الأئمة لم يكن لهم هم في بيان هذا الدس ، ولا في تخريج اطرافه ليحذر الناس منه .

ومع ان هذا الذي ذكرناه أمر ثابت لا شك فيه فإننا من باب تمام البيان والايضاح نورد لمن يطلب الحجة الدليل على ذلك ، وهو :

ان هذه القضية المطروحة بين ايدينا بما تحمله من اهمية وبما تشكله من خطورة على المذهب الشيعي برمته ، لم نر فيما بين ايدينا أي تحديد من قبل الأئمة ، ولا العلماء من بعدهم لها بانها من الأمور المدسوسة عليهم وتم تداولها فيما بينهم قروناً وقروناً .

حتى جاء مكتشفنا الجديد مرتضى العسكري ليصرح تصريحه المدوي بأن هذه القضية هي من تلك الجزئيات التي دسها الزنادقة على مذهبهم ، فاي دليل أقوى من هذا ، واي حجة انصع واوضح * .

وقوع الدس الذي اتهم به مرتضى كتب مذهبه مردود ومرفوض

لقد احس علماء الشيعة بخطورة دعوى مرتضى هذه لما تشكله من خطر على المذهب الشيعي برمته ، فهي ان بقيت هكذا على حالها من غير ضبط ، أو تقييد وهو اللازم لها فإن المبني عليها التشكيك بجميع ما في هذا المذهب ، ولذلك لم يتأخروا عن رد دعواه هذه ونقض اتهامه هذا باثبات العكس ، ومحاولة

---

* **أقول :**

وهناك الكثير من القضايا التي لا زالت حائرة في ثنايا مذهبهم هي من القضايا المدسوسة تبحث عن أمثال مرتضى العسكري ليميزها وليخرجها إلى النور ليحذر منها الناس .

وننصح مرتضى ان يمتهن هذه المهنة إلا وهي تحديد المدسوس على ائمته ومذهبه فإن فيها خيراً عظيماً له ولمذهبه ، الذين يدعون فيه الكمال والتمام والحق الذي لا يصادم ولا يجادل فيه ، والذي ينبغي على جميع الناس الالتزام به ، والا فمصيرهم نار جهنم خالدين فيها .

اظهار النقيض لما أصله وقرره ، وفي هذا السياق يقول محمد علي المعلـــم راداً هذه الدعوة من مرتضى ما نصه :

[علماء الشيعة قد بذلوا قصارى جهودهم في ضبط الروايات ، وتهـــذيبها، وحذف الفضلات عنها ، وقد كان من قبلهم أصحاب الأئمـــة يعرضـــون كتـــبهم ورواياتهم على ائمتهم ، وقد كان الأئمة يرعون هذا الأمر ويحثون شيعتهم علـــى الضبط والكتابة والتثبت ، وسار الاواخر من علماء الشيعة على خطـــى الاوائـــل من أصحاب الأئمة في الاهتمام بالروايات وصيانتها وتناقلوها يداً بيد .

حتى ادعى بعض علماء الشيعة صحة الاحاديث المنقولة في الكتب الأربعة وغيرها ، بل واستدلوا على هذه الدعوى بادلة عديدة كما في الفائدة التاسعة مـــن خاتمة الوسائل ، والمقدمة الأولى من مقدمات الحدائق .

مضافاً إلى انهم وضعوا المعايير العلمية ، والقواعد المحكمة لمعرفة صحة الروايات وسقمها من حيث السند والدلالة فليس هناك ثغرة ، أو منفذ يمكن مـــن خلاله الدس في الروايات ، أو التدليس فيها] [١].

أقول :

ان افعال مرتضى العسكري المخرجة على شكل ضوابط وقواعد بعيدة كل البعد عن مناهج التحقيق والضوابط العلمية في البحث ، لذلك يلمس فيها التخـــبط الكبير والتجاوزات الكثيرة والخطيرة ، وينبني عليها الالزامات المدوية والمؤذيـــة على مقررات العلم عموماً ، وعلى ما عند الشيعة على وجه الخصوص ، ولذلك جوبه ما اصدره بالرفض من قبل الجميع ، ومـــن قبـــل الشـــيعة علـــى وجـــه الخصوص .

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢٠]

المهدي تركهم هملاً

وهذا هو المهدي المنتظر امامهم الاخير قد اختفى وتركهم هكذا هملاً ، مع وجود كل هذا الضلال وكل هذه الزندقة واقعاً في كتبهم .

فإن كان لا زال ملتزماً بدعواه هذه فلا بد ان يوجد بياناً لهذه الالزامات التي تتبني على قوله والا فمجرد الادعاء أمر لا يقبل ، وقضية لا يمكن ان يخضع لها .

روايات الأئمة المعصومين تثبت وجود شخصية ابن سبأ

ان الذي دفعنا إلى نقاش قضية الدس هنا وبخصوص هذه المسألة بالذات شخصية (عبد الله بن سبأ) مع امكانية وجوده عند جميع الملل والفرق وبضمنهم الشيعة والسنة عقلاً وتحقق ذلك واقعاً ، ومع وجود روايات تشير إلى وجود هذا الدس ، وقيام بعض المغرضين بفعله وبث ما يفسد عقائد الناس في الكتب والمصادر .

ان الدافع لذلك ان قضية مثل (عبد الله بن سبأ) لا يمكن ان تندرج تحت عنوان الدس وذلك لأن متعلقها الذي ترتبط به صحيح بروايات لا يمكن التشكيك بها لورودها عن طريق أهل البيت المعصومين وثبوتها عنهم .

كما انها قد بلغت شهرة واسعة مما يجعل الطعن فيها ، أو الحكم عليها بانها مدسوسة امراً لا يمكن قبوله ، أو الانصياع إليه ، لذلك فليبحث مرتضى لنفسه عن تخريج اخر ليبرر فيه ادعاءه عدم وجود هذه الشخصية .

اعتراض !

فإن اعترض معترض قائلاً ، لماذا تعيبون على مرتضى استخدام الدس كذريعة للتبرير مع اعترافكم بوجوده حتى عندكم أهل السنة ؟

قلنا له ان الاعتراض ليس على الدس نفسه ، فإن هذه القضية أمر متحقق وقوعها ما دام هناك اعداء مغرضون ، ومنافسة بين الطوائف والملل للتصدر والرئاسة ، ولكن الاعتراض هو على استخدامه بدون ضوابط ، وعلى عدم تحديد المدسوس بادلة يمكن قبولها ، أو اقناع الغير بها بجعله خاضعاً للمصالح

والاغراض من جهة خدمتها من عدمها ، ومن جهة النفع المترتب على القضية المراد نفيها أو انكارها عن طريق الحكم عليها بالدس .

فإننا نجد ان علماء أهل السنة ، وكذا المنصفين من غيرهم عندما يردون امراً ما للحكم عليه بالدس تجدهم يبرزون الادلة التي سوغت لهم هذا الامر، بل تجد عندهم ضوابط وقواعد لتحديد الحكم يمكن عن طريقها الحكم المباشر على أي أمر بأنه مدسوس .

اما فعل مرتضى هنا فإنه لا يخرج عن كونه تشكيكاً فقط ، ومحاولة لزرع الريبة في العقول والاذهان بخصوص هذا الشخص ، وبخصوص قضيته التي دعى إليها لانه لو امكنه إثبات هذا الأمر لما احتاج بعد ذلك إلى البحث عن تبريرات وتخريجات لانكار هذه الشخصية .

ولكنه عندما لم تسعفه هذه الدعوى لبعدها كل البعد عن التحقيق والتمحيص أخذ يتوجه يميناً وشمالاً منقباً عن مسوغات أخرى يمكن عن طريقها تمرير مدعاه في انكار شخصية عبد الله بن سبأ [*] .

سادساً :

(تخبط . تناقض . دور . انتفاء المنهجية)

كل هذه الأمور وقع فيها مرتضى

ان من الأمور التي وقع فيها مرتضى العسكري في كتابه هذا والتي تثبت تناقضه ، وانتفاء المنهجية عنده ، كما تثبت في نفس الوقت تخبطه، وتأرجحه، وعدم استقراره ، فيما يكتب ويعرض ذلك الأمر الخاص بالاثبات والنفي .

*** ومن هذه التبريرات التي نقب عنها واخرجها :**

طعنه بكتاب رجال الكشي، والكشي نفسه ، ادعاؤه ان التسامح الموجود عند علمائهم أثر في ادخال هذه الروايات، محاولته تضعيف بعض الروايات التي ذكرت الشخصية مدعياً انها بدون سند ، ادعاءه انها لم ترد في الكتب الأربعة ولذلك لا يعتمد عليها، ادعاؤه التضارب بين الروايات المانع من قبولها ، ادعاؤه التصحيف في اسم عبد الله بن سبأ زاعماً ان أصله عبد الله السبائي ... وغيرها من التبريرات والتخريجات التي ملأ بها صفحات كتابه .

أو بمعنى اخر الاعتماد وعدم الاعتماد ، وهي من الأمور المضحكة والمبكية في نفس الوقت ، والتي وقع بها هنا مرتضى حيث انه في مكان ما ، يسقط كتاباً ، ويحكم عليه بأقسى الأحكام التي يترتب عليها رده وعدم اعتباره ، ثم لإثبات التسقيط لهذا الكتاب ، نجده يعتمد عليه ، وينقل منه للاستدلال على هذا الامر.

ولعلكم تستغربون من هذا المعروض امامكم ، ولكن هذا الاستغراب سينتفي عنكم عندما تتوضح لكم الصورة ، وعندما ترجعون إلى قول مرتضى العسكري نفسه.

فهو اثبت وجود دس في كتاب الكشي وحاول بجهد حثيث منه إسقاط هذا الكتاب من الاعتبار لأجل رد الروايات الخمس الخاصة (بعد الله بن سبأ) التي وردت فيه ، وعندما أراد ان يستدل على وقوع الدس في هذا الكتاب نجده قد استدل بروايات من كتاب الكشي نفسه ذلك الكتاب الذي حكم عليه بالضعف والاختراق عن طريق الدس فيه .

إذن فهو قد وقع في التناقض بلا شك .

كما انه قد خرق قوانين العقل المعتمدة في الاثبات والنفي ، فهو هنا قد وقع بالدور المسقط للحكم والاستدلال ذلك انه حكم على كتاب الكشي بأنه مدسوس وضعيف ثم بعد ذلك أخذ يستدل به على إثبات الدس وهذا دور لا يقبله العقل ولا يخضع له منطق .

فلك بعد هذا ياعزيزي القارئ تصور المدى الذي وصل إليه هذا العلامة في الفهم ومستوى الادراك .

ولك ان تتصور مدى التاثير الكبير المبني على تصوراته المسبقة على أحداث التاريخ ومجرياته ، إذ ان تصوراته هذه اسقطت المعتبرات ، وخرمت القواعد، وهتكت ستر الضوابط والقيود ، ورفعت الحجب عن المستور والمخفي من الأحكام والدلائل .

فهو لم يبق حرمة لكتاب ، لم يحفظ حقاً لعالم ، ولم يترك مجالاً يصادم تصوراته المسبقة والراسخة في ذهنه إلا وطعن فيه ، واسقطه من الاعتبار لأجل إثبات مدعاه .

وختاماً لهذه النقطة اود ان اركز لك على ملاحظة مهمة مفادها ان تبريرات مرتضى المتعلقة بكتاب الكشي لا يمكن قبولها ، ولا بناء الأثر والنتائج عليها، وذلك لسبب مهم وكبير مفاده :

ان هذا الكتاب (رجال الكشي) يحتل اهمية كبيرة في المذهب الشيعي ، كما انه من المراجع الرجالية المعتمدة عند علماء الشيعة كما سيتبين لك ذلك في الصفحات القادمة ان شاء الله.

ان مرتضى قد حاول بناء قصرٍ ولكنه هدم مصراً

والنتيجة المستخلصة من هذا التبرير :

انه قد طعن بمذهبه كله عن طريق اتهامه اياه بأنه مخترق وبقوة من قبل جهات عدة ، وبواسطة أساليب مختلفة .

كما انه وصف علماءه بصفات لا يتسم بها إلا الجاهلون الغافلون من الوهم، والغفلة، والتسامح والتي بواسطتها تم التمرير عليهم ، واختراقهم .

كما انه رمى مذهبه بالتهم التي شنعوا بها على أهل السنة من روايتهم للاسرائليات واعتمادهم على كعب الأحبار ، ووهب بن منبه .

اضافة لذلك قد اثبت حقيقة دائماً ما يتنكرون لها بانهم يعتمدون على أهل السنة في نقولاتهم وتآليفهم * .

*** الشيعة عيال على أهل السنة حقيقة وواقع**

هذه الحقيقة راسخة ممتدة الجذور شهد بها علماء الشيعة انفسهم معترفين ومقرين بها، فانك إذا ما تتبعت برجوعك إلى ما كتبوه في التفسير ، وأصول الفقه ، وأصول الحديث ، وعلوم الالة ، والسيرة ، وغيرها من علوم الإسلام الاخرى ، وترجع إلى مناهجهم في هذه العلوم فانك ستجد الاتباع لاهل السنة ، والسير خلفهم ، والاقتفاء لاثارهم أمور ثابتة لا شك فيها ، ولا لبس ، ولا خفاء .

ولا نبالغ في قولنا ان غالب المكتوب في مؤلفاتهم الخاصة بهذه العلوم تعتمد في نشوئها وتكونها على المؤصل عند أهل السنة ، وتستفيد في مراحل تطورها من استدلالتهم وطرائقهم، واقتباسهم هذا من أهل السنة ليس من باب الاحتجاج عليهم باقوالهم ، أو محاولة الرد والنقض لها ، وانما هو من باب الاعتماد ، والتلقي، والاستفادة ، والتعلم ، وذلك لأن أهل السنة هم الأصل في هذه العلوم هم انشؤوها، ووضعوا مناهجها ، وحددوا طرائقها ومعالمها ، فلن =

=

يخرج أحد مهما كان ، وايا كان إذا ما أراد ان يكتب في هذه العلوم عن مسلكهم ، ومنهجهم ، وطرائقهم .

ذكر المحقق الكركي في كتابه هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار، اعتماد عدد كبير من علماء الشيعة في كتبهم على كتب واقوال أهل السنة فقال :

[ثم اقتفى ابن إدريس أكثر من تأخر عنه واختلفت آراؤهم في العمل بالإخبار وخلطوا المعقول بالمنقول لكثرة اختلاطهم بالعامة – أهل السنة – وقراءة كتبهم ودراستها للتقية ، بل ولغير التقية أيضاً نحو إرادة التبحر في العلوم وغير ذلك كما نشاهده الآن في بلاد العجم التي هي مقر الشيعة ومعدن الأيمان .

فانهم لا يعدون من لم يقرأ العضدي ومتعلقاته أصولياً ، ولا من لم يقرأ تفسير البيضاوي والكاشف مفسراً ، ولا من لم يصرف عمره في ما ألفه الدواني وإضرابه من الكتب الحكمية الكلامية حكيماً ولا متكلماً ، حتى كاد الحق ان يخفى لاختلاط الأصول الحقة بالباطلة هذا كله مع ارتفاع التقية ، فكيف كان ذلك الزمان ؟]

ومما قاله الكركي بخصوص هذا الشأن أيضاً :

[ثم لما وصلت النوبة إلى شيخنا جمال الدين الحلي والذي انتهت إليه رئاسة المذهب وزالت التقية في زمانه.

فاكثر البحث مع العامة ، واشتغل بمطالعة كتبهم ورأى ما فيها من التدقيقات الغريبة ، والمباحث العجيبة المبنية على ما تولده الأفكار وترجحه الأنظار مما تستحقه العقول ، وتميل إليه الطباع فأعجبه ذلك الطريق . وألف الكتب في الفروع والأصول على ذلك النمط ، كما يشهد به كتاب النهاية في الأصول ، وكتاب القواعد في الفقه وغيرها من كتبه واشتبه عليه الأمر في العمل بالأخبار لالفة ذهنه بكتب العامة ، وعدم تأمله في كلام من تقدمه من الخاصة كما تراه في زماننا هذا من العلماء المشهورين] .

وقال أيضاً :

[أكب المتاخرون من أصحابنا على مطالعة كتب أمام الحرمين ، والغزالي، والرافعي، والفخر الرازي ، لما فيها من الدقة والتصرفات العقلية ، واعتنوا بتلك الكتب، وأعجبهم طرزها ، فرغبوا في تأليف الكتب على ذلك المنوال] .

[هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار / الكركي ص٩٥ ، ١٥٣]

ومما يؤكد تبعيتهم لاهل السنة في مجالات علوم الشرع عموماً استحداثهم لقواعد هي من الأمور التي نضجت واحترقت عند أهل السنة .

فقد ذكر مرتضى العسكري في كتابه (معالم المدرستين) ان بعض علماء الشيعة قد =

كما اثبت عدم وجود كتب سير وتاريخ خاصة بهم مستقلة عن غيرهم .

واثبت وجود أثر للزنادقة في معتقداتهم عن طريق الدس الذي قاموا به في كتبهم بادراجهم لروايات منسوبة إلى ائمتهم .

والاهم من كل ذلك انه الغى أي دور للائمة في حفظ رواياتهم وحمايتها من الدس الطارىء عليها وجعل منهم غرضاً يستخدمه أصحاب العقائد الفاسدة لبث ما يريدون ولاغواء الناس بنشر ما يشاؤون .

وفعل مرتضى هنا الناسف لمذهبه لم ينفرد به وحده بل هناك غيره من علماء الشيعة من نسف مذهبه أيضاً بجرة قلم عندما عرض فكرة تبناها فهذا هو العالم المعاصر مرجع الشيعة في كثير من البلدان (آية الله محمد حسين فضل الله) قام بنسف مذهبه الشيعي جملة وتفصيلاً عن طريق طرحه لافكار تبناها لا يترتب على تطبيقها إلا الذهاب بمذهبه بعيداً وسقوطه في الهاوية ، وإليك تلكم الأفكار التي طرحها هذا المرجع :

=

استحدثوا قاعدة في الحديث هذه القاعدة ذكرها بقوله :

[في أخريات القرن السابع الهجري راجت قاعدة جديدة لمعرفة الحديث نسبة كشفها لابن طاووس والعلامة الحلي حيث صنف الحديث حسب راويه إلى أربعة أصناف:

(الصحيح ، الحسن ، الموثق ، الضعيف)] .

[معالم المدرستين / مرتضى العاملي ج٣ ص ٢٧٢]

وقد نص الكركي في بيانه لاصل هذه القاعدة على انها من مخترعات أهل السنة مبيناً في ذلك التبعية التي هم عليها لاهل السنة ، والانقياد التام لهم والسعي الحثيث في السير وراءهم ، حيث قال :

[إن تقسيم الأحاديث إلى الأقسام الأربعة المذكورة في الدراية من مخترعات العامة– أهل السنة – ... وان عمل أصحابنا المتأخرين به كان عن غفلة وأية غفلة ، حيث لم ينتبهوا لما يلزمه من المفاسد والطعن في أصل المذهب فضلاً عن أهله] .

[هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار / شهاب الدين الكركي ص١٧٨ – ١٨٠]

لم تتضح عقائد الشيعة إلى وقتنا الحاضر

لخص صائب عبد الحميد رأي محمد حسين فضل الله في كتاب تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد وفي عقائد الشيعة بصورة عامة فقال :

قال السيد فضل الله :

قد تكون قيمة هذا الكتاب تصحيح الاعتقاد في عنوانه ، باعتبار أنه يثير أمامنا مسألة مهمة :

وهي إن كتب الاعتقاد المؤلفة من قبل علماء المسلمين الشيعة لا تمثل الفكرة النهائية الحاسمة في اعتقادات الشيعة ، لأنها انطلقت من اجتهادات هؤلاء العلماء في فهم القواعد والنصوص التي يحفل بها التراث الشيعي ....

وفي ضوء ذلك قد نحتاج في كل مرحلة من مراحل نمونا الفكري أن نضع تراثنا العقيدي الاجتهادي في نطاق البحث والمناقشة ، فقد نكتشف خطأ في أجتهاد ، وانحرافاً في تصور ، وضعفاً في حديث ، يؤدي إلى تصحيح بعض ما أخذ الناس به من عقائد .

وبعد ان مضى في البرهان على ذلك بنماذج حية انتخبها من التراث ، أكد ضرورة التصحيح بهذه الملاحظة الهامة فقال :

لاسيما مع الفوضى التي أحاطت بالأحاديث الواردة عن الأئمة عليهم السلام من وضاع الحديث ، الذين كانوا لا يكتفون بنقل الأحاديث الموضوعة بشكل مباشر، بل كانوا يدسونها في كتب أصحاب الأئمة الموثوقين كزرارة ومحمد بن مسلم وأمثالهما ، ليدخل الحديث الموضوع إلى الذهنية الإسلامية العامة من خلال هؤلاء الثقات الذين لا يدخل الريب إلى ما ينقلونه عن الأئمة انطلاقاً من وثاقتهم.

الأمر الذي يفرض الكثير من التوقف عند هذا اللون من الحديث المتصل بتفاصيل العقيدة ، سواء من ناحية ما يحيط بالسند من علامات استفهام متنوعة، أو ما يوحي به المتن من التساؤلات.

وقال فضل الله أيضاً :

أننا نعتقد ان حركة الاجتهاد الشيعي لا بد ان تواجه مسألة التفاصيل العقيدية بنفس القوة والدرجة ، التي واجهت بها مسألة التفاصيل الشرعية في فروع

الأحكام[١] .

نسفَ المذهب الشيعي

أقول :

هذه هي أقوال هذا المرجع امامك واضحة في الفاظها ، قطعية في دلالتها، لا يترتب على تطبيقها إلا نسف مذهبهم والذهاب به بعيداً فهي في الوقع كالزلزال المدوي في أثره وما يترتب عليه ، فعبارته :

[ان نضع تراثنا العقيدي الاجتهادي في نطاق البحث والمناقشة] .

وعبارته الاخرى :

[وهي إن كتب الاعتقاد المؤلفة من قبل علماء المسلمين الشيعة لا تمثل الفكرة النهائية الحاسمة في اعتقادات الشيعة ، لأنها انطلقت من اجتهادات هؤلاء العلماء في فهم القواعد والنصوص التي يحفل بها التراث الشيعي ....] .

نسفتا ثوابت هذا المذهب ، وزلزلتا اركانه ولم تبقيا فيه أي أمور مسلم بمضامينها يطمئن المرء حال الاعتقاد بها .

وعبارته الاخرى المصرحة بوجود الفوضى العارمة التي عصفت بالاحاديث الواردة عن الأئمة وجعلتها سبباً رئيسياً لانتشار الاحاديث الموضوعة، والاخبار المدسوسة إلى الأفكار الاسلامية والتي عبر عنها (بالذهنية الاسلامية) وهو بقوله هذا افقد الناس الثقة بكل مروي عن الأئمة ، وبكل وارد عنهم ، وجعل دائرة التشكيك محيطة بهذه المرويات من كل جانب .

اذا كان بيتك من زجاج فلا ترمي الناس بالحجارة

وعليه نقول لمرتضى : الأولى بك وبامثالك ممن يدعون التحقيق والبحث والتنقيب ان تتوجهوا إلى مذهبكم لتحاولوا تثبيت اركانه أولاً ، فتستقيم على إثره عقائدكم ، ومن ثم تتوجهون إلى تنقيته ، وتصفيته من الزائف، والموضوع ، والمختلق ، والمدسوس الذي طفح به مذهبكم بتصريحكم انتم، وإذا ما انتهيتم من

(١) [حوار في العمق من أجل التقريب الحقيقي / صائب عبد الحميد ص ٧٤ –٧٥]

هذا العمل واشك في ذلك ، وطلب منكم أهل السنة ان تعينوهم في تحقيق مرويات مذهبهم والمبني عليها من استدلالات واحكام ، فلربما حينها يكون لعملكم الموجه إلى أهل السنة له نوع قبول ، أو ربما قد يستساغ .

والا فكتبك التي اشغلت عمرك بها واصابك من جرائها ما اصابك من الامراض لا وزن لها ، ولا قيمة فاقل ما ترد به ان يقال لك عليك بنفسك هذبها وقومها ثم اتجه إلى الاخرين ، أو يقال لك :

[إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجارة] .

كتب الهدف منها اشعال الفتن

وهذه كتبك التي لم تنفع مطلقاً بل الضرر هو الذي تحقق منها باثارتها للفتن واشعالها لها ساسردها للناس كما هي في خاتمة الجزء الأول من كتابه عبد الله بن سبأ ليعرف الناس ان مرتضى وامثاله لم يشغلوا انفسهم بتنقيح مذهبهم، وتصفيته من الطوام التي تحيط به وتثقل كاهله بل توجهوا إلى أهل السنة طاعنين، ومفترين ، ومتقولين ، وإليك اسماء بعض هذه الكتب :

١- أحاديث أم المؤمنين عائشة / (٢) مجلد .

٢- عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى / (٢) مجلد .

٣- عبد الله ابن سبأ والاسطورة السبائية / مجلد .

٤- خمسون ومائة صحابي مختلق / (٢) مجلد .

٥- خمسون ومائة صحابي مختلق – صحابة من قبائل شتى / مجلد .

٦- رواة مختلقون / مجلد .

٧- انواع الاختلاق واصناف المختلقين / مجلد .

٨- الروايات الاسرائلية وروايات الزنادقة والغلاة / مجلد .

٩- تراجم الصحابة – من رأى الرسولﷺ وروى عنه / مجلد .

١٠- تراجم الصحابة – من رأى الرسولﷺ ولم يرو عنه/ مجلد .

١١- تراجم الصحابة – من عد من الصحابة ولم ير الرسول ص ولم يرو عنه/ مجلد .

اشغل نفسه بما لا يعنيه

أقول :

بعد هذا السرد لاسماء كتب مرتضى العسكري هذه الكتب التي لم توجه إلا لاهل السنة ، ولم تكن مواضيعها ومضامينها إلا محاولات للطعن ، والتشكيك، والافتراء ، والتدليس توضح ما عليه هؤلاء الناس من عداء لاهل السنة ورموزهم ومذهبهم ، بحيث انهم لأجل تحقيق هذا العداء ، وتفريغ الحقد، وزرع الكره والبغض والفتنة ، تركوا كتبهم وتوجهوا إلى كتب أهل السنة .

لم يناقشوا تلك المشكلات العويصة ، والمدوية ، والمزلزلة المحيطة بهم والمؤثرة عليهم ، وناقشوا مشاكل قد حلت عند أهل السنة استوعبت عندهم استيعاباً كاملاً .

وتركوا الجذع الذي تمركز في وسط احداقهم لينقبوا عن ذرة صغيرة في عيون أهل السنة ، والا ما دخلك أنت يامرتضى بام المؤمنين عائشة لتحقق احاديثها وتناقشها وهي الموسومة عندكم بكل وصف قبيح والمتهمة منكم بتهم التشويه والتجريح ؟

وما علاقتك بالصحابة لتنقب عن اسمائهم وتحدد المختلق وأنت واصحاب مذهبك تكفرون افاضلهم والاعمدة فيهم وخيارهم (أبو بكر ، وعمر ، وعثمان فضلاً عن غيرهم) ؟

واين أنت من تراجمهم فهل أهل السنة إلى هذه الدرجة من الاهمال ان يتركوا مذهبهم ومتعلقاته إلى غيرهم من أهل الاغراض ليحققوه ويحددوا معالمه.

مَن من علماء أهل السنة سلك مسلك مرتضى

كما ذكرنا لكم سابقاً ان مرتضى هذا قد اشغل نفسه فيما لا طائل تحته ولا يعنيه، وضر أكثر مما نفع ، ولم يساهم إلا في زيادة الاحقاد ، وزرع الفتن ، وترسيخ لمبادىء الابتعاد ، والانفصال بين الطائفتين السنة والشيعة .

وهل وجدت يامرتضى من علماء السنة من نحى منحاك هذا فاتجه إلى كتبكم ليحقق مرويات أحد أصحاب ائمتكم من أمثال : (زرارة ، أو جابر الجعفي، أو هشام بن الحكم ، أو غيرهم) ولياقشها محاولاً تقييمها ليميز

الصحيح منها والضعيف والمقبول منها من المردود ، أو حاول ان يحدد المختلق من اسماء أصحاب ائمتكم ، أو حاول تحديد الدس والاختراق الذي تعترفون بـــه وبوجوده في كتبكم.

لكنك مهما بحثت لن تجد مثالاً لهذا الأمر لأن أهل السنة مشغولون بانفسهم همهم اخراج ما عندهم بانقى صورة واسلم طلعة وافضل نتـــاج ، وعليـــه فـــلا يشغلون انفسهم بالغير ما دام هذا الغير لا يؤثر عليهم ولا يخدمهم في مسعاهم * .

*** محدثو السنة أكثر وعياً من محدثي الشيعة**

أود الإشارة إلى نقطة أراها بالغة الاهمية وبالخصوص في هذا الباب ، وهي :

ان الاحاديث الضعيفة عند أهل السنة ، وكذلك الحسنة والصـــحيحة قـــد جمعـــت وحـــددت وضبطت ، فهناك كتب خاصة في الصحيح التزم فيها اصحابها الصحة، وهناك كتب أخـــرى تجمع ما بين الصحيح والحسن ، واخرى اشتملت على الضعيف منها ، فضلاً عن كتب خاصة لبيان المكذوب والموضوع ومن هنا كان قول بعض علماء أهل السنة ان علم الحديث نضـــج واكتمل دليلاً على حصره وضبطه وتحديد مواقعه ومواضعه ، فهل هذا موجود عندكم معاشر الشيعة ؟

ابرزوا لنا كتاباً واحداً صحيحاً تلتزمون انتم به لا انا افرضه عليكم ؟ ابرزوا لنا كتابـــاً يجمـــع الضعيف والمردود عندكم حتى تصح المقابلة ، ويصح رد التهمة ؟

فعلماء الشيعة انفسهم قد اقروا بحقيقة ان أهل السنة قد تقدموا عليهم في هذا المجال، وسبقوهم فيه ازماناً فقد قال الشيخ نور الدين الموسوي العاملي :

واما العامة فكتبهم دالة على انهم في أول زمن التابعين انتخبوا احـــاديثهم واعتمـــدوا عليهـــا واسقطوا منها كل شيء اشتبه عليهم صحته حتى ان مالكاً اسقط من الحديث مـــا لا يحصـــى واثبت ما لا يخفى والصحاح الستة مشهورة .

[الشيخ نور الدين الموسوي العاملي في حاشيته على كتاب الفوائد المدنية لامين الاسترابادي / ص ١٢٥]

وهذا ما ذهب إليه كذلك السيد هاشم معروف الحسني فهو قد اعتبر علماء أهل السنة اشخاصاً أكثر وعياً من علماء الشيعة ، حينما قال :

والذي لا يجوز التنكر له ان محدثي السنة من اواسط القرن الخامس كانوا أكثر وعياً وادراكاً للاخطار التي احاطت بالحديث الشريف من محدثي الشيعة فالفوا بالاضافة إلى كتب الروايـــة واحوال الرجال عشرات الكتب خلال قرنين من الزمن حول الموضوعات وبعضها يحمل هذا الاسم بالذات ، ومن بين هؤلاء عبد الرحمن بن الجوزي العالم الشـــهير الـــذي الـــف كتابـــه =

ضربة قاضية أخرى للمذهب الشيعي

ولتأكيد نصحي الموجه إلى مرتضى وامثاله والمتمثل بدعوته للتفرغ لمشاكل مذهبه ، ولرجال مروياته ، انقل لكم قول مرتضى مطهري الذي يثبت هذه الحقيقة ويؤكد هذا الأمر لأن هذا المذهب فيه ما فيه مما يكفي لاشغال علماء الكرة الاضية كلهم ليبحثوا له عن حل وتخريجات وتوجيهات ومسعفات ، حيث يقول مرتضى :

[ليس صحيحاً ان جميع المشاكل قد حلها العلماء ولم تعد لدينا مشكلة ما، إننا نجد آلاف الألغاز والمشاكل في الكلام ، والتفسير ، والفقه ، وسائر العلوم الإسلامية ، مما قام العلماء العظام السابقون بحل الكثير منها ولكن بقي منها الكثير الذي يتطلب الحل ، وأنه لمن واجب الآتين أن يحلّوا تلك المشاكل، ويكتبوا فيها كتباً أفضل وأشمل ، فيديموا تلك العلوم ويتقدموا بها ، بمثلما أمكن في الماضي التقدم بالتفسير إلى الإمام ، وكذلك بعلم الكلام ، وبالفقه ، على هذه القافلة إلا تتوقف عن المسير] (١) .

=

الموضوعات في ثلاثة اجزاء خلال القرن السادس الهجري وتوالت بعده المؤلفات في هذا الموضوع فالف السيوطي ، والفتني وغيرهما بنفس التخطيط والاسلوب واصبحت كتبهم من أجل المصادر واكثرها فائدة لمن يريد ان يكتب في هذه المواضيع .

اما الشيعة فقد تجاهلوا هذا الموضوع وكانه لا يعنيهم من أمره شيء في حين ان الموضوعات بين مروياتهم لا تقل في عددها واخطارها عن الموضوعات السنية، وكل ما في الأمر انهم عالجوا مشاكل الحديث عن طريق مؤلفاتهم في علمي الرجال والدراية اللذين يبحثان عن احوال الراوي والرواية ويضعان الخطوط العامة لما يصح الاعتماد عليه وما لا يصح ، ولكنهم لم يحاولوا خلال هذه القرون الطوال ان يضعوا ولو كتاباً واحداً يشتمل ولو على نموذج من الموضوعات في مختلف المواضيع في حين انهم لا يزالون يعانون مما تركته تلك الموضوعات من آثار سيئة على المذهب الشيعي البعيد عن الشذوذ والاساطير والخرافات التي ادخلها المرتزقة من اتباع الحكام والقصاصون وقادة الفرق والاحزاب .

[الموضوعات في الاثار والأخبار عرض ودراسة / هاشم معروف الحسني ص ٨٨]

(١) [التجديد والاجتهاد في الإسلام / مرتضى مطهري ص ٩٩] [ذكريات مع الشهيد مطهري / علي دواني– ترجمة خالد توفيق ٢٤٩]

تداركوا سفينة أهل البيت من الغرق

أقول :

فأمتثل ياعسكري بهذا الطلب ولا تخرج عنه لعل الله يهديك إلى طريق مستقيم، ولعلك تكون أحد المنقذين لسفينة نجاتكم التي لم يبق من ظاهرها شيء لأن كثرة ما فيها من منافذ وخروق وثقوب ، والتي عدها مرتضى بالالاف قد اغرقتها وجعلتها منزوية عن الانظار غائصة في اعماق البحار تبحث عن منجد ومغيث ، ومنجي لها .

ولكن هيهات هذا المغيث فالربان وهو الإمام (المنتظر) قد اختفى ، ولا يعلم له مكان ، وعمال السفينة قد اشغلوا انفسهم باصلاح سفن غيرهم ، وتركوا سفينتهم التي يدعون ان في ركوبها النجاة .

المطلب الرابع
دعواه تسرب روايات عبد الله بن سبأ الى كتاب رجال الكشي

وها هنا دخل مرتضى في التجاوز السافر ، والتخمين الفاضح والمفضوح وغير المسبوق ، والمتمثل بالقاء دعوى عريضة وخطيرة ، بنى عليها حكماً ينسحب أثره إلى جهات عديدة ، ومتعلقات كثيرة من كتب تاريخ وعلماء وروايات والائمة عندهم .

وهذه الدعوى هي دعوة التسرب تلك التي رمى بها جزافاً ، وبدون ضابط مدخلاً لكتاب (رجال الكشي) في حيزها وشاملاً له في اعتبارها ، حيث قال في كتابه بخصوص هذا الأمر :

[ومن كتب أهل الملل والنحل انتقلت الاسطورة بأسانيدها إلى سائر الكتب، ومن الجائز تسرب بعضها إلى رجال الكشي الذي قالوا فيه وفي كتابه :

كان ثقة عينا روى الضعفاء كثيرا ، وصحب العياشي وأخذ عنه وتخرج عليه، له كتاب الرجال . كثير العلم . وفيه أغلاط كثيرة .

وقالوا عن استاذه العياشي : كان يروي عن الضعفاء كثيرا ، وكان أول أمره عامي المذهب ، وسمع حديث العامة فأكثر منه .

من الجائز تسرب بعض تلك الاساطير إلى رجال الكشي ، ثم تسربت منه إلى سائر الكتب كما شاهدنا ذلك في ما سبق] [١].

مقدمة ظنية مبنية على تخمين

أقول :

إن هذا التبرير غير مقبول لا عند أهل العلم ، ولا عقلاً ومنطقاً ، إذ هو مبني على مقدمات ضعيفة ، وتترتب عليه الزامات خطيرة ، فاما هذه المقدمات التي اعتمد عليها في إثبات هذا التبرير فهي مبنية على تخمينات وتشكيكات ، لا تحديد يضبطها ، ولا تقييد يلجم اطلاقها .

فهو قد بنى تبريره على ان كتب الفرق تتناول في حيثياتها اموراً غير حقيقية ضعيفة من حيث السند تم ادراجها في هذه الكتب والاعتماد عليها من قبل من جاء بعده هذه هي المقدمة الأولى .

وكما هو واضح انها مقدمة ظنية مبنية على تخمين لا ضابط له .

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٤١٣]

ثم انتقل إلى نتيجة أخرى هي أيضاً مشكوك فيها فهي بل اصلها شك حيث انه قال :

[ومن الجائز تسرب بعضها إلى رجال الكشي] .

تبرير عليل

فابتداءاً هو لم يجزم بحكم التسرب هذا أولاً ، وبعد ذلك لم يحدد الأمر الذي تسرب ، ولم يضبطه بضابط يمكن الاعتماد عليه بل ارسله هكذا حكماً جزافياً خال من أي ضابط ، وبعيد عن أي حصر وتقييد ويكفي في رد جميع هذا التبرير قوله : [من الجائز] ، الذي يدل على عدم تأكد ، وظن غير مجزوم به بهذا الأمر .

فلذلك تجده في محاولة منه لتقوية تخمينه هذا وتخرصه الذي عرضه يحاول ان يضعف الكشي نفسه ، وكتابه ، وشيخه الذي أخذ منه ليجعل من امكانية تمرير بعض الأمور عليه شيئاً مقبولاً ، واحتمالاً قوياً .

ولكننا نقول له ان التحقيق لا يكون بهذه الطريقة ، ولا يتبع معه هذا الاسلوب بل له ضوابطه وقواعده المعلومة فخير لك من طعنك هذا بالرجل وبكتابه ان تاخذ الكتاب نفسه فتقوم بتحقيقه وان تبحث في اسانيده .

وقد اشرنا إلى رفض علماء الشيعة لدعوى مرتضى هذه في الصفحات السابقة حيث اعتبروها طعناً غير مبرر ، وتجاوزاً لا دليل عليه ، وابتعاداً عن مناهج التحقيق التي ينبغي للمحقق اتباعها وسلوكها في معالجته للقضايا .

واقع كتب الشيعة المتهالك بلسان علمائهم

ومما يؤكد هذا الرفض ويثبته ان الواقع الحقيقي لكتب الشيعة بما تحويه من روايات عن ائمتهم يرفض هذا الأمر وبشدة ، لذلك نجدهم أو الكثير منهم قد تصدوا إلى هذا الأمر الذي ادعاه مرتضى منطلقين من واقع كتبهم وما فيها من مرويات .

ومن هؤلاء العالم الشيعي محمد علي المعلم حيث قام بايراد دعوى مرتضى هذه إلا وهي تسرب أخبار الزنادقة الموجودة في كتب مثل تاريخ الطبري إلى كتب تاريخهم وكان من نتيجته التسامح في انتشار روايات غير صحيحة في

بعض كتب التراجم مثل رجال الكشي والمقالات للاشعري ، واجاب عن هذه الدعوى بقوة وبدون أي تحفظات حينما قال :

[ان المتتبع لروايات أهل البيت يرى ان قسماً كبيراً من هذه الروايات ليست موافقة لاصول مذهبهم بل موافقة لمذاهب العامة مع توفر شرائط الحجية فيها، حتى ان الإمام المعصوم قد يفتي في المسألة الواحدة بأكثر من حكم ، وقد يعمد الإمام إلى القاء الخلاف بين شيعته في محاولة من الأئمة بالابقاء على شيعتهم والحفاظ على وجودهم بهذا النحو من الاسلوب ... .

ولذلك انتشرت أخبار التقية ، والأحكام الثانوية وهي مثبتة في الموسوعات الروائية] (١) .

لذلك فالذي يفرضه العلم والعقل والواقع والعادة انه كان على مرتضى خير له من كل ذلك ان يبحث في أسانيد الروايات التي ذكرت (عبد الله ابن سبأ) وتناولت الاحداث التي لازمته ، لانه ان أخذ كلامه على اطلاقه فسيؤدي إلى تسقيط الكتاب كله لأن التشكيك عام وهو ينسحب على كل الحيثيات التي تناولها الكتاب ، وكما هو معلوم بأن هذا الكتاب له اهمية كبيرة عند علماء الشيعة بحيث لا يمكن الاستغناء عنه مطلقاً .

وبالنتيجة فإن هذا التبرير عليل ، وبعيد كل البعد عن ضوابط التحقيق ومحدداته ، ولا يستقيم مع قواعد العلم وواقع الحال ، لذلك فهو باطل يحيط به الفساد من كل جانب .

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٧]

المبحث الثالث
تبريرات أخرى لمرتضى للايهام بصحة دعواه

مدخل

ان مرتضى لم يكتف لأجل ايهام الناس بصحة دعواه وصواب اختياره بتلك المحاولات التي سعى من خلالها إلى إسقاط كتاب (رجال الكشي) من الاعتبار لانه على علم من ان محاولاته هذه يائسة وفاشلة .

لذلك قام بالبحث عن مبررات أخرى ، ومحاولات جديدة لعله يتوصل من خلالها إلى الايهام باثبات مدعاه .

وفي هذا المبحث قمت بتناول تلك المبررات الاخرى التي لا تتعلق بشكل مباشر بكتاب (رجال الكشي) وانما كان اتجاهها بعيداً عن هذا المقصد والطرق التي ترسمها لا تصب في هذا الاتجاه .

وقمت في هذا المبحث كسابقه بتسليط الضوء بصورة مباشرة على الأخطاء المنهجية التي وقع بها مرتضى في عرضه للمسائل ، وكشفت عن حقيقة ما يفعله ، والدوافع من وراء هذا الفعل في معالجته للاقوال والروايات ، وتوجيهه للاختيارات والمذاهب ، مع التوضيح التام للالزامات الخطيرة المترتبة على تبريراته هذه ، والامور الاخرى المتعلقة بها والتي تناقضها وتتصادم معها متوصلاً من ذلك كله إلى الحكم الجازم على تبريراته هذه بالفساد والبطلان مع الحسم التام لمادتها ، وقطع دابر أثرها ونتائجها .

وانطلاقاً من هذه التبريرات الاخرى التي عرضها مرتضى قمت بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب باعتبار تلك التبريرات ، وإليك هذه المطالب :

المطلب الأول :

الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة لم تورد روايات الكشي .

المطلب الثاني :

ادعاؤه بأن عبد الله بن سبأ مصحف عن عبد الله بن وهب السبائي .

المطلب الثالث :

تضعيف كتب أصحاب المقالات على الفرق .

المطلب الاول
الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة لم تورد روايات الكشي

ادعاؤه ان الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة لم يرد فيها ذكر للروايات الخمس التي اعتمد عليها الكشي في إثبات وجود شخصية عبد الله بن سبأ ، قال مرتضى العسكري:

[ومن الغريب أن أصحاب المجاميع الحديثية المعتبرة عند الشيعة لم يخرجوا الروايات الخمس المذكورة ، فلا نجدها في الكافي للكليني ، وكتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق ، والتهذيب ، والاستبصار للشيخ الطوسي.

ويدل هذا على أنهم لم يعتمدوا تلك الروايات مع شهرة رجال الكشي عندهم](١).

أقول :

لبيان الرد على هذا التبرير ينبغي ان يعلم أولاً ان المتناولين لشخصية عبد الله بن سبأ تفرع تناولهم لهذه الشخصية إلى فرعين :

الأول : الوجود لهذه الشخصية .

الثاني : عقائدها التي تحمل ، واثرها .

اما الفرع الثاني :

فقد دلت الروايات على ان لهذه الشخصية عقائد خاصة دعت إليها لا توافق عقائد المسلمين المعروفة ، ولكن الخلاف حصل في توجيه نوعية هذه العقائد، ومدى أثرها الحاصل على الواقع .

اما الفرع الأول :

المتمثل بوجود هذه الشخصية هو الذي يهمنا هنا والذي يدور عليه نقاشنا لتبريرات مرتضى العسكري ، ذلك لأن وجود هذه الشخصية يعد من الأمور التي اجمع عليها أهل التواريخ والسير عموماً ، وعلماء الشيعة على اختلاف منازلهم وازمانهم خصوصاً .

---

(١) [عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ١٧٧]

قاعدة جديدة لمرتضى لم يسبقه لها احد

فعندما ياتي شخص وينفي وجود مثل هذه الشخصية مع توافر كل المقدمات الملزمة لاثباتها ، فلا بد عقلاً ان تتوافر عنده من الادلة ما يمكن ان يرد به كل هؤلاء السابقين ، والا فكلامه مردود عليه ، وحجته داحضة لا قيام لها ولا نهوض .

واقصد هنا مرتضى العسكري حيث انه اقتحم وبجرأة متناهية الجدار القوي ، والمتمثل باجماع كل السابقين له على وجود هذه الشخصية منطلقاً من ارضية يراها هو صلبة ، ولكنها في الحقيقة رخوة زلقة إذ انه أخذ يتناول قضايا ومبررات من هنا وهناك لاقناع الغير بما يريد تأصيله ، وهذا هو الذي فعله هنا في تبريره هذا حيث انه انطلق من قاعدة لا اظن ان أحداً سبقه إليها مفادها:

ان الروايات الخمس التي اعتمد عليها الكشي في رجاله لا وجود لها في الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة وعليه فإن هذه الروايات لا تنهض للاحتجاج ،ولا يمكن ان تبنى عليها أحكام .

هذا ملخص ادعائه ونحن إذ لا نسلم له بهذا الادعاء ، ولا نقبل منه هذا التبرير فينبغي علينا ان نوضح الاسباب التي تمنع من قبوله وتقف حائلاً امام امراره، والاسباب هي :

اولاً :

مرتضى يثبت وجود عبد الله بن سبأ من كتابي التهذيب والفقيه

ان القضية المهمة هنا والتي عليها مدار البحث وقاعدته هي ان هل لهذه الشخصية وجود متحقق ورد ذكره بالروايات ، أو لا وجود لها ، ولم ترد أي إشارة في اثباتها ؟

فمرتضى العسكري في هذا الموضع نفى ان يكون هناك ذكر للروايات الخمس التي ساقها الكشي في الكتب الأربعة ، وكما هو معلوم ان هذه الروايات الخمس أمر زائد على إثبات وجود الشخصية فهي تتناول العقائد التي دعى إليها ابن سبأ والمواضيع التي حاول نشرها من أمثال ادعائه الالوهية والربوبية في الإمام علي رض ، وغيرها من الدعاوى التي ذكر أهل العلم انه قام ببثها بين

الناس واوردها الكشي في رجاله من أمثال ادعائه الوصاية لعلي ، والتشهير بأعدائه ، والجهر بكفرهم إلى اخره .

اما قضية الوجود فهذا أمر ثابت ومتحقق ، لذلك لم يحتج إلى تناوله بالروايات، وعلى الرغم من ذلك فإن الذي يدل على إثبات وجود هذه الشخصية قد ورد في هذه الكتب ، وتم تناوله ومن ذلك ما ورد في كتاب (من لا يحضره الفقية) وكتاب (التهذيب) بنص صريح على وجود هذه الشخصية .

والعجيب في الأمر ان العسكري نفسه قد اورد هذه الرواية التي اوردها أصحاب هذه الكتب معتمداً عليها في نقاشه لامكانية ثبوت الروايات الخمس من عدمه ، وكانه جعل لها ثبوتاً بنفسها وقياماً متحققاً بذاتها ، وإليك نص الرواية لترى مدى صراحتها في إثبات هذه الشخصية :

[عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ان أمير المؤمنين عليه السلام قال :

إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء ولينصب في الدعاء .

فقال ابن سبأ : يا أمير المؤمنين أليس الله في كل مكان ؟

فقال : بلى قال فلم يرفع يديه إلى السماء ؟

قال : أما تقرأ في القرآن ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الذاريات : آية ٢٢) فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه ، وموضع الرزق وما وعد الله السماء][1].

فهذه هي الرواية وكما هو واضح للعيان انها تدل بما لا يقبل الشك على وجود هذه الشخصية ، وعلى ان لها كياناً متحققاً وهي واردة في الكتب التي حاول ان يضعف امكان وجود هذه الشخصية من خلالها .

وكما ذكرنا ان المهم هنا هو إثبات وجود هذه الشخصية وهذا قد تحقق بدلالة هذه الرواية التي استدل بها مرتضى نفسه في معرض نقاشه للروايات الخمس، وعليه فلم يبق لادعائه النفي مكان ولا لمحاولته سلخ هذه الشخصية من الاذهان تحقق وثبوت.

---

(١) [عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ١٨١]

اعتراض ورد

ان هذه الرواية ثابتة عند الشيعة بسند مقبول ومعتبر وهو الذي عليه كبار مراجعهم والمعتمدون من محققيهم ، ولا عبرة بمحاولة الاعتراض على سند هذه الرواية بأن فيها (القاسم بن يحيى) بادعاء انه غير موثق ، لأن هذا الاعتراض مردود بنفسه فقد ذهب أهل الدراية بالرجال من علماء الشيعة إلى توثيقه وقبول الرواية عنه .

وإليكم التحقيق الشافي والكافي لهذه الرواية من قبل أحد علماء الشيعة والذي به غاية المرام مع تقرير وتأكيد ما عرضناه عليكم وثبتناه لكم ، قال محمد علي المعلم بخصوص اعتبار سند هذه الرواية :

[وأما سند الرواية فقد رواها الصدوق عن ابيه سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني ، عن القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن بن راشد، عن أبي بصير، ومحمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله ، عن ابيه ، عن جده عن ابائه، عن أمير المؤمنين .

وهذا السند معتبر ، فإن (القاسم بن يحيى) وان لم يرد فيه توثيق إلا ان الشيخ حكم بصحة ما رواه عنه .

قال السيد الخوئي قدس سره :

لا يبعد القول بوثاقة القاسم بن يحيى لحكم الصدوق بصحة ما رواه في زيارة الحسين عن الحسن بن راشد ، وفي طريقه إليه القاسم بن يحيى ، بل ذكر ان هذه الزيارة أصح الزيارات عنده رواية .

ونقل الغفاري – علي اكبر الغفاري – رأي العلامة المجلسي رحمه الله :

اعلم ان أصل هذا الخبر في غاية الوثاقة والاعتبار على طريقة القدماء ، وان لم يكن صحيحاً على زعم المتأخرين ، واعتمد عليه الكليني رحمه الله ، وذكر أكثر اجزائه متفرقة في ابواب الكافي ، وكذا غيره من اكابر المحدثين .

وذكر الغفاري ان عدم صحة السند عند المتأخرين هو وقوع القاسم بن يحيى في سند الرواية ، وقد عرفت أن السيد الخوئي وهو من سادات المتاخرين قد أستقرب وثاقة (القاسم بن يحيى) وعده العلامة المامقاني من الحسان ، ونقل

الوحيد البهبهاني الميل إلى وثاقته .

وممن ذهب إلى القول بوثاقته شيخنا الاستاذ العلامة الداوري ، فإن القاسم بن يحيى قد وقع في أسناد كتاب نوادر الحكمة ولم يستثنه ابن الوليد ، وذلك امارة على الوثاقة ، وقد فصل ذلك في محله] .

وبعد هذا التحقيق صرح المعلم بالنتيجة المتحققة منه باصدار حكمه الاتي :

[والنتيجة أن سند الرواية معتبر] .

وزيادة في تأكيد صحة هذه الرواية واعتبارها قام بايراد طريق اخر عاضد لها ومقوياً ، فقال :

[وقد رواها الشيخ في التهذيب بسنده ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن بن راشد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عن ابائه، ان أمير المؤمنين قال : إذا فرغ ... .

وهو طريق اخر غير طريق الصدوق وكلاهما ينتهيان إلى القاسم بن يحيى، وطريق الشيخ معتبر أيضاً .

ونقلها كل من صاحبي البحار ، والمستدرك عن الخصال] [1].

ثانياً :

رواية ثانية اوردها مرتضى تثبت وجود ابن سبأ

في مقام رده للروايات الخمس التي ساقها الكشي اورد روايتين :

الاولى : التي سقناها لك والتي وردت في الكتب الأربعة ، وفيها إثبات لوجود شخصية عبد الله بن سبأ.

والثانية : التي اوردها عن امالي ابن الشيخ الطوسي ، والتي تثبت كذلك وجود شخصية ابن سبأ ، وإليك نصها :

[في أمالي ابن الشيخ الطوسي : أن المسيب بن نجبة ، جاء إلى أمير المؤمنين متلببا بعبد الله بن سبأ ، فقال : ما شأنك ؟

فقال : يكذب على الله وعلى رسوله .

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٣٥]

فقال : ما يقول ؟

قال الراوي : فلم أسمع مقالة المسيب ، وسمعت أمير المؤمنين يقول : هيهات! هيهات ! العصب ، ولكن يأتيكم راكب الذعلبة يشد حقوها بوضينها لم يقض تفثا من حج ولا عمرة فيقتلوه . يريد بذلك الحسين بن علي] [١] .

وحاول عن طريق المقابلة بين الروايات – روايات الكشي الخمس وهاتين الروايتين – التوصل إلى تسقيطها جميعاً والحكم عليها بالرد والبطلان عن طريق الحكم عليها بالتناقض فهو جعل من امكانية الجمع بين هذه الروايات امراً عسيراً لوجود تناقض بينٍ فيما بينها ، ونتيجةً لذلك فلا يمكن التسليم لحال هذه الروايات، ولا قبول بمضامينها ، مع انه لم يكلف نفسه وهو يعالج هذا الأمر الخطير مع اصداره لهذا الحكم الكبير ان يناقش أسانيد هذه الروايات السبعة : (روايات الكشي الخمسة ، ورواية التهذيب ، ورواية الامالي) ، أو ان يبحث في الحكم المتعلق برجالها وهل هم أهل للقبول أو ليسوا كذلك .

مناقشة هذه الروايات تؤدي إلى هدم كل ما بناه مرتضى

والدافع له من وراء هذا الفعل علمه ان معالجة القضية من هذه الجهة لا تخدمه، ولا تنفعه لانها تهدم كل ما بناه ، فألتجأ إلى هذا المخرج والذي هو ادعاء التناقض ليتخلص من هذا الإشكال ، وهذه هي طريقتهم في التعامل مع مثل هكذا قضايا وهذا هو منهجهم عندما يريدون انكار قضية معينة فهم يحكمون عليها بالتناقض عن طريق زرع الاشكالات الموهومة بين الروايات الواردة في القضية وثم يجعلون المخرج منها امراً مستحيلاً .

المثبت مقدم على النافي عند التعارض

فبالنتيجة هم يضربون الروايات كلها عرض الحائط ، ولا يبقون لها دلالة ، أو امكانية لإثبات أو نفي ، وهم في تعاملهم هذا يسيرون بطريقة انتقائية خاصة تنافي كل القواعد الموضوعة للجمع بين الروايات ولتوجيهها التوجيه المناسب

---

(١) [عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ١٨٢] [بحار الأنوار / المجلسي ج٤٢ ص ١٤٦]

الخادم والجامع لدلالتها .

ان التركيز منا على هذه الطريقة هنا القصد منه بيان كيفية تلاعب هذا الرجل بهذه القضية وبالروايات الواردة فيها ليتوصل بالنتيجة إلى نفي وجودها وانكارها .

وكما ذكرنا سابقاً ان هذه المعالجة لا تخدمه هنا إذ اننا نبحث عن إثبات وجود هذا الشخص بالروايات مع كونه معالجته مخالفة للقواعد ، مثل القاعدة التي تقول :

(ان المثبت مقدم على النافي عند التعارض لتحقق زيادة العلم عنده) .

وهذا ما تحقق هنا فإن المثبتين عندهم زيادة علم متمثل بوجود ذكر هذه الشخصية في روايات متعددة وبقبول العلماء لمداليل هذه الروايات وتسليمهم بوجود مثل هذا الشخص .

ثالثاً :

هل يقبل مرتضى العسكري باطراد هذه القاعدة وتعميمها أو لا ؟

لقد انطلق مرتضى العسكري في محاولته هذه من قاعدة تبناها هو ، متمثلة بأن أصحاب المجاميع الحديثية المعتبرة عند الشيعة لم يخرجوا الروايات الخمس الواردة في حق هذه الشخصية ، والتي اعتمد عليها الكشي وبنى على ذلك عدم اعتمادهم تلك الروايات ، حيث قال :

[ويدل هذا على أنهم لم يعتمدوا تلك الروايات] .

إذن هذه هي القاعدة التي اصلها مرتضى ، وبنى عليها الأحكام الخاصة بنفي هذه الشخصية ويمكن ان نلخصها بهذه العبارة ان عدم إيراد الكتب الأربعة لروايات اوردها غيرهم مع اشتهارها دليل على عدم اعتماد تلك الروايات، ونحن هنا نقول لمرتضى العسكري سائلين أو محاورين ، هل يقبل مرتضى العسكري باطراد هذه القاعدة وتعميمها أو لا ؟

احاديث كثيرة لم ترد في الكتب الاربعة

فإن كان يقبل فعند ذاك ينبغي علينا ان نتناول كل الروايات المشهورة والتي اعتمد عليها الشيعة في إثبات أفكارهم وعقائدهم ، وتلك لم يرد لها ذكر في الكتب الأربعة ونعطيها نفس الحكم الذي حكم به مرتضى على هذه الروايات.

والقائمة في هذا الحقل تطول إذ ان هناك الكثير من الروايات التي اعتمد عليها الشيعة في إثبات عقائدهم لم يرد لها ذكر في كتب الروايات الأربعة وعلى سبيل المثال لا الحصر ناخذ (حديث الدار) أو ما يسمى بيوم الانذار ، و(حادثة الكساء) ، وكذلك حادثة (مبيت الإمام علي على فراش النبي ﷺ) ، فإنه وعلى الرغم من أهمية هذه الروايات لإنها تمس صلب عقيدة الشيعة ، بل إن قيام المذهب كله عليها فانك لا تجد لها ذكراً في هذه الكتب ، فعلى ماذا يدل هذا* ؟

إن كان يقبل بإطّراد قاعدته فسوف نحكم على هذه الحوادث بعدم الاعتماد، وبالرفض ، وانتفاء امكانية القبول .

وهل يقبل بأن تخضع لقاعدته ؟

وهل يمكن لنا ان ناخذ قاعدته عنواناً ودليلاً لابطال هذه الحوادث التي لم ترو في هذه الكتب ؟ هذا هو الاحتمال الاول** .

*** نقل الشيخ عبد الهادي الفضلي كلام البحراني في حدائقه عن الكتب الأربعة ، قائلاً :**

[قد اشتهر بين أكثر متأخري اصحابنا ، قصر العمل بالأخبار على ما في هذه الكتب الأربعة المشهورة زعماً منهم أن غيرها لم يبلغ في الضبط والانتقاد على وجه يوجب الاعتماد على مثله ... وقد علمت عدم الانحصار في الكتب المشار إليها ، وهو الحق الحقيق بالاتباع] .

[هكذا قرأتهم / عبد الهادي الفضلي ج٢ ص ١٦٢]

** من أراد التثبت من هذه الحقيقة بأن هذه الحوادث لم ترد في الكتب الأربعة يمكنه الرجوع إلى كتابيّ (أسطورة حديث الدار) و (أسطورة الفداء في مبيت علي ﷺ على فراش النبي ﷺ) حيث يجد فيهما إثبات هذه الحقائق .

كلا الاحتمالين المترتب عليهما أمر خطير

اما الاحتمال الثاني :

فيتمثل بعدم قبوله لهذه القاعدة ، وعند ذاك فالاشكال سيكون كبيراً وذلك بأن هناك الزاماً ببيان السبب الذي جعل لقاعدته هذه انحصاراً في هذه القضية بالذات، فالمسألة تحتاج إلى ضابط أو محدد اما ان يبرز لأجل اقناع الغير به وحملهم على قبول مضامينه أو ان لا يبرز وعند ذاك فلا يمكن قبول هذه القاعدة ولا هذا الضابط لعدم وجود مسوغ من جهة الشرع ، أو العلم ، أو العقل يبيح القبول ، ويجعل من امكانية الاذعان امراً مستساغاً .

وبالنتيجة فإن كلا الاحتمالين المترتب عليهما أمر خطير واحكام لا يمكن تغافلها ، فبالقبول نفي لادلة يعتمد عليها الشيعة في إثبات عقائدهم ، وبالنفي لا يمكن لاحد ان يقبل بهذا الادعاء فلا ندري أي الطريقين يختار مرتضى ؟

وهل سيحكم عليها بالتناقض كما فعل مع الروايات ؟

ام ان له مسلكاً اخر يستحدثه الله اعلم به ؟

رابعاً :

الكتب الأربعة لا تبحث في شؤون الرجال

ان هناك امراً مهماً يتعلق بهذه الكتب الأربعة فيه رد على ادعاء مرتضى يتمثل بأن هذه الكتب تحمل خاصية لمواضيعها التي تتطرق إليها هي انها تبحث عن الأحكام الفقهية، باستثناء الأصول من الكافي فهو الوحيد الذي يبحث في العقائد .

ولذلك لا دخل لهذه الكتب بالرجال ، ولا بالحكم عليهم ، ولا بالروايات المتعلقة بهم لأن مجال بحثها مختلف ، ومدار تناولها للروايات بعيد .

لذلك فاحتجاجه بهذه الكتب غير مقبول لأن مناط بحثها ومدار مواضيعها مختلف فليبحث له لأجل إثبات مداعاه عن كتب أخرى .

هذا هو الرد عن تبريره هذا تبين لنا من خلاله الانحراف الكبير عن المنهج العلمي المطلوب فيه من قبل مرتضى، وتبين لنا عدم دقته في تناول المجريات المتعلقة بهذه المواضيع كما انه قد تبين مدى الالزامات التي من الممكن ان يلزم

بها نفسه إذا ما قبل بهذه القاعدة التي اعتمدها ووافق على تعميمها وعليه فـيحكم على هذا التبرير بالبطلان والفشل لكونه قاصراً عن اداء المهمة التي انيطت إليه وعن انفاذ الأحكام التي بنيت عليه .

خامساً :

اسقاط بقية كتب الشيعة

ان من الأمور الكبيرة الأثر ، والتي تنبني على كلام مرتضـى العسـكري الشديد الغرابة هنا ، والذي لا نعلم أحداً سبقه إليه ذلك القول ، الذي اشار فيه إلى ان الروايات التي لم ترد في الكتب الأربعة غير معتمدة عندهم بدليل قوله :

(ويدل هذا على أنهم لم يعتمدوا تلك الروايات) .

أقول :

ان من الأمور الخطيرة التي تنبني عليه تسقيط الكتب الأربعة الباقية المكملة (للكتب الثمانية) المعتمدة في المذهب ، فهذه النتيجة لازمة له بلا شـك عنـدما حصر الاعتماد على الروايات في وجودها عند أصحاب الكتب الأربعة .

والنتيجة الاخرى التي تتمخض من قوله هذا ان كل رواية أو حـديث لـم يذكره (الكليني أو الصدوق أو الطوسي) ساقط في الاعتبار ولا يمكن ان يعتمـد عليه.

والذي ينبني على هذه النتيجة أمر خطير ، ومزلـزل للمـذهب الشـيعي ، وهو :

سقوط روايات (بحار الأنوار) للمجلسي ، ذلك الكتاب الذي نقل روايـات من عشرات الكتب غير الكتب الأربعة ، يقول المجلسي :

اجتمع عندنا بحمد الله سوى الكتب الأربعة نحو (٢٠٠) كتاب[١].

اضافة إلى ذلك تسقيط الروايات التي اوردها الحر العاملي فـي (وسـائل الشيعة) ، فقد ذكر في الفائدة الرابعة من خاتمة الكتاب ، المصادر التي نقل منهـا الاحاديث بلا واسطة ، فبلغت (٨٠) كتاباً ، ثم ذكر اسماء الكتب التي نقل عنها

---

(١) [اعتقادات المجلسي ص ٢٤] [مصطفى الشيبي / الفكر الشيعي ص ٦١]

بواسطة ، فقال في اخر المبحث :

اما ما نقلوا منه ولم يصرحوا بأسمه فكثير جداً مذكور في كتب الرجال يزيد على (٦٦٠٠) كتاب [١]. وكان يعتقد صحة المنقول من هذه الكتب.

وهذا يستلزم بالنتيجة ، تسقيط جميع روايات (مستدرك الوسائل) الذي استدرك فيه خاتمة المحدثين النوري الطبرسي على وسائل الشيعة للحر العاملي.

والنتيجة المستخلصة من كل هذا ان هذا الكلام الصادر من العسكري قد تحول معول هدم يضرب في جدار المذهب الشيعي بكامله إذا ما اريد تطبيقه فعلاً وواقعاً .

إذ انه سيذهب بالمئات من الروايات التي عليها الاعتماد عند الشيعة في إثبات عقائدهم وفروع مذهبهم ادراج الرياح وعند ذاك تسقط الادلة عندهم ، ولا يبقى وجود لاصول يرجع إليها ويثبت الادعاءات الموجهه إلى مذهبهم ، والقاضية بضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها في أخذ دينهم .

---

(١) [وسائل الشيعة / الحر العاملي – الخاتمة ج ٢٠ ص ٤٨]

المطلب الثاني
ادعاؤه ان عبد الله بن سبأ مصحف عن عبد الله بن وهب السبائي

ادعاؤه بأن عبد الله بن سبأ قد صحف عن عبد الله بن وهب السبائي :

قال مرتضى العسكري تحت عنوان (خلاصة البحث) :

[أما اسم (عبد الله بن سبأ) المؤسس المزعوم للفرقة المذهبية ، فإما أن يكون سيف قد صحف لفظة (عبد الله السبائي) إلى (عبد الله بن سبأ) كما يظهر ذلك من قول (الأشعري ، والسمعاني ، والمقريزي) .

أو أنه اختلق اسطورته وارتجل اسمه ، أي أنه اختلقهما معا .

وعلى أي حال فإنه لم يكن (لعبد الله بن سبأ) غير (عبد الله بن وهب السبائي) وجود في عصري عثمان وعلي بتاتا كما بيناه في محله] [(١)].

انحرافات وقع بها مرتضى

أقول :

ان هذا الذي ذهب إليه مرتضى العسكري ليبرر مدعاه في انكار وجود شخص (عبد الله بن سبأ) نجد صعوبة بالغة في قبوله واستساغته ، لانه مبني على مقدمات باطلة ومتوهمة لا يمكن معها الوصول إلى نتيجة مقبولة يمكن ان يخضع لها العقل أو يسلم لها أهل العلم والتحقيق .

ومكمن هذا التوهم والبطلان الذي وقع به مرتضى ينطلق من كونه رافضاً للشخصية أصلاً وهذا كما ذكرنا يعتبر سبباً رئيسياً يدفع الشخص إلى الوقوع في الاوهام والاخطاء .

ولتسليط الضوء على الانحرافات التي وقع بها مرتضى هنا، ولزيادة ايضاح لحقيقة هذا التبرير ساشير إلى النقاط الاتية التي بها يكون نقض هذا التبرير:

اولاً :

مرتضى لم يشر إلى طريق صحيح يثبت به وقوع هذا التصحيف

ان التصحيف هو ادعاء قديم حديث ، ووسيلة استخدمها الكثير لأجل تمرير ادعاءاتهم حقيقية كانت هذه الادعاءات أم باطلة ، والعمدة في تحديد صحة

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٣٧١]

التصحيف من خطأه هو :

وجود أدلة صحيحة يمكن الرجوع إليها للاقتناع والاقناع بأدعاء التصحيف، كأن يشتهر أمر بين العلماء بأسم أو لقب معين ثم يأتي احدهم فيصرح باسم أو لقب مخالف فيتوصل المحققون عن طريق هذه المخالفة غير المبررة إلى وجود تصحيف حصل من هذا الرجل المخالف ، وهذا ما يسمى بالدليل على وقوع التصحيف .

اما هنا مع مرتضى العسكري فهو عندما ادعى وقوع التصحيف باسم (عبد الله بن سبأ) لم يشر إلى أي دليل يمكن ان يجعل من ادعائه هذا امراً مقبولاً، ولم يسند ادعاءه هذا إلى طريق صحيح يمكن ان يقوي ما ذهب إليه .

فهو على عادته قام بارسال ادعائه هذا ارسالاً مجرداً واطلق الكلام على عواهنه مستخدماً ذريعته التي لم ينفك مطلقاً عن الاتيان بها إلا وهي : (سيف بن عمر) ، فجعل منه السبب الرئيسي والاساسي في إثبات وقوع التصحيف لانه رماه باقبح الصفات والتي بوجودها لا يكون المخرج إلا مردوداً منبوذاً.

فقال :

ان (سيف بن عمر) هذا اما ان يكون قد اختلق هذه القصة ، أو صحف الاسم ليوهم الناس ويمرر عليهم ما يريده ، وهذا التردد من مرتضى العسكري هو بحد ذاته مبطل لدعواه صدور التصحيف من قبل (سيف بن عمر) ، لانه لو كان جازماً به متأكداً منه لما لجأ إلى هذه الطريقة التي تدل على الشك وعدم التثبت ، حيث قال :

[فإما أن يكون سيف قد صحف لفظة (عبد الله السبائي) إلى (عبد الله بن سبأ) ، أو أنه اختلق اسطورته وارتجل اسمه ، أي أنه اختلقهما معا].

فالنتيجة إذن ان مرتضى العسكري لم يشر إلى طريق صحيح يثبت به وقوع هذا التصحيف ، وما اعتمد عليه في تقوية مدعاه وهو (سيف بن عمر) كان دليلاً عليه لانه لم يجزم بوقوع التصحيف منه ، بل شكك بين امرين :

اما الاختلاق أو التصحيف .

وكل باحث يحقق الأمر بتجرد وعلمية متبعاً ضوابط التحقيق وقواعد العلم المقررة يحكم على ادعاء مرتضى هنا بالزيف والبطلان ، فهذا محقق شيعي

(محمد علي المعلم) ناقش دعوى مرتضى في التصحيف هـذه متوصـلاً إلـى ابطالها عن طريق مخالفتها لضوابط العلم والمتفق عليه من قواعد التحقيق فيقول راداً على مرتضى العسكري :

[لقد حاول السيد العسكري أن يجعل المقصود من (عبد الله بن سبأ) هـو (عبد الله بن وهب السبأي) ، ولم يأت بما يعزز محاولته إلا الإشتراك في لفـظ عبد الله ، واجتماعهما في مادة اشتقاقية واحدة ، ويرى السيد العسكري إن نجحت هذه المحاولة فهو وإلا فالروايات موضوعة على الأئمة ومدسوس علـى علمـاء الحديث ، أقول :

ليس هذا منطقاً ينتظر من باحث محقق !! فإن الأسماء المشتركة في كتـب الرجال كثيرة جداً ، وقد يقع الإشتراك في الكنية ، والإسم ، واسم الأب ، والجـد والنسبة ، ومع ذلك يمكن التمييز بينها ، وقد وضعت الضوابط العلميـة لـذلك، وألفت في هذا المجال كتب متعددة ، ولم يذهب أرباب الفن إلى القول بالإتحاد إلا مع وجود القرائن القطعية ، ولم تتوفر هذه القرائن أو بعضها لتطبيقها علـى مـا نحن فيه لنقول إن (عبد الله بن سبأ) هو (عبد الله بن وهب الراسبي السبأي) .

بل إن الدلائل قامت على أن (عبد الله بن وهب) ينحدر من قبيلـة (بنـي راسب) وهو بطن من الأزد وكان موطنها البصرة .

وأما عبد الله بن سبأ فأصله من أهل صنعاء اليمن ، وعدم انطبـاق بعـض الروايات على (عبد الله بن وهب) لا يعني أنهـا موضـوعة ، وقـد تقـدم أن مصداق هذه الروايات هو شخص يسمى (عبد الله بن سبأ) نفاه أمير المـؤمنين إلى المدائن وبقي فيها إلى ما بعد شهادته] [١].

ثانياً :

يعتمد على الأشعري في موضع ويسقطه في موضع اخر

وقوع مرتضى العسكري في تناقضات يغالط بها نفسه ، ويخالف فيها منهجه في الاثبات والرد ، حيث انه في م٠وضع معين يثبت أصلاً خاصاً به ويبني عليه

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣٣ – ١٣٥]

حكماً معيناً يريده هو ، ثم انه في موضع اخر ينقض هذا الأصل الـذي وضـعه ويعتمد على هذا النقض في موضع اخر لإثبات مدعى جديد .

وهذا ما فعله هنا محاولاً إثبات وقوع التصحيف حيـث انـه اعتمـد علـى الأشعري والذي قدمه هنا مصدراً لإثبات مدعاه ، ذلك الأشعري الذي كما يـزعم مرتضى بأنه يروي من دون سند ، ولا يمكن ان يعتمد عليه في إثبات روايـة أو تأصيل حكم معين.

فعندما كان الأشعري وامثاله لا يخدمون الغرض الذي يسعى مرتضى إلـى تحقيقه يكونون من الساقطين غير المعتبرين ، ترد كتبهم ، وينبذ جميع مـا فيهـا لانها تروي من دون سند ولكن عندما تكون هذه الكتب مع مؤلفيها دليلاً يخدم به اغراضه التي يسعى لتحقيقها فإنه يعتمد عليها اعتماداً كبيراً ، وتكـون مصـدراً يؤتى به للتأصيل والاثبات .

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا ، مـا المسـوغ الـذي بنـى مرتضـى العسكري عليه قبوله للاشعري في هذا الموضع ، ورفضه له في موضع اخـر، وحاله كما هو لم يتغير في كتابه هذا بأنه يروي من دون سند ؟

وللجواب على هذا السؤال نقول ان المسوغ لهذا الأمر هو خدمة الغـرض الذي يسعى لأجل تحقيقه ، والمصلحة التي يرمي ايجادها فعندما يكون مفيداً لـه في مكان يجعله مصدراً ، وعندما لا ينفعه يطرحه ارضاً .

ان هذا الالزام الثابت بقوة على مرتضى العسكري كافٍ فـي رده ونقـض ادعاأته ذلك انه يبين للقارىء والمطلع ان هذا الرجل لا يسير على نهـج علمـي دقيق، ولا يتبع ضوابط واصولاً منهجية لإثبات دعاويه ، وانمـا يقـوم بتثبيـت الادعاء ابتداءاً ثم يتوجه إلى كل ما يوجد بين يديه مما يخدم غرضه الذي يريـد اثباته فيأتي به حتى لو كان موقعاً له في التناقض والتخبط .

ثالثاً :

العلماء الذين ذكرهم لم يذهبوا إلى التصحيف

لقد حاول مرتضى العسكري في هذا الموضع لأجل إثبات مدعاه في وقـوع التصحيف ان ياتي بما يدعم ما ذهب إليه من أقوال بعض العلماء التي تصب في

هذا الاتجاه الذي توجه إليه فنص على اسماء علماء مدعياً ان نقولاتهم يفهم منها وقوع التصحيف في اسم عبد الله بن سبأ وهم : (الأشعري ، والسمعاني، والمقريزي) .

وبالرجوع إلى اقوالهم لا نجد ذلك النص منهم في وقوع هذا الأمر بل انهم سردوا اسماء من ضمن نقولاتهم ، ولذلك نجد ان مرتضى العسكري لم يصرح بانهم قد اثبتوا التصحيف ووقوعه فقال :

[كما يظهر ذلك من قول (الأشعري ، والسمعاني ، والمقريزي)] .

إذن فهو فهم فهمه مرتضى العسكري من اقوالهم التي سردوها في كتبهم، ولذلك صرح بقوله : (كما يظهر) لأن هذا الأمر هو الذي ظهر له وفهمه من اقوالهم وهو لا يخرج عن كونه توهماً دفع إليه محاولته الحثيثة لنفي وجود هذا الشخص.

وان كان الظهور لهذا الفهم في كلام الأشعري نوعاً ما قوياً إلا ان بعض علماء الشيعة قام بتوجيهه التوجيه الموافق للمشهور في المذهب والمتعارف عليه فيه فهذا المعلم يوجه هذا الفهم الذي قد يتبادر إلى الذهن من كلام الأشعري ويحمله على المحمل المطلوب والموافق لما عليه علماء الشيعة مبرراً تبريراً علمياً لحقيقة الحاصل في كتاب المقالات للاشعري ، فيقول :

[ما ذكره الأشعري في كتابه المقالات والفرق من أن (عبد الله بن سبأ) هو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني فمن المقطوع به وقوع التصحيف والإشتباه من الناسخ ، أو أن بعض العبارات قد سقطت من الكتاب ، وإلا فإن سعد بن عبد الله أجل من أن يخفى عليه حال (عبد الله بن وهب الراسبي) ، وأنه رأس الخوارج ومقتله في النهروان ، ولا سيما وأن الأشعري قد كتب في الفرق ومنهم الخوارج ، مضافاً إلى تضلعه في علمي الفقه والحديث ، وارتباط هذين العلمين بعلم الرجال أوضح من أن يخفى] [١].

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٧٣]

رابعاً :

شخصيتين مختلفتين

ان الكتب التي اعتمد عليها مرتضى العسكري قد اشارت فيما نقلت إلى وجود شخصين مختلفين ، بأسمين متغايرين فهناك شخص يدعى (عبد الله بن سبأ) وشخص اخر يدعى (عبد الله بن وهب الراسبي السبائي) .

كما ان هذه الكتب في ايرادها للروايات قد أوضحت ان لهذين الشخصين اتجاهين مختلفين من جهة الاعتقاد والدعوى والافعال الصادرة ، وهذا يدل على انها تعاملت مع شخصيتين مختلفتين لكل منهما خصوصيتها ، واستقلاليتها وتوجهها الخاص بها وهذا وحده كافٍ في نقض دعوى التصحيف ، لأن التصحيف فيما يعرف عنه انما يقع مع وجود الاشتراك ، ونقاط الالتقاء، مع حصول الاختلاف في العنوان الذي يدل على القضية الواحدة .

اما في موضوعنا هذا فالكتب والروايات تتكلم عن موضوعين مختلفين، لشخصين متغايرين لكل منهما عنوان خاص بها .

فكيف يكون مع هذا وجود تصحيف ؟ وكيف يمكن الجزم باتحاد الشخصيتين مع كل هذا الاختلاف الحاصل بينهما ، والمتحقق منهما ؟ كما سيتبين لاحقاً .

ان دعوى التصحيف مع ما ذكرنا أمر غير مقبول ودعوى عريضة تفتقر إلى الدليل ، ويخالفها العقل والواقع ، وطرائق العلم في إثبات الدعاوى .

خامساً :

التعليل لمحاولة إثبات خفاء التصحيف عن العلماء

لقد حاول مرتضى العسكري بعد ان اعيته الذرائع والوسائل للتوصل إلى نفي شخص (عبد الله بن سبأ) الدخول إلى منحرف ضيق ، وفي نفس الوقت طويل إلا وهو ادعاء التصحيف في اسم هذا الشخص ، ولاجل إثبات مدعاه الخطير هذا وبيان كيف خفي على العلماء من قبله قام بطرح هذه القضية على شكل تساؤل ، ثم قام بالاجابة عليه :

[قال مرتضى : وإن قيل :

كيف أمكن تصحيف عبد الله السبائي إلى عبد الله بن سبأ ، وكيف خفي تحريف خبره على العلماء مدى العصور ؟ أو بالاحرى كيف خفي عليهم هذا التحريف والدس والاختلاق ؟ فنقول :

إن التصحيف والتحريف لم يقتصرا على هذه الاسماء وأخبارها حتى يستبعد ذلك، بل كثر وشاع حتى ألف في بيانها جماعة من العلماء ، مثل :

أبي أحمد العسكري المتوفى (٣٨٢ هـ) الذي ألف (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) ، وقال في مقدمته : شرحت في كتابي هذا الالفاظ المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف.

وقال أيضا : وكنت عملت في شرح ما يشكل ويقع فيه التصحيف كتابا كبيرا جامعا لما يحتاج إليه أصحاب الحديث . . . من أسماء الرواة والصحابة والتابعين ومن بعدهم . . . ثم إني سئلت إفراد ما يحتاج إليه أصحاب الحديث مما يحتاج إليه أهل الادب فجعلته كتابين . . . .

ثم بوب فيه لذكر أوهام كبار العلماء أمثال الخليل ، والجاحظ ، والسجستاني وذكر ما يصحف في الانساب ، و . . . الخ .

كما ألف قبله ابن حبيب المتوفى (٢٤٥ هـ) في مختلف أسماء القبائل وأنسابها.

وكذلك ابن التركماني المتوفى (٧٤٩ هـ) .

وألف الآمدي المتوفى (٣٧٠ هـ) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء .

والدارقطني المتوفى (٣٨٥ هـ) في أسماء الرواة .

وألف في المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والالقاب ابن الفرضي المتوفى (٤٠٣ هـ) . وعبد الغني المتوفى (٤٠٩ هـ) .

وابن الطحان الحضرمي المتوفى (٤١٤ هـ) .

وأشهرها وأجمعها الاكمال لابن ماكولا المتوفى (٤٨٧ هـ (.

كما ألف في مشتبه النسبة كل من : الماليني المتوفى (٤١٢ هـ) .

والزمخشري المتوفى (٥٤٨ هـ) . والحازمي المتوفى (٥٨٤ هـ) . وابن باطيش المتوفى (٦٤٠ هـ) . والفرضي المتوفى (٧٠٠ هـ). والذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ (. وابن حجر المتوفى (٨٥٢ هـ) .

وجاء بعد هؤلاء علماء استدركوا عليهم ما فاتهم من موارد وأخطاء فيما ذكروا، مثل ما استدرك على عبد الغني كل من : المستغفري المتوفى (٤٣٦ هـ) في كتابه (الزيادات) .

والخطيب المتوفى (٤٦٣) في كتابه (المؤتلف) .

كما أستدرك على الاكمال ابن نقطة المتوفى (٦٢٩ هـ) في كتابه (المستدرك).

وذيل على ابن نقطة كل من : الحافظ منصور المتوفى (٦٧٧ هـ) .

وابن الصابوني المتوفى (٦٨٠ هـ) . ومغلطاي المتوفى (٧٦٢ هـ) .

واستدرك على الذهبي ابن ناصر الدين ، المتوفى (٨٤٢ هـ) في كتابه (الاعلام بما في مشتبه الذهبي من الاوهام) .

ثم قال مرتضى :

ومع كل ما بذل هؤلاء الاعلام وغيرهم من جهد مشكور في البحث والتحقيق لو أراد باحث أن يستدرك اليوم ما فاتهم لجاء بمؤلف ضخم ! وكم ترك الأول للاخر ؟

لو بحثنا في جل ما ذكره هؤلاء العلماء في تألفيهم من التحريف والتصحيف لوجدناها قد وقعت خطأ من أهلها ، ولم يكن لهم – على الاغلب – دافع ما في نشرها وإذاعتها ، مثل ما كان لهم في نشر أسطورة ابن سبأ والسبائية من دافع.

فقد كان للناس والسلطات على مر العصور أكثر من دافع قوي في نشرها وإذاعتها ، لانها كانت تدافع عن الصحابة في ما انتقدوا عليه . وهذا ما يرغب فيه السلطات والناس بمختلف طبقاتهم على مر العصور] [(١)].

أقول :

رغبة السلطات

لقد انطلق مرتضى العسكري لأجل إثبات ما ذهب إليه من وقوع التحريف والتصحيف في اسم (عبد الله بن سبأ) مع اعراض العلماء المتخصصين في

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٣٦٣]

نفس الوقت عن بيان هذا التصحيف من الدافع المؤدي إلى هـذا الأمـر والـذي حصره بقوله (لانها كانت تدافع عن الصحابة فيما انتقدوا عليه) .

وقد جعل مرتضى من هذا الدافع سبباً مانعاً من نشر هذا التصحيف واذاعته بين الناس، كما انه جعل من رغبة السلطات مؤثراً في حصول هكذا أمر ، هـذا هو اجمال ما ذكره مرتضى هنا لبيان مدعاه ، ونحن نقول له :

انك لم تخرج مطلقاً عن تحكماتك غير المقيدة ، واحكامك الظنية المتوهمة، الخالية عن مستند يدعمها ويقويها ، والخالية من الدليل المؤيد لها ، وانما اكتفيت بايراد دوافع ومقاصد ارسلتها هنا وهناك لعلك تغرر بها بعض العـوام ومـع ان فعلك هذا في أصله غير مقبول لمخالفته المطلوب علماً وواقعاً ، فإننـا نعتـرض عليك فيما ذكرت من خلال النقاط الاتية :

انتفاء أي دور لعلماء الشيعة في إثبات التصحيف والتحريف

١- لقد حصرت بيان التحريف والتصحيف بالاسـماء والالقـاب الخاصـة بالافراد والفرق بعلماء السنة فقط ، وبينت ان لهم غرضـاً فـي اخفـاء بيـان التصحيف عن بعض الاسماء والالقاب وخصوصاً مدعاك (ابن سبأ) .

والاعتراض الموجه إليك بناءً على هذا الادعاء يكون على شكلين :

الزام ، وتساؤل .

اما الالزام فالذي يلزم من قولك هذا انتفاء أي دور لعلماء مذهبك في تحديد ملامح هذا العلم ، وفي رسم صورته وشكله ، بل ان اعتمادكم الكلي فيـه علـى علماء أهل السنة ، وإذا ما ثبت هذا وهو الواضح من قولك فينبغـي عليـك إذن التسليم المطلق لما يذهبون إليه ، أو ابراز ما اعرضوا عنـه ، أو غفلـوا وفـق اسس علمية ، ومعطيات ثابتة ، لا بمجرد الشكوك ، وادعاء الدوافع .

الاعتماد على مصادر أهل السنة لإثبات التصحيف والتحريف

اما التساؤل فهو أين ذهب علماء مذهبك ، والمتخصصون منهم فـي هـذا الشأن من التصدي لهذا الأمر ، وبيان التصحيف ، والتحريف الواقع فـي كتـب التاريخ، والمؤدي ثبوته إلى إلحاق اضرار بمذهبك وبالعقائد التي يقوم عليها ؟

وهذا السؤال منطقي ليس افتراضياً ، وذلك لأن جميع الذي ذكرت يرمي علماء مذهبك بالتقصير ، أو الغفلة ، أو الوهن ، أو التبعية المطلقة للغير المخالف لهم، ويثبتون ما اثبت هذا الغير ، وينفون ما نفى .

لذلك إذا اردت ان يكون لمذهبك دور في هذا الشأن فلا بد ان تظهر اثرهم، وتبين دورهم ومساهماتهم في الوصول إلى النتائج التي وصلت إليها .

ومع انتفاء هذا الذكر يلزمك القول بأن هذه القضية وهي ادعاء التحريف والتصحيف في اسم (عبد الله بن سبأ) أمر غير وارد عندهم ، ولا يملكون أي معطيات لأجل التصريح به .

ولعل هذا هو السبب الذي جعل جلَّ اعتمادك لأجل تحقيق مدعاك هو مصادر أهل السنة من علماء وكتب للروايات .

والا أين علماؤك من هذا الأمر العظيم ؟

واين ذهبوا كلهم على مر هذه العصور ؟ فلم يتكلم واحد منهم بخصوص هذه القضية .

اين ذهبت الحكومات الشيعية عن كشف هذا التصحيف والتحريف ؟

٢- ان جعلك للتاثير من قبل الناس والسلطات على مر العصور أكثر من دافع قوي في منع نشرها واذاعتها ، ادعاء غير مقبول ، ومخالف للواقع وذلك لانتفاء تحققه على جميع جزئيات الزمان منذ ظهور (عبد الله بن سبأ) وإلى يومك .

فمما لا يختلف عليه اثنان ان الشيعة قد تحققت لهم دول ، وقام كيانهم راسخاً وبالاخص ما حدث أيام الدولة الصفوية تلك الدولة التي رفعت شعار التشيع، والزمت الناس به ، وجاهدت لأجل نشره والدعوة إليه .

هذه الدولة كفلت لعلماء الشيعة في كنفها الحماية والتأمين ، وصاروا يتكلمون بملء الفم ومن دون أي تحفظ يصرحون باللعن ، والسب ، والشتم للمخالفين لهم، ويبرزون عقائدهم مهما كانت ومهما كان أثرها من دون أي خوف ، ولا تردد ، فرفعت التقية ، ورفع التستر وصار الأمر مكشوفاً .

واكبر دليل على هذا هو العلامة المجلسي الذي صال وجال أيام الدولة الصفوية ولم يبق في نفسه أي أمر بل كتب كل ما امكنه كتابته من تثبيت لمذهبه

ودفاعاً عنه ، وطعن في المخالفين بصراحة وبدون تحفظ وهذا بحاره الذي بلغت مجلداته في العد (١١٠) مجلد شاهد عليه .

فاين المجلسي مما ذهبت إليه ؟

ولماذا وهو المدافع وبقوة عن المذهب لم يتطرق إلى هذا الأمر ولم يشر اليه؟ فإذا كان الدافع الذي اشرت إليه قد انتفى هنا ، فلماذا لم ينتف أثره ؟

ولماذا بقيت رواسب التحريف والتصحيف تعصف بمذهبكم ؟

ان تعليلك هنا عليل وتوجيهك غير مرضٍ ولا يقوم على ساق لانتفاء اثره، وانتفاء تحققه في جميع جزئيات الزمان .

مرتضى يطعن بالأمة جميعها

٣- ان أقوال مرتضى العسكري هنا هي عبارة عن أحكام طعن ، وتجريح بالأمة كلها بلا استثناء (سنة ، وشيعة) ، فهو قد اتهمهم صراحة ، ان لم يكن قد حكم عليهم بتعمد اخفاء العلم ، وتعمد تلبيس الحقائق ، وتعمد اضمار أمور الدين المهمة التي تحدد ملامح الفرق وعقائدها وهو في حكمه هذا لم يستثن حاكماً ولا عالماً ، ولا فرداً من افراد الناس البسطاء .

هذا هو حكمه على هذه الأمة ، فاين الدليل القطعي ، واليقيني الذي يمكنه من إثبات هذا الطعن ، ويجعل من اتهام الأمة كلها بالتقصير ، أو تعمد الاخفاء للحقائق امراً مقبولاً ؟

فكما هو معلوم ان اليقين الثابت في حق ذمم الناس هو انتفاء التهمة عنها وبراءتها من الدسائس والنقائص ، ولا يرفع عنها هذا الأصل الثابت إلا بدليل يقيني مؤهل لرفع هذا الأصل الثابت .

وبالرجوع إلى دليل مرتضى العسكري الذي اعتمده لإثبات التحريف والتصحيف والذي نتج منه الطعن بالأمة ، نجده دليلاً استنتاجياً ظنياً لا يصل مطلقاً إلى درجة غالب الظن ولا حتى إلى اليقين .

لأن تحريره عبارة عن تجميع لافكار مستقاة من عدة اتجاهات ، وفي كتب ومواضيع مختلفة فهو نظر إلى (سيف بن عمر) ابتداءاً واخذ يفصل الحكم فيه، وفي مروياته متوصلاً إلى ان هذا الرجل كان مؤثراً في نقل حوادث التاريخ

ومجرياته على الرغم من كونه ضعيفاً وغير صالح للاعتبار ، وقد بيانا حقيقة ادعائه هذا والرد عليه فيما سبق .

وحاول ان يثبت في ذهن القارئ ان شخصية (عبد الله بن سبأ) قد انحصر ورودها من جهة هذا الشخص ، ثم انتقل انتقالة أخرى ، وفي مجال اخر اخذاً اسماء شخصيات بينها تشابه وتقارب في الحروف والتلفظ ، وكذلك بالنسبة للفرق وتوصل إلى ان هذه الاسماء المختلفة هي عبارة عن تصحيف وقع في بعضها والا فالاصل واحد ، ومع رميه (لسيف بن عمر) ونظرته هذه للاسماء، استنتج وقوع تصحيف متعمد ، وتحريف مقصود لأجل إثبات مدعاه.

مرتضى لا يملك دليلاً ولو كان ضعيفاً على التصحيف

هذا هو ما فعله مرتضى العسكري ، وفعله هذا دليل على انتفاء الدليل عنده وفقره منه فقراً مدقعاً ، والا لو كان يملك دليلاً حتى ولو كان ضعيفاً من تصريح لعالم أو إشارة في كتاب لما تجرأ بتحرير هكذا دليل ، ولما اوقع نفسه في هذه المهاوي ، وتلكم الطامات التي جعلت منه انساناً قاذفاً للامة مستسهلاً طعنها وتجريحها .

سادساً :

الشيخ علي آل محسن ينسف ما بناه مرتضى العسكري

هناك قضية مهمة تنقض دعوى التصحيف التي حاول مرتضى العسكري اثباتها بما استطاع من قوة وتكلف ايجاد التبريرات لاقناع الغير بها هذه القضية تتمثل بوجود روايات عن أئمة الشيعة تثبت بما لا يقبل الشك وجود شخص اسمه (عبد الله بن سبأ) وتثبت له خصوصية ودعاوى واستقلالية في التفكير والعمل .

فهذه الروايات المسندة إلى الأئمة المعصومين الدالة على وجود (عبد الله بن سبأ) قد اعترف بها علماء الشيعة وحكموا على اسانيدها بالصحة والقبول، مثبتين للمضامين التي حوتها وقابلين بما دلت عليه ، فكيف يجتمع هذا كله مع دعوى التصحيف المظنونه المشكوك فيها الصادرة من قبل مرتضى العسكري ؟

وكيف يصح إثبات دخول التصحيف إلى روايات الأئمة التي حكم عليها علماء الشيعة بالصحة ، ان هذه الحقائق التي هي ثابتة على ارض الواقع تقف

سدوداً عظيمة ومانعة وصادة لدعوى التصحيف التي حاول مرتضى العسكري اثباتها هنا ، إذ انها لا تجتمع معها مطلقاً ولا يمكن ان يكون لها وجود مع تحققها.

هذه النقاط التي اشرنا إليها في الرد على دعوى التصحيف التي القى بها مرتضى العسكري كافية في نقض دعواه هذه ، ولكننا امعاناً في الرد ، وتاكيداً في إثبات بعد تبريره هذا عن الواقع والمطلوب اتباعه من أساليب البحث والعلم، فإننا اثرنا ان لا ننفرد في الرد والنقاش ، ولكننا سنأتي بقول عالم من علماء الشيعة قام بالرد على هذه الدعوى منطلقاً من أصول بحثية متزنة تجعل من الرواية قاعدة يعتمد عليها وتكون هي العمدة في الاثبات والنفي .

هذا العالم هو الشيخ علي آل محسن في كتابه (عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل)، حيث قام بنقض ادعاء التصحيف الذي ادعاه مرتضى عن طريق التمييز بين الشخصيتين والحكم عليهما بالاستقلالية ، فقال :

فهل (عبد الله بن وهب الراسبي السبائي) هو (عبد الله بن سبأ) الذي هو موضوع حديثنا ؟ أم انه رجل اخر ؟

لبيان حقيقة الأمر نقول :

ان اوجه التشابه التي ذكروها للرجلين اوقعت بعض المؤرخين في توهم الاتحاد بينهما ، فكلاهما اسمه (عبد الله) ، وكلاهما كان من اليمن ، وكلاهما كان مع أمير المؤمنين ، وكلاهما يسمى ابن السوداء كما مر ، وايضاً هذا سبائي، وذاك ابن سبأ .

ثم ان بعض الروايات أيضاً اوهمت هذا الاتحاد ، فقد اخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بسنده عن الشعبي ، قال :

اخبرني زحر بن قيس الجعفي قال : بعثني علي على اربعمائة من أهل العراق، وامرنا ان ننزل المدائن رابطة ، قال :

فوالله انا لجلوس عند غروب الشمس على الطريق إذ جاءنا رجل فقد اعرق دابته ، قال : فقلنا : من أين اقبلت ؟ فقال : من الكوفة . فقلنا : متى خرجت ؟ قال : اليوم .

قلنا : فما الخبر ؟ قال : خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة صلاة الفجر

فابتدره ابن بجدة وابن ملجم ، فضربه احداهما ضربة ، ان الرجل ليعيش مما هو أشد منها ، ويموت مما هو اهون منها .

قال : ثم ذهب ، فقال (عبد الله بن وهب السبائي) ورفع يده إلى السماء : الله اكبر ، الله اكبر . قال : قلت له : ما شانك ؟

قال : لو اخبرنا هذا انه نظر إلى دماغه قد خرج ، عرفت ان أمير المؤمنين لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه .

قال : فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب الحسن بن علي : من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس ، اما بعد فخذ البيعة على من قبلك . قال : فقلنا : أين ما قلت ؟ قال : ما كنت اراه يموت .

وهذه المقولة من (عبد الله بن وهب السبائي) قريبة مما نقلوه عن (عبد الله ابن سبأ) ، حيث قال : ان جئتمونا بدماغه في سبعين صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها .

كل ذلك اوهم الاتحاد بين هذين الرجلين .

ونحن إذا صححنا الاحاديث الدالة على ان (عبد الله بن سبأ) قد احرقه أمير المؤمنين (ع) في الكوفة ، فنحن في غنى عن بيان بطلان هذا الاتحاد المزعوم، إلا انا مع ذلك عندما نقارن بين ما قيل في بيان شخصية كلا الرجلين، نرى ان صفات احداهما لا تنطبق على الاخر وان كانت ثمة اوجه تشابه بينهما ، إلا ان اوجه الافتراق بينهما كثيرة ، ولا يمكن معها القول بالاتحاد بينهما .

فمن اوجه الاختلاف بينهما :

١ ــ ان (عبد الله بن سبأ) لم يوصف بزهد ولا عبادة .

واما (عبد الله بن وهب) فقد ذكروا عنه انه كان صاحب نسك وعبادة حتى انه كان يسمى (ذا الثفنات) .

قال ابن حجر في الاصابة : وكان عجباً في كثرة العبادة حتى لقب ذا الثفنات، كان لكثرة سجوده صار في يديه وركبتيه كثفنات البعير .

وحكى ابن كثير في البداية والنهاية عن الهيثم بن عدي في كتابه الخوارج قوله: وكان (عبد الله بن وهب الراسبي) قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة سجوده ، وكان يقال له : ذو الثفنات .

٢ ــ ان (عبد الله بن سبأ) قيل عنه : (انه يهودي اسلم في زمن عثمان) كما مر في رواية الطبري وغيره .

بينما كان (عبد الله بن وهب) ممن شارك في الفتوحات في خلافة عمر بن الخطاب .

قال ابن حجر في الاصابة في ترجمته : وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص ، وذكر الطبري في التاريخ ان سعداً ارسله مع المضارب العجلي وجماعة ، وامر عليهم ضرار بن الخطاب بامر عمر إلى اناس اجتمعوا من الذين يقاتلونهم .

٣ ــ ان (عبد الله بن سبأ) كان يغالي في أمير المؤمنين (ع) فيؤلهه ، أو ــ على رواية سيف ــ كان يفضله على من سبقه من الخلفاء ، وكان يقول :

انه وصي رسول الله ، وانه دابة الأرض .

واما (عبد الله بن وهب الراسبي) فكان يكفر أمير المؤمنين (ع) ، وكان لا يسميه إلا (الجاحد) ، وما ابعد ما بين هذين المعتقدين .

٤ ــ ان (عبد الله بن وهب) كان من رؤوس الخوارج .

واما (عبد الله بن سبأ) فلم يكن خارجياً ، فضلاً عن ان يكون راساً فيهم .

٥ ــ ان (عبد الله بن سبأ) اما احرقه أمير المؤمنين (ع) بالنار ، واما نفاه إلى المدائن وبقي فيها إلى ان بلغه مقتل أمير المؤمنين (ع) ، ولم ينقل غير ذلك حتى بخبر ضعيف .

واما (عبد الله بن وهب) فقد اطبق كل من ذكر واقعة النهروان على انه قتل فيها.

قال ابن حجر في لسان الميزان : (عبد الله بن راسب) من رؤوس الحرورية ، ذكره بعضهم في كتب الضعفاء ، وهو في كتاب أبي اسحاق الجوزجاني من اقران عبد الله بن الكوا ، وقد ادرك الجاهلية . انتهى .

وهذا الرجل انما اسمه (عبد الله بن وهب الراسبي) من بني راسب قبيلة معروفة ، وهو كان أمير الخوارج بالنهروان لما قاتلهم علي رضي الله تعالى عنه ، وقتل في المعركة ، ولا اعلم له رواية .

وقال في الاصابة : وقتل الراسبي المذكور مع من قتل بالنهروان ، وقصته

في ذلك مشهورة .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية في سياق ما وقع في النهروان : وكانوا في اربعة الاف ، فلم يبق منهم إلا الف أو اقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فزحفوا إلى علي ، فقدم علي بين يديه الخيل ، وقدم منهم الرماة ، وصف الرجالة وراء الخيالة ، وقال لاصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤوكم ، واقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة .

فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي ففرقوهم ، حتى اخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، واخرى إلى الميسرة ، فاستقبلتهم الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ، ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فاناموا الخوارج ، فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل امراؤهم (عبد الله بن وهب) ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن اوفى ، وعبد الله بن سخبرة السلمي قبحهم الله .

من ذلك كله نخلص إلى ان (عبد الله بن وهب الراسبي السبائي) لم يكن (عبد الله بن سبأ) ، ولا ينبغي ان يتوهم انه هو[١] . (انتهى كلام علي آل محسن).

أقول :

وبهذا التفصيل الدقيق من قبل العالم الشيعي علي آل محسن لهذه القضية، والذي بين من خلاله الفرق ما بين الشخصيتين فـ (عبد الله بن سبأ) شخص مستقل بذاته و (عبد الله بن وهب الراسبي) شخص اخر مستقل بذاته ، ولكل منهما معتقداته ودعاويه تنسف ادعاءات مرتضى العسكري ، وتخيب اماله التي تمنى حصولها لأجل إثبات ادعائه اتحاد الشخصيتين متوصلاً بهذا الادعاء إلى انكار وجود شخصية عبد الله بن سبأ .

وكذلك بعد دراسة الروايات توصل (محمد علي المعلم) إلى كون هذه الشخصيات شخصيات مختلفة لكل منها خصوصيته واستقلاليته ، فقال :

[والمستفاد من ذلك أن عبد الله بن وهب الراسبي شخص آخر غير عبد الله

---

(١) [عبدالله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ٦٢ – ٦٦]

بن سبأ ، وقد تقدم أن ابن سبأ أصله من اليمن من أهل صنعاء ، وأنه أسلم في زمان عثمان إلى غير ذلك مما مر ذكره مما يدل على أنهما اثنان لا واحد .

وأما نسبة عبد الله بن وهب إلى السبائية فليس المقصود هو الإنتساب إلى قبيلة سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وإنما المقصود هو الانتساب إلى الفرقة السبائية التي كان يتزعمها (عبد الله بن سبأ) والتي كانت تنادي بأحقية أمير المؤمنين بالخلافة بعد رسول الله ﷺ بلا فصل ، وتدعو إلى الطعن في من غصب أو شارك في غصب الخلافة والبراءة منهم ، وذلك لأن عبد الله بن وهب كان من الشيعة قبل تمرده وخروجه على أمير المؤمنين] [١].

ثم بعد ذلك توصل إلى نتيجة ختم بها هذا المبحث ضمنها الرأي الذي تجتمع به الأقوال وتتفق به التوجهات فلا داعي بعده لا إلى دعوى تصحيف ولا إلى غيرها فقال ما نصه :

[وقد تبين من خلال ما مر أن (عبد الله بن سبأ) اسم مشترك بين شخصين: الأول : هو الذي أحرقه أمير المؤمنين .

والثاني : هو الذي نفاه إلى المدائن خشية من أحداث فتنة في الكوفة ، واليه تنسب الفرقة السبئية .

وأما (عبد الله بن وهب الراسبي) فهو شخص ثالث كان ينتسب إلى الفرقة السبئية التي يتزعمها (عبد الله بن سبأ) الثاني ثم خرج على أمير المؤمنين وقتل في النهروان] [٢].

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٧٤ – ٧٥]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٧٦]

المطلب الثالث

تضعيف كتب أصحاب المقالات على الفرق

محاولة مرتضى العسكري الرد على أصحاب المقالات على الفرق بأن اقوالهم غير مسندة ، ولا محالة إلى مصدر ، حيث قال :

[هكذا سرد الأشعري في كتابه عن السبائية دون أن يذكر سند ما أورده ، ولا مصدر ما نقله ! وقد قال النجاشي في ترجمته :

وقد سمع من حديث العامة شيئا كثيرا ، وسافر في طلب الحديث ولقي من وجوههم .

ولم يذكر الأشعري سند ما ذكره عن ابن سبأ في كتاب المقالات ، وكذلك دأب المؤلفين في أخبار أهل الملل والنحل ، يرسلون الكلام على عواهنه ، وليسوا مسؤولين بعد ذلك عن سند أقوالهم !][1] .

أقول :

هذا هو اجمال اعتراض مرتضى العسكري على الاشعري* ومن هو على شاكلته ممن كتب في الفرق واحوالهم** .

وتبريره هنا لا يخرج في درجته من القبول عن سوابقه فهو مثلها لا يرتقي إلى تلك الدرجة ، حيث انه قد بني على مقدمات باطلة لا يمكن قبولها ، ولشدة ضعف هذا التبرير فإننا لن نطيل نقاشه بل سنشير إلى مدلولاته اشارات تبين مدى الضعف الذي هو عليه والمؤدية بالتالي إلى تسقيطة ، وهذه الاشارات هي:

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٢٢١]

* **الأشعري :**

هو سعد بن عبد الله الأشعري القمي (الشيعي) ، المتوفى (٣٠١هـ) صاحب كتاب (المقالات والفرق) .

** **قال مرتضى العسكري :**

إن النوبختي (الشيعي) في كتابه (فرق الشيعة) نقل كلام الأشعري نفسه .

[عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٢٢٢]

اولاً :

الطعن بالمؤلف والكتاب

استخدامه اسلوبه المعتاد في الطعن بالمؤلف والكتاب متوصلاً بذلك إلى الطعن في القضية التي يتناولها ، وكما ذكرنا ان هذا اسلوب عقيم لا يمكن قبوله أو الانصياع إليه ، لانه حكم عام لا يتماشى مع الجزئية التي يتم تناولها .

ثانياً :

وجوب تعميم الحكم على جميع الكتب

ان اعتراضه هنا على الأشعري بأنه سرد الروايات بدون سند ، اعتراض مردود ، وذلك لأن الأشعري هذا صاحب كتاب يتناول تواريخ الفرق واصحابها عن طريق سرد المعلومات الموجودة والمتداولة عنها ، فهو ليس كتاب رواية يعنى بنقل الأسانيد وعرضها ثم تحقيقها .

واذا كان الحكم على الكتاب وما ورد فيه مبني على انتفاء وجود السند عن المنقول في هذا الكتاب فينبغي عند ذلك التعميم على جميع المواضيع التي ينقلها الكتاب دون تحديد بقضية خاصة .

وكذلك تعميممه على جميع الكتب الاخرى التي تنتهج نفس هذا الاسلوب بنقلها للاخبار بدون سند كـ (اليعقوبي ، والمسعودي ، والدميري ، العقد الفريد، نهج البلاغة .... وغيرها) والتي يعتمد عليها الشيعة في جل طعنهم بمذهب أهل السنة عموماً وبالصحابة خصوصاً .

أم ان القضية هي قضية خدمة ومصالح فما كان منها خادماً للمذهب ، صاباً في مصلحته يساهم اثباته وتقويته يقبل ويعتمد حتى لو كان أسطورة من الاساطير ، أو خرافة من الخرافات وما كان منها غير خادم للمذهب ، ولا صاباً في مصلحته فهو مردود منكر أشد الانكار حتى لو كان متواتراً مشهوراً غاية الشهرة كقضية عبد الله بن سبأ موضوع البحث .

ثالثاً :

طعن خالٍ من الضوابط والمحددات

ان المطلوب من العلماء المحققين هو البحث عن حقائق الأمور واصولها وتفريعاتها ، لا الطعن المجرد ، والتشويه الخالي من أي ضوابط ومحددات .

وهنا كان الأولى بمرتضى العسكري ان يحقق هو في هذه الروايات عن طريق الرجوع إلى اصولها ، وتحديد الأحكام الخاصة باسانيدها .

واما فعله هذا فهو كما ذكرنا فعل المشككين أصحاب الاغراض الذين لا امكانية لهم في التحقيق والبحث لذلك تجدهم يلتجئون إلى هذه الاساليب البعيدة كل البعد عن العلم واهله.

رابعاً :

الكثير من الكتب بدون اسانيد

ان قضية الأسانيد ليست محصورة في ما اوردته هذه الكتب فقط ، بل هي عامة واسعة الانتشار موجودة في مختلف الكتب على اختلاف تصانيفها لذلك فالتوجه إلى هذه الكتب فقط محاولاً الطعن فيها للطعن بما ورد فيها أمر غير مقبول لانتفاء حصر جميع المادة التي يبنى عليها الحكم فيها.

خامساً :

كتابه ذائع الصيت (معالم المدرستين)

ان هذا النهج الذي طرحه في التعامل مع الروايات الخالية من السند أمر حسن، وطريقة جيدة لا غبار عليها ، ولا إشكال في تناولها ، ولكن المطلوب التعميم في هذا الحكم ، والاطراد في استعمال هذه الطريقة .

وان الذي دفعنا إلى المطالبة بهذا الأمر هو ان الشيعة عندما يحاولون الاستدلال على أهل السنة فانهم يأتون بكل ما يقع تحت ايديهم من الروايات التي يتوصلون إلى الطعن بها حتى لو كانت بدون سند وحتى لو كانت مكذوبة ومختلقة .

ولو رجعت عزيزي القارئ إلى نفس كتاب مرتضى العسكري هذا (عبد

الله بن سبأ وأساطير أخرى) ، أو إلى كتابه ذائع الصيت (معالم المدرستين) فانك ستجد كمية تلك الروايات التي اعتمد عليها في بث دعاويه ونشر اباطيله التي هي في اصلها لا سند لها ، أو انها منقولة من كتب مطعون فيها .

فلماذا هذا التارجح وعدم الاستقرار في استخدام هذا النهج ؟ ولماذا هذه الانتقائية غير المبررة في التعامل مع الروايات والكتب ، فاما ان تعمموا ، واما ان تحددوا ولكن بضوابط.

الفصل الثاني

كتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى (تطبيقات ، استدراكات ، آثار ونتائج)

تمهيد

ان كتاب مرتضى (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) كتاب متعدد المباحث، مشتت المقاصد ، كثير التداخلات والمداخلات ، صعب التناول له تعلقات كثيرة ومتنوعة ، الكثير منها بعيد عن موضوع الكتاب ، والنزر اليسير هو الموجه إلى المقصد من الكتاب ، لذلك فهو ليس كياناً مستقلاً ذا خصائص ، أو طرحاً منفرداً لا تعلق له ، أو اشتراك مع الغير في بعض المفاصل الجامعة ، أو عرضاً وحدوياً لا تنبني عليه الزامات أو منزه عن الاستدراكات ، ومبرأ من الزلات والهنات .

فهذا الكتاب الذي الفه مرتضى عبارة عن حاوي للمختلف والمتنوع من القضايا، وموضوع ذو ارتباط وثيق ، وعلاقة صميمية ، وتلازم لا انفكاك عنه، واجتماع للتماثل مع الكثير من المواضيع ، والمختلف من المسائل ، والمتعدد والمتنوع من الطروحات والافكار.

لذا فلزوماً قد انبنت عليه الكثير من الالزامات ، والعظيم من الاثار المؤدية ضرورة اما إلى نسفه ، أو نسف المقابل المنسوب إليه هذا الكاتب ، والمنطلق من اصوله في الاختيار والتفريع – المذهب الشيعي كله – ، كما انه وانطلاقاً من المعايير المتفق عليها والمشهورة الخاصة باحوال الكتب ، ان مرتضى وبحكم كونه جهداً بشرياً تعتريه فطرياً الكثير من النقائص ، وما لا يعلم من الأخطاء تلك التي يؤدي إليها اضطراراً وضرورةً نقص الانسان ، وانتفاء كماله نجد من خلال كل هذه الأمور التي ذكرنا قد وقع في مطاب خطيرة، ودهاليز مميتة ، وانزلاقات كبيرة استدركت عليه من خلال التحقيق للمواضيع التي ناقشها ، وبانت واضحة كوضوح الشمس من خلال التدقيق فيما ذكر ، وربطه مع المواضيع المختلفة التي تناولها غيره من العلماء والمتعلقة بكتابه هذا .

وبما ان السمة الغالبة ، والصفة المحركة لعلماء المذهب الشيعي وغيرهم من أهل الطوائف المنحرفة والتي صارت سجية لهم ، هي الغرض المصلحي من تناول أي قضية ، والمنهج الانتقائي في التعامل مع أي مسألة ، بعيداً عن العلم والتجرد فيه ، وبما ان هذا صار لهم المخرج الذي يتخلصون به من المشاكل

التي هم واقعون بها، ويتهربون بانتهاجه واعتماده من الاتهامات الموجهة اليهم من الغير ويتنزهون عن طريقه من النقائص المحيطة بهم ويوجدون بسببه تخريجات للمخالفات الظاهرة الثابتة عليهم ، فإن كثيراً ممن هو على شاكلة مرتضى نجده قد سار على هذه الطريقة ، وتبنى هذا القول ، واعتمد هذا المنهج.

وانطلاقاً من كل هذه الحقائق التي احتواها كتاب مرتضى ، وتشكل ، وتكامل منها وبها ، فانني في هذا الفصل سأقوم بالتركيز على هذه الأمور التي فيها الاسقاط التام لما أصله مرتضى ، والرد الشامل على جميع ادعاءاته عن طريق ضرب الامثال ، وايضاح التطبيقات التي بها تسقط وتنسف اختيارات مرتضى مع مناهجه في كتابه هذا ، مع الإشارة الواضحة ، والبيان الدقيق إلى ما امكن استدراكه من الأمور عليه مما هو لازم له ومحتم عليه معالجته ونقاشه، والمبني على ما سطره من مقدمات اعتمدها ومناهج سلكها وسار عليها مبيناً للاثار المترتبة على قوله هذا ، والمتمثلة بتبني لكثير من جاء بعده لقوله هذا بجامع انتهاجهم للغرض المصلحي ، والاختيار الانتقائي النفعي .

وقد قمت بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث باعتبار المتعلقات من التطبيقات والاستدراكات والنتائج .

واقدم لك الآن التقسيم التفصيلي لهذا الفصل :

المبحث الأول :

تطبيقات عملية لتبريرات مرتضى .

المبحث الثاني :

استدراكات على مرتضى .

المبحث الثالث :

اثار ونتائج (عقول لعلماء تبنت منهج مرتضى العسكري) .

المبحث الاول
تطبيقات عملية لتبريرات مرتضى

مدخل

كما ذكرنا فيما يتعلق بخصائص كتاب مرتضى هذا انه ليس مستقلاً عن المواضيع الاخرى ، بعيداً عن التأثير والتأثر بها ، لذا فمما هو واقع قطعاً ومعلوم أصلاً وجود ارتباط بين ما ذكره مرتضى هنا وغيره من المذكور في كتبه هو الخاصة بالمواضيع الاخرى ، أو كتب غيره مما نتوصل عن طريقها إلى معرفة كيفية كتابة هؤلاء ، وما هو المعتمد عندهم في البحث والتأصيل.

وانا في هذا المبحث قمت بأخذ تبريرات مرتضى العسكري التي ثبتها في كتابه هذا وجعل منها قاعدة للتأصيل وتحديد الاختيارات ، وطابقتها مع ما فعل هو في كتب أخرى ، متناولاً قضايا أخرى ، متوصلاً عن طريق هذا التطبيق إلى تحديد المنهج الخاص بمرتضى ، والذي يقوم على المصلحة والغرض في التعامل والتحديد .

ولاثبات هذا الأمر اخذت نموذجين مما يتعلق بطريقة اسقاطه للكتب ، وحكمه على بعض الأقوال التي لا يرتضيها والاختيارات التي لا تنسجم مع توجهاته والثابت عن علماء الشيعة بالدس والاختراق ، متذرعاً بذلك إلى نفي ما لا يتناسب مع اغراضه وتوجهاته واثبات دعاويه ومزاعمه .

ثم بعد ذلك قمت باخذ نماذج لامثلة حال تطبيق ما ذكره مرتضى من تبريرات عليها تنقض هذه التبريرات ، ويبطل أثرها ومادتها أصلاً موضحاً عن طريق هذه الامثلة الحكم الفصل في تبريراته هذه مؤكداً منهجه الانتقائي الغرضي، والاختياري المصلحي .

وقد قمت بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب ، اثنين منها للتطبيق العملي لتبريراته في مواضيع مختلفة ، وواحد للامثلة الناقضة لتبريراته ، وإليك تقسيم مطالب هذا المبحث :

المطلب الأول : تطبيق التبرير الخاص بـ (إسقاط الكتب) .

المطلب الثاني : تطبيق التبرير الخاص بدعوى (الدس) .

المطلب الثالث : أمثلة تنقض تبريرات مرتضى الرئيسية حال التطبيق .

المطلب الاول

تطبيق التبرير الخاص بـ (إسقاط الكتب)

قاعدة مطاطية ومرنة قابلة للتغيير

ان هذا المطلب سيركز على بيان حقيقة كون علماء الشيعة قد جعلوا من منهج إسقاط الكتب ، والغائها من الاعتبار ، عند تعذر توجيه المعروض فيها وحمله على محمل يوافق المطلوب لهم ، ويتناسب مع الاختيارات التي يسعى بعض المحققين من علماء الشيعة إلى ايهام الناس بتحققها عندهم طريقة ثابتة ومسلكاً يسيرون عليه .

فقد صار هذا الأمر منهجاً متبعاً عندهم ، وطريقة للتعامل مع القضايا، ووسيلة للتهرب والتولي من المشكلات المحيطة بهم ، وفي هذا المقام ومن باب بيان حقيقة هذا الأمر نورد ما به تثبيت لها وترسيخ لمبادئها بايراد صور أخرى تكشف عنها ، ونماذج توضح تعاملهم مع القضايا التي يعسر عليهم معالجتها .

فمن الادلة الثابتة والقوية التي تدل على منهج مرتضى العسكري وغيره من علماء الشيعة في تعاملهم مع الكتب ، وكيف انهم يقومون باسقاطها وعدم الاعتراف بها لا لشيء إلا لانها لا تنفعهم ، ولا تخدم اغراضهم ، قيامهم باسقاط كتبهم في التفسير ، والتي سأتناولها هنا لغرض التمثيل والاستشهاد والا فالحصر متعسر .

أقول ان تعاملهم مع كتبهم في التفسير والتي تحوي في طياتها على روايات كثيرة ومتعددة فيها دلالات واضحة على تحريف القرآن دليل لا يمكن التهرب منه يثبت كيفية حكمهم على هذه الكتب وتعاملهم معها ، فانك بمجرد عرضك لهذه الكتب عليهم محاولاً الاستدلال بها لإثبات معتقد أو قضية يترتب عليها الاضرار بهم فانك ستجد جوابهم حاضراً وسريعاً بضعف هذه الكتب ، وضعف الروايات التي تحويها – وعلى راسهم مرتضى العسكري – مع العلم ان هذه الكتب عينها هي عمدتهم في التفسير ، وهي الأصل الذي يرجعون إليه في هذا الشأن ، ويدعون مع ذلك غيرهم من اتباع المذاهب الاسلامية الاخرى للاخذ منها، ويعيبون عليهم عدم الرجوع إليها ، لانها تضم بين جنبيها الروايات المسندة إلى الأئمة المعصومين في تفسير القرآن ، اؤلئك الذي يحصر تفسير القرآن بهم.

لكن كما ذكرنا لكم ان القاعدة عندهم مطاطية ومرنة وقابلة للتغير بحسب

الموقع والحال من حيث الخدمة وعدمها لهم.

منهجية تسقيط الكتب وسيلة للتخلص من الايرادات والاشكالات

ولاهمية قضية تسقيط الكتب عند الشيعة ، ونتيجة للاثار الكبيرة التي تتبني عليها ينبغي ان يسلط الضوء عليها لإثبات وقوعها عندهم فلا يتوجه إليها رد، ولا اعتراض من قبلهم ، وللتدليل العملي الواقعي على تحقق وجود هذا الأمر عند الشيعة ، إبتداءاً نقول ان مرتضى العسكري خصوصاً قد اعتمد منهجية تسقيط الكتب عند عرضه للقضايا والمسائل التي فيها اشكالات عليهم ، وايرادات على مذهبهم فهي عنده كالوسيلة التي يتذرع بها للتخلص من هذه الاشكالات ، والتهرب من هذه الايرادات وكما ان هذا هو منهج متبع عنده ، فهو كذلك منهج يتبعه علماء الشيعة عموماً إذا ما ورد عليهم الحال الذي ذكرنا .

والمهم في الأمر والمثير فيه ان هذا التسقيط لا ينحصر في كتاب دون كتاب بل هو حكم عام شامل لكل كتبهم بلا استثناء ، لأن الدافع له ليس تحقيق الكتاب نفسه وانما احتواء الكتاب على أمر معين يحقق اشكالاً يمكن ان يورد عليهم ويستخدم كدليل ضدهم .

ونحن وجدنا مرتضى العسكري قد طعن في كتاب (الكشي) وقام بتسقيطه لانه اورد روايات فيها إشكال يرد على ادعاءات مرتضى العسكري وعلى المذهب يمكن للمخالف ان ياتي بها لإثبات شخص عبد الله بن سبأ الذي يدعي مرتضى عدم وجوده .

وعلى الرغم من ان الطعن في كتاب (الكشي) أمر قد يكون هيناً قياساً مع الكتب الاخرى ، لأن موضوعه يتعلق بالتوثيق ، والذي يمكن ان يرجع إلى كتب غيره في تحقيقه .

طعنهم بمرويات الثقل الاصغر

غير ان الأمر المهم والطامة الكبرى ان استخدام قضية الطعن والتسقيط قد وصل وطال كتباً هي أعلى درجة ، واهم اثراً ، واعظم منزلة من كتاب (الكشي) هذا فهي من أهم الكتب واجلّها عندهم إلا وهي كتب (التفسير) ، هذه الكتب

التي تروي عن الأئمة المعصومين اقوالهم في تفسير آيات القرآن باعتبارهم المصدر الوحيد الذي يجب الرجوع إليه في هذا الشأن فهم (الثقل الأصغر) الذي امرنا باخذ التفسير للقران (الثقل الأكبر) عنهم حصراً كما يدعي الشيعة.

هذه الكتب على الرغم من المنزلة التي هي عليها نجد ان علماء الشيعة ومنهم مرتضى العسكري لم يتوانوا مطلقاً عن الحكم عليها بالضعف ، ولم يترددوا ابداً في طعنها مهما كان هذا الطعن ، إلى درجة انهم قد اسقطوها من الاعتبار .

وذلك لا لأن هذه الكتب غير معتبرة عندهم في الأصل ، أو انهم جراء تحقيق علمي وبحث مستفيض توصلوا إلى هذه النتيجة بالحكم عليها بالضعف والتسقيط، لكن الدافع لهم من وراء هذا الحكم هو انحصارهم في ايجاد تبرير لقضية حوتها هذه الكتب ، لم يجدوا لها مخرجاً فبعد ان اصابهم الحرج واحاطت بهم الاشكالات قاموا بايراد حكمهم هذا .

هذه القضية هي (تحريف القرآن) حيث ان هذه الكتب قد اوردت روايات عديدة وكثيرة تثبت هذا الأمر لا يمكن ردها أو إسقاط دلالتها إلا باسقاط الكتاب كله .

تسقيط عدد كبير من امهات كتب التفسير الواردة عن الائمة

بعد هذا العرض لهذا النهج وكيفية تناول علماء الشيعة له نسوق إليكم اسماء علمائهم واقوالهم في هذه القضية ، فعندنا مثلاً مرتضى العسكري وهو موضوع البحث في كتابه (القرآن الكريم وروايات المدرستين) ، ومحمد هادي معرفة في كتابه (صيانة القرآن من التحريف) ، والسيد علي الحسيني الميلاني في كتابه (التحقيق في نفي التحريف) ، هؤلاء وغيرهم من علماء الشيعة ، قاموا باسقاط عدد كبير من التفاسير الشيعية والتي هي العمدة عندهم في المذهب لما تحويه من روايات الأئمة المعصومين في تفسير آيات القرآن الكريم .

ولم يكتفوا بهذا التسقيط فقط ، بل انهم طعنوا بنسبة بعضها إلى مؤلفيها وإليك التفاسير مع أحكام هؤلاء العلماء عليها :

١- تفسير أبي الجارود :

* قال محمد هادي معرفة عن صاحبه:

[زياد بن المنذر السرحوب انه راس الجارودية من الزيدية] .

قال عنه الكشي :

[وكان مكفوفاً أعمى ، أعمى القلب ، وقد ورد لعنه على لسان الصادق قال: لعنه الله فإنه أعمى القلب أعمى البصر] .

وقال عنه وعن تفسيره محمد بن سنان :

[أبو الجارود ، لم يمت حتى شرب المسكر وتولى الكافرين.

أما تفسيره هذا ، فالذي يرويه عنه هو أبو سهل كثير بن عياش القطان ، واليه ينتهي طريق الشيخ والنجاشي إلى تفسيره : وكان ضعيفاً وكما ذكر الخوئي في رجاله] (١).

أقول :

تسلل هؤلاء العلماء إلى إسقاط تفسير أبي الجارود عن طريق الطعن بصاحبه مباشرة ، فاتهموه بالنقائص من الصفات .

٢- تفسير القمي : (ت ٣٢٩ هـ) .

* قال باقر الايرواني :

[ان النسخة الأصلية لكتاب القمي ليست بأيدينا ، والمطبوع المتداول بأيدينا لا نجزم بكونه بكامله تفسير القمي ، بل هناك بعض القرائن التي تشير إلى كونه خليطاً من تفسير القمي وغيره ، وحيث لا يمكن التمييز فيسقط جميعه عن الاعتبار] (٢).

* قال محمد حسن آل ياسين :

[يعتمد منهجه – القمي – على الرواية مع ذكر السند ، واختص بالروايات

---

(١) [صيانة القرآن من التحريف / محمد هادي معرفة – ص ٢٢٨] [القرآن الكريم وروايات المدرستين/ مرتضى العسكري – ج١ ص ٦٣] [معجم رجال الخوئي / أبو القاسم الخوئي ج٧ ص ٣٢٢]

(٢) [دروس تمهيدية في القواعد الرجالية / باقر الايرواني ص ٣٤]

التي رويت له عن الإمام الصادق جعفر ابن محمد ، وجلها مما راوه والده ابراهيم بن هاشم عن مشايخه ، ويتضمن كثيراً من الروايات الضعيفة التي لم ينظر لها العلماء بالقبول] (١).

* قال جعفر السبحاني :

[كتاب (تفسير القمي) ليس للقمي ، بل قسم منه من إملاءاته على تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد بن العلوي ، وقسم منه مأخوذ من تفسير أبي الجارود، ضمه إليها تلميذه ، وهو من المجاهيل ، لأن العباس بن محمد غير معنون في الكتب الرجالية فهو مجهول ، كما ان الراوي عنه في أول الكتاب يقول :

(حدثني أبو الفضل بن العباس ، مجهول أيضاً ، وأسوأ حالاً منهما أبو الجارود المعروف بـ (زياد المنذر) فهو زيدي بتري وردت الرواية في ذمه في رجال الكشي، أفيمكن الاعتماد على روايات هذا الكتاب ؟!] (٢).

* قال محمد هادي معرفة في معرض بيان التشكيك في نسبته إليه :

[ان هذا التفسير منسوب إليه من غير ان يكون من صنعه ، وإنما هو تلفيق من املاءاته على تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد العلوي ، وقسط وافر من تفسير أبي الجارود ، ضمه إليها أبو الفضل وأكمله بروايات من عنده ... فجاء هذا التفسير مزيجاً من روايات القمي ، وروايات أبي الجارود ، وروايات غيرهما مما رواه أبو الفضل نفسه .

قال المحقق الطهراني : وهذا التصرف وقع منه من أوائل سورة آل عمران حتى نهاية القرآن] (٣).

وبعد ان تكلم عن أسانيد القمي ، قال :

وعليه فالإسناد إلى هذا التفسير مقطوع ، أو مجهول اصطلاحاً .

وهكذا تأليف ساقطٌ عن درجة الاعتبار عند أرباب الحديث] (4).

---

(١) [منهج الطوسي في تفسير القرآن / محمد حسن آل ياسين ٢٦]

(٢) [موسوعة طبقات الفقهاء / جعفر السبحاني ص ٧٠]

(٣) [الذريعة إلى تصانيف الشيعة / آغابزورك الطهراني ج٤ ص ٣٠٢ – ٣٠٣]

(4) [صيانة القرآن من التحريف / محمد هادي معرفة – ص ٢٢٩] [القرآن الكريم وروايات المدرستين/ مرتضى العسكري – ج١ ص ٦٣] [التحقيق في نفي التحريف / =

أقول :

وهكذا نجد انهم تسللوا إلى تسقيط هذا الكتاب من خلال التشكيك في نسبته إلى صاحبه والحكم على السند الموصل إليه بأنه مقطوع أو مجهول .

٣- التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري : (ت ٢٦٠ هـ) .

* نقل محمد هادي معرفة كلام الخوئي في معجم الرجال عن التفسير المنسوب للحسن العسكري ، فقال :

[وعلى أي حال فالتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام بروايته لم تثبت.

وقال : مع ان الناظر في هذا التفسير لا يشك انه موضوع ، ويجل مقام عالم محقق ان يكتب مثله فكيف بالإمام حجة الله على خلقه] (١).

* قال آية الله الفاني الاصفهاني :

[ان كافة علماء الشيعة المدققين ، انكروا صحة استناد التفسير إلى الإمام](٢).

* نقل صائب عبد الحميد أقوال بعض علماء الشيعة عن هذا التفسير قائلاً :

فخلاصة قول علماء الإمامية في هذا التفسير أوجزها السيد الخوئي بقوله :

[التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري إنما هو برواية علي بن محمد بن سيار وزميله يوسف بن محمد بن زياد ، وكلاهما مجهول الحال ، هذا مع أن الناظر في هذا التفسير لا يشك في أنه موضوع ، وجل مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير ، فكيف بالإمام ؟!

وذكر الشيخ البلاغي في الفقرة الأخيرة من مقدمته على تفسيره (آلاء الرحمن) أنه صنف رسالة خاصة في إثبات أن هذا التفسير موضوع مكذوب على الإمام فقال :

=

علي الحسيني الميلاني ص ١١٢] [الذريعة / آغا بزورك الطهراني ج٤ ص ٣٠٣]

(١) [صيانة القرآن من التحريف / محمد هادي معرفة ص ٢٣٣]

(٢) [آراء حول القرآن / آية الله الفاني الأصفهاني ص ٤٣]

وأما التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري فقد أوضحنا في رسالة منفردة في شأنه أنه مكذوب موضوع ، ومما يدل على ذلك نفس ما في التفسير من التناقض والتهافت في كلام الراويين وما يزعمان أنه رواية ، وما فيه من مخالفة الكتاب المجيد ومعلوم التاريخ ، كما أشار إليه العلامة في الخلاصة] [١].

أقول :

نجد انهم قد حكموا عليه بالوضع لمجرد ان مضامين هذه الروايات التي يحويها لا تتناسب مع ما يدعون ولا تخدمهم .

٤- تفسير العياشي : (ت ٣٢٠ هـ) .

قال محمد هادي معرفة : تحت عنوان (تفاسير مقطوعة الإسناد) .

[هناك تفاسير جليلة صنفها علماء أجلاء غير أن النسخ الأصل ضاعت مع الأسف وبقيت منها مختصرات محذوفة الإسناد ، وربما اختزال أو تحوير في الأحاديث وفي ترتيبها ، بما زالت الثقة بأصالة أكثرها ، ومنها تفسير أبى النظر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي المتوفى (٣٢٠ هـ) المعروف بتفسير العياشي ، وقد حذف منه بعض الناسخين أسانيد الروايات لغرض الاختصار[٢].

قال العلامة المجلسي :

[ذكر الحاذف لذلك عذراً هو أشنع من جريمته !

قال : نظرت في التفسير بإسناده ورغبت إلى هذا وطلبت من عنده سماع من المصنف أو غيره فلم أجد في ديارنا من كان عنده سماع أو إجازة من المصنف، ولذلك حذف منه الإسناد وكتب الباقي على وجهه ليكون اسهل على الكاتب والناظر فيه .

فإن وجدت بعد ذلك من عنده سماع أو إجازة من المصنف اتبعت الأسانيد

---

(١) [حوار في العمق من أجل التقريب / صائب عبد الحميد ص ٥٩ – ٦٢]

(٢) [صيانة القرآن من التحريف / محمد هادي معرفة – ص ٢٣٥] [القرآن الكريم وروايات المدرستين/ مرتضى العسكري – ج٣ ص ٦٤] [التحقيق في نفي التحريف / علي الحسيني الميلاني ص ١٢١]

وكتبتها على ما ذكر المصنف .

ومع ذلك فإنه لم يبق من هذا التفسير الموتور سوى نصفه إلى آخر سورة الكهف!] [١]

٥- تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي : (٣٥٢ هـ) .

قال محمد هادي معرفة تحت عنوان (تفاسير مقطوعة الاسناد) :

[ومنها تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي المقصور على الروايات المأثورة عن الأئمة الهداة ، وقد أكثر الرواية عن الحسين بن سعيد الكوفي الاهوازي الذي كان من أصحاب الأئمة : (الرضا ، والجواد ، والهادي) ، وكذلك يروي كثيراً عن جعفر بن محمد الفزاري ، وعبيد بن كثير العامري وعن سائر مشايخه البالغين إلى نيف ومائة شيخ ، كلهم من رواة أحاديثنا ، غير انه ليس لأكثرهم ذكر ، ولا ترجمة في أصولنا الرجالية ، كما ان فرات أيضاً لم يذكر بمدح ولا قدح] [٢].

قال المحقق الطهراني :

[ولكن من الأسف انه عمد بعض إلى إسقاط أكثر تلك الأسانيد واكتفى مثلاً بقوله: فرات عن حسين بن سعيد معنعناً عن فلان . وهكذا في غالب الأسانيد، فأشار بقوله : (معنعناً) إلى أن الرواية كانت مسندة معنعنة وإنما تركها للاختصار!] [٣] .

قال محمد حسن آل ياسين :

[تفسير فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي أحد رجال الحديث في أواخر القرن الثالث الهجري الذي يعتمد منهجه على الرواية فقط مع ذكر السند ، واقتصر فيه على خصوص الآيات التي لها علاقة بالأئمة وأهل البيت ، وعلى

---

(١) [صيانة القرآن من التحريف / محمد هادي معرفة – ص ٢٣٥] [الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ اغابزورك الطهراني ج٤ ص ٢٩٥]

(٢) [صيانة القرآن من التحريف / محمد هادي معرفة – ص ٢٣٥] [القرآن الكريم وروايات المدرستين/ مرتضى العسكري – ج٣ ص ٦٥]

(٣) [الذريعة إلى تصانيف الشيعة / آغابزورك الطهراني ج٤ ص ٢٩٨]

الرغم من انه يروي في التفسير عن نيف ومائة من الشيوخ ، إلا انه ليس لاكثرهم ذكر ، ولا ترجمة في أصولنا الرجالية ، ولذلك فلا يمكن الركون إلى تلك الروايات] [١].

٦- تفسير محمد بن العباس الماهيار(ابن الحجام): (ت ٣٣٠ هـ) .

وتحت عنوان (تفاسير مقطوعة الإسناد) ، قال معرفة :

تفسير محمد بن العباس الماهيار المعروف بابن الحجام (توفي حدود ٣٣٠) ونقل قول النجاشي :

[قال جماعة من أصحابنا : انه كتاب لم يصنف في معناه مثله . وقيل انه ألف ورقة وطريق الشيخ إليه صحيح ، ولكن هذا التفسير لم يوجد ، ولم يره أحد من أرباب التحقيق المتأخرين ، وظاهر عبارة النجاشي انه لم يشاهده ، وانما نقل من غيره في مقدار حجمه] [٢].

٧- تفسير النعماني : (ت ٣٨٠ هـ) .

قال مرتضى العسكري :

جاء في مقدمة هذا التفسير انه تارة ينسب إلى النعماني ، وأخرى إلى سعد بن عبد الله باسم محكم القرآن ومتشابهها ، وثالثاً إلى السيد المرتضى باسم : المحكم والمتشابه، ومفتتحها برواية ضعيفة السند[٣]* .

التفاسير ساقطة اصلاً

أقول :

بعد هذا السرد الموجز والمركز لكيفية تعامل علماء الشيعة مع كتبهم وخصوصاً كتب التفسير منها ، وبيان كيف انهم يقومون بسهولة متناهية بالحكم

---

(١) [منهج الطوسي في تفسير القرآن / محمد حسن آل ياسين ٢٦ – ٢٧]

(٢) [معجم رجال الخوئي / أبو القاسم الخوئي ج١٦ ص١٩٨] [صيانة القرآن من التحريف / محمد هادي معرفة – ص ٢٣٥]

(٣) [معجم رجال الخوئي / أبو القاسم الخوئي ج١٦ ص١٩٨]

* من أراد معرفة المزيد عن حقيقة هذه التفاسير فما عليه إلا الرجوع إلى كتابنا (حقيقة تفاسير الشيعة الامامية) .

على هذه الكتب بالالغاء والتسقيط لا لشيء إلا لانها في قضية ما وردت فيها لم تخدم اغراضهم أو كانت ضارة بمصالحهم .

بعد هذا السرد ينبغي ايضاح حقيقة مهمة تتصف بها هذه الكتب والتي جعلت من امكانية تسقيطها امراً سهلاً ، هذه الحقيقة ان هذه الكتب هي في اصلها ساقطة من الاعتبار إذ ان فيها من الاشكالات ما لا يمكن ايجاد أي تخريج له، كما انها تحتوي على العديد من الروايات التي يرد عليها التضعيف والتسقيط والنكارة ، اضافةً إلى ان هذه الكتب من الصعوبة بمكان إثبات نسبتها إلى اصحابها ، أو تحديد الأسانيد المنضبطة التي عن طريقها نتحقق من إثبات النسبة لمؤلفيها .

إذن فالذي ينبغي ان يعلم ان كتب التفاسير الشيعية التي تحوي في طياتها المأثور عن الأئمة من الروايات التي بها يفسر القرآن هي كتب مطعون فيها أصلاً ، لما يحيط بها من أسباب القدح الكثيرة والمتعددة التي اشرنا إلى مجملاتها مع القوادح التي تنتاب الأسانيد الموجودة فيها .

هذا الأمر هو الذي سوغ لعلماء الشيعة التذرع بتسقيط هذه الكتب لأجل نفي تهمة محتملة عنهم ، أو درء خطر يمكن ان يواجههم عن طريق هذه الكتب، فلذلك إذا ما تحقق هذا الخطر ، أو وجد هذا المحذور فانهم مباشرة يتوجهون إلى هذه الوسيلة الحاضرة عندهم ، والمتمثلة بأن هذا الكتاب ساقط من الاعتبار وعليه فإنه من غير الممكن الاعتماد عليه في إثبات أمر أو نفيه .

يعتمدون على نفس الكتب التي اسقطوها

وكما ذكرنا انهم في سعيهم هذا لم يلتزموا بمنهج علمي ، ولا بتحقيق منضبط وانما كان المحرك لهم هو الاغراض والدوافع وتحقيق المصلحة والمنفعة .

والدليل على هذا ، انهم إذا ما ارادوا الاستدلال فيما بينهم على قضايا حصل فيها خلاف عندهم ، أو أراد احدهم ان يؤصل لحكم توصل إليه في قضية ما، وكذلك إذا ما ارادوا ان يوجهوا للناس اختيارات الأئمة في تفسير بعض الآيات لغرض التفريع عليها في الحوادث المستجدة ، تجدهم وبدون أي تردد

يرجعون إلى هذه الكتب – التي سبق لهم تسقيطها – ويعتبرونها المرجع المعتمد الذي لا يمكن الخروج عنه ، ويتعاملون مع محتوياتها وكأنها أمور مسلم ثبوتها لا يتطرق إليها شك ، ولا يمكن ان تعارض أو ترد .

وهذا يثبت ما حكمنا به على علماء هذه الفرقة سابقاً بانهم اخباريون فيما بينهم اصوليون في تعاملهم مع أهل السنة .

بعد هذا العرض والمقدمة التي ترى اهميتها من خلال ما يبنى عليها فالذي ينبني عليها أمور مهمة وخطيرة تؤدي بالمذهب الشيعي كله إلى حافة الهاوية أو إلى الهاوية نفسها ، ويمكن ان نجمع هذه الأمور المبنية على هذه الأحكام وفقاً للنقاط الاتية :

اولاً :

اسقاط هذه التفاسير يقتضي إسقاط وتسقيط عموم المذهب الشيعي

ان دعوى تسقيط الكتب دعوى عريضة وخطيرة ، إذا ما لمس الباحث والمطلع اثارها ، إذ انها من الممكن ان تنطلي على الجاهل ، أو قليل الإطلاع ، أو الضعيف في البحث ، ولكنها لا يمكن ان تنطلي على المتتبع الذي خبر حال كتبهم وكانت له دراية بحقائقها ومحتوياتها .

ومكمن هذه الخطورة ، والاثار السلبية التي تبنى على هذه الدعوى تتضح من خلال الأثر الخطير المبني عليها والمتمثل :

بأن إسقاط هذه الكتب وتسقيطها من الاعتبار يلزم منه لزوماً لا انفكاك عنه إسقاط وتسقيط عموم المذهب الشيعي ، والغاء اختياراته المبنية على تفسير القرآن الكريم من الاعتبار .

وهذا الحكم المبني على هذا القول كما ذكرنا لازم ، وليس جزافياً لأن الدليل الذي اثبته دليل قاطع لا شك فيه ، تحريره يكون من خلال بيان ان الشيعة لا تمتلك غير هذه الكتب فإن فيها المخزون الموروث عن الأئمة في تفسير القران، فهي تحوي بين جنباتها جل الروايات التي يعتمد عليها الشيعة في تفسير القرآن عن ائمتهم .

وعليه فإذا ما قاموا باسقاط هذه التفاسير فانهم سيحكمون على التراث الرواياتي لائمتهم بالرد والبطلان وعند ذاك ينخرم اصلهم العقدي المتمثل بحصر قضية التفسير في ائمتهم وعلى قولهم يبقى القرآن مبهماً ، لا يعلم المراد منه لانتفاء الوسيلة المحددة لتفسيره ، ويقعون بالمطعن الذي يرمون به أهل السنة والمتمثل بانهم يفسرون القرآن بالرأي ، ومرادات العقول ، أو ياخذونه عن رجال غير معصومين يرد الخطأ والنسيان عليهم .

بل انهم سيقعون بما هو أشد وانكى من جهة انهم منعوا من تفسير القرآن بالرأي والاخبار المأخوذة عن غير المعصومين ، وانتفت عندهم الروايات عن المعصومين في تفسير القرآن ، فكانت نتيجتهم انتفاء وجود التفسير عندهم وعدم وجود مرجع يمكن ان يطمئن له في تفسير القرآن .

تفاسير أهل السنة افضل بكثير من تفاسير الشيعة

وعند مقارنة الحالين ، حال أهل السنة ، وحال الشيعة في التفسير نجد ان أهل السنة افضل حالاً ، لانهم الزموا انفسهم بما يمكن تطبيقه فيما بينهم ، وبما هو موجود متحقق عندهم .

اما الشيعة فقد الزموا انفسهم بما لا يمكن تطبيقه فيما بينهم ، ولا يمكن وجوده وتحققه عندهم .

وبالنتيجة يكون السنة اقرب للهداية منهم على اعتبار وجود المرجحات الموجهة لاتباع القرآن بخلاف الشيعة فلا توجد عندهم تلك المرجحات فهم قاموا بانفسهم بنفيها وتسقيطها عن طريق إسقاط كتب التفسير الحاوية لها .

ثانياً :

اعتراض مقبول

وبناءاً على النقطة الأولى قد يعترض معترض على هذا الذي ذكرناه قائلاً :

ان روايات التفسير عن الأئمة لا ينحصر وجودها في كتب التفسير هذه بل هناك كتب الروايات ، وكتب التفسير الاخرى التي جاءت بعدها وغيرها من الكتب التي يمكن ان يرجع إليها لغرض إثبات تفسير الأئمة للقران ، قلنا لهم :

اعتراضكم من جهة النظر مقبول ، ولكنه متعذر ومتعذر جداً حال التطبيق العملي للواقع الذي عليه الشيعة وذلك يتضح من خلال البيان الاتي للكتب التي اشرت إليها :

الكتب الأربعة ليست باحسن حالاً من كتب التفسير

١- اما كتب الروايات والتي اشرت إلى وجود روايات الأئمة في التفسير فيها، فهي الكتب الأربعة التي عليها الاعتماد عند الشيعة في إثبات الروايات عن الأئمة (الكافي ، الفقيه ، التهذيب ، الاستبصار) .

فهذه الكتب ليست باحسن حالاً من كتب التفسير التي تقدم الكلام عنها فهي أيضاً على درجة عالية من الضعف فـ (الكافي) الذي يعتبر أجل هذه الكتب، واعظمها قدراً ، واحسنها نظاماً وترتيباً ، واسلمها من القدح اعترف علماء الشيعة بالحكم الصادح في حقه بأن (ثلثي) رواياته ضعيف .

* قال مرتضى العسكري في كتابه معالم المدرستين:

[ان مدرسة أهل البيت لم تعتبر جميع أحاديث الكتب الأربعة : الكافي ، والفقيه، والاستبصار ، والتهذيب ، صحيحة كما هو الشأن لدى مدرسة الخلفاء بالنسبة إلى صحيح مسلم ، والبخاري .

وان اقدم الكتب الأربعة زماناً ، وأنبهها ذكراً ، وأكثرها شهرة هو كتاب الكافي للشيخ الكليني وقد ذكر المحدثون بمدرسة أهل البيت فيها (٩٤٨٥) حديثاً ضعيفاً من مجموع (١٦١٢١) حديثاً .

ثم قال مرتضى :

وقد ألف أحد الباحثين – محمد باقر البهبودي – في عصرنا صحيح الكافي واعتبر من مجموع (١٦١٢١) حديثاً من أحاديث الكافي (٤٤٢٨) صحيحاً، وترك (١١٦٩٣) حديثاً منها لم يرها حسب اجتهاده صحيحة] [١].

* قال الشيخ باقر الإيرواني عن كتاب فقيه من لا يحضره الفقيه :

[ان كتاب الفقيه يشتمل على (٥٩٦٣) حديثاً على ما قيل ، بيد ان قسماً

---

(١) [معالم المدرستين / مرتضى العسكري ج٣ ص٣٤٣]

كبيراً منها يبلغ (٢٠٥٠) حديثاً هو من المراسيل] [١].

أقول :

وهذا العدد يقارب (ثلث) المجموع ، والحديث المرسل هو من قسم الضعيف، وما بقي من الأحاديث فهو يحوي الصحيح والضعيف .

وكيف هو حال كتب شيخ الطائفة الطوسي الاستبصار ، والتهذيب ؟

والذي قال عنه علماؤهم بعدم انضباط أقواله ، وعمله بالمراسيل ، وبرواية الضعفاء، وكثرة أخطائه [٢].

أقول :

فإذا كان هذا هو حال أحسن كتب الرواية عندهم ، فما هو حال البقية ؟

وما هي نسبة الضعيف والمردود فيها ؟*

---

(١) [دروس تمهيدية في القواعد الرجالية / باقر الايرواني ص ٢٧١]

(٢) راجع : [رجال السيد بحر العلوم / محمد مهدي بحر العلوم ج٤ ص ٧٨] [خاتمة الوسائل/ الحر العاملي ج٢٠ ص ١١١]

* **أقول :**

فهذا حال الكتب الأربعة المتقدمة والتي جمعت على عهود قريبة من عهد الائمة– القرن الرابع والخامس الهجري – فكيف هو حال الكتب الأربعة المتأخرة والتي ألفت في القرن الحادي عشر الهجري وما بعده وهي : (الوافي ، وسائل الشيعة ، بحار الأنوار ، مستدرك الوسائل) ؟! فالبلوى أدهى وأمر .

جراثيم وميكروبات بحار الانوار

لننظر إلى ما قاله علماء الشيعة عن هذا الكتاب (بحار الأنوار) لنعرف الحقيقة الوصفية لهذا الكتاب والتي يبنى عليها الحكم الخاص به من افواه علماء الشيعة انفسهم:

* قال آية الله محمد آصف محسني في كتابه (مشرعة بحار الأنوار) :

[لا شبهة في شمول أسانيد الروايات المذكورة في الكتاب للضعفاء ، والكذابين، والمجاهيل الكثيرة .

بل وعلى الثقات الذين اشتبهوا في التلقي والالقاء .

بل وأكثر مصادر الكتاب لم تصل نسختها إلى المؤلف بالاسانيد المتصلة المعنعنة عن ثقة عن ثقة وعن ثقات منتهية إلى مؤلفيها الثقات ، على ان جملة من مؤلفي المصادر مجاهيل .

=

=

ومن قرأ المؤلف في أول الكتاب يدرك بسهولة ان المؤلف نفسه أيضاً لم يكن يعتقد بصحة روايات كتابه من الأول إلى الاخر .

وكل عاقل فطن إذا التفت إلى حال الرواة وكيفية الكتابة والتدوين في تلك الاعصار يقطع بمخالفة جملة من الروايات للواقع فضلاً عن قطعه بتحريف جملات الروايات وكلماتها] .

[مشرعة بحار الأنوار / آية الله محمد آصف محسني ج٢ ص ٤٩٤]

* ثم قدم نصيحة إلى الشيعة انفسهم عند قرائتهم لهذا الكتاب ، وتعاملهم معه كمصدر للاستدلال ، فقال :

[ليعلم أهل العلم المتوسطون ان في بحار العلامة المجلسي رضوان الله عليه مع كونها بحار الأنوار جراثيم مضرة لشاربها ومواد غير صحية لابد من الاجتناب عنهما، واشياء مشكوكة ومشتبهة وجب التوقف فيها ...] .

[مشرعة بحار الأنوار / آية الله محمد آصف محسني ج١ ص ١١]

* وقال أيضاً موضحاً سبب تحقيقه لهذا الكتاب بناءاً على ما تقدم :

[كتاب البحار كتاب مهم لكن لا يجوز الاخذ بكل ما فيه ، ولاجله بينا له مشرعة حتى يؤخذ منها من مكان مخصوص لا يغرق الآخذ ولا يشرب ماء فيه الجراثيم والمكروبات المضرة].

[مشرعة بحار الأنوار / آية الله محمد آصف محسني ج٢ ص٢٧٣]

يجب حرق هذه الكتب

أقول :

فبالله عليكم ألم يكن الأولى أن يحرق هذا الكتاب لنتخلص من هذه الجراثيم والمكروبات ؟! وهل من الممكن أن نعثر على مثل هذا الكتاب في الملل الأخرى ؟

ومن المنطق أيضاً ان الحرق يجب ان لا يقتصر على كتاب البحار فقط ، وانما يجب احراق جميع الكتب التي نقل منها صاحب البحار ، فهو بالتاكيد نقل ما يعتقد صحته من هذه الكتب وترك الضعيف واللامعقول.

وهذه الكتب التي نقل منها صاحب البحار هي في مجموعها الكتب الشيعية ، ومر معنا مثال على هذه الكتب التي نقل منها صاحب البحار إلا وهو كتاب أصول الكافي، فلا غرابة ان يكون حال الكتب الاخرى ليس باحسن حالاً من البحار والكافي .

وشر البلية ما يضحك وهو ما نقله آية الله محمد آصف محسني من كلام محقق وشارح كتاب بحار الأنوار ، حيث قال :

[ومن خصائص بحار الأنوار انه تزداد شهرته واعتباره ويظهر قدره وعظمته إذا قام القائم من آل محمد بعدما ينظر فيه ويحكم بصحته من الأول إلى الاخر] .

=

هذه الكتب لا يتحصل منها تفسير القرآن كاملاً

أضف إلى ذلك اننا حتى لو سلمنا بأن هذه الكتب يمكن الاعتماد عليها – مع تعذر هذا التسليم لما سبق بيانه – فانها لم تحو على تفسير القرآن كاملاً بالرواية عن الأئمة ، إذ ان هذه الكتب تحوي على روايات لتفسير بعض آيات متناثرة هنا وهناك من سور القرآن .

وتحديداً آيات الأحكام منه – والتي عدها العلماء (٥٠٠) آية وهي نسبة لا تعد إذا ما علمنا ان عدد آيات القرآن (٦٢٣٦) آية – فهذه الكتب في اصلها

=

[مشرعة بحار الأنوار / آية الله محمد آصف محسني ج٢ ص٤١٣]

مسكين قائم آل محمد

أقول :

مسكين هذا القائم فكم من المهمات الجسام ستوكل إليه عندما يخرج !!!

وكم شرب الشيعة من جراثيم بحار الأنوار ، وكم ستبقى تشرب إلى ان يقوم القائم !!!

وهل سيتحول قائم آل محمد إلى مادة معقمة تقتل المكيروبات والجراثيم ؟؟!!!

وكما يقول المثل العامي (موت ياحمار إلى أن يأتيك الربيع) .

اضحك مع عالم شيعي

ومما اضحكني والضحك كثير في هذا المذهب ما قاله الشيخ نزيه القميحا في كتابه (رسالة إلى كل شيعي) وهو يرد على صاحب شريط (رسالة إلى كل شيعي) الذي انتقد فيه كتاب الكافي ، فقام هو أيضاً بدوره بانتقاد كتاب البخاري ، فقال :

[أيترك الشيعة مذهب آل البيت ليقعوا في بحر السخافات التي لا يرضاها عقل ولا منطق ؟ ايترك الشيعي اللالى والجواهر الصافية ، ويأتي إلى معادن من الصفيح والحديد ؟ انترك الأئمة المعصومين ؟ وناتي إلى الخوارج والنواصب الذين نصبوا عداءهم لال النبي ﷺ وعادوا الرسول نفسه في حياته وبعد مماته كما في حديث رزية يوم الخميس ، وغيرها من الرزايا] .

[رسالة إلى كل شيعي / الشيخ نزيه القميحا ص ٧١]

أقول :

نترك للقارىء مقارنة كلام نزيه عن اللالى والجواهر الصافية ، مع ما ذكره آصف عن الجراثيم والمكروبات المضرة التي رواها الأئمة المعصومون في كتاب البحار، ونضيف له تضعيف المجلسي والبهبودي لاحسن كتاب فيه روايات الأئمة المعصومين.

كتب فقهية تتناول ما يتعلق بالاحكام الخاصة بالمكلف باستثناء (اصول الكافي) الذي خصص للعقائد* .

وعليه فإن الاعتماد على هذه الكتب لأجل إثبات مدعى المعترض أمر غير ممكن لانتفاء الامكانية من تفسير القرآن بالرواية عن الأئمة من خلالها كما بينا لكم في هذا العرض.

ما بني على فاسد فهو فاسد

٢- اما فيما يتعلق بكتب التفسير الاخرى التي ادعى المعترض انه يمكن الرجوع إليها نيابة عن تلك الكتب التي تم تسقيطها ، نقول له :

كما اصلنا ، ومما ينبغي ان يعلم ان تلكم الكتب التي تم تسقيطها هي ، العمدة، والمرجع ، والاصل فلا يمكن الاستغناء عنها ، ولا يمكن ان نجد في المتداول من كتب التفسير بديلاً نستعيض به عنها ، ولزيادة ايضاح عن طريق ضرب المثال ، نقول : ان التفاسير التي جاءت بعد تلك العمدة والأصول من أمثال :

*** تنبيه**

لا يتوهم متوهم من كلامنا هذا ان الأصول من الكافي هو أحسن حالاً من الفروع من الكافي، على العكس الحكم واحد من حيث كثرة الضعيف فيه إذا لم يكن اسوأ وإليك البيان:

في الجزء الأول نجد ان المجلسي في كتابه (مراة العقول) من مجموع (١٤٤٥) حديثاً لم يصحح إلا (٢٣٧) حديثاً ، اما المظفر في كتابه (الشافي في شرح أصول الكافي) فقد صحح (٢٣١) ، والبهبودي في كتابه (الصحيح من الكافي) فقد صحح من المجموعة (١٦١) حديثاً فقط .

واتفق الثلاثة على تصحيح (٨٧) حديثاً فقط من هذا الجزء .

والجزء الثاني منه من مجموع (٢٣٤٦) حديثاً ، صحح المجلسي منها (٤٦٧) حديثاً، والمظفر (٤٦١) حديثاً ، والبهبودي صحح (٣٩٢) حديثاً .

واتفق الثلاثة على تصحيح (٢٣٣) حديثاً فقط من هذا الجزء .

فالحقيقة التي عليها الأصول من الكافي ، ان نسبة الصحيح فيها هي دون (الثلث) بكثير ، إذ هي اقل من الخمس .

فهذه حقيقة كتبهم التي تتعلق بالعقائد والأصول ، هذه هي حالها من الضعف فلك ان تتصور بعد ذلك حال غيرها مما يتعلق بالفروع والقشور .

(نور الثقلين، الصافي ، البرهان ... وغيرها) لا تخرج عن كونها ناقلة ومستفيدة من تلكم الكتب الأصول ، فهي قد بنت دعائمها عليها ، واعتمدت على ما فيها في نشوئها وتكونها ، لذلك فحكمها يكون حكم تلك الكتب .

فإذا كانت الأصول المراجع ساقطة فلا شك ان التالي والمتأخر ساقط لانه مبني على المتقدم ومستفيد منه ، والقاعدة تقول : (ما بني على الفاسد فهو فاسد).

وإذا ما ثبت هذا وهو ثابت ومتحقق فإن وجود بديل يمكن ان يستعاض به في هذا الشأن المتعلق بتفسير القرآن عن طريق روايات الأئمة أمر متعذر ومسألة مشكلة ، وقضية لا يمكن الوصول بها إلى بر الامان ، ولا إلى مكان مطمئن* .

هذا ما اردنا بيانه هنا بخصوص الرد على المعترض حول امكانية وجود روايات للائمة يمكن الرجوع إليها في تفسير القرآن في كتب غير كتب التفسير التي تم تسقيطها من قبلهم .

---

* إن الكلام عن حقيقة التفسير عند الشيعة ،وانتفاء امكان الاعتماد على معصوميهم الـ (١٢) في بيان القرآن ، يقرره الواقع الموجود الثابت المبطل لأي دعوى تعارضه فارغة المحتوى، فقيرة الدليل كالقول :

بأن المعصومين كانت لهم تفاسير أخرى إلا أنها فقدت ، أو اتلفت .

فهذا الكلام على فرض صحته لا يلزمنا بشيء ، فنحن نتكلم عن التفاسير المتداولة بين ايدينا، والتي يستدل بها علماء الشيعة اليوم لإثبات دينهم ، اما ما فقد أو اتلف فهو والمعدوم سواء .

وإذا قلنا على سبيل التنزل ان التفاسير المروية عن أئمة الشيعة المعصومين ليس كل ما فيها ضعيف ، فأقول :

كيف نفرق بين الصحيح والضعيف وهذه التفاسير اما محذوفة الأسانيد ، أو مجهولة المؤلف، وعلماء الشيعة لم يكلفوا انفسهم تحقيق هذه الكتب إلى يومنا هذا ؟

وهل يكفي هذا الصحيح لاستيعاب القرآن كاملاً تفسيراً ، وبيان معنى ، واسباب نزول ؟

ومع انتفاء هذا الأمر اما يكون المعصوم غير معصوم ، أو أن تفسير القرآن ليس من خصوصياته .

ثالثاً :

تفسير التبيان ومجمع البيان

ان هذا الحكم الذي عرضناه لكم بخصوص كتب التفسير الشيعية الحاوية على روايات الأئمة من عدم امكانية الاعتماد عليها في تفسير القرآن وحصر هذا التفسير في الأئمة المعصومين عند الشيعة هو أمر ثابت لا يمكن لاحد نقضه .

والدليل عليه كما بينا منهم ، لا من غيرهم فهم مع ما اشرنا إليه من تسقيطهم لكتب التفسير المتضمنة للروايات عن ائمتهم ، نجد ان منهم من خرج عن هذه الطريقة ، واخذ بسلوك مسلك خاص ، وجديد لأجل تفسير القرآن ، وبيان معانيه ومن ذلك كتاب التفسير لشيخ الطائفة الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ) والمسمى بـ (التبيان) ، وكذلك (مجمع البيان) للطبرسي (المتوفى ٥٦٠ هـ).

الاعتماد على مفسري أهل السنة

فالمطلع على هذه الكتب يجد خروجاً عن المألوف والمطلوب عند الشيعة إذ انها لم تحصر تفسير القرآن بالروايات الواردة عن الأئمة ، بل كان لها تميز في منهج يمكن ان نوضحه بالنقاط الاتية :

١- الاكثار من الاعتماد على أقوال أهل السنة الواردة في تفسير الآيات ، مع نقاشه لهذه الأقوال كالنقاش الوارد في كتب التفسير عند أهل السنة .

٢- لم ينقل أقوال مفسري الامامية ، ولم يعتمد عليهم في اختيارات الأقوال الواردة في التفسير للاية أو التأصيل للاحكام المستفاده منها .

٣- ندرة الروايات الواردة عن الأئمة التي قام بايرادها عند تفسيره للايات، لذلك ونتيجة لانعدام روايات عن الأئمة في تفسير بعض الآيات اضطره الأمر إلى الاعتماد الحصري على أهل السنة في تفسير هذه الآيات عن طريق المنقول عنهم ، والأقوال الثابتة عن علمائهم .

٤- ومما يجب ان يشار إليه هنا ان الأقوال المنسوبة إلى الأئمة في تفسير الآيات والتي اوردها أصحاب هذه التفاسير قد جاءوا بها من دون سند ، والذي

يفهم من فعلهم هذا انهم قد استقوها ونقلوها من تلكم التفاسير المتقدمة ، والتي حكم عليه علماء الشيعة بالتسقيط ، لذلك فحكمها الذي يثبت لها هو حكم تلك التفاسير المستقاة منها في الرد وعدم القبول .

تبرير مستهلك : التقية والمماشاة مع أهل السنة

ولذلك نجد ان علماء الشيعة قد حاولوا التبرير لافعال هؤلاء المفسرين بانها وردت على سبيل التقية والمداراة لاهل السنة ، وإليك اقوالهم في هذا الشأن :

قال النوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب :

[ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان إن طريقته فيه على نهاية المداراة (التقية) والمماشاة مع المخالفين ، فإنك تراه قد اقتصر في تفسير الآيات على نقل كلام الحسن، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، وأبن جرير ، والجبائي، والزجاج ، وابن زيد، وأمثالهم ، ولم ينقل عن أحد من مفسري الإمامية ، ولم يذكر خبراً عن أحد من الأئمة عليهم السلام إلا قليلاً في بعض المواضع ، لعله وافقه في نقله المخالفون] (١).

قال المحقق الكركي :

[ان الشيخ الطوسي والطبرسي نقلوا في تفاسيرهم ما صح عندهم من كلام الأئمة ، وما لم يكن عندهم فيه شيء نقلوا ما وصل إليهم فيه من أقوال المفسرين من العامة] (٢).

رابعاً :

طرق جديدة للتفسير لم ترد عن الائمة

بعد هذا العرض لأقوال علماء الشيعة التي حاولوا من خلالها تبرير هذا الفعل الصادر من مفسريهم والذي حصروه بالتقية والمماشاة للمخالفين نقول لهم:

---

(١) [فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب / النوري الطبرسي ص ٣٨ مخطوط]
[القرآن الكريم وروايات المدرستين / مرتضى العسكري ص٢٥١]

(٢) [هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار / حسين بن شهاب الكركي ص١٥٥]

ان هذا التبرير غير مقبول لما تقدم من انهم كانوا يأتون باقوال الأئمة في تفاسيرهم عندما يجدونها حاضرة وهذا بحد ذاته راد لدعوى التقية وهو الذي اشار إليه المحقق الكركي .

ومن جهة أخرى ان التفاسير المتاخرة قد خرجت عن التقيد بالرواية عن الأئمة في التفسير ، وتحررت من هذا الالتزام ، واخذ اصحابها يكتبون في التفسير كما يكتب أهل السنة تماماً فنجد عندهم :

(التفسير الفلسفي ، والموضوعي ، واللغوي ، والعلمي ، والصوفي الاشاراتي، والتفسير بالقران ... إلى اخر ذلك من المواضيع التي كتبت في تفسير القران).

وزيادةً في البيان ، وامعاناً في ايضاح الصورة نقول :

ايات كثيرة لم يرد فيها تفسير عن الائمة

ان التقية ليست هي السبب للسير خلف هذا المنهج ، وانما السبب هو أمر اخر يتضح بما ياتي :

١- انكشاف الحقيقة امام العيان لعلماء الشيعة المتاخرين في فقر الروايات الواردة عن الأئمة التي بها يفسر القرآن ، تكلم محمد حسين الطبطبائي صاحب تفسير (الميزان) في كتابه القرآن في الإسلام عن هذه الحقيقة ، قائلاً:

[ان الأحاديث المروية عن أهل البيت لا تكفي للإجابة على الأسئلة غير المحددة التي نواجهها تجاه الآيات القرآنية .

هذا بالإضافة إلى ان هناك آيات لم يرد فيها حديث أصلاً لا من طريق السنة، ولا من طريق الشيعة فكيف نصنع بها] [١] ؟

---

(١) [القرآن في الإسلام / محمد حسين الطبطبائي ص٦٦]

فراغ يجب سده باقوال علماء أهل السنة

أقول :

هذا تصريح واضح وبين من علم من اعلام التفسير المتأخرين عند الشيعة يثبت فيه ان الأئمة لم يفسروا جميع القرآن ، وانه لا يمكن الاعتماد على رواياتهم الواردة عنهم لأجل تحقيق هذا الأمر .

لذلك كانوا ملزمين في اشغال هذا الفراغ ، وسد ثغرات هذا الحيز والجانب، ولم يكن امامهم لتحقيق هذا الأمر إلا ان يتجهوا إلى أهل السنة ليستفيدوا من خبراتهم في هذا الشأن* .

*** اعتماد المتاخرين من مفسري الامامية على تفاسير أهل السنة**

إن اعتماد مفسري الشيعة الامامية على تفاسير أهل السنة لم يكن مقتصراً على الطبرسي والطوسي فقط ، فهناك الكثير والكثير ممن أخذ عن أهل السنة ونهل منهم وسار على طريقتهم في هذا الشأن من مفسري الشيعة المتاخرين ، ونذكر منهم على سبيل المثال هنا :

* ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره (الامثل في تفسير كتاب الله المنزل) ، فقد ذكر في مقدمة تفسيره انه اعتمد على مجموعة كبيرة من التفاسير خلطها جميعاً سنية وشيعية .

واذا ما فرزتها لوجدت ان من مجموعها البالغ (١٦) تفسيراً ، (عشرة) منها تفاسير أهل السنة ، والباقي هي تفاسير شيعية منها : (مجمع البيان ، والتبيان) المعتمدة على تفاسير أهل السنة كما بينا ، وثلاثة شيعية ساقطة وهي : (البرهان، نور الثقلين ، الصافي) ، وإليك اسماء التفاسير التي اعتمد عليها ناصر في كتابه هذا :

[١ – مجمع البيان ٢– أنوار التنزيل ٣– الدر المنثور ٤– البرهان ٥– الميزان ٦– المنار ٧– في ظلال القرآن ٨– المراغي ٩– مفاتيح الغيب ١٠– روح الجنان ١١– أسباب النزول ١٢– القرطبي ١٣– روح المعاني ١٤– نور الثقلين ١٥– الصافي ١٦– التبيان] .

[التفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / ناصر مكارم الشيرازي ج١ ص ١١]

* أما السيد محمد الحسيني في كتابه (السيد محمد حسين فضل الله مفسراً) فقد عد الكثير من التفاسير السنية التي اعتمد عليها آية الله محمد حسين فضل الله في تفسيره (من وحي القرآن)، ومنها :

[١– الدر المنثور للسيوطي ٢– أسباب النزول للواحدي ٣– الكشاف للزمخشري ٤– تفسير محمد بن جرير الطبري ٥– تفسير القرطبي للقرطبي ٦– التفسير الكبير للفخر الرازي ٧– المنار لمحمد رشيد رضا ٨– تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت ٩– في ظلال القرآن لسيد =

=

قطب] .

[السيد محمد حسين فضل الله مفسراً / محمد الحسيني ص ٣٦]

* لقد أحصى احسان الامين أقوال أهل السنة من الصحابة والتابعين في تفسير القرآن تلك التي اعتمدها صاحب تفسير (الميزان) الطبطبائي في كتابه التفسير بالمأثور قائلاً :

[والواقع أننا بنظرة عابرة في التفاسير الأساسية للشيعة كتفسير التبيان للشيخ الطوسي، ومجمع البيان للطبرسي ، ومن المعاصرين تفسير (الميزان) للعلامة الطباطبائي ، نجد أن هذه التفاسير مشحونة بالمأثور من تفاسير الصحابة والتابعين والرجوع إليها في الكثير من الآراء .

وقد عددنا في فهارس تفسير (الميزان) الموارد التي رجع فيها إلى الدر المنثور للسيوطي فكانت تزيد عن (٨٠٠) مورد ، كما أورد فيه آراء معظم الصحابة والتابعين من المفسرين كعبد الله بن عباس أكثر من (٥٠٠) مورد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠٩) مورد، وعبد الله بن مسعود (١٢٦) موردا ، وآخرين كثيرين ممن وردت عنهم الآثار ، مما يدل على أن الشيعة تعاملوا مع الروايات التفسيرية كما هي ، وناقشوها بناء على توافق معانيها مع القرآن ، لا على أساس الرواة أو موقفهم منهم من حيث الجرح والتعديل] ، وقال أيضاً :

[وعلى هذه السيرة أيضا ، نجد الطباطبائي – من أعلام الشيعة المعاصرين – ينقل في تفسيره إضافة إلى أقوال الصحابة ، أقوال التابعين كسعيد بن جبير (٥٧) موردا والحسن البصري (٧٣) موردا ، وعكرمة (٦٩) موردا ، وقتادة (٩٠) موردا، ومجاهد (٨٣) موردا]

[التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية / تأليف إحسان الأمين ص ١٢٦ – ١٤٠]

أقول :

وهناك الكثير من كتب التفاسير الاخرى التي سارت في هذا الاتجاه لم اتناولها هنا خشية الاطالة ، ومنها على سبيل المثال : [(الكاشف) لمحمد جواد مغنية ، (آلاء الرحمن) للبلاغي] .

واضافة لهذا فإن هناك نقاطاً تتعلق بما ذكرنا الواجب تسليط الضوء عليها وبسطها بين يدي الناس، وهي:

أولاً :

اعتماد تأصيلي لا استدلالي على الخصم

ان اعتماد علماء الشيعة في تفاسيرهم على أقوال مفسري أهل السنة هو اعتماد تأصيلي القصد منه تثبيت هذه الأقوال على شكل اختيارات محتملة من الممكن ان توجه الآيات إليها ، ومن باب نقل الاجتهادات التي وردت في هذه الآيات واعتمادها كمسار في تأويل الاية ، وليس هو

=

=

من باب الاستدلال على الخصم من خلال إيراد اقواله في الاية ونقضها وردها لمخالفتها الدليل، وعدم بنائها على اسس سليمة .

والدافع من وراء توجههم إلى تفاسير أهل السنة ، وانتقائهم الأقوال منها هو عدم وجود ما يسفعهم ويخدمهم من روايات الأئمة في التفسير ، اما لكونها معدومة أصلاً أو لكونها بعيدة كل البعد عن ان تكون تأويلاً للاية .

وانطلاقاً من هذا الأساس نجد ان لاهل السنة في تأويل بعض الآيات اقوالاً متعددة وتوجيهات كثيرة مع كون الاختيار لهم لاحد هذه التوجيهات قد ثبت وترسخ فإن علماء الشيعة يتجهون إلى هذه الأقوال ويختارون منها قولاً ويؤصلونه كتوجيه وتأويل للاية، وعليه فإن اعتمادهم كما ذكرنا هو لأجل البناء ، والانشاء ، والاتباع ، والاقتفاء، وعليه نقول لهم :

ثانياً :

لم نعثر على مفسر من أهل السنة يعتمد على تفاسير الامامية

هل تجدون في الواقع التفسيري المطروح بين أيديكم واحداً من مفسري أهل السنة قد اعتمد على تفسير لاحد مفسري الشيعة الاثني عشرية ، وجعل اعتماده هذا أصلاً يبني عليه الأحكام، ويوجه إليه الأقوال كما فعل :

(الطوسي ، والطبرسي ، والشيرازي ....) ، فإن وجدتم هذا المفسر الذي اعتمد اعتماداً كلياً على تفاسيركم ، وملأ صفحات كتابه باقوال مفسريكم واختيارتهم ، فلا تتاخروا في ابرازه لنا واظهاره .

ثالثاً :

اهل السنة يعتمدون على روايات الأئمة الصحيحة في كتبهم

اننا عندما نذكر هذه الأمور المتعلقة بتفاسير الشيعة لا يعني اننا نلغي أي اسهام للائمة في تفسير الآيات وتوجيهها .

فإننا نعتمد على الثابت عنهم ونجعله كوجه من الوجوه التي تؤول إليه الاية وتفسر به، ولكن بالطرق الصحيحة الثابتة عندنا والتي توصل اليهم بأطمئنان وثقة .

فاهل السنة لديهم طرقهم واسانيدهم الموصلة إلى الأئمة والتي عليها يعتمدون ، وبها يستقلون، وبواسطتها يميزون ما بين الثابت والمردود ، فلا حاجة تدفعهم إلى التوجه إلى الغير الذي هو نفسه لم يصل إلى قول فصل في تحديد المقبول والمرفوض من روايات ائمتهم.

رابعاً :

من خلال ما تقدم تبين لنا ان التفسير عند الشيعة لا وجود له حقيقة حسب المفهوم الشيعي القاضي بوجوب ان يؤخذ التفسير فقط من جهة المعصوم .

=

لا يفسر القرآن إلا عن طريق المعصوم

=

فالنتيجة التي يمكن ان يتوصل لها أي باحث في قضية التفسير عند الشيعة تتلخص بحـــالين لا ثالث لهما :

الأولى :

تفاسير شيعية ساقطة ضعيفة لا اعتبار لها باعتراف علماء الشيعة انفسهم .

الثانية :

تفاسير تعتمد في تناولها الآيات على تفاسير أهل السنة .

فهذه هي الحقيقة التي تثبت لتفاسير الشيعة التي طالما طبلوا وزمروا لها .

خامساً :

علماء الشيعة متلبسون بما يتهمون الغير به

ان الشيعة دائماً يقعون في ما يتهمون به غيرهم ، ويسقطون في ما يبرئون منه انفسهم ، ومن ذلك التبعية للغير ، والانقياد له ، والسير خلفه في طريقه الذي اعتمده.

فهم دائماً ما يحاولون تبرئة انفسهم من تهمة التبعية للغير ، وينفـــون عـــن انفســـهم تحققهـــا ووجودها في مناهجهم ومسالكهم ، ولكن واقعهم يصدح ويفوح بالزخم الكبير مـــن الـــدلالات على كونهم تابعين لمخالفيهم ، سائرين على خطاهم ، مقتفين لاثار مناهجهم.

وهذا هو الحاصل في تفاسيرهم فهم مهما حاولوا التهرب عن ان ينقادوا للغير، ومهما حاولوا التملص من اتباعه ، فانهم لن يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، ولن يتمكنوا من شق طريق لانفسهم بـــه يستقلون ويتميزون ، لأن المخالف هو الأصل ، وهو البادىء والمتقدم ، وما هم إلا متأخرون تابعون ولغيرهم مقلدون .

وهذا يثبت ما ذكر عنهم في أكثر من موطن بانهم عيال على مخالفيهم وخصوصاً أهل الســـنة في العلوم وفنونه .

تركوا سفينتهم وركبوا سفيتنا

ومن المؤسف جداً بحق الشيعة ، ومن المخجل أشد الخجل ان يكون هذا هو حالهم وهذه هي صفاتهم فهم يدعون انهم على الحق ، وان ائمتهم هم سفن النجـــاة يأخـــذون بنواصـــيهم إلـــى الصراط المستقيم وإلى النور الكاشف للضلالة والاوهام.

وان غيرهم ضالون منحرفون قد ابتعدوا عن مصدر الهداية ، وزاغوا عن الصراط السوي ، واعميت ابصارهم عن النور والحق المبين .

أقول من المؤسف والمخجل مع كل هذا الذي يدعون انك تجدهم يقتفون آثار اؤلئك الضـــالين ويسيرون خلف اؤلئك المنحرفين ، ويستنيرون بادلة من يسمونهم بالمخالفين.

فالنتيجة انهم قد تركوا سفينتهم التي اسموها بسفينة النجاة ، وركبوا سفينة أهل الســـنة التـــي ادعوا فيها الهلاك .

ولاجل تحرير مستندنا في رد هذا التبرير نقول :

الثابت المقطوع به في معتقد علماء الشيعة ان من وظائف الإمام المعصوم التي يختص بها هي تفسير القرآن ، لذلك فالمؤصل عندهم ان أي تفسير للقران وتوجيه لظواهره ، وتفصيل لمجملاته ، وتقييد لمطلقاته ، وتخصيص لعموماته لا يصح إلا عن طريقه .

وقد سار على اعتماد هذا الأمر والتقيد به المتقدمون من مفسري الشيعة الذين اقتصروا على الرواية الواردة عن المعصوم في تفسير القرآن ، ولم يتجاوزوها إلى غيرها مطلقاً .

الابتعاد عن هذه الطريقة

هذه الطريقة وهذا المسلك مع المعطيات التي افرزها الواقع ، ومع المؤثرات التي احاطت بها ، ومع حالة الصراع المتأصلة والمتنامية مع المخالفين لم تثبت على ساق ، ولم يكن لها الامكانية للبقاء والتحمل لذلك وبمجرد حصول طارىء فإن هذه الطريقة تذهب ادراج الرياح ، تذهب اثارها بعيداً .

القران يفهم من دون الحاجة إلى المعصوم

وصورة هذه الحقيقة ان كان هناك مبرر لحصولها عند السابقين وهو دعوى التقية ، فكيف سنوجه ما ذهب إليه المتاخرون ممن ابتعد عن الالتزام بهذا المسلك ، وترك التقيد برواية المعصوم ، وخط لنفسه خطاً تفسيرياً مستقلاً اعتمد فيه على اجتهاداته الخاصة المبنية على وجهات نظر المفسرين ممن سبقه ؟

هذا (محمد حسين الطباطبائي) صاحب تفسير (الميزان) سار على هذه الطريقة ملتزماً اياها التزاماً كاملاً مدافعاً عنها بكل ما اوتي من قوة ، راداً على جميع ادعاءات القائلين بأن فهم مرادات القرآن يجب الرجوع فيها إلى المأثور عن المعصوم لاغياً هذا الشرط ، نافياً له ، قائلاً :

[ان ما ادعاه البعض من إننا في فهم مرادات القرآن يجب ان نرجع إلى ما أثر عن الرسول ، أو ما أثر عنه وعن أهل بيته المعصومين .

ولكن هذا ادعاء لا يمكن قبوله ، لأن حجية قول الرسول والائمة يجب ان تفهم من القرآن الكريم ، فكيف يتصور توقف حجيته ظواهره على أقوالهم ؟

بل نزيد على هذا القول ، ونقول :

ان إثبات أصل النبوة يجب ان نتشبث فيه بذيل القرآن الذي هو سند النبوة كما ذكرنا سابقاً] [١] .

الكثير من علماء الشيعة يذهبون إلى ما ذهب إليه الطباطبائي

ولم يقتصر انتهاج هذه الطريقة عليه فقط ، بل اشترك معه في انتهاجها الكثير من علماء الشيعة ممن رأوا في هذا المسلك الطريقة الاسلم ، والاقوم ، والاحكم في تفسير القرآن الكريم وردوا كل خبر يعارض انتهاج هذا الطريق ، وينقض التمسك به .

فهذا آية الله (محمد مهدي الخالصي) في كتابه (حجية القرآن ووجوب العمل بظاهره) ، يرد اعتقاد الشيعة المترسخ زمناً طويلاً بوجوب الرجوع إلى المعصوم في تفسير القرآن من جهة نقضه للاخبار المثبتة لهذا المعتقد ، وقد اعتمد في رده لتلكم الأخبار على امرين :

الاول :

انها تعارض ، وتصادم القرآن المقطوع بثبوته ودلالته .

الثاني :

الحكم عليها بالضعف المسقط لحجيتها ، والمبطل لامكانية العمل بها ، فقال:

[ونحن نرد جميع الأخبار التي تدل على عدم فهم القرآن ، لوجود أكثر من مائتي آية تدل على ان القرآن يفهمه كل أحد.

وقال أيضاً :

الأخبار الضعيفة جداً التي تخبر بأن الإمام الصادق قال لبعض التابعين : لا يفهم القرآن أحد إلا أهل البيت وهذه الأخبار غاية في الضعف] [٢].

قال السيد مصطفى محقق داماد :

[كانت رؤية الشيخ الانصاري واضرابه ان لا قدسية لكلام الله بألفاظه ،

(١) [القرآن في الإسلام / محمد حسين الطبطبائي ص٢٦]

(٢) [حجية القرآن ووجوب العمل بظاهره / محمد مهدي الخالصي ص٣٠ – ٤٥]

حتى يقتصر فهمها على القديسين (النبي والمعصومين الاطهار) فمعنى نـــزول القرآن انه كان له معنى ومقام قدسي ، لكنه تنزل عن ذلك المقـــام وغـــدا فـــي صورة كلام بشري يفهمه الجميع ، هذا تصور الشيخ الانصاري عن القران، إذن لم يقصد الباري عز وجل تنزيل القرآن بصـــورة مقدســـة بحيـــث لا يفهمـــه أي انسان][1].

الخارج عن تفسير المعصوم مطعون فيه

ان الخروج عن المألوف من معتقد الشيعة في المرجع في التفسير كان امراً مرفوضاً غاية الرفض عند الشيعة ، والمقدم عليه هالك ساقط تتوجه إليه الطعون من كل حدب وصوب .

ولذلك عندما اقدم آية الله (الخوئي) على تفســـير القـــرآن بالاجتهـــادات ، وخرج عن الالتزام بالروايات عابوا عليه وتصدوا له ، وتوجهت إليه سهام النقـــد والطعن من كل قوس حتى وصل به الأمر إلى التوقـــف عـــن تفســـير القـــران، والاحجام عنه خوفاً على مرجعيته .

هذا هو الحاصل عندهم أول الأمر حيث طال الاذى كل من سلك هذا المسلك وعلى رأسهم الطبطبائي .

معاناة آية الله الخوئي واية الله الطباطبائي

قال عبد الجبار الرفاعي في كتابه (تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية) في معرض بيانه للدور الذي قام به الخوئي ، والطباطبائي في التفسير والمعاناة التي تعرضا لها لأجل ذلك :

[عمل الطباطبائي على إحياء دراسة التفسير ، وعلوم القرآن في قم بعد أن كانت مهجورة ، ومنذ ذلك الحين نمت وترعرعت البذرة التي غرسها الطباطبائي فأفضت إلى ما نشاهده أخيراً من انفتاح جيّد على القرآن الكريم ، واهتمام متزايد بالتفسير والدراسات القرآنية .

---

(١) [قضايا اسلامية معاصرة / العدد الثالث عشر ص ١٢١]

غير أن ذلك الموقف كان يعدّ تضحية كبرى بالمقام من قبل العلامة الطباطبائي بحسب المعايير المتعارفة في الحوزة العلمية ، طبقاً لما حكاه تلميذه الشهيد الشيخ مرتضى المطهرّي عن السيد الخوئي ، يقول المطهري :

[قبل شهر تشرّف أحد الفضلاء بزيارة العتبات المقدّسة وعند عودته ذكر:

أنه تشرّف بلقاء آية الله (الخوئي) ، فسأله :

لماذا تركت درس التفسير الذي كنت تدرّسه في السابق ؟ (فقد كان لآية الله الخوئي قبل عدة سنوات درس في التفسير في النجف الأشرف طبع قسم منه) .

فأجاب السيد الخوئي :

أن هناك موانع ومشكلات في تدريس التفسير.

قال: فقلت له : إن العلامة الطباطبائي مستمر في تدريس التفسير في قم.

فأجاب : أن الطباطبائي يضحي بنفسه ، أي : أن الطباطبائي قد ضحّى بشخصيته الاجتماعية] .

ثم نقل عبد الجبار الرفاعي تعليق مرتضى مطهري على كلامه ، فقال :

أما الشهيد المطهري فلم ينقل هذا الجواب من دون أن يعقب عليه ، لأنه كان من أقرب تلامذة العلاّمة الطباطبائي إليه ، ومن أخبرهم بشؤونه وشجونه ، فقال معقباً على ما أفاده السيد الخوئي وقد صح ذلك :

[إنه لعجيب أن يقضي المرء عمره في أهم العلوم الإسلامية كتفسير القرآن ثم يكون عرضة لكثير من المصاعب والمشاكل في رزقه ، في حياته ، في شخصيته ، في احترامه ، وفي كل شيء آخر.

غير أنه لو صرف عمره في تأليف كتاب مثل (الكفاية) لنال كل شيء .

فتكون النتيجة أن هناك آلافاً من الذين يعرفون (الكفاية) معرفة تامة ، أي أنهم يعرفون (الكفاية) والرّد عليها ، ورد الرّد عليها ، والرد على ردّ الردّ عليها ، لكن لا نعثر على شخصين يعر فإن القرآن معرفة صحيحة ، وعندما تسأل أحداً عن تفسير آية قرآنية يقول لك يجب العودة إلى التفاسير] .

ومن المؤسف أن تقابل بعض الأوساط في الحوزة العلمية الإنجاز العظيم للعلاّمة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) بردود فعل سلبية ، وربما عدوانية ، فقد كتب البعض كتاباً ينطوي على روح مخاصمة ، وليس نقداً وتقويماً علمياً

موضوعياً ، تحت عنوان (حول الميزان) فيما آثار آخرون ضجة وصخباً في الحوزة العلمية في النجف بعد صدور(الميزان) دفعت تلميذ العلاّمة الطباطبائي الشيخ (مسلم الملكوتي) أن يتصدى للدفاع عن تفسير أُستاذه، فخاض حوارات عديدة مع هؤلاء من دون أن يجد أُذنا صاغية لما يقول .

وكان يذهب إلى ان هؤلاء لم يندفعوا بسوء نية لاتخاذ هذا الموقف وافتعال الضجيج، وإنما يعود ذلك لسوء الفهم وربما كان لبعض الأيدي الخفية دور مهم في ذلك.

من هنا اضطر العلاّمة الطباطبائي أن يحصل على تقريظ للميزان من بعض المراجع وقتئذٍ لإخماد نار هذه الفتنة وإن كان الميزان لا يحتاج إلى تقريظ أحد، حسب تعبير الشيخ الملكوتي] (١).

فالذين تكلموا في مجال التفسير من علماء الشيعة كانوا استثناءاً وشواذاً حتى انهم عندما خاضوا غمار هذا العلم اعتمدوا فيه على انفسهم ، وانفردوا برؤيتهم ونظرتهم معتمدين على المخالفين لهم المتقدمين عليهم في هذا العلم ، وها هنا يقول الدكتور جعفر الباقري مثبتاً اعتماد الطباطبائي على نفسه في تفسير القرآن ما نصه :

[وأما العلماء الذين برزوا في مجال التفسير من هذا الكيان (أي الحوزات) وعلى رأسهم العلامة محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان ، فقد اعتمدوا على قدراتهم ، ومواهبهم الخاصة ، وابتعدوا بأنفسهم عن المناهج العلمية المألوفة في الحوزة العلمية ، وتفرغوا إلى الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه والاشتغال بامر التفسير] (٢).

أقول :

لقد تكلمنا في ثنايا بحثنا هذا عن حقائق كثيرة تتعلق بالتفسير ومصادره عن الشيعة ، هذه الحقائق عرضها لنا عبد الجبار الرفاعي هنا على شكل واقع ملموس عاشه هو ومراجعه لذلك ساقوم بتسليط الضوء على النقاط التي اشار

---

(١) [تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية / عبد الجبار الرفاعي ص ١٢٩-١٣٠]
(٢) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١١١]

إليها فيما يتعلق بالتفسير عندهم والتي تثبت ما ذهبنا إليه في مناهجهم التفسيرية، وإليك اقواله والمستفاد منها فيما فيه إثبات لحقيقة حالهم :

القران مهجور عندهم

١- قوله : (عمل الطباطبائي على إحياء دراسة التفسير ، وعلوم القرآن في قم بعد أن كانت مهجورة) .

فيه دلالة واضحة على ان تفسير القرآن وعلومه لم تكن مخدومة عندهم مطلقاً مع العلم ان هذه العلوم هي الطريق الاقوم والاسلم لأجل فهم القرآن والاحاطة بمقاصده ، ومع اثباته هجرها ، وابتعادهم عنها اثبت انتفاء علمهم بالتفسير، وفهمهم لمرادات القرآن .

ان حكمه قوله هذا على القرآن وعلومه بالهجر عندهم هنا حكم اجمالي لم يتناول فيه صور هذا الهجر ، وكيفية تحققه في واقع الحوزات العلمية عند الشيعة، وفي واقع طلاب العلم عندهم في تلكم الحوزات ، وممن صور حقيقة هجر القرآن عند الشيعة في حوزاتهم باوضح تجلياته المرشد الديني للجمهورية الاسلامية الخامنئي ، عندما قال :

[مما يؤسف له أن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين استلام اجازة الإجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة !!! لماذا هكذا ؟؟؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن] [١].

واثبت هذه الحقيقة الشهيد مرتضى مطهري عندما حكم على الجيل القديم للشيعة بحكم قاسي مفاده انهم هاجرين للقران حقيقة ، وذلك بقوله في كتابه احياء الفكر الديني :

[عجبا ، أن الجيل القديم نفسه قد هجر القرآن وتركه ، ثم يعتب على الجيل الجديد لعدم معرفته بالقرآن ، إننا نحن الذين هجرنا القرآن ، وننتظر من الجيل الجديد أن يلتصق به ...] [٢].

ولاثبات حقيقة الهجر عندهم بالصورة الفعلية اسند هذا الأمر إلى الشهيد

(١) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١١٠]
(٢) [احياء الفكر الديني / مرتضى مطهري ص ٥٢]

مرتضى مطهري حيث تكفل مشكوراً باثبات هذه الحقيقة ، وذلك بقوله :

[ولسوف أثبت لكم كيف أن القرآن مهجور بيننا .

إذا كان شخص ما عليما بالقرآن ، أي إذا كان قد تدبر في القرآن كثيرا، ودرس التفسير درسا عميقا ، فكم تراه يكون محترما بيننا ؟ لا شيء .

أما إذا كان هذا الشخص قد قرأ (كفاية) الملا كاظم الخراساني فإنه يكون محترما وذا شخصية مرموقة .

وهكذا ترون أن القرآن مهجور بيننا . وإن إعراضنا عن هذا القرآن هو السبب في ما نحن فيه من بلاء وتعاسة ، إننا ايضا من الذين تشملهم شكوى النبيﷺ إلى ربه :

﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان ٣٠) .

ثم أخذ يسوق ما اشرنا إليه من قصة زيارة أحد تلاميذ الطباطبائي إلى الخوئي][١].

ولتسليط الضوء على هذه الصور والكيفيات التي عليها الاعراض والنبذ للقران وعلومه ، سانقل لكم كلام عبد الجبار الرفاعي عندما ابرز دور محمد باقر الصدر في احياء الدراسات القرانية في الحوزات لتتضح عندكم حقيقة الحال، قال :

[تعطلت الدراسات القرانية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف منذ عشرات السنين ، وانحصر اهتمام الدارسين بالعلوم الاسلامية الاخرى بمرور الزمن.

وانتهى في الحقبة الاخيرة في دائرة الفقه والأصول خاصة ، وامست الحوزة العلمية بمثابة كلية للفقه] [٢].

---

(١) [احياء الفكر الديني / مرتضى مطهري ص ٥٢]

(٢) [منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الاسلامي / عبد الجبار الرفاعي ص ٥٧]

شكوى القران

وممن وضع اليد بصورة مباشرة على الامراض التي يعانيها الشيعة في تعاملهم مع القرآن علماء وعوام في تلاوته ، وحفظه ، وفهمه ، وتفسيره الشيخ محمد اليعقوبي ، حيث نقل في كتابه (شكوى القرآن) ، والذي هو عبارة عن سلسلة محاظرات القيت على طلبة الحوزة العلمية في النجف نقل الصورة الحقيقية لواقع القرآن المؤلم عندهم فقال :

[استقرأت عدداً من العينات العشوائية وكانوا من الطلبة المتقدمين للقبول في الحوزة الشريفة ، لاستبيان علاقتهم بالقران والمفروض انهم يمثلون درجة من الوعي والأيمان الذي دفعهم لاختيار هذا المسلك ، فوجدت ان بعضهم لم يختم القرآن ولا مرة ، وأخر وهو متصدي للمنبر ختمه مرتين في حياته ، والكثير منهم يقرأ سوراً متفرقة في المناسبات والمواسم الدينية ، هذا على صعيد تلاوته أما فهمه واستيعاب معانيه والتأمل في مفاهيمه ومضامينه فالجهل هنا مطبق][1].

وقال أيضاً :

[انه من المؤسف حقاً غياب القرآن عن مناهج الدراسة الحوزوية ، فقد نظمت بشكل لا يحتاج فيه الطالب إلى التعمق في القرآن الكريم من أول تحصيله إلى نهايته ، ولا يمر به إلا عند الاستدلال على قاعدة نحوية أو مبحث أصولي أو مسألة فقهية ، فاصبح مسرحاً للتدقيقات العقلية ولم يتخذ غذاءاً للقلب والروح ودواء للنفس .

وربما يبلغ الحوزوي مرتبة عالية في الفقه والأصول وهو لم يحيا حياة القرآن ولم يخض تجربة التفاعل مع القرآن واستيعابه كرسالة إصلاح ، وقد تمر الأيام والأسابيع ولا تجد طالب العلم يمسك المصحف الشريف ليتلو آياته ويتدبر فيها، لعدم وجود صلة روحية عميقة بينه وبين القرآن ولو وجد فيه زاده وغذاءه الذي يغنيه عن غيره لما استطاع تركه ، وهذه مصيبة عظيمة للحوزة والمجتمع،

---

(١) [شكوى القرآن / الشيخ محمد اليعقوبي ص ١٢]

وربما لا يحسن بعضهم قراءته بشكل مضبوط] [١].

أقول :

ولعل شكوى القرآن قضية احس بها ولمس اثارها جميع من كان له اهتمام بدراسة طلاب الحوزة وبعلاقتهم بالقران وعلومه ، والعجيب في الأمر والغريب فيه انهم يصرحون بصور عداوة الحوزة للقران والحاقها الاذى به دون وازع أو رادع ، ودون خجل أو حياء ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان تعامل هؤلاء مع القرآن كتعاملهم مع أي كتاب اخر ، فليست هناك قيود ادبية حال التكلم عنه ، وليست هناك آثار نفسية حال الحديث عن المساوىء التي يلحقونها بالقران.

وإليكم نماذج من صور التعامل ينقلها الشيعة انفسهم لتتبين لكم الحقائق جليه كما هي دون تجني من أحد ، ودون غواش أو رتوش .

فهذا الدكتور الباقري يصور حالاً عجيباً عن منزلة العلماء ، أو طلاب العلم إذا ما توجهوا وتخصصوا في القرآن وعلومه :

[وكان ربما يعاب على بعض العلماء مثل هذا التوجه والتخصص (أي في القرآن وعلومه) الذي ينأى بطالب العلوم الدينية عن علم الأصول ، ويقترب به من العلم بكتاب الله ، ولا يعتبر هذا النوع من الطلاب من ذوي الثقل والوزن العلمي المعتد به في هذه الأوساط] [٢].

فاجعة

والادهى من هذا ما ذكره خامنئي في بيانه للحكم الذي يلحق بالعالم الذي يتوجه إلى تفسير القرآن حيث بين ان الناس يصنفون مثل هذا العالم في صنف الجهال، ولا يعيرون له اهمية ، ولا يحفظون له قدراً ، ولا وزناً حيث قال :

[إذا ما أراد شخص كسب أي مقام علمي في الحوزة العلمية كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى لا يتهم بالجهل ، حيث كان ينظر إلى العالم المفسر الذي

---

(١) [شكوى القرآن / الشيخ محمد اليعقوبي ص ٥٨]

(٢) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١١٢]

يستفيد الناس من تفسيره على أنه جاهل ولا وزن له علميا ، لذا يضطر إلى ترك درسه إلا تعتبرون ذلك فاجعة ؟!] [١] .

أقول :

ربما لا يعتبرون هذا الأمر فاجعة ، وقد هتك كثير من اعمدة مذهب التشيع حرمة القرآن نفسه دون ان يعتبر فرد من افراد الشيعة هذا الأمر فاجعة ، لذا فالذي اراه ان الاستفاهم هنا لا يقصد به الاستفهام الانكاري ، لأن حال الشيعة مع القرآن لا يستقيم مع هذا التوجيه ، لذا فالاستفهام هنا استفهام استبياني فقط يراد منه العرض ، فهو يتسائل عن هذا الفعل هل هو فاجعة أو لا.

اما الصورة التي نقلها اليعقوبي في كتابه شكوى القرآن فلم ينفرد وحده في نقله لها ، بل شاركه غيره ممن رأها جلية بام عينيه ، ولمس اثارها بصورة مباشرة فهذا الدكتور الباقري يتناول نفس ما تناوله اليعقوبي موضحاً مدى البعد الكبير بين طالب العلم الشيعي ، وبين القرآن حيث يقول :

[ويصل الطالب إلى اقصى غاياته وهو الاجتهاد من دون أن يكون قد تعرف على علوم القرآن واسراره ، أو اهتم به ولو على مستوى التلاوة ، وحسن الأداء إلا ما يتعلق باستنباط الأحكام الشريعة منه خلال التعرض لآيات الأحكام ودراستها من زوايا الفقهية ، وفي حدود العقلية والاصولية الخاصة] [٢] .

جهل طلاب الحوزة بأبسط علوم القران

أقول :

فهذه هي الصورة الصادقة ، والحقيقية الموضحة لتعامل الشيعة مع القرآن وعلومه نقلها باسى أحد علمائهم ليرسل رسالة إلى الناس مفادها :

ياناس ادركونا فطلاب الحوزة جاهلين بالقران ، فكيف سيكون إذن حال عوام الشيعة ؟

وهذا اصدق وصف لحال الشيعة في تعاملهم مع القرآن ، وصفهم به كبار علمائهم ، وهذا الحال والوصف قد كان لطلاب الحوزة العلمية فما بالك بعوامهم

---

(١) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١١٢]

(٢) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١١٠]

فالجهل لا شك مطبق عليهم أضعافاً مضاعفة [*].

*** تخصص مع خبرة في النوح والبكاء والعويل واللطم**

والمفارقة العجيبة انك إذا طلبت من أي فرد من افراد الشيعة ان يقرأ لك مأتماً أو ينوح لك نكاح الثكالى مصحوباً بالقصائد الحزينة ، أو ما يسمى عندهم (بالقرآيات) أو طلبت منه ان يسرد لك قصة من تلك التي سطروها من خيالاتهم بخصوص حادثة من حوادث التاريخ لوجدته فارس زمانه منقطع النظير فيما يقدمه لك من هذه الأمور مستمراً كالسيل الدفاق في تقديمه ، لا يحده حد ، ولا يصده صاد .

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الزمر : ٤٥) .

وحقيقة هذا تتجلى ببعدهم الكبير عن القرآن ، وغربتهم الواقعية عنه ، فهم من يدعون انهم اتباع أهل البيت ، أصحاب الحق ، الذين من يركب سفينتهم ينجو من الهلاك عندما يريدون ان يتعلموا القرآن ، أو ان يسمعوه فانهم يتوجهون مباشرة إلى (اهل السنة) ليقرئوهم القران، ويسمعوهم اياته .

الشيعة علماء وعوام يعتمدون على أهل السنة في تعلم القران

فعندما قامت دولة إيران وارادوا ان تكون لهم محافل للقرآن – في قم مركز التشيع وكذا في غيرها من مدن إيران – يقرأ فيها وتتلى على مسامع الناس آياته أسوة بغيرهم من دول المسلمين ، صدموا بأنهم لا يملكون من يقوم بهذه المحافل ، فلا قراء عندهم، ولا أناس ذوو اختصاص بالقرآن موجودون بين أيديهم ، فلم يجدوا بداً من أن يتوجهوا إلى منقذهم ومعلمهم على مر العصور ، تلك الجهة التي لطالما تصدرت كل الميادين ، واستل الشيعة منها فنونهم وعلومهم ، وكونوا منهم وبواسطتهم كيانتهم ووجودهم وهم (أهل السنة) ، فهذه هي حقيقتهم انهم عيال على أهل السنة في كل شيء.

فاستدعوا قراء القرآن المصريين لينقذوهم من هذا الإشكال ، فاقاموا لهم المحافل، واسمعوا الناس باصواتهم القرآن الكريم .

بل انك إذا فتحت اذاعاتهم ونظرت إلى قنواتهم التلفازية والفضائية فانك لن تجد إلا اصوات قراء القرآن من (أهل السنة) تصدح اصواتهم عبر امواج اذاعاتهم وقنواتهم، فعلى ماذا يدل هذا ؟!

وهذا الحال يثبت ان وجدت في قنواتهم قرآناً يتلى ، والا فإن غالب المعروض في قنواتهم بعيد كل البعد عن القرآن فهو اما ادعية خاصة بمناسبات – وما أكثر المنسبات عندهم – ، أو اوراد منسوبة إلى ائمتهم ، واصحاب ائمتهم (الصحيفة السجادية ، دعاء كميل ، الجوشن الكبير ، الجوشن الصغير ، دعاء أبي حمزة الثمالي، ..... وغيرها الكثير) .

=

اعتمادهم على أهل السنة

٢- قوله : (فأفضت إلى ما نشاهده أخيراً من انفتاح جيّد على القرآن الكريم، واهتمام متزايد بالتفسير والدراسات القرآنية) .

قوله هذا يثبت تأخر الشيعة الكبير في مجال التفسير مع نفيه لاستقلاليتهم في ولوج ابوابه ودخول مجالاته إذ ان تصريحه بالانفتاح يدل على انهم فاقدون للقاعدة التي عن طريقها ينطلقون في وإلى هذا المجال ، ويثبت اعتمادهم على الغير فيه والتبعية المطلقة لذلك الغير ، اعني أهل السنة .

وقد قرر هذه الحقيقة آية الله محمد حسين فضل الله بصورة غير مباشرة، عندما قال :

[فقد نفاجأ بأن الحوزة العلمية في النجف ، أو في قم ، أو في غيرهما لا تمتلك منهجا دراسيا للقرآن] (١).

فهو يصرح هنا بأن الشيعة في جميع حوزاتهم لا تملك منهجاً دراسياً للقران، وبالتالي فانهم عندما بداءوا يضعون هذا المنهج اعتمدوا على الغير في وضعه ولم يكن امامهم إلا أهل السنة السباقون لهم في هذا الأمر منذ مئات السنين .

=

فإن القرآن بعيد جداً عن اهتمام اعلامي الشيعة ، لانه ببساطة لا يخدم اغراضهم لذلك لا تجد عندهم قناة تخص القرآن – على العكس من أهل السنة– على الرغم من كونهم الطائفة الاكثر تواجداً في قائمة القنوات الفضائية ، فالذي تجده في قنواتهم برامج ومحاظرات تذكي الطائفية على طول الوقت ، حديثها منصب على الخلاف مع أهل السنة تبرز ما امكن ابرازه من المطاعن والاتهامات باهل السنة عموماً وبلا استثناء، انطلاقاً من المنهج وانتهاءاً بالشخصيات والرموز.

والسبب في اهمال القرآن على قنواتهم انه لا يخدم اغراضهم كما ذكرنا، ولفقرهم الكبير والشديد فيما يتعلق بالقران من جهة تلاوته ، واتقان قرآءاته وطرقها من قبل رجالاتهم .

(١) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١١١]

تضحية كبرى

٣- قوله : (غير أن ذلك الموقف كان يعدّ تضحية كبرى بالمقام من قبل العلامة الطباطبائي بحسب المعايير المتعارفة في الحوزة العلمية) .

ان تعبيره هنا يعد (تضحية كبرى) دليل قاطع على انتفاء وجود السابقة لهم في هذا الشأن فمن ذا الذي يضحي بما عنده لأجل الولوج في هذا الأمر ، كما ان قوله : (بحسب المعايير المتعارفة في الحوزة) ، دليل على وجود ضوابط متعارفة فيما بينهم تمنع الاقدام على الكتابة في هذا العلم بطريقة جديدة وباساليب مستحدثة خارجة عن النطاق التقليدي الذي يتبعونه فيما بينهم .

الشيعي المفسر مضحٍ بنفسه

٤- إن من الأحكام القاسية والشديدة التي اناطوها بمن يستقل في هذا الشأن هو التسقيط من الاعتبار ، والتجريح للمقدم على هذا الفعل وهذا ما يتضح بنقل اجابة الخوئي عن مصير من يدرس التفسير عندهم بطرق مستحدثة ، واساليب خارجة عن النطاق التقليدي .

فالخوئي قد حكم على هذا الشخص بأنه (يضحي بنفسه) في إشارة واضحة إلى وعورة هذا المسلك ، والخطورة العظيمة والكبيرة المترتبة على من يحاول السير فيه وانتهاجه .

وفيما نقلنا لكم سابقاً من كلام خامنئي وباقري دلالة واضحة لمعنى التضحية بالنفس حيث اشارا ان المهتم بالتفسير ، والمتوجه نحوه ، يوسم بالجهل، ويرمى بالمعايب ، وهذان الوص فإن كما هو معلوم في عرف التشيع يسقطان مرجعية المجتهد ، ويسقطان مع المرجعية جميع الامتيازات المترتبة عليها ، وعليه يكون المشتغل بهذا العلم مضح بنفسه على أعلى درجات التضحية في دائرة عالم التشيع .

الاهتمام بالثقل الأصغر دون الثقل الاكبر

٥- انه اثبت حقائق على مذهبه أليمة الأثر قاسية النتيجة ، مؤذية على الواقع الذي يسيرون فيه هذه الحقائق مفادها :

ان الشيعة لا يولون التفسير وعلومه أي اهمية مقارنة بالعلوم الاخرى والتي هي

دون القرآن شأناً ، ومنزلةً ، واثراً ، كعلوم الفقه وغيرهـا ، وهـذا يلـزم منـه انتكاس المطلوب منهم وارتكاسه ، فالمطلوب منهم هو التوجه إلى المطلب الاهم والاكبر مع الاعتناء بالامور الاخرى .

ولذلك نجد عندهم أن القرآن يسمى بـ (الثقل الأكبر) وهذا يلزم منـه أن يكون له أولوية في الاعتناء والتصدير في الاهتمام ، وجعل العلوم كلها خادمة له مسخرة بين يديه .

أما (الثقل الأصغر) فقد عبروا عنه بالامام المعصوم عندهم والذي ينبغـي ان يكون على وفق هذا المفهوم المفتاح والوسـيلة (للثقـل الأكبـر) ، ولكـن الحاصل عندهم العكس إذ الاهتمام كله بـ (الثقل الأصغر) والتفرغ التام لجميع ما يتعلق به هو .

و(الثقل الأكبر) مهمول موضوع على الرف ، مقيد باشد القيود ، ومحـاط بأقسى الشروط والضوابط .

وهذا ما عبر عنه بقوله : [إنه لعجيب أن يقضي المرء عمره في أهم العلوم الإسلامية كتفسير القرآن ثم يكون عرضة لكثير من المصاعب والمشاكل في رزقه ، في حياته ، في شخصيته ، في احترامه ، وفي كل شيء آخر.

غير أنه لو صرف عمره في تأليف كتاب مثل (الكفاية) لنال كل شيء .

فتكون النتيجة أن هناك آلافاً من الذين يعرفون (الكفاية) معرفة تامة ، أي أنهم يعرفون (الكفاية) والرّد عليها ، ورد الرّد عليها ، والرد علـى ردّ الـردّ عليها ، لكن لا نعثر على شخصين يعر فإن القرآن معرفة صـحيحة ، وعنـدما تسأل أحداً عن تفسير آية قرآنية يقول لك يجب العودة إلى التفاسير] .

وممن اثبت حقيقة انتفاء الاهتمام بالقران الممثل للثقل الأكبر عنـد الشـيعة الدكتور جعفر الباقري في كتابه ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية ، عندما قال:

[من الدعائم الأساسية التي لم تلق الإهتمام المنسجم مع حجمهـا وأهميتهـا في الحوزة العلمية هو القرآن الكريم ، وما يتعلق به من علوم ومعارف وحقـائق وأسرار فهو يمثل الثقل الأكبر والمنبع الرئيسي للكيان الإسلامي بشكل عام .

ولكن الملاحظ هو عدم التوجه المطلوب لعلوم هذا الكتاب الشريف ، وعـدم منحه المقام المناسب في ضمن الإهتمامات العلمية القائمة في الحوزة العلميـة ،

بل وإنه لم يدخل في ضمن المناهج التي يعتمدها طالب العلوم الدينية طيلة مدة دراسته العلمية ، ولا يختبر في أي مرحلة من مراحل سعيه العلمي بالقليل منها ولا بالكثير.

فيمكن بهذا لطالب العلوم الدينية في هذا الكيان أن يرتقي في مراتب العلم، ويصل إلى أقصى غاياته وهو (درجة الإجتهاد) من دون أن يكون قد تعرف على علوم القرآن وأسراره أو اهتم به ولو على مستوى التلاوة وحسن الأداء .

هذا الأمر الحساس أدى إلى بروز مشكلات مستعصية ، وقصور حقيقي في واقع الحوزة العلمية لا يقبل التشكيك و الإنكار] [١].

هجوم شديد على الطباطبائي

٦- لقد صرح الكاتب هنا بأن ما فعله العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان قد جوبه بردود فعل سلبية وصلت في بعض الاحيان إلى حد الاعتداء ، كما علت الاصوات المعترضة على هذا العالم بخوضه غمار طريق جديد يخرج عن التقليد المتعارف عليه عندهم .

قد دفع هذا الفعل وتلك التصرفات العلامة الطباطبائي إلى اللوذ بمن يدفع عنه غمار هذه الهجمة ويسد عنه باب الاعتداء الموجه ضده ، فقد وصلت الحال معه إلى فتنة ذات نار مشتعلة .

أين رد علماء الشيعة عندما كتب (فصل الخطاب) للنوري

هذا الحال يجعلنا نطرح تساؤلاً على أصحاب هذا المذهب المنطلق فيه من هذا الواقع الذي يعيشون فيه والذي لمسناه عندهم ، التساؤل مفاده :

لماذا تحصل كل هذه الفتنة ويتفرغ العلماء بالاخذ والرد ، والطعن ، والتشنيع والاعتداء عندما يشق أحد علمائهم طريق التقليد والتقييد للمتعارف عندهم في علم التفسير ؟

ولماذا لا نجد مثل هذه الردود ، ومثل هذه الضجة عندما يكتبون في المواضيع الاخرى المثيرة للفتن بين أهل القبلة ، أو تلك التي تنتهك من حرمة

(١) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١٠٩]

القران* ، أو تحقر من شأن ثوابت الإسلام ككتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب) للنوري الطبرسي ؟

وهل سمعنا ان النوري الطبرسي قد اصابه ما اصاب الطبطبائي والخوئي عندما صرح بقوله الذي اهتزت له السماوات والارض بتحريف القرآن ، وقام بتأليف كتاب لأجل إثبات هذا الأمر ؟

وقد صرح الخميني وهو من اكابر مراجع الشيعة ، ومرشد دولتهم في وقته بشناعة فعل النوري هذا وفداحته ، وقام مرتضى العسكري بنقل كلامه هذا، حيث قال في حقه :

[مما بكت عليه السماوات ، وكادت تتدكدك على الأرض] (١).

وهل عانى ما عاناه هذان العالمان اللذان حاولا اخراج القرآن من عزلته عندهم إلى النور والفضاء ؟

---

* ان علماء الشيعة الثابت عليهم في المنقول الذي يتداولونه هم فيما بينهم عدم اصدار ردود فعل حقيقية وقوية تتناسب مع الانتهاكات الموجهة للقران والصادرة بحقه من قبل اعدائه المغرضين ، ولعل الصور كثيرة قد نقلنا بعضاً منها مما سبق .

وإليكم أخرى ذكرها محمد جواد مغنية في بيانه حقيقة تناسي ، واهمال الشيعة للقران وبروز هذه الحقيقة عند تعرض القرآن للهجمات والانتهاكات ، يقول مغنية :

[وقد حرفت اسرائيل بعض الآيات مثل : ﴿ ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ (آل عمران ٨٥).

فأصبحت : ومن يبتغي غير الإسلام دينا يقبل منه .

وقد اهتز الأزهر لهذا النباء ، ووقف موقفا حازما ومشرفا ، فأرسل الوفود إلى الأقطار الأسيوية والأفريقية ، وجمع النسخ المحرفة واحرقها .

ثم طبع المجلس الإسلامي الأعلى في القاهرة أكثر من أربعة ملايين نسخة من المصحف ... ووزعها بالمجان .

أما النجف ، وكربلاء ، وقم و، خراسان ، فلم تبدر من أحدهما آية بادرة ، حتى كأن شيء لم يكن ، أو كأن الأمر لا يعنيها ... وصح فيه قول القائل :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ..... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم]

[كتاب من هنا وهناك – ضمن مجوعة المقالات / محمد جواد مغنية ص ٢١٣]

(١) [القرآن الكريم وروايات المدرستين / مرتضى العسكري ج ١ ص٧٣]

هل لأن الدخول في مثل هذه العلوم تؤدي بكم إلى الاعتراف حقيقة بفشلكم المستمر على جميع الاصعدة ، وعدم امكانية ثوابت مذهبكم من البقاء والرسوخ امام تحديات الواقع المعاصر ؟

أو ان خضوعكم للمستجدات والمستحدثات يلزمكم محاولة تكييف المذهب على وفق هذا الواقع وتغيير ملامحه العامة ليتناسب معها ؟

أو لأن فيه تصريحاً ضمنياً بصحة ادعاءات المخالفين لكم ، وسلامة مسالكهم التي يعتمدونها في العلوم وكيفية التعامل معها ؟

اجيبونا عن هذه الاسئلة يرحمكم الله فإن حالكم عجيب غريب ، لا يسر عدو ولا حبيب قد ادهش واذهب عقل الاريب اللبيب ، ولم نصل فيه إلى حل قريب، ولم يسمع له بعد هذا إلى صوت مجيب .

الانقياد لمنهج أهل السنة

ان الاجابة على هذه التساؤلات قد صدرت عنكم عن طريق تعاملكم مع هذه العلوم ، وتلقيكم لها من الغير ولايضاح هذه الحقيقة ، نقول :

بعد ان اتضحت اهمية هذا المسلك لعلماء الشيعة، ولكي يتمكنوا من مجاراة مخالفيهم – أهل السنة – في هذا الشأن ، تحول عندهم هذا المنهج بمرور الوقت إلى أمر مسلم ، ومحل اتفاق من الجميع ، التارك له هو الشاذ والمخالف.

حتى انك لا تجد فرداً منهم إلا وقد أخذ يتكلم في القرآن وتفسيره مهما كانت درجته واياً كان حاله مجتهداً ، أو محاضراً ، وحتى طالباً .

تقليد لاهل السنة في كل شيء

ومن اعجب العجب اننا وجدنا منهم من يحمل المصحف بين يديه ويقرأ الآيات ويقوم بتفسيرها وتوجيه المراد منها للناس ، حالهم في كل هذا كحال أهل السنة بالضبط الذين كانوا يعيبون عليهم افعالهم هذه فيما سبق .

بل حتى وصل بهم الأمر في تقليد أهل السنة واتباعهم في هذا الشأن ان يتصدر علماء الشيعة بالتفسير امام الناس على شاشات التلفزيون كما فعل علماء السنة ، فهذا السيد (مرتضى القزويني) يحذو حذو الشيخ (محمد متولي

الشعراوي) (رحمه الله) في تفسيره للقران عن طريق جلوسه امام الناس حاملاً للمصحف ومتكلماً في القرآن مفسراً له .

ولاية الفقيه

وهذا الفعل ليس غريباً منهم فهم دائماً في تغير ، وتبدل ، وتجدد ، وتطور فلا تجد عندهم ثوابت ، أو اصولاً لا يمكن الخروج عنها ، فحتى معصومهم تجاوزوا عليه ، وجردوه من خصائصه التي ينفرد بها وما قضية (ولاية الفقية) منكم ببعيد ، فعندما كانت كفراً بواحاً في أول الأمر يعاقب الداعي إليها تحولت إلى نظام سياسي سليم الجوانب والابعاد الكل يدعو إليه ويسعى إلى تحقيقه ويعاقب المتصدي له .

بعد هذا البيان نظن غالباً ، بل نجزم بأن دعوى التقية التي بررت مسلك السابقين للتفسير دعوى غير مقبولة ولا يمكن مطلقاً الانصياع لها لمخالفتها الواقع الذي نعيشه وما عليه الشيعة في وقتنا هذا .

الدافع الحقيقي

ان هذا الحال الذي ثبت عندهم جعلهم امام أحد امرين :

اما ان يتركوا القرآن بلا تفسير لانتفاء المفسر الحقيقي له والمتمثل عندهم بالامام المعصوم ، وذلك لأن الكتب التي تحوي اقواله في توجيه الآيات قد تم تسقيطها.

أو ان يعتمدوا على المخالف وهم أهل السنة في انشاء مسلك تفسيري وخط مستقل لهم يمكن ان يكون مرجعاً لاتباعهم في المستقبل ، ويكون عليه الاعتماد عندهم ويضمنون هذا المسلك روايات الأئمة المتداولة عندهم من باب ذر الرماد في العيون اسكاتاً للمعترض عليهم في سلوك هذا المسلك *.

---

* هذا الذي ذكرناه هو عين ما سلكه محمد حسين الطباطبائي في تفسيره (الميزان) حيث اخر الروايات الواردة عن الأئمة إلى اخر تفسير الآيات تحت عنوان (بحث روائي) مما يعني عدم اعتماده المطلق عليها .

وهذا ما نجده أيضاً عند محمد جواد مغنية في تفسيره (الكاشف) ، فهو لم يستقل بالاعتماد على التفاسير الروائية الواردة عن الأئمة ، بل لا نبالغ في القول ان النادر اعتماده عليها .

وبما ان هذا المسلك هو الذي يحقق المصلحة لهم ، وينفي عنهم الفراغ الذي يصيبهم ، ويرفع عنهم الإشكال الذي قد يورد عليهم فلذا قاموا بانتهاجه وسلوكه والسير عليه .

فهذا هو الدافع الحقيقي والذي من وراءه سلك الشيعة هذا المسلك وساروا على هذا الطريق في تفسير آيات القرآن وفي تعاملهم مع الروايات المنسوبة لائمتهم فيه .

اضافة إلى هذا فإن بعدهم عن القرآن مع تداعيات العصر الجديد ادى بهم إلى الوقوع في مشاكل جمة لا يمكن ان يخرجوا منها إلا بتوجههم نحو القرآن كما ان بعدهم عنه قد اوقعهم في قصور كبير في الحكم على الاشياء ، وخصوصاً في الاوقات المتأخرة ، وهذا ادى بهم إلى الاضطرار للرجوع إلى القرآن وفي هذا يقول الخامنئي :

[إن الإنزواء عن القرآن الذي حصل في الحوزات العلمية ، وعدم استئناسنا به، أدى إلى ايجاد مشكلات كثيرة في الحاضر ، وسيؤدي إلى ايجاد مشكلات في المستقبل ... وإن هذا البعد عن القرآن يؤدي إلى وقوعنا في قصر النظر][1].

خامساً :

اين المعصوم من تفاسيركم

قضية على جانب كبير من الاهمية عامة في مدلوها يمكن تفريعها إلى جميع متعلقاتها ، هذه القضية تتعلق بالامام المعصوم عند الشيعة ، ذلك الإمام الذي طالما آثار وجوده الشبهات ، وحامت حول ادواره التساؤلات ، ومن بين أهم تلك الاسئلة واخطرها على الاطلاق ذلك السؤال المتعلق بالامور التي قدمها المعصوم لاتباعه ، والذي يمكن صياغته على الوجه الاتي :

---

(١) [ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية / جعفر الباقري ص ١١٠]

ما هو دور المعصوم

سؤال :

ما هو دور المعصوم الحقيقي في حل المشكلات الطارئة على اتباعه، والمتأصلة فيهم ؟ وما الذي قدمه لاتباعه مما خدمهم به ودفع عنهم كل ريبة واختلاف ؟

هذا السؤال دفع إليه الواقع الذي يعيشه الشيعة الذين يدعون اتباع ائمتهم .

فانك إذا ما لمست واقعهم عموماً في جميع جزئياته وبلا استثناء ، فانك لن تجد فيه أي أثر ايجابي للمعصوم ، إذ ان أي إشكال ، أو اضطراب ، أو اختلاف، أو خلاف قد وقع به مخالفوهم ستجده عندهم واقعاً ومتحققاً بنفس الصورة بل أشد اثراً ، وأكثر تنوعاً وتعدداً .

وهذا عام كما ذكرنا في جميع مجالات العلوم ، وفي مختلف اصناف الفنون، فلا يخلو علم من العلوم عندهم من إشكال لا تجد له حلاً ، ومن اضطراب لا استقرار معه ، ومن ارسال يحتاج إلى تقييد وضبط ، ومن اختلال يحتاج إلى ترقيع وسد للثغرات ، ومن اختلاف يحتاج إلى قول فصل يحسم الناتج عنه ، إلى اخر ذلك من الاشكالات والاستدراكات التي ترك المعصوم اتباعه يخوضون غمارها ولم يصل معهم فيها إلى حسم ونتيجة .

لا دور للمعصوم في كل هذه العلوم

وبما اننا قد تكلمنا في بحثنا هذا عما يتعلق بالتفسير واتجاهات علماء الشيعة فيه ، وكيفية كتابتهم هذا العلم وبيان اختياراتهم فيه ، وما هي المصادر التي اعتمدوا عليها لغرض ترسيخ قواعده وضوابطه .

ومع كون السؤال الذي طرحناه يشمل التفسير كعلم من العلوم المحتاجة إلى خدمات ونصائح المعصوم لذلك يمكن ان نوجه عموم ذلك السؤال إلى خصوص علم التفسير فنقول :

أين المعصوم من تلكم المشكلات التي تحيط بالتفسير من كل جانب ؟

وما الذي قدمه لاتباعه بخصوص هذا العلم مما يحفظ لهم كيانهم ويحافظ على استقلاليتهم وينفي عنهم التهم التي ينبغي ان ترفع عنهم مع وجوده ؟

الائمة تركوا الشيعة هملاً من دون كتاب يرجعون اليه

فالحاصل انك إذا ما بحثت في تفاسير الشيعة وما تحتويه من مناهج عامة وتفاصيل خاصة ، فانك لن تجد أي جواب عملي عن هذه الاسئلة المطروحة ، بل ستجد اجوبة مخالفة للمطلوب ، وعلى الضد من المعروض فانك ستجد الاتي:

بقاء الاشكالات في التفسير على حالها دون أي حسم لمادتها .

عدم الوصول إلى نتيجة في الاختلافات المحيطة ببعض الآيات .

بقاء المتشابه على حاله .

كثير من ظواهر الآيات لم تكشف حقائقها للاتباع .

ايات كثيرة ومتعددة لا قول لهم فيها ، ولم يرد عنهم أي تفسير لها .

تركوا اتباعهم بلا منهج يعتمدون عليه في التفسير ، ويستقلون به عن المخالف لهم وتركوهم هملاً بلا كتاب يجمع لهم تفسير هذا القرآن يجمعهم معه على محجة بيضاء ، بل الحاصل انهم تركوهم لامثال : (القمي ، والعياشي ، وفرات الكوفي، والكليني) ، من الذين زادوا الطين بلة ، وضاعفوا من حجم الاشكالات ورسخوا الاختلاف ، والاضطراب كسمتين بارزتين لهذا المذهب ، واضطروا بمن ينتحل هذا المذهب إلى ان يسيروا نحو المخالف لينقذهم مما حل فيهم .

هذه هي حقيقة حال الشيعة في التفسير وهذا الذي قدمه لهم ائمتهم المعصومون.

بيان اختلاف علماء الشيعة في تفسير الايات

ان هذه الحقيقة التي عرضناها لكم والتي شخصت ترسيخ ائمتهم للاختلاف في تفسير آيات القرآن ، وزيادة هذا الاختلاف عن طريق العلماء الذين جاءوا بعد الأئمة ، الادلة عليها كثيرة ، والامثلة الموضحة لها متعددة .

وقد تجلت بكل تفاصيلها للمتاخرين من مفسري الامامية ، وثبت عندهم انهم إذا بقوا على نفس النهج واستمروا على نفس الطريقة فانهم سيبقون مختلفين إلى ان تقوم الساعة ، وسينمو وسيكبر عندهم هذا الخلاف ، ولذلك فانك إذا ما قرأت

لاي مفسر من مفسريهم وبحثت في ثنايا تفسيره لوجدت الخلاف والمخالفة لمفسري الشيعة ثابتين عنده لمن تقدمه ولمعاصريه .

وللتدليل على هذه الحقيقة سأسوق لك نقولات عن بعض علماء الشيعة ممن شخصوا هذه الحقيقة وابرزوها للعيان :

* قال محمد حسين فضل الله :

[ليس هناك شك ان القرآن كتاب الله ، ولكن كلمات القرآن تبقى خاضعة لاجتهاد المفسرين والعلماء مما لا يسمح لنا التوقف عند ما اجتهد به العلماء وما فسر به المفسرون القرآن باعتباره يمثل الحقيقة الكاملة فقد نجد كثيراً من الأخطاء في هذا التراث كما اكتشف الذين عاشوا في داخل حركة هذا التراث في الماضي أخطاء بعضهم البعض] (١).

* وقال فضل الله في موضع اخر:

[ان تفسيري المسمى من وحي القرآن بحجم تفسير الميزان ، وهناك الكثير من المناقشات المتنوعة مع صاحب تفسير الميزان الذي نجله ونحترمه ونعتبره رائداً من رواد التفسير] (٢).

* وفي نفس المجال يقول جواد علي كسار :

[ان هناك كثير من الموارد التي خالف فيها محمد جواد مغنية مفسري الإمامية الأقدمون والمحدثون في الرأي وأحياناً تخطئتهم] (٣).

امثلة على هذا الخلاف

ونقلاً منا لامثلة لواقع الخلاف عندهم في التفسير ساقوم بعرض نماذج لهذا الاختلاف عليكم لتكتمل الصورة في اذهانكم ، فمن ذلك ما خالف به محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف أقوال بقية علماء الإمامية في نجاسة أهل الكتاب، حيث قال:

---

(١) [خلفيات ضلت الطريق / جمع من طلاب العلوم الدينية – قم المقدسة ص ١٤٢]

(٢) [الندوة / محمد حسين فضل الله ج ١ ص ٢٣٦]

(٣) [محمد جواد مغنية حياته ومنهجه في التفسير / جواد علي كسار ص ١٩٠]

[ذهب أكثر فقهاء الشيعة إلى نجاسة أهل الكتاب وحرموا طعامهم ، وشرابهم، حتى الخبز والماء الذي باشروه وفسروا الطعام في الآية بالحبوب ، اما نحن فنرى طهارة أهل الكتاب] (١).

* ومن الامثلة الاخرى على واقع الاختلاف التفسيري عندهم ما ذكره الشاخوري البحراني في كتابه مرجعية المرحلة وغبار التغيير ، حيث قال :

اختلفت أقوال علماء الشيعة في تفسير قوله تعالى ﴿ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾.

١- فذهب البعض إلى ان المراد بقوله﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ هم بضربها .

٢- وذهب اخرون كما في (تفسير الصافي ج٣ ص١٣) (وتفسير الكاشف ج٤ ص ٣٠٣) إلى ان المراد ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (يوسف : ٢٤) لهم بها فحذف جواب لولا لدلالة المذكور عليه .

٣- وذهب فريق ثالث إلى ان (الهم) يقع على وجوه ثلاثة ممكنة وهي خطور الشيء بالبال ، والمقاربة ، والشهوة ، وميل الطباع .

٤- واما الوجه الرابع غير الجائز فهو العزم على الفعل [انظر التبيان / الطوسي ج٦ ص١٢٠ – جامع البيان / للطبرسي ج٥ ص ٢٢٤- تنزية الانبياء/ للسيد المرتضى ص٦٦ – وتفسير القرآن للسيد عبد الله شبر ص٢٤١](٢).

اختلاف في تفسير آيات لا يتصور فيها الخلاف عندهم

ولقد تسللت الاختلافات في التفسير عند الشيعة إلى اماكن رصينة ، قد لا يتصور فيها الاختلاف ومن ذلك الآيات التي فيها إثبات لمدح لال بيت النبوة عن طريق تعلية شأنهم وتفخيم مقامهم ، ومنها قوله تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ .

حيث ذهب الصدوق إلى ان الاجر الذي يستحقه النبيﷺ على اداء رسالته هو مودة أهل بيته ، وجعل هذه الاية دليلاً على هذا المذهب الذي ذهب إليه في

(١) [تفسير الكاشف / محمد جواد مغنية ص ١٨ ج٣]
(٢) [مرجعية المرحلة وغبار التغيير / جعفر الشاخوري البحراني ص ٦٠]

توجيه هذه الاية وتفسيرها ، فقال :

[ان الله تعالى جعل اجر نبيه على اداء الرسالة وارشاد البرية مودة أهل بيته واستشهد على هذا بقوله تعالى :﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾].

ولكن لم يسلم له بهذا القول ورد عليه علماء الشيعة انفسهم ، وبينوا انه لا يمكن ان توجه الاية بهذا التوجيه ولا ان تحمل على هذا المحمل ، قال المفيد :

[لا يصح القول بأن الله تعالى جعل اجر نبيه مودة أهل البيت ولا انه جعل ذلك من اجره لأن اجر النبي في التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم وهو مستحق على الله تعالى في عدله وجوده وكرمه ، وليس المستحق على الاعمال يتعلق بالعباد لأن العمل يجب ان يكون لله تعالى خالصاً وما كان لله فالاجر فيه على الله تعالى دون غيره] .

وتاكيداً لما ذهب إليه المفيد في رده ، قال فضل الله :

[ونحن نؤكد ما قاله المفيد لأن القرآن ينفي ان يكون هناك اجر على الرسالة للانبياء في واقع الحياة ، ولكننا نلاحظ ان التوجيه العام في الواقع الخطابي الشيعي في الشعر والنثر لا يزال على حسب ما ذكره الصدوق مما جعل الذهنية الشيعية العامة منطلقة من ذلك] (١).

أقول :

فهذا الذي ذكرناه من الاثباتات على حجم الاختلاف ومقداره الكبير الموجود في تفاسير الشيعة والمعروض عند علمائهم هو غيض من فيض ، آثرنا ان نعرضه عليك باختصار وتركيز حتى لا نخرج الكتاب عن مضمونه من جهة ولايصال معلومات فيها فائدة عميمة للقراء من جهة أخرى .

والمانع الاخر لانتفاء الاطالة منا في عرض الادلة ، وسرد الامثلة المثبتة لهذا الأمر بنوع من التفصيل ان لدينا كتاباً مستقلاً في هذا الشان جمعنا بين طياته كل شاردة وواردة تتعلق بحيثيات علم التفسير عند الشيعة .

وأخيراً نقول لمفسري الشيعة ، وللشيعة عموماً :

أين سفينة أهل البيت التي فيها نجاتكم ؟ لماذا لم تنقذكم من الغرق في بحر

---

(١) [مجلة الفكر الجديد العدد التاسع – السنة الثالثة ص ٦٧]

هذا الاختلاف الكبير ، وغير المنضبط في التفسير عندكم ؟ وهل يسلم لكم بعد ذلك اتهامكم للغير بانكم تركتم هذه السفينة فضللتم ، واضعتم الحق ، وصرتم من الكافرين ؟

ان دعواكم هذه المناطة بهذه السفينة ليست إلا وهماً وخيالاً لانها لو كانت بحق نافعة في ركوبها لنفعتكم انتم ، ولكن هيهات منها النفع فلا يرى منها إلا الهلاك والضياع .

هل قام المعصوم بحسم جميع مرادات القرآن للشيعة ؟

صحيح اننا لم نرد الاطالة في سرد الامثلة ، وعرض الادلة المثبتة لدعوى ان المعصوم لم يخدم اتباعه في حسم مرادات القرآن ، وفي رفع الخلاف عن كثير من الأمور المحيطة بتفسير الكثير من الآيات ، ولكننا على سبيل الإشارة والتدليل بالعلامة ومن باب ابراء الذمة ، وتحقيق ما ذهبنا إليه بالبرهان نقول :

هل حسم المعصوم المرادات الاتية : (الصلاة الوسطى ، تحديد ليلة القدر، بيان المقصود من الحروف المقطعة ، المراد من القرء ، الزواج من الكتابية، توجيه حكم صلاة الجمعة المفهوم من القرآن .... إلى اخر ذلك مما لا مجال لذكره) .

ان الذي ذكرناه هنا من هذه الامثلة لم يتم حسم المراد منها في اكثرها عند مفسري أهل السنة ، ولكن السؤال الذي يطرح هنا :

لماذا لم يحسم الإمام المعصوم الخلاف فيما ذكرناه لاتباعه ويبين لهم القول الفصل فيها ، لأجل تحقيق افضلييتهم على الغير من جهة ، وتحسيسهم بآثاره الايجابية عليهم ؟

فهذه هي حقيقة حالهم مع تفاسيرهم وهذه هي الادوار الحقيقية لائمتهم لم يصلوا معهم إلى نتيجة ولم يسعفوهم في مشكلة ، ولم يحلوا لهم طارئاً ، ولم يحسموا لهم خلافاً ، ولذلك توجهوا بقوالبهم ، وربما بقلوبهم نحو أهل السنة فاخذوا ما عندهم ، وانتهجوا نهجهم ، ونهلوا من علمهم لأجل ان يصلوا إلى تفسير يطمئنون إليه ، ويرضون به انفسهم واتباعهم .

فهل تحول علماء أهل السنة إلى أئمة معصومين يرجع اليهم في هذا الشأن ؟

أم هل تبين لكم ياعلماء الشيعة ان قضية الإمام المعصوم وهم وخيال تجري في اذهانكم كاحلام اليقضة لا تحقق لها واقعاً ، ولا نفع لها ، ولا خدمة ترجى منها؟

واين يوجد ياترى التفسير المقدم من قبل ائمتكم ، والذي يحوي ما انفردوا به عن الغير من المفسرين في توجيه الآيات وبيان المراد منها ؟

فإن المعروض عندكم من تفاسيرهم والوجوه التي توصل إليها علماؤكم المؤيدون باقوال المعصوم ، نجد ان مفسري أهل السنة قد توصلوا اليها، وذهبوا إلى مدلولتها في تفاسيرهم قبلكم .

واين ذهبت صيحاتكم التي علت المنابر وملأت بطون الكتب بأن عليﷺ هو القرآن الناطق ؟

واين نجد ما نطق به عليﷺ في كتبكم مما يفسر به القرآن وتوجه به اياته؟

واين الذي قدمه كجهد منفرد خدمة للقران ، وتوجيهاً للمشكلات التي قد تعارض الذهن حال قراءة اياته ؟

وعليﷺ هو من هو عنده : (علم ما كان وما يكون) ، وصاحب المقالة المشهورة – على تقدير صحتها – (سلوني قبل ان تفقدوني فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الأرض) [1] *.

(١) [نهج البلاغة / الإمام علي ج٢ ص ١٣٠]

*** مقولة لا توافق العقل والمنطق**

ان هذه المقالة على الرغم من شهرتها ، والكلام الكثير الذي دار حولها من قبل علماء الشيعة اعلاً لشأنها وتفخيماً لما تدل عليه لا نرى فيها ذلك التصوير المفخم لها ولا نرى حاجة تدعو إلى انزالها منازل هي بعيدة عنها بتأليف كتب مستقلة لاجلها، وهذه الحقيقة تتضح بمجرد الرجوع إلى سند ومتن هذه المقولة :

أما جهة السند :

فهذه المقولة المنسوبة إلى علي ﷺ لا تثبت من جهة السند ، وقد حكم محققوا الشيعة قبل السنة على الأسانيد الموصلة لهذا الخبر بعدم الصحة والرد ، فقد جمع المجلسي صاحب بحار الأنوار روايات خبر (سلوني قبل ان تفقدوني) في باب مستقل اسماه بهذا الاسم ، وعند تحقيق هذه الروايات من قبل (آية الله محمد آصف محسني) صاحب كتاب مشرعة بحار الأنوار (ج١ ص ٢٣١) ، حكم عليها بعدم الصحة، وذلك بقوله :

=

=

[اورد في الباب (٧) أخبار لم يصح شيء منها سنداً] .

اما من جهة المتن :

فإنه مما لا يمكن ان يقبل ، ولا ان ينسب إلى شخص مثل علي وذلك للأسباب الآتية :

١- قال تعالى : ﴿ فَلا تزكوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الم تر إلى الَّذِينَ يُزكُون أَنفُسهمْ بل اللَّهِ يزكى مَنْ يَشَاءُ ﴾ فمحال على عليﷺ وهو من هو في الزهد والورع والتواضع ان يزكي نفسه ، ويعظم شأنها وهو الذي يقر بأنه العبد الذليل المفتقر إلى رحمة الله .

٢- لقد نهى الله جل وعلا عن السؤال عن الاشياء قبل حدوثها رفعاً للحرج عن الناس، قال تعالى : ﴿ لا تسئلوا عن أشياء إِنَّ تَبْدِ لكُمْ تسؤكم ﴾ فمحال على علي ﷺ وهو من هو في الامتثال لاوامر الله ، والخضوع لتكاليفه ان يخالف هذا النهي عن طريق أمره للناس بالسؤال مطلقاً عن أي شيء حدث أو لم يحدث .

٣- تعليله لطلب السؤال من الناس لا يتناسب وذلك بقوله : (فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الأرض) ذلك ان السؤال الذي قد يصدر من المقابل انما هو في المتحقق عنده واقعاً في نفسه أو اهله أو حياته كلها ، فما علاقة هذه الأمور بطرق السماء وهيئاتها ؟

٤- لا يتصور صدور مثل هكذا طلب من الإمام علي ﷺ على مقتضى عقائد الشيعة وابنيتهم الفكرية ، وذلك لانهم يعتقدون باستمرار الامامة ، وعصمة الأئمة ، وتساوي مصادر العلم فيما بينهم لوحدانية التلقي ، ووحدانية المتلقى منه .

فاذا كان هذا الأمر ثابتاً في وجدان الإمام علي ﷺ وعقله ، فلماذا يخشى على الناس من فقده وهو العالم بوجود من يخلفه للقيام بهذا الفعل وتولي هذا المنصب ؟

ان الذي اراه ان إثبات هذه المقولة فيها نسف لدعوى الامامة عند الشيعة ، ونسف لعصمة من يجيء بعد الإمام عليﷺ من اولاده أو غيرهم .

فهو لو كان عالماً بأن الذي يأتي بعده ممن يتولى منصبه له من العلم ما لعلي ﷺ لما اعتبر فقدانه خطراً محدقاً بالناس يؤدي إلى زوال العلم عنهم .

٥- ان الذي دعانا إلى استغراب بنائهم الأحكام الخاصة بهم على هذه المقولة اننا لم نجد عندما استقرأنا التراث المنقول عن الإمام علي ﷺ عندكم اموراً غريبة لم يتطرق إليها غيره من العلماء والمجتهدين .

ولم نجد في المنقول عنه اموراً خارقة لا يدركها العقل ، ولا تستوعبها تصورات الناس، ولا اموراً خارجة عن المألوف ، أو خارقة للعادة ، مما يجعل انحصار طلب السؤال في نفسه دون غيره ، انما هو ان ثبت فلاناس معينين ، وفي قضايا معينة، ولا يدل على حصر هذا الأمر عموماً فيه ، ونفيه عن غيره .

=

=

٦- الثابت والمقرر شرعاً واعتقاداً ، ان دين الإسلام قد كمل ، وتحددت ملامحه بما لا مجال للزيادة عليه ، ولا النقص منه قال تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾وعليه فلا عليﷺ ، ولا غيره سيضيفون شيئاً جديداً إلى هذا الدين، ولن يكون لهم مطلقاً أي اتصال بالسماء لأن الحاجة لهذا الاتصال قد انتفت ، وينحصر دوره ومن معه من الصحابة في نقل هذا الدين للناس، وتبليغهم شرائعه، وتبينهم لاحكامه.

٧- ان علياً ﷺ فيما ينقله ويرويه عن النبي ﷺ يعتبر فرداً من سلسلة طويلة من الصحابة كلهم قد شارك في نقل المأثور عنه ﷺ ، فلا انفراد لاحد في هذا الدور، ولا انحصار لهذا العمل بشخصية واحدة ، فكما ان علياً روى اموراً قد انفرد بها فغيره أيضاً روى اموراً انفرداً بها ، ولم ترد عن علي ﷺ مطلقاً .

لذلك فحصر للسؤال في شخصه أمر لا يقبل ، ولا يمكن ان يصدق لأن علياً نفسه قد يحتاج لسؤال غيره في الروايات التي لم يسمعها ولم يعايش فيها النبي ﷺ .

٨- ان المنقول من الاسئلة بخصوص هذه الحادثة لا يتناسب مطلقاً مع عظم المعنى المستفاد منها وعظم أثره فيما لو كان له تحقق ، وهذا الأمر يقر به علماء الشيعة انفسهم فهذا (آية الله محمد آصف محسني) صاحب كتاب مشرعة بحار الأنوار يصدر حكماً بخصوص هذه المتون بأن لا فائدة تحصل منها ، ولا أحكام تبنى عليها عندما قال (ج١ ص ٢٣١) :

[اما المتون فليس فيها شيء مهم لنا وللاجيال القادمة] .

ثم بعد ذلك يتأسف على عدم انتفاع الناس من عليﷺ عندما لم يوجهوا إليه أسئلة يمكن ان تكون ذات أثر ايجابي على الأمة وعلى الناس عندما يقول :

[لكن معاصروه لم يسألوا عنه ما يفيدهم ويفيدنا اليوم اسفاً على الناس ضاع عنهم علم باب مدينة علم النبيﷺ] .

شيخ الإسلام ابن تيمية

ومما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في كتابه (منهاج السنة النبوية – بتصرف –)، في معرض رده لهذا الأثر المنسوب لعليﷺ امرين اثنين :

الأول :

أن علياً ﷺ حتى لو قال هذا القول فهو انما كان موجهاً له لاهل الكوفة عندما كان اميراً عليهم فيها وهم اناس ممن لا علم لهم ، ولا دراية بامور الدين ، ويحتاجون إلى من يفتي لهم، ويبين مرادات الشرع .

اما المهاجرون والانصار فقطعاً هذه الكلام لم يوجه اليهم ، فضلاً عن اكابر الصحابة كـــ (ابي بكر ، وعمر ، وعثمان) .

=

وإذا ما اعترض معترض بوجود انفراد لعليﷺ أو بعض الأئمة في بعض المواضيع فإن هذا لا غريب ولا عجيب فكثير من الصحابة ، وغيرهم من المجتهدين قد كانت لهم انفرادات في التفسير ، أو الفقه ، أو العقيدة توصلوا إليها بعلمهم واجتهادهم وفرط عنايتهم بالقران والسنة .

وإذا ادعيتم بأن لأئمتكم انفراد في توجيه آيات القرآن لا يمكن لاحد مهما بلغ ان يصل إليها لما فيها من استقلالية في الادراك ، لا تصدر إلا من اناس معينين ذوي صفات محددة لا تتوافر في غيرهم يجعل من مداراكهم مصادر لمخرجات خارقة للعادة صعبة المنال من الغير لا تحيط بها مدارك العقول ، ولا تصورات النفوس والوجدان ، قلنا لكم :

نتنزل معكم في قبول هذا الادعاء ، ولكننا نطالبكم انطلاقاً من الحق الذي يكفله لنا الدين ، والعرف ، والعلم ، والواقع بالدليل المثبت لهذا الادعاء وذلك

=

فالحاصل ان الصحابة كان الناس يرجعون اليهم لمعرفة أمور الدين ، ومنهم من كان في زمن امارة عليﷺ كـ (عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر) ، لذا فالكلام على فرض صدوره ، فانما قصد به اناس معينين في زمان ومكان معيينين .

الثاني :

إن الشق الثاني من الأثر (لانا بطرق السماء اعلم) دليل واضح على ان هذا الأثر مكذوب لأن هذا الوصف لا يصدر إلا من مغالي متطرف ، ومثله في فرق الغلو والتطرف كثير ، فكل فرقة عظمت اشخاصاً حاولت ان تسند لهم من الخوارق والافعال الغريبة ما تجعل منهم مميزين ومنفردين ، والا فإن العروج إلى السماء لم يثبت إلا للنبي ﷺ حال الحياة ، واختلف فيه العلماء أيضاً هل كان بروحه فقط، أم بروحه وجسده ؟

وما هذا القول في التفاهة إلا كقول من يدعي من أصحاب الشطحات من الصوفية ان بدنه ينتقل من مكان إلى مكان في لحظة واحدة .

أقول :

وبالنتيجة فإن هذه المقولة لا يمكن ان يكون لها قبول على ارض الواقع ، ولا يمكن ان تنتج اثارها عقلاً ومنطقاً ، فلا اسانيدها صحيحة ، ولا متنها له امكانية النهوض، ورائحة الاختلاق تفوح من كلماتها بشدة وحدة ، فلا أثر لها واقعي يمكن ان يكون لها مصداقاً ، والشيعة قبل غيرهم كما بينا وجدوا هذه الحقيقة في هذه المقولة .

وعليه فلا يمكن ان يحكم على هذه المقولة إلا بالرد ، والتسقيط ، وعدم الاعتبار .

بأبراز هذه التفاسير للايات القرآنية التي انفرد واستقل بها ائمتكم المعصـــومون ، والتي هي في اعتباركم خارقة من الخوارق ، وعجباً من العجائب ، لا تصدر إلا من اناس تدعون فيهم العصمة ، مسددين من السماء ليسوا في مصـــادر علمهـــم ومداركهم كباقي البشر .

ربع آيات القرآن نزلت في الائمة

وبما ان الشيء بالشيء يذكر وما دمنا قد تكلمنا هنا عن الانفراد أو التفـــرد في اختيارات التفسير وتوجيه بعض آيات القرآن التي يدعي الشيعة نسبتها إلـــى ائمتهم فلا يسعنا ان نغفل عن وجود انفراد لتفسير القرآن عند الشيعة ادعوا نسبته إلى ائمتهم .

وهذه الدعاوى منهم في التفاسير المنسوبة إلى ائمتهم نجد تفاسيرهم عنـــدهم قد ملئت بها وطفحت ترداداً ، وتكراراً ، واعادةً ، وما هي في حقيقتها إلا عبارة عن تفاسير باطنية لا يقبل بها عقل ، ولا تخضع لمنطق تمجها النفوس الســـليمة، ولا تقبلها الفطر المستقيمة انتجتها اقلام الدجل والخرافة وبثتها بين وفي عقـــول أهل الجهل ، والوهم ، والانحراف لا مدلول لها ، ولا يمكن تطبيقها على الواقـــع اغاليط لا حل لها وطلاسم لا تفك رموزها ، وخـــزعبلات لا تنطلـــي إلا علـــى المجانين .

وإلا كيف تقبلون مثل هذا المنقول عن الإمام الصادق وكيـــف توجهونـــه ؟ عندما قال:

نزل القرآن أربعة أرباع ، ربع فينا ، وربع في عـــدونا ، وربـــع قصـــص وأمثال، وربع فرائض وأحكام ، فلنا أهل البيت فضائل القرآن [١].

وكيف تجمعون بينها وبين رواية جده علي المخالفة له فـــي تقســـيم نســـب تفسير آيات القرآن ؟ حينما قال :

نزل القرآن أثلاثاً : ثلث فينا وفي عدونا ، وثلـــث ســـنن وأمثـــال ، وثلـــث

---

(١) [أصول الكافي / ٢ج ص٦٢٧] [البرهان / ١ج ص٢١]

فرائض وأحكام[1].

تأويلات باطنية في تفسير القران

ان الباحث عن الانفراد في تفاسير الشيعة يجد نوعاً انفردوا به اقرب ما يكون إلى الخيالات والاساطير ، نوعاً يدعى بالتفسير الباطني قد ملئت به هذه الكتب وكثر تردده في صفحاتها .

فكتب التفسير الشيعية قد تضمنت تأويلات باطنية لآيات القرآن لا تتصل بمدلولات الألفاظ ، ولا بمفهومها ، ولا بالسياق القرآني ، تنطبق عليها الاوصاف التي ذكرنها انفاً ، هذه التأويلات تجدها مدونة في كتبهم المعتمدة، ككتاب الكافي، وتفسيرالعياشي، وتفسير الصافي ، وتفسير القمي ، وتفسير البرهان .

فلا غرابة ان يدعي القمي في تفسيره لقوله تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ (البقرة: من الآية٢٦) .

قال القمي :

ان هذا مثّل ضربه الله تعالى لأمير المؤمنين : فالبعوضة : أمير المؤمنين، وما فوقها : رسول الله .

وعند قوله تعالى :

﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .... ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾(الرحمن: ١٩ – ٢٢) .

قال القمي : البحران : علي وفاطمة ، والبرزخ : رسول الله ، واللؤلؤ والمرجان : الحسن والحسين .

وهكذا لو أخذنا نضرب الامثلة على ذلك فسيطول بنا المقام فعلى سبيل المثال لا الحصر في تفسير قوله تعالى :

﴿ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (النمل: من الآية٨٢) .

---

(1) [أصول الكافي / ج٢ ص٦٢٧] [البرهان / ج ١ ص٢١] [تفسير الصافي / ج١ ص٢٤]

يقول عبد الله شبر في تفسيره : تظافرت الأخبار ان الدابة أمير المؤمنين[١].

وقوله :﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾ (التغابن /٨) ، يقولون: النور الأئمة[٢].

وقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ (الاسراء/٩) قالوا : يهدي إلى الإمام[٣].

وقوله :﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ (النحل:٦٨) ، قالوا : النحل هم الأئمة .

وعقد المجلسي باباً بعنوان (باب في تأويل النحل بهم) .

وقوله :﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف /١٨٠) .

قال أبو عبد الله : نحن والله الأسماء الحسنى[٤].

وقوله : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة/ ٢٣٨) قالوا:

الصلاة : رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين ،والوسطى: أمير المؤمنين . ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ ... طائعين للأئمة[٥].

وقوله : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة /٦) ، أي : ولاية علي[٦].

وقوله :﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (الزمر/٦٥)

---

(١) [تفسير شبر / عبد الله شبر ص ٣٨٤]
(٢) [الكافي / ج١ ص٢١٦] [العياشي / ج٢ ص٢٨٢] [البرهان / ج٢ ص٤٠٩] [الصافي/ ج١ ص٩٦٠]
(٣) [تفسير العياشي ج٢ ص٢٦٤] [البرهان ج٢ ص٣٧٥] [الصافي ج١ ص٩٣١]
(٤) [تفسير العياشي ج٢ ص٤٢] [الكافي ج١ ص٦٢٦] [البرهان ج٢ ص٥١]
(٥) [تفسير العياشي ج١ ص ١٢٨] [تفسير البرهان ج١ ص٢٣١] [البحار ج٧ ص ١٥٤]
(٦) [تفسير العياشي ج١ ص٢٤] [تفسير البرهان ج١ ص٥٢]

قالوا : لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام ، ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين[١] .

وقوله : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف /١١٠) .

قالوا : العمل الصالح : المعرفة بالائمة .

وقوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

التسليم لعلي لا يشرك معه في الخلافة ، من ليس ذلك له ولا هو من أهله[٢].

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (الاسراء /١١٠)

قالوا : ولا تجهر بولاية علي .﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ يعني ولا تكتمها [٣].

كم هائل من هذه التأويلات الفاسدة

وهناك كم هائل من مثل هذه التأويلات تركتها لعدم الإطالة ، ومنها :

انهم – أي الأئمة – (الراسخون في العلم ، نعمة الله ، آيات الله ، وجه الله، النبأ العظيم ، الآيات المحكمات ، العلامات ، الحفدة ، الحسرة على الكافرين ، حق اليقين ، هم بنوا إسرائيل ، هم أركان الأرض ، ....)

* ذكر الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج في الجزء الأول فقط أكثر من ثلاثة وسبعين آية نزلت فأولت في علي عليه السلام وأبنائه .

* والشيخ البحراني يزعم بأن علياً وحده ذكر في القرآن (١١٥٤) مرة ويؤلف في هذا الشأن كتاباً سماه (اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية).

* وأن المجلسي عقد باباً في البحار بعنوان :

---

(١) [تفسير الصافي ج ٢ ص ٤٧٢] [تفسير نور الثقلين ج ٤٠ ص ٤٩٨]

(٢) [العياشي / ج٢ ص ٣٥٣][البرهان / ج٢ ص ٤٩٧] [الصافي / ج٢ ص ٣٦] [نور الثقلين ج٣ ص ٣١٧]

(٣) [العياشي/ ج٢ص ٣١٩][الصافي / ج١ ص ١٩٩][البرهان / ج٢ ص ٤٥٢][نور الثقلين/ ج٣ ص ٢٣٥]

باب بأن الأئمة هم : (الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام ، وسائر الطاعات، وأعدائهم الفواحش ، والمعاصي في بطن القرآن) [١].

وكذلك عقد باباً في أن الأئمة هم الأيام والشهور: (باب تأويل الأيام والشهور بالأئمة) .

وقال بأن الأئمة هم :

(الماء المعين ، والبئر المعطلة ، والقصر المشيدة ، وتأويل السحاب، والمطر، والفواكة ، وسائر المنافع الظاهره بعلمهم وبركاتهم ثم أورد طائفة من نصوصهم) [٢].

ولو ذهبنا ننقل أحاديث تلك الأبواب لاستوعب ذلك مجلدات .

حتى وصل الأمر باحد الكتاب إلى ان يؤلف كتاباً تحت عنوان : (٥٠٠ آية نزلت في أمير المؤمنين) [٣] .

أقول :

هذه التفاسير وصمة عار على المذهب

مما ينبغي ان يلاحظ فيما يخص هذه التأويلات الباطنية الفاسدة للشيعة والبعيدة عن منطق العلم والعقل ، انها لم تكن واردة في كتب ساقطة أو غير معتبرة عندهم ، أو غير ذات قيمة ، على العكس هذه الخيالات تجدها في كتب مصدرة وذات قيم عالية وعليها الاعتماد عندهم في التأصيل والبناء ، ويكفي في التدليل على هذا الأمر ان انقل لك اسماء هذه الكتب لتتضح لك هذه الحقيقة (الكافي، القمي ، العياشي ، الكوفي ، الصافي ، البرهان ....) .

وفوق كل ذلك ان هذه التوجيهات للايات ليس توجيهات كيفية من قبل أصحاب هذه الكتب بل هي روايات قد اسندوها إلى ائمتهم ليضفوا عليها طابع الشرعية وصفة القدسية .

---

(١) [البحار / المجلسي ج٢٤ ص٢٨٦- ٣٠٤]

(٢) [البحار / المجلسي ج٢٤ ص٢٨٦-٣٠٤]

(٣) [٥٠٠ آية نزلت في أمير المؤمنين / للحافظ رجب البرسي - ط١ موسسة الاعلمي للمطبوعات ٢٠٠٣]

إن هذه التوجيهات قد ظلت متداولة بين الشيعة علماء وعوام ومراجع ومقلدين لفترة طويلة من الزمن ناهزت العشرة قرون يقبلون بمضامينها ، ويتعبدون الله بها ويوجهون الآيات على أثرها وبمقتضاها ولم يعلم لهم محاولات للتنصل أو التهرب من هذه التفاسير إلا بعد ان افتضح امرها وشاع بين الناس ذكرها وصارت تشكل مطعناً على مذهبهم ، وأخذت تمثل وصمة عار على هذا المذهب فأصبحوا يردونها بمختلف أساليب الرد كضعف الرواية وغيرها .

وعن هذه الحقيقة يقول إحسان الأمين متاسفاً للحال الذي عليه تفاسيرهم :

[ومع الأسف لم تجر عملية تصفية في الأصول والتفسير ، في روايات أهل البيت كما جرى في حقل الفقه ، إذ قام العلماء بتنقيح وتصفية روايات أهل البيت بنسبة معقولة في الفقه ، إلا أن أحاديث (الأصول) و (التفسير) و (الفضائل) و(السير) بقيت على حالها ، كما في المصادر الروائية الأولى ، لم يتصد لها أحد بجهد علمي مناسب للتصفية والتنقيح] [١] .

أقول :

فهذه حقيقة تفاسير الشيعة المأساوية يعترف بها علماؤهم مقرين بحاجتها إلى التنقيح والتصفية .

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا ، متى سيقوم الشيعة بتنقيح تفاسيرهم ؟

ولماذا لم يقوموا بهذا الأمر ؟

فقد مرت أكثر من عشرة قرون على غياب المعصوم ، وقامت لكم في هذا التاريخ دول آخرها لا زالت قائمة هي دولة الملالي الشيعية في إيران تجاوز عمرها الربع قرن ولم تقدموا شيئاً لاهم أمور الدين (الأصول والتفسير) .

هل تخافون من التنقيح لانكم معه بين نارين ، نار ذهاب الغالبية العظمى من دينكم، ونار إيمان أكثركم ان لم تكونوا كلكم بالخرافات التي تحويها هذه الكتب؟ أم يا ترى انكم في انتظار مهديكم الغائب المسكين (عج) لينقح لكم التفاسير وغيرها من العلوم ؟ أجيبونا بعلم إن كنتم صادقين .

---

(١) [التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية / تأليف إحسان الأمين ص ١٢٦ – ١٤٠]

سادساً :

النصح لكم والشفقة عليكم

بعد هذا البيان وهذا النقاش للمسالك التي انتهجها علماء الشيعة في تعاملهم مع تفسير القرآن بالروايات الواردة عن الأئمة ، وتذبذبهم فيه نقول لهم ان كانت ادعاءاتكم في تفسير القرآن وانحصاره في روايات أئمتكم صحيحة ، فإننا انطلاقاً من هذا الحال المدعى نطالبكم بكتاب صحيح يمكن الاعتماد عليه في فهم آيات القرآن ويمكن التوجه إليه في هذا الشأن ويحوي التراث الروائي لروايات الائمة.

وطلبنا مشروع الدافع منه هو النصح لكم ، والشفقة عليكم لانكم بدونه ستبقون عيالاً على أهل السنة في هذا الشأن وسيثبت عليكم هذا الحكم ثبوتاً لازماً لا يمكنكم الخروج عنه ، أو التنصل منه .

من أين تأخذون دينكم ؟ !

ونوجه سؤالاً يفرضه المنطق ويدعو إليه الواقع منطلقه من التشتت الذي يراه الباحث والمطلع في المناهج المتبعة عند علماء الشيعة في العلوم عموماً وفي التفسير خصوصاً .

مفاد هذا السؤال ان الناس تطلب منكم تحديد طريقكم الذي تسلكونه إلى الله جل وعلا وتطلب منكم بياناً للمنهج الحق والسوي الذي تدعون انكم عليه وانه لا نجاة ، ولا خلاص إلا باتباعه .

وهذا حق مشروع للناس اجمعين فهم إذا ارادوا التوجه إلى مدعاكم فلا بد من تحقق الوضوح في الرؤيا ، وعدم وجود لبس وتخبط في المنهج والمسلك.

فلذلك نقولها نصحاً لكم ، وبياناً منكم للاخرين أي الطرق تسلكون ؟

وما هو منهجكم الذي تنتهجون ؟

ومن أين تأخذون دينكم ؟

وما مقدار ثقتكم بالطريق الذي تعبدون الله به ؟

لأنه في حقيقة الحال للباحث وللمطلع كل هذه الأسئلة لا جواب لها فهو إذا ما تعمق في دراسة مذهبكم ، وجد انتفاء الجواب عن جميع هذه الأسئلة ، لكثرة التخبط ، وانتفاء الاعتماد على مصدر ، وانعدام المنهجية ، والتأرجح غير

المسبوق ، ولا المعقول في الاجتهادات ، والاختيارات ، والتشويش المنقطع النظير عن حقائق مذهبكم ، وأصول تعبداتكم .

سفن للهلاك لا للنجاة

والناتج من هذا كله ان مذهبكم قد تحول من كونه سبباً للنجاة إلى مفازة مهلكة لا قرار لها ، ولا انتهاء إذا ما دخلها شخص فلن يخرج منها بعد التعب والنصب إلا هالكاً .

ونطلب منكم بعد ذلك ان تبينوا لنا المعنى الذي تدندنون حوله دائماً ذلك المتمثل بسفينة النجاة إذ انكم فيما تروون عن ائمتكم تجعلون منهم سفناً للنجاة لا يخلص الانسان من المهالك ، والشرور ، والعواصف ، والاعاصير إلا بركوبها والدافع من طلبنا هذا هو اننا وجدناكم قد جعلتم من ائمتكم سفناً للهلاك.

إذا حاول فرد من الناس ان يركبها فيعسر عليه أولاً العثور عليها ، أنتفاء العلامات ، والدلائل المؤدية إليها ، والمعرفة بها فانتم جعلتم منها مجهولاً مخفياً مستتراً عن الانظار .

وإذا ما ساعف احدهم الحظ وتعرف على هذه السفينة بقدرة قادر فإنه سيجد نفسه قد دخل في سفينة الموت إذ ان الطعون قد جعلت منها غربالاً لكثرة الثقوب التي فيها .

فهم باعتراف علماء الشيعة لا تدل الروايات عنهم على أصول مذهبهم ، ولا يمكن للمسترشد بها ان يجد ضالته أو يصل إلى مبتغاه بل على العكس يقع في التيه وقد يصيبه العمى يقول المعلم :

[ان المتتبع لروايات أهل البيت يرى ان قسماً كبيراً من هذه الروايات ليست موافقة لاصول مذهبهم بل موافقة لمذاهب العامة مع توفر شرائط الحجية فيها، حتى ان الإمام المعصوم قد يفتي في المسألة الواحدة بأكثر من حكم ، وقد يعمد الإمام إلى القاء الخلاف بين شيعته في محاولة من الأئمة بالابقاء على شيعتهم والحفاظ على وجودهم بهذا النحو من الاسلوب ... .

ولذلك انتشرت أخبار التقية ، والأحكام الثانوية وهي مثبتة في الموسوعات

الروائية] [١] .

والعجب العجاب أن الذي يقوم بهذا الفعل من الاتلاف والتخريب هم أهل السفينة أنفسهم والمتكفلون بقيادها – علماء الشيعة كما تبين من النقل عنهم – ومن المفترض أن يكون شراع هذه السفينة وربانها هو المعصوم كما تدعون، ولكننا لا نجد ذلك الشراع ولا ذاك الربان فقد تركوا أهل السفينة هملاً ، وسلمو ركابها لقدرهم المحتوم ، وتركوهم في غياهب أليمة يتخبطون وإلى مصير الهلاك يصيرون .

نصيحة إلى مرتضى العسكري

إن هذه الصورة التي طرحناها لكم هي الحقيقة التي ترتسم في الذهن حال القراءة ، والبحث ، والاطلاع في كتب علمائكم ، ومصنفات مجتهديكم فإن كان عندكم غيرها فاسعفونا بها ، ولا تتاخروا فالذي في الذهن أخذ يثبت ويرسخ .

وبعد كل الذي ذكر نوجه نصيحة إلى مرتضى العسكري نقدمها له مما رأيناه ولمسناه من الانحرافات ، والتخبطات التي أوقع بها نفسه والتي عرضناها بين أيديكم في ثنايا هذا البحث .

وكذلك بعد ان رأينا منه ذلك الجهد المضني والعمل الشاق في الكتابة والتحقيق ننصحه بأن يوجه عمله الوجهة الصحيحة ، ويحدد دائرة بحثه التحديد المفترض والمطلوب ، فهو بدلاً من ان يشغل نفسه بما لا طائل تحته من الكتابات والتحقيق في القضايا التي لا تقدم ولا تؤخر من الافضل له ان يوجه طاقاته هذه إلى مذهبه والاشكالات التي يحويها ليصل بها إلى نتيجة موجهة ترضي الناس والمطلعين.

خدمتك للقرآن خير لك من انشغالك بـ (سيف بن عمر)

وزيادة في التحديد نقول له ناصحين انك يامرتضى وأنت من أنت كما يدعون كان الأولى بك ان لا تشغل نفسك كل هذا الاشغال بـ (سيف بن عمر) ومروياته متلاعباً بالاقوال الواردة فيه عن العلماء تارة ، واخذاً لما ينفعك ويخدم

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٧]

غرضك من الأحكام الواردة فيه لا لشيء إلا لأجل الحكم عليه بما هو ثابت عليه أصلاً وبما هو متحقق فيه بإتفاق الجميع فالذي فعلت مع سيف فقد اتعبت به نفسك ، واضعت جهدك ، وفضحت منهجك ، وبينت للناس حقيقتك ، وحقيقة مقاصد افعالك ، واتعبت القارئ ، واضللته بعدم عرض الحق كاملاً، واشغلت وقته بما لا يغنيه بل يزيد في تيهه ، واهدرت ماله بما لا نفع يحصل من ورائه وبامور لا تضره في الدين ، ولا تنفعه ، ولا تخدم مذهبك لا من قريب ولا بعيد، لانتفاء التعلق بينها وبينه .

بل كان المفترض بك والاولى منك ان تبتدىء بمذهبك الذي باعترافك أنت قد ملىء بالطامات ، واثخن بالجراحات فتعمل على تنقيته ، وعلاجه فكما قال الشاعر :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

خير لك من ان تتوجه إلى شخص قد كفانا المحققون مؤونة الحكم عليه، ومعرفة حاله وحال مروياته مما يرد عنه .

فالحكمة هكذا تقتضي ، والمنهج هكذا يدعو ولكننا وجدناك قد خالفت لسان الحكمة ، ومتطلبات المنهج ، فمذهبك باعترافك أجل ما فيه وهو تفسير القرآن لا انضباط فيه ، ولا ثبات للحكم على مصادره ومنابعه .

إذ باعترافك اثبت انها مخترقة وان فيها الدخيل فهذه الاسرائليات قد تغلغلت فيه، وكذلك روايات كعب الأحبار ، ووهب بن منبه .

اليس من العقل ان تبتدأ أولاً بهذا الشأن العظيم الذي تتبنى عليه العقائد والأصول وهو بيان مرادات القرآن فتقوم بتحقيق مرويات ائمتك فيه ، وتحدد الكتب التي يمكن الاعتماد عليها في إثبات هذا الشأن من تلك التي لا يمكن الاعتماد عليها ؟

أليس من المفترض ان تتوجه إلى الطعون المحيطة بمذهبك من كل جانب فتدحضها ، وتبين بطلانها خيراً لك من ان تزيدها وتكثر من أعدادها ، وأنواعها التي فاقت في أثرها ما وجهه الخصوم ؟*

---

* سيف اعطب معدة مرتضى

=

هذا الذي أردت أن أقوله لك والدافع من ورائه النصح إذ انني كلما قرأت في مذهبكم ، وبحثت في حيثياته أزددت إشفاقاً عليكم لما أرى فيه من الجراحات والآلآم ، ولما يعتريه من ضعف ، وتشرذم ، وتشتت ، ولما أجد من اسهام علمائه ومحققيه في زيادة هذا الأمر وتغذيته وتنميته .

وختاماً أذكر قول الله تعالى في محكم كتابه العظيم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ (المائدة : ١٠٥)

=

لقد وقع مرتضى في شر أعماله ، فعندما اضنى نفسه واتعبها فيما لا طائل تحته، وعندما تلاعب بخبث ومكر بالاقوال الواردة في مناقشة حال سيف بن عمر وكذلك مناقشة الروايات الوارده عنه ، تلك التي لا تقدم ولا تؤخر اصيب بمرض شديد في معدته لازمه مدة سبعين سنة ، وهذا الذي صرح به الشيخ كامل خلف الكناني عندما تكلم عن سيرة مرتضى العسكري، حيث قال :

[وكانت واحدة من المشاكل التي دفع السيد العسكري ثمنها من صحته ، ولطيلة سني عمره القادمة هي مشكلة (سيف بن عمر) ورواياته التي لم يكتشف الخيط الجامع لها إلا بعد عمل لفترة طويلة بشكل مضن تجاوز فيه عدد ساعات العمل اليومي أكثر من ثماني عشرة ساعة ، وأحياناً تسع عشرة ساعة في اليوم بين قراءة وتدقيق ومطابقة ، حتى إذا انتهى الأمر لاكتشاف أصل الروايات المكذوبة ، ومعرفة مصدرها، وتحديده بسيف دون غيره ، كانت معدة السيد العسكري قد أصيبت لداء استمر معه لأكثر من سبعين سنة بعد ذلك ولم يشف منه تماماً لحد الآن رغم مراجعات أوصلته لأطباء في الشرق والغرب] .

[العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد / كامل خلف الكناني ص ٢٢]

أقول :

ولعلك تسأل عن سبب هذا المرض ، وانا اجيبك بقولي :

ان السبب كان صعوبة ايجاد ربط بين (سيف بن عمر) ورواياته ، وقضية (عبد الله بن سبأ) ، هذه الصعوبة جعلته يضغط على نفسه وعلى اعصابه ، ويعصر فكره ويكتم انفاسه لعله يجد ربطاً ، فما وصل إليه إلا بعد ان اعطب واتلف .

ولكن مع الاسف حتى ربطه كان معطباً متلفاً كالحال الذي صار إليه .

المطلب الثاني

تطبيق التبرير الخاص بدعوى

(الدس)

مرتضى يتذرع بالاختراق عندما تعييه الوسائل

ذكرنا ان جميع الأمور التي طرحها مرتضى في كتابه هذا مما حاول بـه إثبات دعواه في نفي وجود شخص (عبد الله بن سبأ) قد صارت منهجاً له متبعاً في التعامل مع القضايا ، والتخلص من الاشكالات ، وان مرتضى قد جعل مـن هذه الذرائع التي وضعها اصولاً يفصل بها في الاختيارات ، ويحكم عن طريقهـا على القضايا ، منهجاً متبعاً يسير عليه في التطبيـق ، ونجـد هـذا الاسـتعمال شاخصاً وبارزاً في تلك القضايا التي تتعارض مع اختياراته وتوجهاتـه والتـي تمثل له ولمذهبه نوع إشكال ، وضرباً من ضروب التناقض .

وهنا نأتي بمثال تطبيقي ندلل به على هذه الحقيقة في قضية مـن القضـايا التي اعيت مرتضى وغيره ممن هو على شاكلته ، وصورت لهم مشكلة كبيـرة والذي ضخم حجم هذه المشكلة كونها قديمة وصادرة من علماء لهم الوزن الأكبر في المذهب الشيعي .

عند مرتضى لم تكن هناك مشكلة لوجود تبريرات جاهزة لديه يطعن عـن طريقها بكل قول معارض واختيار ناقض ومخالف ، ومن تلك الأمور الحاضـرة عنده في الرد ، دعواه الخاصة بـ (الدس والاختراق) حيث وجه هذه الـدعوى على تلك القضية بغية التخلص من اثارها ، والتملص من لوازمها .

مثال تطبيقي

اما عن القضية فهي المتمثلة باختيارات شيخ الطائفة (الطوسي) الاصولية فيما يتعلق بـ (نسخ القرآن) ومن معه ممن وافقـوه مـن اصـولي الشـيعة ومفسريهم ، تلك الاختيارات التي لا تستقيم مع المعروض فـي الفكـر الشـيعي والمخالفة لاصولهم المتبعة ، وايضاً التي يخالفها مرتضى .

حيث ان مرتضى العسكري في مسألة النسخ في القرآن وعندما وجد أقوال اصولي الشيعة ومفسريهم لا تتناسب مع اختياره ، وتوجهاته أخذ يسـتعمل هـذا التبرير نفسه واقصد به (الاختراق والدس) لأجل رد هذا القول وتضعيف هـذا الاختيار ، وهذا نجده في كتابه (القرآن الكريم وروايات المدرسـتين) ، حيـث

حكم في هذا الكتاب على ان اجتهادات مدرسة الخلفاء ورواياتهم قد تسربت إلى مدرسة أهل البيت مستدلاً على ذلك بقضية النسخ ، حيث قال تحت عنوان:

(تسرب اجتهادات مدرسة الخلفاء ورواياتهم في النسخ إلى تفاسير مدرسة أهل البيت) ، ما نصه :

[تسرب تفسير أتباع مدرسة الخلفاء للآيتين أو بالأحرى اجتهادهم فيهما مع الروايات التي استدلوا بها إلى بعض تفاسير مدرسة أهل البيت ، مثل مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي . فقد قال بتفسير :﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (البقرة : آية ١٠٦) في بيان لغة النسخ ما نصه كالآتي :

والنسخ في القرآن على ضروب منها أن يرفع حكم الآية وتلاوتها ، كما روى عن أبي بكر أنه قال :

كنا نقرأ (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم) .

ومنها أن تثبت في الخط ، ويرفع حكمها كقوله :﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم ﴾ الآية ، فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم .

ومنها ما يرتفع اللفظ ، ويثبت الحكم ، كآية الرجم ، فقد قيل : إنها كانت منزلة، فرفع لفظها .

وقد جاءت أخبار كثيرة بأن أشياء كانت في القرآن ، فنسخ تلاوتها فمنها ما روي عن أبي موسى أنهم كانوا يقرأون : (لو أن لابن آدم واديين ...) .

وقال في تفسير :﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ (النحل : ١٠١) من تفسيره :

معناه وإذا نسخنا آية ، وآتينا مكانها آية أخرى ... إما نسخ الحكم والتلاوة، وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ...

هكذا نقل الطبرسي قول مدرسة الخلفاء بأصناف دون أن يصرح بمصدر القول، ونقل استدلالهم برواياتهم دون أن يصرح بمصدر الروايات . ويقول إنها من روايات مدرسة الخلفاء ومنقولة من كتب حديثهم .

وسبق الشيخ الطوسي الطبرسي بتفسير الآيتين في تفسيره التبيان ، وأسند الرواية : [كنا نقرأ (لا ترغبون عن آبائكم فإنه كفر بكم) إلى أبي بكر ، بينما هي مروية عن عمر .

ومن ثم اتضح أن الطبرسي نقلها عن تفسير التبيان للشيخ الطوسي .

ويظهر من كلامهما أنهما تبنيا القول بأصناف النسخ الذي ابتكرته مدرسة الخلفاء .

ومن تفسير هذين العلمين من أعلام مدرسة أهل البيت انتشر بعض ما نقلاه في تفسير الآيتين إلى تفاسير أخرى بمدرسة أهل البيت مثل تفسير (أبي الفتوح الرازي ، وتفسير كازر) .

ولا سيما في تفسير لفظ (آية) في الموردين ، فانهم فسروها بمعنى جزء من السورة ، بينما المراد من (آية) فيها غير هذا المعنى .

وخالفهم في ذلك صاحب أطيب البيان ، فإنه فسرها كما تفسر في مدرسة أهل البيت] [(١)]. انتهى .

الزامات لمرتضى بناءاً على أقواله

أقول :

هذا ما يفعله مرتضى عندما تعييه الأمور وتتعذر عليه المسائل ، فهو عندما لا يستطيع ان يجد رداً علمياً مبنياً على الأدلة والبراهين صحيحاً في التناول، مقبولاً عقلاً وواقعاً يذهب إلى البحث عن تخريجات موهومة اساغ له عرضها وجود بعض الاشارات إليها من هنا وهناك وكذلك الحكم الذي تم تثبيته على الروايات المأخوذة وأصحابها .

ومما ينبغي أن يعلم أن هذه الدعوى المتمثلة بوجود التسرب ، والتمرير، والاختراق لكتبهم ولعلمائهم عن طريق المخالفين لهم وخصوصاً أهل السنة تترتب عليها الزامات واحكام لا محيد عنها ولا يمكن تغافلها أو اهمالها مع الاخذ بهذا القول .

وسنشير إلى تلكم الاثار والنتائج ليتبين مدى الضعف الذي عليه هذه

(١) [القرآن الكريم وروايات المدرستين / مرتضى العسكري ج٢ ص ٢٩٨]

الدعوى والالقاء غير المنضبط لوسائل التهرب مع التلاعب الذي يمارسه أمثال هؤلاء المحققين لأجل تحقيق اغراضهم لا غير ، مبتعدين كل البعد عما يفرضه منطق العلم والحكمة والعقل الذي إذا ما أراد انسان ان يتكلم في مثل هذه الأمور فلا بد ان يلتزم به ، هذه الالزامات والاثار سنوجزها لك في النقاط الاتية :

دعوى عليلة

١- ان الأصل المعتمد في رد الأقوال ، أو في نقضها ، أو في الجدال حولها، أو حتى في مناقشتها لا بد ان ينطلق من الادلة والأصول إذ انها الوسيلة الوحيدة التي يقر بها العلم للاثبات والنفي لذلك إذا ما أراد احدهم ان يثبت ادعاءاً قد تبناه أو ينفي قولاً عند غيره لا يرتضيه فلا بد عليه ان ياتي بدليل مقبول سنداً ودلالة ليتمكن بواسطته من إثبات المثبت عنده ، ونفي المنفي .

هذا هو الأصل المتفق عليه ، والمجمع على العمل به في مختلف اصناف العلوم ، ولكن عندما ينتفي هذا الدليل فما الحال الذي يكون عليه المدعي، الحال الذي يكون عليه هو البحث عن أي تبرير لأجل إثبات غرضه والتوصل إلى مطلوبه حتى لو كان هذا التبرير غير مقبول ، ولا مستساغ من جهتي العلم والعقل .

وهذا الذي وقع به مرتضى العسكري هنا إذ انه عندما انتفى عنده الدليل العلمي الذي يستطيع به الرد ، النقض للاقوال التجأ إلى دعوى التسريب وان هذه الأقوال والاختيارات التي تحويها كتب مذهبه ، وسطرتها اقلام علمائه ليست اصيلة عندهم وانما هي دخيلة تعمد دسها اناس مغرضون بقصد التشويه، والتضليل ، وبث العقائد المنحرفة عليهم .

إذن فهذه الدعوى عليلة من جهتي العلم والعقل ، لانتفاء الدليل المؤيد لها، وبالتالي امتناع قبولها مطلقاً ، لعدم امكانيتها على النهوض بنفسها اولاً، وخلوها من المرجحات التي تمكنها من المعارضة والتثبيت ثانياً.

حكم عام غير مخصص بجزئية معينة

٢- ان الحكم بالدس ، والتسريب حكم عام غير مخصص بجزئية معينة ، لذلك فإن أثره ينسحب إلى جميع محتويات مذهبه بدون استثناء شاملاً كتبه المصنفة، والكتب التي تحوي الروايات – كما سبق بيانه – .

تسقيط لكبار علماء المذهب الشيعي من قبل مرتضى

٣- ان حكمه هنا على ما سطره علماؤه من اختيارات لهم بأنه جاء بسبب تسرب قول المخالفين وادلتهم عليهم ، يؤدي بالضرورة إلى إثبات تهمة تعمد علمائهم تمرير هذه الأقوال على اتباعهم ، أو تغافلهم الشديد الذي يؤدي إلى سهولة امرار أي قول أو رواية عليهم .

وعلى كلا الحالين فإن هذا المطعن الذي يلتصق بعلمائهم التصاقاً لا انفصام عنه ، بناءاً على هذا القول يعتبر في ميزان الرجال تسقيطاً لهم من الاعتبار وادراجاً لهؤلاء العلماء في قائمة أهل الغفلة غير المؤهلين للبحث والتحقيق .

وينسحب عليه التشكيك في جميع اختياراتهم بلا استثناء ، إذ انها من المحتمل ان تكون مبنية على أدلة تم تسريبها ، كما انه ينفي عنهم حصانة الاحتراز التي ترفع الاستقلالية والتفرد عن اقوالهم واختياراتهم .

دعوى عريضة

٤- كما ذكرنا سابقاً ان دعوى التسرب هذه وما يتعلق بها من دس وتمرير دعوى عريضة ، يلزم منها لزوماً ضرورياً اعتبار كثير من المسائل الموجودة عند علماء الشيعة مسائل دخيلة عليهم ، وليست اصلية عندهم إذ ان مصادرها الاصلية كانت مستقاةً عن طريق غيرهم ، وخصوصاً أهل السنة بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

ما خالف العامة ففيه الرشاد

٥- في هذا المجال بالذات ومن باب الإشارة إلى ضعف ما ذهب إليه مرتضى العسكري في دعواه هذه ، نجد ان كثيراً من المسائل التي خالف فيها

الشيعة أهل السنة وردوا عليهم حيثياتها وفروعها المتعلقة بها كانت مبنية على أدلة مقتنع بها ، ومؤصلة تاصيلاً مقبولاً عندهم ، وهذا ينفي دعوى التسرب ، وانتفاء العلم عندهم بحال هذه الادلة التي هي عليه من كونها ممررة ومدسوسة عليهم .

ذلك ان المدسوس والمسرب يبقى دائماً محل شك ، ولا يثبت على ساق والاقتناع به أمر صعب ولا يمكن البناء عليه ، فلو كانت هذه الادلة التي بنى عليها علماؤهم الأقوال لم تكن ذات اقتناع عندهم لكان لقوله هذا نوع توجيه، ولكن مع انتفاء هذا الأمر تنتفي هذه الدعوى .

ومما يحقق هذا الأمر ويدعمه الأصل الثابت عندهم والقاعدة الاصولية المتبعة، والمتعبد بها في مذهبهم والمتمثلة بقول المعصوم :

(ما خالف العامة ففيه الرشاد) .

اقوال واختيارات للعلماء

٦- اضافة إلى كل هذا فإن المعروض بين ايدينا من الكتب انما هي أقوال واختيارات للعلماء قد تبنوها ، واعتقدوها ، واختاروها وليست روايات ، أو اخباراً مأخوذة من كتب وصحف ، ليمكن تثبيت دعوى التسرب عليها .

وبالجملة فإن كل المتعلقات التي تتبني على دعوى التسرب والتمرير غير مقبولة، ولا يمكن الخضوع لها لأن محلها الذي وردت عليه غير قابل لما تحويه.

اختيارات علماء كبار في المذهب تذرع بها مرتضى

٧- انتفاء الدليل المثبت لدعوى التسرب والاختراق عند مرتضى العسكري، فهو عندما اطلق دعواه هذه التي جعلها كالاصل الذي يرجع إليه في ترجيح الأقوال حال التعارض فيها ، وكالمخرج الذي ينجي نفسه به من المهاوي والمزالق لم يستطع ان يأتي بمقدمة واحدة يمكن عن طريقها اقناع المقابل بصحة دعواه .

وقد ذكرنا ذلك سابقاً في بحثه عن (عبد الله بن سبأ) حيث انه عندما اعياه الحال عن إثبات اختياره في عدم وجود هذه الشخصية ، لجأ إلى نفس هذه

الدعوى إلا وهي الدس والتمرير من غير ان يأتي بدليل لاثباتها ، بل اكتفى باطلاقها مرسلة من دون ضابط ، أو محدد ، أو تقييد .

وهنا عندما حاول ان يجعل لقوله هذا نوع قبول أخذ بسرد اسماء علماء كبار في المذهب عندهم (اصوليين ، ومفسرين) ، محاولاً عن طريق نقل اختياراتهم في القضايا والمسائل والتي تخالف توجهاته وما يذهب إليه إثبات دعوى التسريب التي القاها ، من أمثال (الطوسي ، الطبرسي ، أبو الفتوح الرازي، وكازر) حيث انه انتقى من اقوالهم اختيارات لا تتناسب مع مصالحة مرتضى، ولا تخدم اغراض مذهبه في وقته جاعلاً ورودها عنهم واختيارهم لها سبب التسرب المزعوم من كتب المخالفين عليهم .

وقد اشرنا في النقاط السابقة وفي مواطن قد خلت إلى الاثار المترتبة على هذا الادعاء والأحكام الملحقة لعلمائه ومذهبه بناءاً على هذا الافتراء ما يجعل من قبوله امراً ممتنعاً ، ومن ثبوته قضية مستحيلة .

جهل كبير عند مرتضى باقوال علمائه

٨- النقطة المهمة هنا والتي اثرنا تأخيرها لتسليط الضوء عليها ولاجل الاعتناء بها ، هي :

ان هذه الدعوى من مرتضى العسكري تدل على جهل كبير عنده باقوال علمائه الشيعة إذ انه لو كان على ادنى علم باختياراتهم واقوالهم ، وما ذهبوا إليه في المسائل المختلفة لما تجرأ على الادلاء بمثل هذه الدعوى ، والاشارة إلى مثل هذا التبرير .

فهو عندما اتهم الطوسي بأنه قد تسرب إلى تفسيره روايات واقوال من المخالفين في قضايا محددة واخص بالذكر هنا (نسخ التلاوة) ، فهو عندما اشار إلى هذا القول هنا رابطاً اياه بدعوى التسرب ، جعل نفسه في معزل عن حقيقة اختيار الطوسي لهذا الأمر من جهة ، وتأصيله الذي على اساسه بنى الحكم من جهة أخرى .

وهو في انعزاله هذا اما ان يكون جاهلاً باقوال الطوسي أصلاً ، أو انه تعمد الاعراض عنها لكونها تنسف ما ذهب إليه ، وتبطل اختياراته التي يسعى لتثبيتها وترسيخها ونشرها .

ونحن فيما نذكره هنا كعادتنا وكما عودناكم لسنا كغيرنا من أمثال مرتضى في اطلاق الدعوى وانما عمدتنا فيما نذهب إليه من أحكام على المقابل الادلة والبراهين التي تثبت ما ندعيه وتحقق التوجه الذي نحكم على الغير به .

وفي هذه النقطة بالذات – نسخ التلاوة – وبالرجوع إلى أقوال واختيارات الطوسي فيها ، والادلة التي بنى عليها ما ذهب إليه ، نجد تثبيتاً للحكم الذي اصدرناه على مرتضى واستدلالاً قوياً لمن أراد التأكد والتحقق منه .

اما جاهلاً أو متعمداً

فهذا كتاب الطوسي العدة في أصول الفقه والذي تناول فيه جميع مباحث علم أصول الفقه وبضمنها كما هو معلوم مباحث النسخ وتناول في هذه المباحث فصلاً خاصاً بعنوان :

(في ذكر جواز نسخ الحكم دون التلاوة ، ونسخ التلاوة دون الحكم).

وبالرجوع إليه وإلى التأصيلات التي ثبتها الطوسي نجد البرهان الساطع، والدليل القاطع على بطلان دعواه ، وفساد اختياره ، وتثبيت الحكم الذي لا يخرج عنه في هذا الباب من كونه اما ان يكون جاهلاً باقوال مذهبه ، أو متعمداً الاعراض عنها ، وساعرض لك نص أقوال الطوسي في هذا الباب لتتضح لك الصورة ، حيث قال الطوسي :

[جميع ما ذكرناه جائز دخول النسخ فيه ، لأن التلاوة إذا كانت عبادة والحكم عبادة أخرى جاز وقوع النسخ في إحداهما مع بقاء الآخر ، كما يصلح ذلك في كل عبادتين ، وإذا ثبت ذلك جاز نسخ التلاوة دون الحكم ، والحكم دون التلاوة].

قول صريح ونص قاطع على إثبات نسخ التلاوة

أقول :

فقوله هذا صريح ، ونص قاطع منه في ان (نسخ التلاوة دون الحكم) ، أو الحكم دون التلاوة أمر جائز لا امتناع فيه ، منطلقاً في ذلك من إثبات كونهما عبادتين يجوز وقوع النسخ في احداهما مع بقاء الاخر كما يصلح ذلك في كل عبادتين، كما هو معلوم ان هذا البناء الاستدلالي منه هو عبارة عن مقدمات عقلية منطقية بنى عليها اختياره ، لا رواية فيها ، ولا قول لعالم من علماء المخالفين لتسلم دعوى التسرب [*] .

مناقشة المعترضين

والمثبت لما ذهبنا إليه انه بعد ذلك أخذ بمناقشة المعترضين على هذا الحكم بالجواز ، حيث قال الطوسي :

[فإن قيل :

كيف يجوز نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ؟ وهل ذلك إلا نقض ؟ لكون التلاوة دلالة على الحكم ، لأنها إذا كانت دلالة على الحكم فينبغي أن تكون دلالة ما دامت ثابتة ، وإلا كان نقضاً على ما بيناه .

قيل له :

ليس ذلك نقضاً ، لكونها دلالة ، لأنها إنما تدل على الحكم ما دام الحكم مصلحة ، فأما إذا تغير حال الحكم وخرج من كونه مصلحة إلى غيره لم تكن التلاوة دلالة عليه] .

افترض اعتراضاً ورد عليه ليثبت عقيدته في نسخ التلاوة

ثم بعد ذلك افترض صدور اعتراض من قبل الغير فقام بالرد عليه لتثبيت اختياره ولبيان قوة الدليل الذي اعتمد عليه في بناء قوله ، حيث قال :

---

* قال آية الله الفاني الأصفهاني في كتابه (آراء حول القرآن) :
[وافق الشيخ الطوسي علماء العامة في اغلب الموارد التي قالوا بالنسخ فيها].
[آراء حول القرآن / آية الله الفاني الاصفهاني ص ١٨٢]

[وليس لهم أن يقولوا :

لا فائدة في بقاء التلاوة إذا ارتفع الحكم ، وذلك أنه لا يمتنع أن تتعلق المصلحة بنفس التلاوة وإن لم يقتض وإن لم يقتض الحكم، وإذا لم يمتنع ذلك جاز بقاؤها مع ارتفاع الحكم .

وليس لهم أن يقولوا :

إن هذا المذهب يؤدي إلى أنه يجوز أن يفعل جنس الكلام بمجرد المصلحة دون الإفادة ، وذلك مما تأبونه .

لأنا إنما نمنع في الموضع الذي أشاروا إليه إذا خلا الكلام من فائدة أصلاً، وليس كذلك بقاء التلاوة مع ارتفاع الحكم ، لأنها أفادت في الابتداء تعلق الحكم بها وقصد بها ذلك ، وإنما تغيرت المصلحة في المستقبل في الحكم فنسخ وبقيت التلاوة لما فيها من المصلحة ، وذلك يخالف ما سأل السائل عنه] .

اصرار وتصميم على ما يعتقده

أقول :

ثم بعد ذلك انطلق في تأصيل الأحكام الخاصة بهذا الأمر (نسخ التلاوة مع بقاء الحكم) بصورة قطعية قاطعة لدابر التشكيك والالتباس مع نفيها لاي امكانية قبول لدعوى التسرب ، والتمرير ، والدس من قبل الغير ، حيث قال :

[وأما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ، فلا شبهة فيه لما قلناه من جواز تعلق المصلحة بالحكم دون التلاوة] .

أقول :

فهذا التصريح منه يدل على اقتناعه التام بهذا الحكم ، وجزمه بما يترتب عليه عن طريق نفيه لاي شبهة تصادمه ، أو تعارضه ، أو تضعف من قوته .

وهذا كما هو معلوم لا يصدر عن رجل بنى قوله على تسربات ، وتمريرات، واختراقات ، والذي يدل على ما ذكرنا اضافة وتأكيداً ما أورده بعد ذلك من مناقشة مفترضة للمعترضين ، حيث قال :

[وليس لهم أن يقولوا :

أن الحكم قد ثبت بها ، فلا يجوز مع زوال التلاوة بقاؤه.

وذلك أن التلاوة دلالة على الحكم ، وليس في عدم الدلالة عدم المدلول عليه، إلا ترى أن انشقاق القمر ومجيء الشجرة دال على نبوة نبينا ﷺ ، ولا يوجب عدمهما خروجه ﷺ من كونه نبياً ، وكذلك القول في التلاوة والحكم ، ويفارق ذلك حكم العلم الذي يوجب عدمه خروج العالم من كونه عالماً ، لأن العلم موجب لا أنه دال] .

اقتناع ورسوخ لا تغافل

أقول :

وهذا يدل وبقوة على ان دعوى تسرب أقوال وادلة المخالفين إلى الطوسي أمر ممتنع لأن تناوله الواضح امامك لا يصدر إلا من انسان عالم بالاقوال وادلتها، ومحيط بالأصول وتفصيلاتها ومتعلقاتها ، وعارف بالاثار والنتائج المترتبة عليها.

فكيف تسلم بعد كل هذا دعوى التسرب والتمرير ؟

اضافة إلى هذا فإن ما ذهب إليه بعد هذه الأصول التي اصلها من ايراده الادلة يدل على اقتناع ورسوخ لا تغافل ، وعدم اكتراث فهو عندما بدأ يستدل على ما ذهب إليه أخذ يسرد الادلة بثبات وتحقق ، فانظروا معي إلى قوله هذا :

[وأما جواز النسخ فيهما ، فلا شبهة أيضاً فيه لجواز تغير المصلحة فيهما .

وقد ورد النسخ بجميع ما قلناه ، لأن الله تعالى نسخ اعتداد الحول بتربص أربعة أشهر وعشراً ، ونسخ التصدق قبل المناجاة ، ونسخ ثبات الواحد للعشرة وإن كانت التلاوة باقية في جميع ذلك .

وقد نسخ أيضاً التلاوة وبقي الحكم على ما روي من آية الرجم من قول :

(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله) وإن كان ذلك مما أنزله الله والحكم باق بلا خلاف .

وكذلك روي في تتابع صيام كفارة اليمين في قراءة عبد الله بن مسعود لأنه قد نسخ التلاوة والحكم باق عند من يقول بذلك .

وأما نسخهما معاً ، فمثل ما روي عن عائشة أنها قالت :

(كانت فيما أنزله تعالى عشرة رضعات يحرمن ، ثم نسخت بخمس) فجرت بنسخه تلاوة وحكماً] .

لو اعترض مرتضى العسكري على قولنا ؟

أقول :

فهل يصح مع كل هذا السرد للادلة والقطع بالاحكام المترتبة عليها ان يقبل من احدهم دعوى الدس ، وإذا ما اعترض مرتضى وامثاله بأن هذه الادلة التي ساقها هي أدلة مأخوذة من أهل السنة ، وهذا قد يرجح التسرب الذي يدعونه قلنا لهم :

لن نرد نحن عليكم بل سننقل لكم نص قول الطوسي في نهاية مبحثه ، إذ به يقطع دابر ادعاءاتكم ، وينهي أي مجال لقبولها ، حيث قال :

[وإنما ذكرنا هذه المواضع على جهة المثال ، ولو لم يقع شيء منها لما أخل بجواز ما ذكرناه وصحته ، لأن الذي أجاز ذلك ما قدمناه من الدليل ، وذلك كاف في هذا الباب] [١].

الطوسي يرد مسبقاً على قول مرتضى العسكري

أقول :

وبهذا القول الذي ختم به الطوسي هذا المبحث لربما قد كشف له بأنه سيأتي اناس من أمثال مرتضى العسكري يدعون عليه بأنه ممن يغرر به عن طريق التسريب عليه ، والتمرير ، والاختراق ، لذلك قطع دابر ظن هؤلاء ، وجعل كيدهم مردوداً عليهم بأن الذي دفعه إلى اختيار ما اختاره هو سلامة الدليل العقلي والمنطقي لا هذه الروايات ، وهذا الذي اوضحه في قوله : (لأن الذي اجاز ذلك) أي ما ذهبنا إليه من جواز أحكام النسخ بالتلاوة والحكم (ما قدمناه من الدليل وذلك كاف في هذا الباب).

---

(١) [العدة في أصول الفقه / شيخ الطائفة الطوسي ج٢ ص ٥١٣ – ٥١٧]

منهجية مرتضى العسكري

وختاماً لهذا العرض ، أقول :

ان تركيزنا على هذه القضية وتناولنا لها بشيء من التفصيل دفعنا إليه امران:

١- لأجل التركيز على منهجية مرتضى العسكري في التعامل مع الأقوال والخيارات الثابتة عن علماء مذهبه والتي لا تخدم اغراضه ، ولا تصب في مصلحته .

ومنهجه الذي ركزنا عليه هنا هو دعوى الدس ، والاختراق ، والتمرير، والتسرب.

لا يوجد عالم واحد من أهل السنة يقول بتحريف القران

٢- بخصوص قضية (نسخ التلاوة) ، فكما هو معلوم ان الشيعة عند علمائهم من الأقوال المصرحة بوقوع التحريف والنقصان في القرآن الشيء الكثير والكبير والذي لا يمكن اغفاله أو انكاره .

ولكن في المقابل لا توجد مثل هذه الأقوال مطلقاً عن علماء أهل السنة ، وانما هناك روايات يفهم من ظاهرها إذا كان القصد سيئاً وقوع التحريف قد وجهها العلماء وبينوا انها من (نسخ التلاوة) .

ولذلك وبعد ان عجز علماء الشيعة عن ايجاد عالم واحد من علماء أهل السنة يصرح بوقوع التحريف في القرآن ، حاول علماء الشيعة لأجل إثبات دعواهم في ان أهل السنة يقولون بالتحريف في القرآن عن طريق ترسيخهم للامر القاضي بنفي وجود (نسخ التلاوة) في القرآن .

فإذا ما انتفى وجوده انتفت امكانية توجيه هذه الروايات وعند ذاك يلزم أهل السنة القول بالتحريف .

ولكنهم جوبهوا وصدموا بأن اكابر علمائهم يقول بجواز وقوع (نسخ التلاوة) مع بنائهم لهذا الحكم على أدلة قاطعة عقلية ونقلية لا يمكن مع اثباتها إلا القول بوقوع (نسخ التلاوة) وجوازه .

فشكل لهم هذا اضطراباً زعزع ما سعوا إلى قذف أهل السنة به ، وضربة

قوية توجهت اليهم من أهل جلدتهم ، فاحتاجوا مع هذه الحـــال الشـــديدة القاســـية المحيطة بهم إلى ايجاد تبرير ومخرج ينقذانهم من هذه الورطة ، فلم يجـــدوا إلا هذا الحل المتمثل بادعاء ان الدس من قبل أهل السنة قد تطرق إلى كتـــبهم ومـــا سطره علماؤهم وانه قد مررت عليهم أقوال دخيلة من قبل اناس مغرضين إلـــى اخر ذلك من الدعاوى التي اشرنا إليها وبينا ضعفها وبطلانها .

المطلب الثالث

أمثلة تنقض تبريرات مرتضى الرئيسية حال التطبيق

أمثلة من كتب مرتضى تسقط تبريراته وادعاءاته

لقد حاول مرتضى العسكري من خلال تبريرات انتهجها لنفسه ان يثبت اختياراته وتوجهاته التي انفرد بها عن الغير – وكما اشرنا إلى هذه الحقيقة – ، ومن تلك الاختيارات انكار وجود (عبد الله بن سبأ) في التاريخ منطلقاً في ذلك المسعى من خلال ما ياتي:

١- إن الروايات التي اعتمد عليها الكشي في إثبات وجود هذه الشخصية وهي خمسة – كما ذكرنا – لم يرد ذكرها في الكتب الاربعة.

٢- إن بعض الكتب التي تناولت هذه الشخصية تسوق الروايات من دون سند.

٣- تسقيط كتاب الكشي عن طريق الصاق مختلف التهم به .

هذه التبريرات الثلاث ركزنا عليها هنا لما لها من خطر كبير على كثير من الحوادث التاريخية والشخصيات فيها ، ولما لها من أثر كبير على كثير من الأحكام المتعلقة بالرجال ، والكتب نفسها .

وهذه الآثار والمخاطر تتجلى لنا واضحة إذا ما أخذنا هذه التبريرات وجعلناها أصلاً يجري اتباعه عموماً وبلا استثناء على جميع ما ورد في كتاب الكشي حصراً ، بأعتباره مدار البحث الذي حاول من خلاله مرتضى العسكري نفي وجود (عبد الله بن سبأ) ، كما ان البحث في بقية الكتب أمر طويل لا يتناسب مع هذا المقام .

وبناءً عليه فساقوم بعرض مثالين من كتابات مرتضى نفسه ، انقض بهما تبريراته وانسف بهما توجهاته ، وبالنتيجة يكون مرتضى هو الراد على نفسه الناقض لتبريراته والمبين بالتطبيق العملي عدم امكانية تعميم اختياراته وضوابطه وعدم امكانية تطبيقها .

ومثال ثالث خارجي أخذناه وطبقنا عليه منهج مرتضى العسكري في كتابه هذا المتشابهة مع القضية التي يعالجها مرتضى في الحيثيات والتفاصيل ، وهو ما يعرف بـ (الخطبة الشقشقية) :

المثال الأول

مرتضى ينقض تبريراته باعتماده رواية من الكشي

ان مما ينقض تبريرات مرتضى السالفة الذكر ويبين انها عبارة عن دعوى فارغة لا أصل لها ، ولا مصداقية في ذكرها ، نقضه نفسه اياها في كتبه، وفي كيفية تعامله مع المواضيع المختلفة ، واخص بالذكر هنا كتابه (معالم المدرسيتين) الذائع الصيت .

والذي في تطبيقاته يتبين للباحث حقيقة منهجه ، وتفتضح من خلاله جميع طرائقه ، فهو إذ يضعف الكشي في قضية ابن سبأ ، تجده في هذا الكتاب ينقل منه بأعتباره أصلاً ومرجعاً ، وهو في انكاره على من لا يورد الأسانيد تجده هنا يعتمد على الحديث حتى لو كان بلا سند .

ومن الامثلة التي توضح حقيقة هذا النهج عنده ذلك الحديث الذي تناقله علماء الشيعة وبضمنهم مرتضى العسكري من كتاب الكشي الضعيف – بادعاء مرتضى– الخالي من السند ، والمرسل هكذا مطلقاً .

فهذا الحديث يبين لك ان قضية السند وغيره من التبريرات الاخرى (عدم اعتماد الكتب الأربعة للروايات ، وتسقيط كتاب الكشي) هي في حقيقتها مجرد احتمالات توضع للتبرير لا غير، والا فإن منهجهم الذي يسيرون عليه يعتمد طريقة انهم يأخذون ما ينفعهم ويخدم اغراضهم ويتركون ما سواه فالضوابط عندهم منتفية مع الاغراض والمصالح ، والقواعد لا مجال لذكرها .

وإليك نص هذا الحديث مع بيان للحكم المستفاد منه والاصل المبني عليه فإن مرتضى العسكري وغيره عند عرضهم لهذا الحديث جاءوا به ليستدلوا على طريقتهم الخاصة في استنباط الأحكام واتباع الأئمة ، وانهم في طريقتهم هذه منفردون عن غيرهم ومستقلون عن المخالفين لهم .

وحتى القابهم التي يلقبون بها هي أيضاً خاصة لا يشاركون غيرهم فيها .

وهذا الاستدلال كما هو واضح كبير ومهم إذ ان فيه بياناً لتبعيتهم لائمتهم في النهج الفقهي وفي التسمية ، كما انه يبين استقلاليتهم وانفرادهم عمن يخالفهم.

بعد هذا البيان الذي اتضحت فيه اهمية هذا الحديث نسوق لك الآن نصه كما

نقله مرتضى لتبين لك حاله وليسهل عليك معرفة كيفية نقض تبريراته* :

قال الكشي في معرفة الرجال :

[تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وابي عبد الله عليه السلام :

اجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الاولين من أصحاب أبي جعفر وابي عبد الله عليه السلام وانقادوا لهم بالفقه ، وقالوا :

أفقه الاولين ستة : زرارة ، ومعروف بن خربوذ وبريد العجلي ، وابو بصير الاسدي، والفضيل بن يسار ، ومحمد بن مسلم الطائفي . قالوا : وافقه الستة زرارة ، ... .

وقال : تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام .

اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء ، وتصديقهم لما يقولون، وأقروا لهم بالفقه من دون هؤلاء الستة الذين عددناهم وكتبناهم ستة نفر :

جميل بن دراج وعبد الله بن مسكان ، وعبد الله بن بكير ، وحماد بن عيسى، وحماد بن عثمان ، وابان بن عثمان .

قال : وزعم أبو اسحاق الفقيه يعني ثعلبة بن ميمون ان افقه هؤلاء ، جميل بن دراج وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله .

وقال : تسمية الفقهاء من أصحاب أبي ابراهيم ، وابي الحسن الرضا :

اجمع الاصحاب على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم فأقروا لهم

---

* قال مرتضى العسكري في كتابه (معالم المدرستين) :

تسرب مصطلح الاجتهاد والمجتهد – من مدرسة الخلفاء (أهل السنة) – إلى كتب أصول الفقه بمدرسة أهل البيت ، وإلى الاجازات التي يمنحها الشيوخ إلى تلامذتهم في رواية الحديث.

[معالم المدرستين / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٣٨٠]

أقول :

عزيزي القارئ ان دعوى التسرب هذه التي التزمها مرتضى هنا ليخرج بها التشابه الاصطلاحي بين السنة والشيعة ستجدها بارزة ومنفردة في كتبه .

إذ انها كانت كالمتنفس له عندما تخنقه كثرة الشبه والطعون على مذهبه وعلى اختياراته هو، ومنها موضوع البحث (عبد الله بن سبأ) .

بالفقه والعلم وهم ستة اخر . . .] [١].

أقول :

قال الخوئي عن هذا الاجماع :

[الأصل في دعوى الاجماع هذه هو الكشي في رجاله ، فقد قال في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام ، وأما من تأخر عن الكشي، فقد نقل عنه الاجماع ، أو أنه إدعى الاجماع تبعا له] [٢].

قال السيد محمد علي الابطحي :

[وهذا الأجماع إدعاه أبو عمرو الكشي في رجاله في تسمية الفقهاء من أصحابهم] [٣].

إذن فقد تبين من خلال الاعتماد على هذا الحديث ان السند لا اعتبار له عندما تكون الرواية خادمة لاغراضهم محققة لمصالحهم وكذلك الكتاب وصاحبه لا يطعن فيهما ولا يشكك في مصداقيتهما إذا ما كان المأخوذ منهما نافع ومفيد لهم ولمذهبهم .

اما إذا لم تكن الروايات صابة في مصالحهم ، خادمة لاغراضهم فستجد الضعف متطرق إليها ، والتشكيك في الكتاب وصاحبه حاضر وبسرعة ، كما ان السند سيكون هو الأصل والمعتمد والجوهر الذي لا يستغنى عنه .

فهذه الحادثة امامك ، فعلماء الشيعة عموماً وعلى رأسهم مرتضى العسكري يعتمدون على توثيق مجموعة من الأشخاص قد ذكرهم الكشي نفسه في كتابه وبدون سند – على خلاف بينهم في تحديد نوعية هذا التوثيق وكيفية تحققه–.

مع العلم ان هذا هو نفس السبب الذي على اساسه تم تضعيف روايات عبد الله بن سبأ ، فلا ندري كيف تتعاملون ؟

وما هو المنهج الذي تنتهجون ؟

واي طريق تسلكون ؟*

---

(١) [معالم المدرستين / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٣٨٠]

(٢) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ١ ص ٥٧ – ٥٨]

(٣) [تهذيب المقال – السيد محمد على الأبطحى ج ١ ص ١٢٧]

=

*** الاختلافات عند الشيعة أكبر وأعمق من الاختلافات عند غيرهم**

كثيراً ما نسمع من علماء الشيعة ان اصولهم وفروعهم مستقاة من أهل البيت ، وهم من هم في درايتهم في الدين وعلمهم به ، ولم ينفكوا عن طعنهم في بقية المذاهب بانهم لم يتمسكوا ويتبعوا طريق أهل البيت بل ضلوا وتاهوا وابتعدوا عنه ، فوقعوا في الاختلاف .

هذه الدعوى منهم يخالفها الواقع ، إذ انك ما ان ترجع إلى كتبهم واقوال علمائهم فانك ستجد عندهم من الاختلافات ما يفوق الذي عند غيرهم ، وهذا ما صرح به شيخ الطائفة عندهم الطوسي في كتابه (عدة الأصول) ، حيث قال :

[ومما يدل أيضاً على جواز العمل بهذه الأخبار التي أشرنا إليها ما ظهر من الفرقة المحقة من الاختلاف الصادر عن العمل بها فإني وجدتها مختلفة المذاهب في الأحكام.

ويفتي أحدهم بما لا يفتي صاحبه في جميع أبواب الفقه من الطهارة إلى باب الديات.

من العبادات والأحكام والمعاملات والفرائض وغير ذلك .

مثل اختلافهم في العدد والرؤية في الصوم .

واختلافهم في أن التلفظ بثلاث تطليقات ان يقع واحدة أو لا .

ومثل اختلافهم في باب الطهارة في مقدار الماء الذي لا ينجسه شيء .

ونحو اختلافهم في حد الكر .

ونحو اختلافهم في استئناف الماء الجديد لمسح الرأس والرجلين .

واختلافهم في اعتبار أقصى مدة النفاس .

واختلافهم في عدد فصول الأذان والإقامة .

وغير ذلك في سائر أبواب الفقه حتى أن باباً منه لا يسلم إلا وجدت العلماء من الطائفة مختلفة في مسائل منه أو مسائل متفاوتة الفتاوى] .

[العدة في أصول الفقه / الطوسي ج١ص١٣٧] [معجم رجال الخوئي / ج١ص٨٩]

وقال أيضاً :

[وقد ذكرت ما ورد عنهم عليهم السلام في الأحاديث المختلفة التي تختص الفقه في كتابي المعروف بالاستبصار وفي كتاب تهذيب الأحكام ، ما يزيد على خمسة آلاف حديث وذكرت في أكثرها اختلاف الطائفة في العمل بها وذلك أشهر من أن يخفى .

حتى إنك لو تأملت اختلافاتهم في هذه الأحكام وجدته يزيد على إختلاف أبي حنيفة، والشافعي، ومالك] .

[العدة في أصول الفقه / الطوسي ج١ص١٣٨] [معجم رجال الخوئي / ج١ص٨٩]

=

=

وقال في كتابه تهذيب الأحكام :

ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم.

وما وقع فيها من الاختلاف ، والتباين ، والمنافات ، والتضاد ، حتى لا يكاد يتفق خبر وإلا بإزائه ما يضاده .

ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا ، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا وذكروا أنه لم يزل شيوخكم السلف والخلف يطعنون على مخالفيهم بالاختلاف الذي يدينون الله تعالى به ويشنعون عليهم بافتراق كلمتهم في الفروع ويذكرون أن هذا مما لا يجوز أن يتعبد به الحكيم ولا أن يبيح العمل به الحليم .

وقد وجدناكم أشد إختلاف من مخالفيكم – أي أهل ألسنة – وأكثر تبايناً من مبانيكم، ووجود هذا الاختلاف منكم مع اعتقادكم بطلان ذلك دليل على بطلان الأصل .

حتى دخل على جماعة ممن ليس لهم قوة في العلم ولا بصيرة بوجوه النظر ومعاني الألفاظ شبه وكثير منهم رجع عن اعتقاد الحق – أي خرج من مذهب التشيع – لما اشتبه عليه الوجه في ذلك وعجز عن حل الشبه فيه.

سمعت شيخنا أبا عبد الله أيده الله يذكر أبا الحسين الهاروني العلوي كان يعتقد الحق ويدين بالإمامة – أي شيعي المذهب – فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث وترك المذهب ودان بغيره لما لم يتبين له وجوه المعاني فيها.

[مقدمة تهذيب الأحكام / الطوسي ج١ ص٢]

اختلاف شديد بين علماء الشيعة في توثيق الرجال

وبما ان كلامنا عن الرجال وتوثيقهم ينبغي الإشارة إلى ان هناك خلافاً كبيراً في المذهب الشيعي حول توثيق الرجال والضوابط المعتمدة في ذلك ، حاله في الاختلاف كحال غيره من القضايا التي اشرنا إليها ، وإلى ما يترتب على هذا الأمر من تصحيح للروايات والاخذ بها من عدمه ، حيث قال الشيخ علي الخاقاني عن هذا الخلاف في رجاله :

[اختلف علماؤنا في توثيق كثير من الرجال أو في الأكثر ، بل في كثير من الأعاظم، فترى هذا يوثق محمد بن سنان بل يجعله في أعلى درجات الوثاقة ، واخر يضعفه بل يجعله غالياً ، وكالمفضل بن عمر إلى غير ذلك] .

[رجال الخاقاني / علي الخاقاني ص ٨٢]

النتيجة

إذن مرتضى العسكري امعاناً في الابتعاد عن المنهجية المطلوبة في التطبيق نجده هنا قد خالف ادعاءاته التي أكثر من الدندنة حولها في ثلاثة مواضع :

الاول :

اعتماده على حديث يروى من دون سند ، مع انتقاصه للقمي الأشعري لأن رواياته غير مسندة .

الثاني :

نقله لهذا الحديث من كتاب الكشي ذلك الكتاب الذي حكم عليه بأنه مدسوس فيه وضعيف ، فهذه من جملة التناقضات التي وقع فيها مرتضى العسكري في بحثه هذا وما اكثرها .

الثالث :

ان هذا الحديث على الرغم من المنزلة التي هو عليها ومن الاهمية التي يحتلها لم يرد ذكره في الكتب الأربعة ، فهل يعني هذا انهم لم يعتمدوه ؟

واذا كانوا لم يعتمدوه ، فلماذا اعتمدته أنت وغيرك من أهل مذهبك ؟

وكم هي الروايات والاحاديث ذات الاهمية الكبرى عند الشيعة والتي لم يروها أصحاب هذه الكتب ؟

فكيف ستتعامل معها أنت وامثالك وما هو توجيهكم لها ؟

المثال الثاني

ان هناك امراً على جانب كبير من الاهمية يفرزه الحديث السابق- حديث الكشي- ذلك الحديث الذي اعتمد عليه مرتضى ، والكثير من علماء الشيعة في تحديدهم لاسماء الفقهاء أصحاب الإمام ، والذي اشبعوه نقاشاً في كتبهم مع العلم ان الحديث قد رواه الكشي في كتابه الضعيف حسب ادعاء مرتضى ، وقد تفرد بذكره ، ونقله من دون سند .

هذا الأمر هو تضمن هذا الحديث لراو من هؤلاء العصابة الموثقين على

درجة عالية من الشهرة هو (زرارة بن اعين) .

ولكي تتضح صورة هذا المثال ، وكيفية تناقضه ، وعدم انسجامه مع تبريرات مرتضى العسكري سنقوم باجراء مقارنة بين رجلين تعامل معهما مرتضى العسكري في كتبه ، لنرى منهجية هذا الرجل في الاثبات والنفي أولاً .

ولنضع اليد على التناقضات التي وقع فيها في بحثه ثانياً .

الرجل الأول كما ذكرنا هو (زرارة بن اعين) .

اما الثاني فهو : (سيف بن عمر) وعن طريق العرض لهما سيتم تحديد المطلوب.

سيف بن عمر

اما (سيف بن عمر) فهو أحد الرواة الذين حكم عليهم علماء أهل السنة بالضعف ورد جميع ما رواه إلا ما استثنوا في روايته للاخبار كما تبين ذلك مسبقاً ، لذلك لا تجد له أحاديث في كتب أهل السنة المعتمدة ، وإذا ما حصل ووجد حديث فإن الحكم عليه معلوم عندهم بالتضعيف وعدم اعتبار ما روى [*] .

اما جل ما نقل عنه فانما تجده في التواريخ والسير مما لا تاثير له مباشر

*** حديث ضعيف**

فإن اعترض معترض علينا بقوله ان الترمذي وهو صاحب أحد الكتب المعتمدة عند أهل السنة قد خرج رواية (لسيف بن عمر) ، فماذا تقولون في هذا ؟ وهل يناقض هذا ما ذهبتم إليه ؟

قلنا له ان هذا لا يناقض ما ذهبنا إليه ، بل على العكس يثبته ، ويقويه ، ويرسخه خصوصاً إذا ما علمت ان الترمذي نفسه قد ضعف ما خرجه لسيف ، وحكم عليه بالنكارة .

قال اسد حيدر (الشيعي) في كتابه (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) ، وهو يبين حكم الترمذي بالضعف على هذا الحديث :

ربما يقال ان سيف بن عمر خرج له الترمذي ، وروى له في صحيحة ، فيظن ان له أحاديث في الأحكام وغيرها ، أو ان الترمذي صحح حديثه ، وبهذا يثبت من يريد ان يخلق لسيف بن عمر شخصية يوثق بها .

ولكن الترمذي لم يرو له إلا حديثاً واحداً ، وقال بعد ان ذكره : وهذا الحديث منكر. فبهذا فهو ساقط عن الاعتبار .

على أصول وفروع أهل السنة ، وزيادة في تاكيد ما ذكرنا ولاجل اثباته على ما ذكرنا سننقل لكم أقوال علماء الرجال من أهل السنة في (سيف بن عمر) وحكمهم الصريح فيه :

سيف بن عمر (الضعيف)

* قال يحيى بن معين : ضعيف الحديث فليس خير منه .
* قال أبو داود : ليس بشئ ، كذاب .
* قال النسائي صاحب الصحيح : ضعيف متروك الحديث ، ليس بثقة ، ولا مأمون.
* قال ابن أبي حاتم : متروك الحديث .
* قال ابن السكن : ضعيف .
* قال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الاثبات ، أتهم بالزندقة ، وقال: قالوا: كان يضع الحديث .
* قال ابن عدي : ضعيف ، بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها.
* قال الحاكم : متروك ، أتهم بالزندقة .
* قال الفيروز آبادي : صاحب تواليف ، وذكره مع غيره وقال عنهم : ضعفاء.
* قال ابن حجر بعد إيراد حديث ورد في سنده اسمه : فيه ضعفاء أشدهم سيف.
* قال صفي الدين : ضعفوه ، له في الترمذي فرد حديث .

هذا رأي العلماء مدى العصور في سيف وأحاديثه[١].

ثم زادوا على ذلك حكماً اخر يتعلق به من جهة كونه اخبارياً لا محدثاً :

* قال الذهبي : كان اخبارياً عارفاً [٢].
* قال ابن حجر : ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ ، وقد افحش ابن حبان القول فيه [٣].

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ١ ص ٧٤]
(٢) [ميزان الاعتدال / الذهبي ج٢ ص ٢٥٥]
(٣) [تقريب التهذيب / ابن حجر ج١ ص ٣٤٤]

مرتضى أعطى وزناً لسيف اكبر من حجمه

أقول :

إذن هذه أقوال علماء أهل السنة التي بها حكموا على هذا الرجل ، والتي يتبين منها بما لا مجال للشك فيه ان هذا الرجل لا قيمة له ، ولا وزن عندهم ، وانه ساقط في الاعتبار حديثياً ، والحكم على الروايات الواردة عن طريقه باعتبار كونه محدثاً ، معلوم مما ورد في حاله مما تناقله أهل الاختصاص في علم الرجال .

هذا الرجل الذي صورته عند أهل الجرح والتعديل ما توضحت لك من خلال المنقول عنه في حقه ، والذي تعلم لكل طالب علم حقيقته التي هو عليها ، نجد ان مرتضى العسكري قد أكثر من الكلام عنه بما لا يمكن قبوله ، ولا يتناسب مع مكانته التي يحتلها ، واقامه مقام التضخيم ، واعلاء الشأن وكأن (سيف بن عمر) قد صار هو المرجع في تحديد أخبار التاريخ ، والذي عليه التعويل في اثباتها ونفيها ، واضعاً مرتضى نفسه موضع الحاكم والقاضي المنفرد باتخاذ القرارات والذي عليه التعويل في معرفة احوال الرجال والمقبول من حالهم والمردود ، لذا فإن مرتضى العسكري قد قام بتخصيص أكثر كتابه هذا للراوي (سيف بن عمر) ، وللاحاديث والاخبار التي جاءت عن طريقه ، ولم يكتف بهذا بل قام بمناقشتها ، والبحث في مداليلها ، مع انها في نفسها أمور ثابتة يحاول هو ابراز نفيها وعدم امكانية ثبوتها .

وفسر الماء بعد الجهد بالماء

وهو في عمله هذا الذي اشغل نفسه به ، واتعب غيره معه ، والذي كلف الاموال الطائلة في طباعته ونشره ، وضيع الاوقات الكثيرة في أمر مفرغ منه، وشكك الناس في قضايا هي في حكم المرفوضة ، ان لم تكن مرفوضة لا يخرج عمن قام بتحصيل الحاصل الذي يقال عنه في المثل المشهور : (وفسر الماء بعد الجهد بالماء) ، وذلك انك إذا رجعت إلى أهل الاختصاص العالمين بالشأن فانك ستجد ضالتك ولن تحتاج لا إلى مرتضى ولا إلى غيره في معرفة الحكم على سيف والقول الفصل فيه ، وكذلك معرفة ما يقبل من الروايات عنه وما يرفض .

فسيف هذا الذي حاول مرتضى تفخيم صورته إلى درجة اعتباره المصدر الوحيد والمرجع المتفرد في إثبات حوادث التاريخ والشخصيات التي حلت فيه على الرغم من اعتبار العلماء له في التاريخ ، فانك إذا ما توجهت إلى جميع ما ذكره مرتضى هنا – بخصوص سيف بن عمر ورواياته (اعني أخبار عبد الله ابن سبأ ، وحادثة السقيفة ، والشورى ، وحروب الردة ... إلى اخر ما ذكره مرتضى) – والقيته في البحر ، أو احرقته في النار ، وكذلك الحكم على كل كتب (سيف بن عمر) وكل ما نقله عنه أصحاب التواريخ والسير بهذا الحكم، فإنه لن يضر شيئاً ، ولن يقدم أو يؤخر *.

*** علماء الشيعة يردون على مرتضى**

ان الشيعة انفسهم عارضوا مرتضى في توجهه هذا من ربطه بالحوادث كلها بـ(سيف) منطلقين من مقتضيات مذهبهم القاضية بأن هذه الحوادث لا تأثير ايجابي من ورائها لا على الإسلام ولا على مذهبهم ، مما يثبت ما ذكرناه من ان مرتضى سعى بتسقيط (سيف) لتحقيق غرضه في إثبات قوله والطعن غير المباشر أو المباشر بالتاريخ ، عموماً يقول محمد علي المعلم راداً على مرتضى توجهه هذا :

[على اننا نقول ما قيمة هذه الحروب التي سميت بحروب الردة ؟ وهل كانت مشروعة من الأساس ؟ وهل كانت في خدمة الإسلام ، أو انها لتوطيد زعامة الحزب الحاكم ؟] .

ثم اكد انتفاء تأثير (سيف) على أصل هذه الحروب والحوادث التي ارخها بتصريحه بأنه لم يكن سبباً لاضفاء الشرعية أو القبول على هذه المجريات حينما قال:

[اليست جرائم خالد بن الوليد وصمة عار في تاريخ تلك الفترة – حروب الردة – كما هو رأي السيد العسكري فيما نعتقد ، وكانت لتوطيد زعامة الحزب الحاكم ؟ وهل يغسل ذلك العار قولنا ان تلك الحروب لم تكن كما صورها سيف في رواياته ؟

[عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٩٩ – ١٠١]

أقول :

حروب الردة عار على الإسلام والمسلمين يدعي المعلم !!

ان هذا الذي ذكره المعلم يمثل نظرة الشيعة الحقيقية والواقعية لحروب الردة وللفتوحات التي اجراها الله على ايدي الصحابة ، فهم يعتبرونها حروباً غرضية لتحقيق مصالح الحكام وللوصول إلى اغراض دنيوية كما انهم ينظرون إلى ما قدمه ابطال الإسلام نظرة ازدراء واحتقار اوصلتهم إلى اعتبار ما قاموا به نوعاً من انواع (العار) الذي لا يمكن ان يغسل .

فاي حقد على ذلك الجيل يحمله صدر هؤلاء لهم ؟ ! واي كره وبغض يكنون لهم ؟! نعوذ بالله من الخذلان !!

ذلك لأن ما يرويه ان كان قد تفرد به فهو معتبر وعليه الاعتماد في ما يتعلق بالتاريخ بشروط الرجاليون ، وضوابط اصلوها وساروا عليها ، اما غيرها من الروايات المتعلقة بعقائد الناس ودينهم فهي غير معتبره عندهم ، ولا اعتماد عليها مطلقاً .

اما ان كان الذي يرويه أمر مشهور له تاثير واثر ، فلا استقلالية له في روايته – كما اثبت مرتضى نفسه هذه الحقيقة في كتابه عندما حاول ضرب روايات سيف عرض الحائط – ، وهناك من الطرق الصحيحة والمعتبرة ما بها يكون إثبات مثل هكذا أمور فروايته والحال هكذا لا تخرج عن كونها عاضداً، أو مقوياً ، أو مؤكداً .

مرتضى تسلل عن طريق سيف بن عمر للطعن بأهل السنة

ان هذا التعامل من مرتضى العسكري مع سيف بن عمر والاكثار من الكلام حوله وحول رواياته ، ليس امراً اعتباطياً ، وانما هو أمر مقصود من قبل مرتضى العسكري يسعى من خلاله إلى ترسيخ امرين في اذهان الناس :

الأول :

توصله عن طريق عرضه هذا إلى الحكم على التاريخ الاسلامي – وخصوصاً ما يتعلق باهل السنة – المنقول في الكتب بأنه تاريخ مشوه ، ومحرف ، وفيه ما فيه من انواع الدس ، والتلاعب على اختلاف اهمية الحوادث فيه ، ودرجاتها من حيث تأثيرها على مجريات التاريخ ، وجاء (بسيف بن عمر) كدليل وعلامة لإثبات مدعاه هذا عن طريق تلاعبه باقوال علماء الجرح والتعديل المبينة لحال سيف بن عمر ، ووضعها في المكان غير المخصص لها ، فهو أخذ اقوالهم فيه القاضية عليه بكونه محدثاً وطبقها عملياً على شخصه حال كونه اخبارياً ليتسلل بهذا التلاعب إلى ساحة أهل السنة ويتوصل إلى الطعن بالوارد عنهم والموجود عندهم من أخبار .

الثاني :

جعله من هذا الأمر ذريعة ، وتخريجاً حاضراً لرد وانكار أي حادثة أو قضية تاريخية لا تخدم اغراضه ، ولا تنسجم مع مصالحه ، فإذا ما وجدت هكذا

قضية والزم هو بها أو غيره من امثاله فنقضها سيكون حاضراً عنده وهو وجود التحريف والتشويه في التاريخ والذي لا يمكن معه التسليم بالمنقول فيه ولا الاعتماد عليه .

هذا ما اردنا بيانه في عرضنا للرجل الأول والذي أكثر من تناوله مرتضى العسكري ، وتبين لك من خلال هذا العرض المقاصد والمرامي التي يسعى مرتضى العسكري لترسيخها وتثبيتها عن طريق استغلال أقوال علماء أهل السنة استغلالاً مجحفاً ، والتعامل معها تعاملاً ظالماً وتعسفياً بتحميلها ما لا تحتمل، وبوضعها في الاماكن غير المخصصة لها ، وبتوجيهها الوجهات الخاطئة البعيدة كل البعد عن مقصدها التي سيقت لاجله .

زرارة بن اعين (الثقة)

ننتقل الآن إلى الرجل الثاني المدعو (زرارة بن اعين) هذا الرجل الذي يعتبر عمدة للشيعة في كتبهم الحديثية ، وعليه تدور آلاف الروايات ولا يمكن ان يستغنى عنه مطلقاً عند علماء الشيعة ، هذا الرجل الذي سننقل لكم أقوال علماء الشيعة فيه لأجل إثبات حكمهم عليه :

*** قال النجاشي :**

شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم ، وكان قارئا فقيها متكلما شاعرا أديبا ، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين ، صادقا فيما يرويه .

*** وقال الشيخ :**

زرارة بن أعين الشيباني ، ثقة ، روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

* وعده البرقي أيضا في أصحاب الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام .

* قال الكشي في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر ، وأبي عبدالله عليهما السلام : إجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الاولين من أصحاب أبي جعفر وأصحاب أبي عبدالله عليه السلام ، وانقادوا لهم بالفقه ، فقالوا : أفقه الاولين ستة : زرارة ومعروف بن خربوذ ، وبريد ، وأبو بصير الاسدي ، والفضيل بن يسار، ومحمد

بن مسلم الطائفي . قالوا : وأفقه الستة زرارة [١].

لولا زرارة لاندرست آثار النبوة

أقول :

بعد هذا العرض لأقوال علماء الشيعة في حكمهم على هذا الرجل تبين لكم الحال التي هو عليها من التقدم ، والصدارة ، والمنزلة التي يحتلها في كونه عمدة عند الشيعة في المذهب لا يمكن ان يستغنى عنه مطلقاً .

ونظراً لما عليه هذا الرجل من منزلة رفيعة وعالية عند الشيعة نجد اقوالاً للمعصوم عنه تمجده وتعلي شأنه ، قال المعصوم :

لولا زرارة ونظراؤه ، لاندرست أحاديث أبي عليه السلام [٢].

ولولا زرارة ، لاندرست آثار النبوة ؟!! [٣].

اسقاط زرارة يعني إسقاط قدر كبير من مذهب الشيعة

إذن فالثابت عند الشيعة توثيق هذا الرجل ، والاعتماد عليه فيما يرويه ، كما ان الثابت عندهم انه على اهمية عالية ، وقدر كبير بحيث انه لا يستغنى عنه مطلقاً فهو راوٍ لكمٍ كبيرٍ من الأخبار والاحاديث عن الإمام وباسقاطه يتم تسقيط هذه الروايات التي قد وصل عددها كما احصاها الشيعة انفسهم إلى (٢٠٩٤) رواية ، قال الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث :

[وقع في عنوان زرارة في اسناد كثير من الروايات التي تبلغ (٢٠٩٤) مورداً] [٤].

بعد هذا التأصيل الذي اوضحنا فيه الخلاف بين (سيف بن عمر) وحكمه عند أهل السنة و (زرارة) والحكم عليه عند الشيعة .

ننتقل إلى الموضوع الاهم والذي عليه يدور انتقادنا لمرتضى ، ونقاشنا معه والمتمثل بتطبيق ضوابطه التي وضعها واصوله التي اعتمدها في إثبات

---

(١) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ٨ ص ٢٢٥]

(٢) [معرفة اختيار الرجال / الطوسي ج ١ ص ٣٤٨]

(٣) [معرفة اختيار الرجال / الطوسي ج ١ ص ٣٩٨]

(٤) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ٨ ص ٢٤٩]

الروايات ونفيها – اقصد هنا اعتماده على قواعد خاصة به انكر من خلالها وجود شخص عبد الله بن سبأ – ، على (زرارة بن اعين) لنرى ما هو الأثر الناتج عن هذا التطبيق وهل يقبل به أو يكون له توجيه اخر .

زرارة وقواعد مرتضى العسكري

لقد وضع مرتضى العسكري في كتابه هذا لنفسه قواعد خاصة ، وضوابط انتهجها هو ليتوصل من خلالها إلى إثبات دعاويه ، ونفي القضايا التي لا تخدمه ولا ترضيه ، ومن بين هذه القواعد والتي هي في اصلها تبريرات تسقيطه لكتاب الكشي ، ورده للروايات غير المسندة ، مع عدم اعتباره واعتماده للروايات التي لم تخرجها أصحاب الكتب الأربعة .

وبالانتقال إلى (زرارة بن اعين) وفي البحث عن الكيفية التي عن طريقها تم توثيقه ، وبالرجوع إلى الروايات التي تتكلم عن هذا الشخص الذي ابرزنا لك اهميته ، ومنزلته سنجد امامنا مايلي :

ان الروايات الواردة عن الأئمة سواء منها المادحة لزرارة ، أو الذامة له، وكذلك المخرجه لهذا الذم قد وردت في كتاب الكشي – الضعيف عند مرتضى– حصراً [*] ، دون بقية الكتب .

---

* ان كان هناك وجود لبعض روايات وردت في سياق بعض الكتب – غير كتاب الكشي – فيها مدح وتوثيق لزرارة فإن هذا لن يقدح بالحكم الذي اصلناه .

بدليل ان الخوئي لم يات بغير روايات الكشي لأجل توثيق زرارة ، كذلك انها من النوادر غير المقصود ايرادها ، وعندئذ لا عبرة بها ، ومنها :

[عن يحيى بن حبيب قال سألت الرضا : عن افضل ما يتقرب به العباد إلى الله تعالى من الصلاة قال : ستة وأربعون ركعة فرائضه ونوافله ، قلت : هذه رواية زرارة، قال: أو ترى أحدا كان اصدع بالحق منه ؟!] .

[تهذيب الأحكام / الطوسي ج٢ ص ٦]

[عن ابى الحسن موسى بن جعفر ، قال : ذكر بين يديه زرارة بن اعين ، فقال : والله انى لاستوهبه من ربى يوم القيامة فيهبه لى ، ويحك ان زرارة بن اعين ابغض عدونا في الله ، واحب ولينا في الله] .

[كمال الدين واتمام العمة / الصدوق ص ٧٤]

ولكثرة هذه الروايات ولتشعب ، وتنوع دلالتها وامعاناً في بيان هذه الحقيقة سنقوم بعرض ما ذكرناه بشيء من التفصيل :

التوثيق الوحيد لزرارة عن طريق كتاب الكشي الضعيف عند مرتضى

عند التتبع لما ورد في كتاب الكشي من روايات بحق زرارة نجد كما ذكرنا انها على ثلاثة انواع :

١- الروايات المادحة .

٢- الروايات الذامة .

٣- الروايات المخرجة للذم .

ولاجل بيان مصاديق هذه الانواع سأبادر بنقل نماذج منها متبعاً اياها بالاحكام التي الحقها بها آية الله الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث ، ثم بعد ذلك نستخلص منها المنهج والمرادات :

الروايات المادحة

هناك ترجمة طويلة لزرراة في معجم رجال الحديث للخوئي تتناسب مع الاهمية التي يحتلها هذا الرجل ، تناول فيها سرد الروايات التي تمدحه والبالغة (٢٠) رواية سانقل لكم منها ما يلي :

* سمعت أبا عبدالله ، يقول : بشر المخبتين بالجنة : بريد بن معاوية العجلي، وأبا بصير ليث بن البختري المرادي ، ومحمد بن مسلم ، وزرارة ، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست.

* أن أصحاب أبي كانوا زينا أحياء وأمواتا ، أعني زرارة ، ومحمد بن مسلم، ومنهم : ليث المرادي وبريد العجلي ، هؤلاء ، القوامون بالقسط ، القوالون بالصدق ، وهؤلاء السابقون ، أولئك المقربون .

* عن زرارة ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا زرارة إن اسمك في أسامي أهل الجنة بغير ألف . قلت : نعم ، جعلت فداك اسمي : عبد ربه ولكني لقبت بزرارة .

* عن أبي بصير ، قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : إن أباك حدثني أن أبا ذر والمقداد وسلمان الفارسي حلقوا رؤوسهم ليقاتلوا أبا بكر . فقال لي : لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب .

* عن أبي العباس الفضل بن عبدالملك ، قال : سمعت أبا عبدالله يقول : أحب الناس إلى أحياء وأمواتا أربعة : بريد بن معاوية العجلي ، وزرارة ، ومحمد بن مسلم ، والاحول وهم أحب الناس إلي أحياء وأمواتا .

* عن إبراهيم بن عبدالحميد وغيره ، قالوا : قال أبو عبد الله عليه السلام : رحم الله زرارة بن أعين ، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي عليه السلام .

* عن أبي عبيدة الحذاء ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : زرارة ، وأبو بصير ، ومحمد بن مسلم ، وبريد من الذين قال الله تعالى : (والسابقون السابقون أولئك المقربون) .

* عن سليمان بن خالد الاقطع ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما أجد أحدا أحيى ذكرنا وأحاديث أبي إلا زرارة ، وأبو بصير ليث المرادي ، ومحمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية العجلي ، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا .

هؤلاء حفاظ الدين ، وأمناء أبي على حلال الله وحرامه ، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة .

* عن الحسين بن زرارة ، قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : إن أبي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : جعلني الله فداك ، إنه لا يزال الرجل والرجلان يقدمان فيذكران أنك ذكرتني وقلت في ؟ فقال : اقرأ أباك السلام وقل له : أنا والله أحب لك الخير في الدنيا ، وأحب لك الخير في الآخرة ، وأنا والله عنك راض فما تبالي ما قال الناس بعد هذا .

* عن يحيى بن محمد أبي حبيب ، قال : سألت الرضا عليه السلام ، عن أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله من صلاته ، فقال : ست وأربعون ركعة فرائضه ونوافله. فقلت : هذه رواية زرارة . فقال : أترى أحدا كان أصدع بحق من زرارة [١].

---

(١) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ٨ ص ٢٣١]

وبعد ان قام الخوئي بسرد الروايات اصدر في حقها حكماً من غير ان يناقش سنداً واحداً لهذه الروايات هذا الحكم صرح به بقوله :

[هذه الروايات مستفيضة ، على ان جملة منها صحاح] [١].

اية الله الخوئي حكم على الروايات المادحة اجمالاً ومن دون تحقيق

أقول :

هذا الذي ذكره الخوئي هنا من حكم على الروايات المادحة لزرارة بكونها صحيحة ، مع عدم التحقيق العلمي لها دفعه إليه المنزلة التي يحتلها زرارة عندهم ، والعدد الكبير من الروايات التي جاءت عن طريقه لذا فالحكم الذي ينبغي ان يثبت له بغض النظر عن الواقع الحقيقي هو التوثيق والتعديل وعدم امكانية التضعيف والتسقيط .

وهذا ديدن عام للشيعة في الحكم على الروايات التي تترتب عليها مصالح لهم، تثبيتاً لما يخدم اغراضهم ، ويتماشى مع تحقيق مصالحهم ، وهذا المنهج سيتضح لك اطراده من خلال العرض المتناول في كيفية تعاملهم مع الروايات وقضايا التاريخ ، وكذلك يتضح مما فعله مرتضى العسكري مع روايات الكشي التي تثبت وجود شخص (عبد الله بن سبأ) كما سيتبين لك لاحقاً .

الروايات الذامة

هذه الروايات نجد فيها كثرة قد تصل إلى الضعف من روايات المدح فقد ذكر الخوئي (٣٦) رواية كلها تصب في ذم زرارة ، ونظراً للاثر الخطير الذي قد ينبني على هذه الروايات نجد من الخوئي تضعيفاً لجميعها إلا ما امتنع عنه هذا التضعيف وهو رواية أو روايتان اضطره الأمر فيها إلى التأويل ، والبحث عن المخارج لصرف مدلولها عن ظاهره .

وكما ذكرت ، وكما هو واضح عندكم ان هذه الروايات الذامة كثيرة جداً وهي مع كثرتها نجد فيها تنوعاً لكيفية الذم الذي تدل عليه ، وهذا ما اضطر الخوئي إلى تقسيمها إلى ثلاثة اقسام عندما عالجها ، وإليك طريقة تعامل الخوئي

(١) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ٨ ص ٢٢٩]

مع هذه الروايات :

قال المحقق الخوئي :

أما الروايات الذامة فهي على ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى :

ما دلت على ان زرارة كان شاكاً في إمامة الكاظم ، فإنه لما توفي الصادق بعث ابنه عبيداً إلى المدينة ليختبر أمر الإمامة ، وانه لعبد الله ، أو للكاظم وانه مات قبل ان يرجع إليه عبيد ، وذكر منها ست روايات ، وقال : وغيرها من الروايات التي ذكرها الكشي .

وقد ناقش سند هذه الروايات وضعفها جميعها ، وحاول الدفاع عن زرارة وتبرير فعله فقال :

هذه الروايات لا تدل على وهن ومهانة في زرارة لأن الواجب على كل مكلف ان يعرف إمام زمانه ولا يجب معرفة الإمام من بعده .... إلى أخر دفاعه* .

*** زرارة لا يعرف إمام زمانه**

أقول :

إذا كان زرارة الذي يعد من خواص الإمام جعفر الصادق ومن اقرب المقربين إليه لا يعرف من هو الإمام بعده فمن يعرف الإمام إذن ؟

فهل يعرفه المسلم الذي يعيش في قرية من قرى الشام أو خراسان أو الأندلس ؟

وكيف تقام الحجة على هذا المسلم إذا كان اقرب المقربين إليه لا يعرف من هو الإمام؟

ومتى يصل له هذا العلم بالإمام الجديد ؟

وهذا التبرير من الخوئي يخالف ما عليه علماء الإمامية الذين ذكروا بأن هناك روايات صحيحة ذكرت أسماء الأئمة واحداً بعد الأخر وقد نزل بها جبريل إلى النبيﷺ من السماء .

علماء الشيعة يخالفون الخوئي

* يقول عبد الله شبر :

[استفاضت الأخبار بين الفريقين من ان النبي ﷺ قد نص على خلفائه الاثنى عشر واحداً بعد واحد باسمائهم ، وان جبريل نزل بصحيفة من السماء فيها أسماؤهم واحداً بعد واحد] .

[مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار / عبد الله شبر ج١ ص ٣٤]

=

الطائفة الثانية :

الروايات الدالة على ان زرارة قد صدر منه ما ينافي إيمانه (ذكر منها سبع روايات) فضعف منها ست روايات وقال عن السابعة :

لا تدل على وهن في زرارة بعد تسليمه لما قاله الإمام .

الطائفة الثالثة :

ما ورد فيها قدح زرارة من الإمام (ذكر الخوئي منها ٢٤ رواية) ضعفها جميعها .

وقال : والجواب عن هذه الروايات : انه لم يثبت صدور أكثرها من المعصوم من جهة ضعف إسنادها .

واما ما ثبت صدوره فلا بد من حمله على التقية ، وأنه سلام الله عليه إنما

=

أقول :

فلمن نزلت هذه الصحيفة ؟ ولماذا أخفيت عن المسلمين ؟ ومن الذي اطلع عليها منهم ؟ وما جدوى حصر تداولها بين الأئمة الاثنى عشر ؟

ان لم نقل بوجوب الإطلاع عليها من قبل عموم من المسلمين لتقام الحجة عليهم بها أمام الله يوم القيامة ، لأن الله لم ينص عليهم في كتابه العزيز ، فعلى اقل تقدير ان يطلع عليها خواص الأئمة وعلى رأسهم زرارة ، ليقوموا بتبليغها للناس وايصالها لهم.

* أورد قول الخوئي السابق بحق زرارة الشيخ حميد الزيدي البغدادي ، حيث قال :

[وهذا غريب ، فإننا لسنا في مقام المجادلة حتى تطرح مثل هذه الاجوبة ، فإن زرارة الذي هو اقرب أصحاب الامامين الباقر والصادق لا شك في اطلاعه على الإمام بعد الإمام الصادق خصوصاً مع وجود روايات عن الرسول تذكرهم باسمائهم .

لذا فهو احتمال لا ياتي بحق زرارة الذي هو من المخبتين ولولاه لاندرست آثار النبوة ، وانه احب أصحاب الإمام الصادق إليه حياً وميتاً مع ثلة من اصحابهم] .

[دراسات في علم الرجال / الشيخ حميد الزيدي البغدادي ص٧٥]

لولا زرارة لاندرست آثار النبوة ؟!!

أقول :

تصور عزيزي القارئ انه لولا زرارة لاندرست آثار النبوة ؟!!

فالله سبحانه وتعالى جعل من زرارة الحافظ على دينه !!! فماذا فعل النبيﷺ لهذه الأمة ، وما فعل معصومو الشيعة ؟ اتركوا الأمة لتحفظ دينها لكذابين ملعونين من أمثال زرارة؟

عاب زرارة لا لبيان أمر واقع بل شفقة عليه واهتماماً بشأنه * .

* أقول :

ان تخريجه هذا حكم جزافي إذ انه لا يمكن تطبيقه واقعاً ، وإليك دليلاً على هذا الأمر ، يتمثل بورود روايتين صحيحتين اوردهما الكشي في كتابه تذمان زرارة باعتراف علماء الشيعة ، ولا يمكن حملهما على تخريج الخوئي لانها تتعلق باختيار زرارة وقوله لا بشخصه، وإليك البيان :

الرواية الأولى :

عن هشام بن إبراهيم المشرقي قال : قال لي أبو الحسن الخراساني : كيف تقولون في الاستطاعة بعد يونس ؟ فذهب فيها مذهب زرارة ومذهب زرارة هو الخطأ ؛ فقلت : لا ولكنه – بأبي أنت وأمي – ما يقول زرارة في الاستطاعة، وقول زرارة هم قدر، ونحن منه برآء ، وليس من دين آبائك ، قال : فبأي شئ تقولون ؟ قلت : بقول أبي عبد الله ، وسئل عن قول الله عزوجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلاً ﴾ ما استطاعته ؟ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : صحته وماله ، فنحن بقول أبي عبد الله عليه السلام نأخذ ، قال : صدق أبو عبد الله عليه السلام هذا هو الحق .

أقول :

هذه الرواية التي بين ايدينا ذكرها الخوئي في معجمه تحت الطائفة الثالثة من الروايات الذامة، وقد اوردها الكشي في كتابه .

وانطلاقاً من منهج الخوئي الذي نوهنا عنه فإنه لم يتكلم عن سندها بل تركها من دون تعليق عكس الروايات الباقية ، وهذا منهج مقصود منه .

فهذه الرواية اوردها المجلسي في كتابه بحار الأنوار بالرقم (٧٠) ، وحكم عليها (اية الله محمد آصف محسني) الذي حقق كتاب بحار الأنوار في كتابه (مشرعة بحار الأنوار) بالصحة معلقاً عليها في الهامش قائلاً :

[فيه – أي الحديث – ذم زرارة فلا بد من تأويله للمعارض ، وكذا فيما بعده– الحديث– برقم (٧٢)] .

آية الله آصف محسني يصحح رواية وآية الله الخوئي يضعفها

وأقول :

فآية الله محسني وجه لتأويل الذم لا لتخريجه ، بمعنى ان نفسره تفسيراً غير الظاهر منه ، وهذا بخلاف قول الخوئي فهو قد اقر بالمعنى الظاهر لكنه خرجه على التقية .

وكذا الحال مع الرواية الثانية التي ذكرها صاحب البحار بالرقم (٧٢) ، إذ انها أيضاً لا يمكن ان تخرج وفق ادعاء الخوئي على الحكم بصحتها وهو الذي ذهب إليه المحقق محمد =

اشارات إلى منهج الخوئي

ان مما يبرز جلياً للمطلع هو الفرق في التعامل ما بين الروايات المادحة لزرارة والذامة له عند الخوئي ، فالروايات الذامة قام الخوئي بتحقيق اسانيدها والحكم عليها الحكم المناسب المترتب على هذا التحقيق والذي كان الضعف لهذه الروايات لوجود العلة القاضية به .

اما ما انتفت عنه العلة المضعفة فلم يتطرق إليها ، ولم يشر إلى الأحكام المترتبة عليها بل اغفل هذا الأمر فكانها غير موجودة ، وذلك لانها صحيحة سنداً ولا يمكن حمل متنها على تخريجاته ، كما ذكرنا في الروايتين السابقتين .

=

آصف محسني ، خلافاً لما ذهب إليه الخوئي في قوله بتضعيفها ، وإليك نصها :

الرواية الثانية :

عن حريز ، قال : خرجت إلى فارس ، وخرج معنا محمد الحلبي إلى مكة، فاتفق قدومنا جميعا إلى حنين ، فسألت الحلبي فقلت له : أطرفنا بشئ .

قال : نعم جئتك بما تكره ، قلت لابي عبد الله عليه السلام : ما تقول في الاستطاعة ؟ فقال : ليس من ديني ولا من دين آبائي ، فقلت : الآن ثلج عن صدري والله لا أعود لهم مريضا ، ولا أشيع لم جنازة ، ولا أعطيهم شيئا من زكاة مالي .

قال : فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالسا وقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه الكلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام : كان أبي عليه السلام يقول : أولئك قوم حرم الله وجوههم على النار، فقلت : جعلت فداك وكيف قلت لي : ليس من ديني ولا من دين آبائى ؟ قال : إنما أعني بذلك قول زرارة وأشباهه .

أقول :

ان هذه المعالجة للخوئي لتلكم الروايات تقدح قدحاً مؤكداً في تحقيقه وفي توجيهاته وكذلك في استيعابه البحثي في القضايا التي طرحها للبحث ، ولتفادي وقوعه في إثبات الأحكام ضده نجد منه اصداراً لاحكام اجمالية دون تفصيل وهذا ما اتضح لك من خلال هذين المثالين السابقين .

راجع هذه الروايات ، والأقوال في :

[رجال الكشي / الكشي ص ١٥٩] [معجم رجال الحديث / الخوئي ج ٨ ص ٢٤٦] [مشرعة بحار الأنوار/ محمد آصف محسني ج١ ص ١٣٨] [بحار الأنوار / المجلسي ج ٥ ص ٤٤] .

وبالانتقال إلى الروايات المادحة فإننا سنفاجأ بانتفاء التحقيق أصلاً لهذه الروايات ، ذلك التحقيق الذي به يتميز ما صح منها وما ضعف بل اكتفى بالحكم عليها اجمالاً من دون بيانٍ لعدد الصحيح منها أو للضعيف ، وذلك الفعل منه أمر مقصود يرمي منه تحقيق ما ياتي :

أولاً :

الروايات الصحيحة قليلة جداً

قد تكون نسبة الصحيح من الروايات متدنية جداً ، مع انتفاء النص الصريح في المدح عنها ، ولذلك أعرض عن التفصيل حتى لا يقع في هذا الإشكال الذي لا يصل فيه إلى حكم جازم ملزم .

ثانياً :

لم يفصل في المناقشة خوفاً من الوقوع في الاشكالات

ان حكمه التفصيلي على الروايات الذامة قد يتقاطع مع حكمه على الروايات المادحة وذلك لاشتراكهما في نفس العلة المؤدية إلى الضعف ، وإذا ما ثبت هذا فسيشكل عائقاً كبيراً معه في الفرز والتوجيه ومن ثم إثبات الأحكام .

وخروجاً من هذا الإشكال ، أو المطب الذي قد يقع فيه اكتفى بالحكم الاجمالي على الروايات المادحة ، وفصل القول في الحكم على الروايات الذامة .

هذا الفعل لم ينفرد فيه الخوئي فقط

وهذا الفعل الذي صدر من الخوئي ليس خاصاً به في تعامله مع الروايات المادحة والذامة بحق (زرارة) ولكن شاركه فيه غيره ممن خشي أيضاً ان يقع في نفس الاشكالات والمطاب التي خشي ان يقع فيها الخوئي .

ومن هؤلاء الشيخ حميد الزبيدي البغدادي في كتابه : (دراسات في علم الرجال) حيث انه خصص في كتابه هذا أكثر من (٥٠) صفحة للتعريف بزرارة عن طريق ايراده للمتعلق به من روايات المدح والذم واكتفى فقط بسرد روايات المدح من دون ان يناقشها سنداً .

اما روايات الذم فقد ناقشها سنداً ، وناقشها من وجهة النظر العقدية وهذا هو عين ما فعله الخوئي في تعامله مع الروايات الواردة في حق زرارة [١].

إذن فالمنهج الذي ينطلق منه الخوئي وغيره هو البحث عن تثبيت وتأصيل فقط لحكم مسبق عندهم إذ الحكم على هذا الرجل (زرارة) ثابت مسبق ، والفعل هنا منهم لا يخرج عن كونه محاولة للتدليل على هذا الحكم .

ولهذا السبب نرى التخبط واضحاً في البحث ، والمنهجية ، ونرى انتقائية غرضية مصلحية في الأحكام ومقدماتها ، ونرى عدم اطراد للقواعد والضوابط المعتمدة في التطبيق والمعالجة ، وهذا كما وقع فيه الخوئي والبغدادي هنا فهو مسلك عام لعلماء الشيعة ، ومنهم مرتضى العسكري كما سيتبين .

لعْنُ الصادق لزرارة

بعد هذا العرض للاقسام الثلاثة التي جعل منها الخوئي عناوين للروايات الذامة لزرارة ، نسوق لك بعضاً منها ذكرها الخوئي في كتابه ، وذكرها غيره من علماء الشيعة وهي كلها مروية عن أئمة أهل البيت وعلى رأسهم الصادق لترتسم في ذهنك الصورة التي وردت عليها طبيعة الطعن لزرارة :

*** روى الكشي :**

ان الإمام الصادق عليه السلام سأل أحد شيعته قائلاً متى عهدك بزرارة ؟

قال ما رأيته منذ أيام ، قال الإمام عليه السلام : لا تبال وإن مرض فلا تعده ، وإن مات فلا تشهد جنازته قال السائل زرارة ! متعجباً مما قال .

فقال – أي الصادق– نعم زرارة زرارة شر من اليهود والنصارى ومن قال إن الله ثالث ثلاثة[٢] .

* وروى الكشي كذلك :

عن زياد بن أبي الحلال أنه سال الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

---

(١) [دراسات في علم الرجال / الشيخ حميد الزبيدي البغدادي ص ٤٩ – ١٠٦]

(٢) [رجال الكشي / ص١٦٠] [وتنقيح المقال / المامقاني ج١ ص٤٤٣] [التحرير الطاووسي / ص١٢٩] [معجم رجال الحديث / ج٨ ص٢٤٤] [أعيان الشيعة / ج٧ ص٥١]

عن رأي قاله زرارة ونسبه إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام في موضع الحج فقال الإمام جعفر ليس هكذا سألني ولا هكذا قلت كذب علي والله ، كذب علي والله ، كذب علي والله ، لعن الله زرارة ، لعن الله زرارة ، لعن الله زرارة [١].

* عن عمران الزعفراني قال :

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي بصير – وكنا أثني عشر رجلاً – ما أحدث أحد في الإسلام ما أحدث زرارة من البدع عليه لعنة الله[٢] .

* عن ليث المرادي قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

لا يموت زرارة إلا تائها[٣] .

* وروى الكشي كذلك عن مسمع بن كروين قال :

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ٠٠ لعن الله بريدا ، ولعن الله زرارة[٤]* .

---

(١) [رجال الكشي / ص١٤٨] [تنقيح المقال / المامقاني ج١ ص٤٤٣] [أعيان الشيعة / ج٧ ص٥٤] [منهج المقال / ص١٤٥]

(٢) [رجال الكشي / ص١٣٤] [تنقيح المقال / للمامقاني ج ١ ص٤٤٤] [معجم رجال الحديث / ج٧ ص٢٤٠] [أعيان الشيعة / ج٧ ص٥٠]

(٣) [رجال الكشي / ص ١٣٤] [تنقيح المقال / ج ١ ص٤٤٣] [التحرير الطاوسي / ص١٢١]

(٤) [رجال الكشي / ص١٤٨] [معجم رجال الحديث / الخوئي ج٧ ص٤٤٣] [تنقيح المقال / للمامقاني ج ١ ص٤٤٣] [أعيان الشيعة / ج٧ ص٥٠] [منهج المقال / ص١٦]

*** مناقشة قضية اللعن الورادة بحق أصحاب الأئمة**

وينبغي ان يعلم ان قضية اللعن الورادة في حق اتباع الإمام والصادرة من قبله هي قضية مهمة بل ومن الاهمية بمكان بحيث يجب الوقوف عندها ومناقشة ملابساتها لما يترتب عليها من لوازم خطيرة ومعطيات كبيرة .

فأولاً :

إن الطعن باللعن في حق شخص من قبل مصدر يقتضي الحكم على هذا الملعون بالطرد من رحمة الله وبقيام أسباب المروق والخروج من الدين فيه مما ادى بالإمام أو الحاكم أو المصدر إلى لعنه والا فهي ليست كلمة هينة أو حكم يسير يتغاضى عنه المرء أو يضرب عنه الصفح كبعض الفاظ الشتم ، لا والف لا ، هو حكم بالطرد من رحمة الله والابعاد من دينه وشرعته وخصوصاً إذا صدر ممن يتورع عن اللغط من القول والترهات من الاحاديث فكما قالوا (لعن المؤمن كقتله).

=

=

والأمر الآخر :

ان تعلق هذا اللعن بشخص مثل (زرارة) له مدلوله وترتب عليه من احكامه ما يخصه فزرارة ليس رجلاً من عوام الناس ولا من المجهولين ممن لا وزن لهم ولا قيمة ، بل هو من أصحاب المقام ، وممن لهم حظوة عند الإمام بروايتهم عنهم ونقلهم منهم ، بل ربما ومصاحبتهم لهم .

وعلى هذا إذا صدر اللعن من قبل الإمام بحقهم فلا يعني ذلك إلا انه صدر منهم، وبدر ما يقدح بعدالتهم ويجرح بوثاقتهم فلم يتأخر الإمام عن اصدار الحكم عليهم ليحذر منهم الناس ولينزلوهم منزلتهم التي يستحقونها من الطرد والابعاد والتنكيل وعدم الاعتماد .

من الضروري ايجاد تبرير للطعن لكثرة مرويات زرارة في كتب الشيعة

اذن فالحكم الصادر من الإمام في حقه وحق غيره ممن كانوا على شاكلته اللعن والنتيجة المترتبة على هذا اللعن هو القدح في دينه والطعن في عدالته مما يترتب عليه رد رواياته وطرح نقولاته عن الإمام لانعدام شرط العدالة الذي هو معيار القبول في الرواية .

ولكن هنا نقطة مهمة تبرز لنا بعد انفضاح هذه النتيجة المنطقية التي لا يقبل العقل والعلم غيرها إلا وهي ان زرارة هذا يروي كماً كبيراً من الروايات عن الإمام قد وصل كما احصاه العلماء منهم إلى (٢٠٩٤) رواية .

لذلك لم يجد علماء الشيعة بداً من ايجاد تبرير لهذا اللعن ومحاولة ليّ النصوص الواردة فيه وحملها على محامل تأويلية للتخلص من هذه النتائج والاثار الخطيرة المترتبة عليها فقالوا :

ان الأئمة لعنوا زرارة عملاً بمبدأ التقية وذلك حفاظاً عليهم من الذي قد يلحق بهم والاذى الذي قد يصيبهم .

كيف التعامل لو كان هذا الطعن موجه لواحد من صحابة النبي ﷺ ؟

ونقولها من غير مبالغة ولا تجني لو أن عشر معشار تلك الأقوال الذامة في حق زرارة قد وردت في حق أحد من صحابة رسول الله ﷺ لطار بها الشيعة فرحاً ولأقيمت لاجلها الدنيا ولم تقعد ولكان هذا الصحابي عندهم من المخلدين في النار ولن يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولو تاب من ذلك الذنب ولو أتى بامثال جبال تهامة حسنات لما نفعته.

وخير مثال على ذلك هذه المفارقة العجيبة ، بطلها أيضاً المدعو زرارة فانك ما ان تتبعت الروايات الواردة عن المعصوم في بيان حاله والحكم عليه ، إلا وتجدها روايات قاسية المدلول، شديدة الوطء لم تبق له في الوزن قيمة ، ولا في القدر منزلة ، فهي روايات (لعن، تكفير ، اخراج من الملة ، خلود في النار) ، ولكن على الرغم من هذا تجد لهذه الروايات تأويلاً ، وتوجيهاً ، وبياناً بأن المراد من ظاهرها غير مقصود كل هذا من أجل الدفاع عن هذا

=

=

الشخص ورفع كل هذه التهم عنه .

أبو هريرة ﷺ وزرارة

بينما في الجهة المقابلة – وهنا مكمن المفارقة – تجد الشيعة يشددون الطعن ويكثرون اللعن بالصحابي الجليل أبي هريرةﷺ ، وإذا سألتهم عن ذلك قالوا انه كذاب افترى على النبيﷺ ، ودليلنا ما اوردته كتب التاريخ من ان عمرﷺ كان يشدد عليه في قضية التحديث ويمنعه منها، بل قد وصل الحال إلى الضرب بالدرة ، والتهديد بالاخراج من البلد .

فنقول لهم لماذا لا تتأولوا لابي هريرةﷺ كما تأولتم لزرارة ؟ والتأويل والتوجيه وفق قواعدكم واصولكم اسهل في أبي هريرةﷺ منه في زرارة ، فالذي ورد في حق أبي هريرةﷺ انما هو اتهام بالكذب فقط ، اما ما جاء في حق زرارة فشديد أثره في الوزن الشرعي ولا يمكن تداركه مهما كانت المبررات فهناك (لعن ، تكفير ، اخراج من الملة ، خلود في النار).

المعصوم هو الذي طعن في زرارة

والامر الاخر ان الذي تكلم عن أبي هريرةﷺ ومنعه هو شخص كافر عندكم من اظلم الناس (عمر ﷺ) ، واشدهم تجرؤاً على حدود الله وسنة رسوله ، فهنا ينبغي ان تكون هذه الحادثة وفق قواعدكم واصولكم منقبة لابي هريرةﷺ ، ودليل على ثقته وتعديله، فالذي حكم عليه حسب ما عندكم من الظالمين ، بينما تجد ان الذي حكم على زرارة فيما حكم هو امام معصوم لا يمكن ان يتطرق الخطأ إلى قوله ، بل هو عين ما يريد الله في الحكم على الأشخاص .

فما الذي ياترى قوى شأن زرارة حتى وصل إلى ما وصل من تجاهل روايات المعصوم من اجله ، وضعف من شأن أبي هريرةﷺ حتى جعل من عقاب عمرﷺ له ذماً ومنقصة ؟ اني لا اجد مبرراً لذلك سوى الميل والهوى والعداوة والبغضاء التي تعمي وتصم .

لعن الله من تخلف عن جيش اسامة

وهذا مثال اخر على هذا المنهج ، وهو ادعاء الشيعة ان النبيﷺ ، قال :

(لعن الله من تخلف عن جيش اسامة) فلعنوا معظم الصحابة على اساس هذا القول المكذوب والذي لم يثبت ولا بطريق واحد صحيح ، ولا ورد في كتاب معتبر من كتب أهل السنة .

فهم لعنوا الالوف من الصحابة على اساس هذا الحديث المكذوب وخالفوا بذلك صريح القرآن الذي يمدحهم ويترضى عنهم ، وصريح أقوال النبيﷺ في مدحهم .

وكتبوا ، ودافعوا ، وترضوا ، ورفعوا اللعن عن شخص نكرة مثل (زرارة) ، ورد اللعن عليه باحاديث كثيرة صحيحة وردت عن المعصوم باعتراف علمائهم .

=

=

حديث الحوض

وتركوا كل الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية المادحة لصحابة رسول الله ﷺ.

وتمسكوا (بحديث الحوض) ، والذي فيه احتمال إلحاق ذم بصحابة الرسولﷺ، ولكن حتى هذا الاحتمال هو في أصله مردود وغير وارد لا شرعاً ولا عقلاً .

الخطبة الشقشقية

وتركوا كل الآيات القرانية ، والاحاديث النبوية التي تمدح صحابة رسول الله ﷺ.

وتمسكوا بعبارة قالها علي رضي الله عنه في الخطبة الشقشقية (لقد تقمصها مني ابن أبي قحافة) الواردة في كتاب نهج البلاغة ، وتركوا بقية كلامه الذي يمدح فيه صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب نفسه ، فهم اخذوا الكلام الذي يمكن ان ينفعهم وتركوا الكلام الذي يقيناً لا ينفعهم.

رزية يوم الخميس

وتركوا كل توجيهات وتوصيات واوامر ونواهي النبيﷺ طوال (٢٣) سنة والتي أعطى فيها كل ما ينتفع به المسلم في أمور دينه ، وما يبعده عن النار ويدخله الجنة، وجعلوها متوقفةً من حيث البقاء والانشاء على وصية واحدة حدثت في وقت ذي ملابسات وتحوم حوله شبهات .

وتمسكوا بها وهي عبارة (ائتوني بدواة وصحيفة) قالها النبيﷺ وهو على فراش المرض قبل وفاته بخمسة أيام ، وبما يسمونه بـ (رزية يوم الخميس) .

كانت بيعة أبي بكر فلتة

وتركوا بيعة المهاجرين والانصار لابي بكر وتزاحمهم ، وتدافعهم على هذه البيعة في السقيفة.

وتمسكوا بقول عمر (كانت بيعة أبي بكر فلتة) .

كتاب الله وعترتي

وتركوا ترغيب الله عز وجل لجميع المسلمين باتباع المهاجرين والانصار ، حين قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ .

وامر الله لنساء النبيﷺ ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ .

وامره جل وعلا : ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ .

وقول النبيﷺ : (عليكم بكتاب الله وسنتي) .

وقوله ﷺ : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ).

وواقع الحال الذي كان سائداً على زمنهﷺ حيث ان الصحابة جميعهم وبدون استثناء كانوا ينشرون القرآن ، وتعاليم النبي ﷺ ولم يخص هذا الأمر أو يميز به علياً أو أحداً من أهل بيته،

=

الروايات التي تطعن بزرارة كثيرة

أقول :

وهكذا فإن الروايات التي تطعن بزرارة كثيرة وكثيرة جداً حتى احجم بعض العلماء عن ذكرها ومنهم الشيخ حميد الزيدي البغدادي ، حيث قال :

* هناك روايات اعرضنا عن ذكرها لما فيها من الاساءة لمقام زرارة، والغريب كيف ذكرها بعض العلماء ... * .

* والشيخ حميد البغدادي في كتابه دراسات في علم الرجال ، كرر ما فعله

=

ولم يامر قبل وفاته بتغيير هذه القاعدة .

وتمسكوا بحيث : (عليكم بكتاب الله وعترتي) .

فهذا هو الميزان الاعوج الذي يستخدمه علماء الشيعة في تعاملهم مع صحابة رسول اللهﷺ ، فهم يتركون الصحيح والمتواتر ، ويتمسكون بالشاذ الضعيف المتاؤل .

يترضون عن زرارة ويلعنون صحابة رسول اللهﷺ

هذا هو حال محدثهم الأول (زرارة بن اعين) وهذه أقوال الأئمة فيه ، وكيف انهم اقروا بما هو عليه : من تهافت .. وتناقض .. وتزوير .. وتحريف .. وكيف ترك كل ذلك ، لا لشيء.. ولكنها (وثنية) فكر ، وعبودية أشخاص .. تفرض على اصحابها التقديس دون الحقائق ... .

* ذكرت مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم لمقدمتها لمسند زراراة:

ومن اولئك الاجلة الذين اجتمعت فيهم خلال الفضل والدين زرارة بن اعين (رضوان الله عليه) .

[مسند زراراة / مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ص٤]

أقول :

انظر – هداك الله – يترضون عن زرارة ، ويسبون ويلعنون خير البشر بعد الانبياء.

هذا ما اردت الإشارة إليه في هذا المقام في القضية المتعلقة بلعن زرارة وغيره.

*** عبد الحسين شرف الدين ينكر وجود روايات تطعن في زرارة**

الروايات التي تطعن في زرارة أكثر بكثير مما ذكره الخوئي ومع كل هذه الروايات التي تطعن في زرارة نجد من يكذب مثل عبد الحسين ويقول :

لم يعثر أحد من سلفنا على شيء مما نسبه الخصم إليه – يعني هشام بن الحكم– كما انا لم نجد اثراً ما لشيء مما نسبوه إلى كل من (زرارة بن اعين) ، ومحمد بن مسلم، ومؤمن الطاق وامثالهم مع انا استفرغنا الوسع والطاقة بالبحث عن ذلك وما هو إلا البغي والعدوان .

[المراجعات / عبد الحسين شرف الدين – المراجعة ١١٠ ص ٣١٣]

الخوئي حيث ناقش روايات الذم وقام بتسقيطها أو تاويلها ، ولكثرتها فإنه قد قسمها إلى اربعة محاور ، وليس ثلاثة كما فعل الخوئي .

اما الروايات المادحة ، فقال عنها :

[روايات مستفيضة ، وبعضها صحاح ، وهي متواترة اجمالاً ، بمعنى القطع بصدور بعضها عنهم ، لذا لا حاجة للتعرض لاسانيدها] .

مع العلم ان الشيخ البغدادي قد ايد قول المامقاني الذي اعتبر ان نقاش روايات الطعن في زرارة ليس صحيحاً بل من المقطوع صدور بعضها عنهم ...

ولم يفلح الشيخ في تبريراته لزرارة كما برر من قبله الخوئي ، فاعتبر ان بعض الروايات صدرت تقية ، وبعضها لم تصدر عن المعصوم ، أو ان فيها بعض الزيادات من بعض ضعاف النفوس ، مع العلم انه اثبت لزرارة بعض الاعتقادات الفاسدة، ومما ذكره وهو يرد على قول المامقاني الذي اعتبر ان نقاش الروايات التي تذم زرارة غير صحيح ، فقال :

[ان التواتر المعنوي يقتضي أصل ثبوت الذم لزرارة ولا يثبت ان هذه الرواية صادرة عن المعصوم ... وان زرارة تاثر بالجو السائد انذاك فاعتقد خطأً بعض الاعتقادات الفاسدة فاراد الإمام ان يردعه عن ذلك ، ولكن ضعاف النفوس لم ينقلوا نص كلام الإمام بل اضافوا من عند انفسهم] [(١)]* .

---

(١) [دراسات في علم الرجال / الشيخ حميد الزيدي البغدادي ص ٩٤- ١٠٥]

*** زرارة يطعن بالصادق**

وهناك روايات من زرارة تطعن في الصادق ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

* اخرج الكشي في رجاله ، والمامقاني في تنقيح المقال عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عن التشهد فقال :

اشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله قلت التحيات والصلوات ؟ قال : التحيات والصلوات فلما خرجت قلت : ان لقيته لاسألنه غداً فسألته من الغد عن التشهد فقال كمثل ذلك قلت : التحيات والصلوات ؟ قال : التحيات والصلوات فلما خرجت ضرطت في لحيته وقلت لا يفلح أبداً .

[رجال الكشي / الكشي ص ١٥٩]

الخوئي حقق روايات الذم لزرارة

أقول :

بعد هذا العرض للروايات الذامة وبعد البيان الذي اتضح من خلاله كثرة هذه الروايات ، وتنوع مداليلها ، وبعد ان بينا لكم ان الاخذ بها تتبني عليه أحكام خطيرة واثار مدوية لا تخدم المذهب الشيعي ، ولا تصب في مصلحته لأن فيها تسقيطاً لزرارة ، وتضعيفاً له نجد سعياً حثيثاً للخوئي هنا في رد هذه الروايات عن طريق تضعيفها ابتداءاً ، وبعد ان اعياه هذا الأمر انتقل إلى التبرير والتخريج ، وهذا يوضح لك ما اصلناه عن منهجهم في التعامل مع الروايات ذلك المنهج الغرضي الانتقائي الذي يتماشى مع المصالح ، وينساق مع الاغراض.

تبرير ضعيف لهذا اللعن

كما ذكرنا ان الروايات الذامة لزرارة كثيرة العدد ، متنوعة الصيغ والمواضيع تتبني عليها اخطر الأحكام وهو الرد لاكثر من (٢٠٠٠) رواية عن المعصوم ونتيجة لهذا ولاجل خروج الشيعة من هذا المطب الذي وقعوا فيه ، والمتمثل بالطعن باهم رجالهم الذين روى فقههم وعقائدهم تذرعوا بالتقية لأجل تخريج هذه الروايات ، والدفاع عن هذه الشخصية يقول الحر العاملي :

[رويت أحاديث في ذمه – أي زرارة – ينبغي حملها على التقية] [١].

وكذا يقول الخوئي في تخريجه لهذه الروايات وتحقيقه لها :

* قال الخوئي : والجواب عن هذه الروايات :

[إنه لم يثبت صدور أكثرها من المعصوم من جهة ضعف إسنادها ، وأما ما ثبت في صدوره ، فلا بد من حمله على التقية إنه انما عاب زرارة لا لبيان أمر واقع ، بل شفقة عليه واهتماماً بشأنه ، وقد دلت على ذلك الروايات المستفيضة في مدح زرارة المطمأن بصدورها إجمالاً من المعصوم] [٢] .

---

(١) [وسائل الشيعة / ج٢٠ ص١٩٦]

(٢) [رجال الكشي / الطوسي تحقيق محمد تقي فاضل الميبدي والسيد أبو الفضل الموسويان ص ٢١٥] [أنظر معجم رجال الحديث / ج ٧ ص٢٣٠-٢٣٥]

وننتقل بعد هذا إلى الرواية التي عن طريقها تم تخريج هذا الذم بحق زرارة:

الروايات المخرجة للذم

وقد احتجوا لتخريجهم هذا بالرواية التي انفرد بها الكشي في كتابه – ذلك الكتاب الذي اسقطه مرتضى من الاعتبار ولم يبق نقيصة إلا والحقها به ،– مع العلم ان هذه الرواية قد صدرت من ابن زرارة نفسه لأجل تزكية والده ورفع الذم عنه، وإليك نصها :

عن عبد الله بن زرارة قال :

قال لي أبو عبد الله – جعفر الصادق– اقرأ على والدك السلام وقل له :

[إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمن نحبه ونقربه فيذمونه لمحبتنا له ، وقربه ودنوه منا ويرون إدخال الأذى عليه وقتله ، ويحمدون كل من عبناه نحن وأن نحمد أمره .

فانما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا ، ولميلك الينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر لمودتك لنا ولميلك الينا ، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ....] (١)*.

---

(١) [رجال الكشي / ص١٣٨] [وسائل الشيعة / ج٢٠ص١٩٦] [معجم رجال الحديث / الخوئي ج٧ص٢٤٨]

* أقول :

هذه الرواية هي العمدة عند علماء الشيعة لتخريج الذم الوارد في حق زرارة ، فكل من يذكر زرارة ويحاول الدفاع عنه يقوم بذكر هذه الرواية لأجل تخريج هذا الذم، وإليك بعضاً من هذه المصادر التي اشارت إلى هذه الرواية ، والتي اعتمدت جميعها في نقلها لها على كتاب الكشي:

[الحدائق الناظرة / المحقق البحراني ج ١٤ ص ٤٠١ – ج١٨ ص ١٦٨] [المكاسب / الشيخ الانصاري ج ١ ص ٣٤٥] [مصباح المنهاج / محمد سعيد الحكيم ص ٣٦٢] [منهاج الفقاهة / السيد محمد صادق الروحاني ج ٢ ص ٦٥] [كتاب الصلاة / المحقق الداماد ص ١٨] [وضوء النبي / السيد علي الشهرستاني / ج١ ص ٤٧١] [وسائل الشيعة / الحر =

تخريج فاسد لهذا الكم من الروايات الذامة

أقول :

ومما ينبغي ان يبين هنا لمسيس الحاجة إليه ان تخريجهم للروايات الذامة على انها ذكرت من باب التقية ، لا يمكن التسليم له ، أو اعتباره حجة قاطعة تلزم الغير، وكذا محاولتهم إيراد روايات مخرجة وذلك لوجود ما يعارضها ولايضاح هذه الحقيقة نقول لهم :

اولاً :

لم ينقل عن الإمام اني لعنت زرارة أو غيره تقيةً بل هذا نجده منقولاً عن الملعونين انفسهم أو أحد ابنائهم :

فماذا يا ترى يعملون إذا علموا لعن الإمام لهم ؟

لا بد سيبحثون عن تخريج له .

ثانياً:

لماذا لعن زرارة أو غيره ، ولم يلعن الاخرين من الاتباع المخلصين إذا كان القصد التقية والحفاظ عليه ، أو بعبارة أوضح ما هو الضابط الذي على اساسه انيط حكم اللعن بهؤلاء دون غيرهم .

ثالثاً :

ان إثبات التقية كعلة للّعن يوجب لا محالة التشكيك في كل لعن صدرعن الإمام في حق من حكم عليهم بهذا الحكم ممن لم يعلق بهم حكم التقية لأن القضية ما دامت تعلقت باشخاص دون أشخاص احتاجت إلى ضابط ولابد في حينها من معيار على وفقه يتم الادخال والاخراج ، فأين هذا الضابط ارشدونا إلى المعيار؟

=

العاملي ج ١١ ص ٢٥٧ – ج٣٠ ص ٣٧٣] [مستدرك الوسائل / النوري الطبرسي ج ٨ ص ٧٧] [بحار الأنوار / المجلسي ج ٢ ص ٢٤٧ – ج٥ ص ٤٥ – ج٩٦ ص ٩٨] [معجم أحاديث المهدي / علي الكوراني ج٣ ص ٤١٨] [تاريخ آل زرارة / أبو غالب الرازي ج١ ص ٥٤ – ج ١ ص ٦٧] [رجال الكشي / ص١٣٨] [معجم رجال الحديث/ الخوئي ج٨ ص٢٣٣ – ج٤ ص ١٩٨ – ج٥ ص ٣١٩ – ج١١ ص ٢٠٢] [نقد الرجال/ التفريشي ج٢ ص ٢٥٦] [كليات في علم الرجال / جعفر السبحاني ص ٤٦٨] .

والا لم تخرج المسألة عن الانتقائية ، والاهوائية ، وبعامل المصلحة الذاتية .

رابعاً :

أضف إلى ذلك ان الطعن الموجه إلى زرارة بلغ من الكثرة بمكان بحيث لا يمكن الاستهانة به ولا يمكن الالتفات إلى ما يضاده مما قد يمدحه به أو يبرئه.

خامساً :

اضافة لذلك فإنه قد ورد عن زرارة ما يدل على ان الطعن من الإمام لم يكن لأجل الحفاظ عليه وانما كان مقصوداً ولذلك فقد ترك في قلبه شيء على الإمام وإليك الرواية التي تدل على ذلك :

فعن ابن مسكان قال سمعت زرارة يقول : رحم الله أبا جعفر عليه السلام .

واما جعفر عليه السلام – الصادق – فإن في قلبى عليه لفتة ، فقلت له : وما حمل زرارة على هذا ؟ قال حمله على هذا ان أبا عبدالله عليه السلام أخرج مخازيه [١].

سادساً :

ومن الأمور التي عن طريقها يشكك في صحة صدور هذا التبرير من الإمام للذم الوارد بحق (زرارة) انه قد صدر من ابن (زرارة) نفسه .

والمقوي لهذا الشك ، والمرسخ له ان الابن دائماً يحاول ان يحسن صورة ابيه بنفي كل نقيصة قد تضاف إليه ، أو حملها على المحمل الحسن وهذا هو الذي قد حصل هنا ، فإن الذم الذي الحق بابيه كبير جداً ، والطعن الملحق به واسع ومتشعب.

ولذا نجد ان التبرير هنا كان تبريراً عاماً ، غير خاص بذم دون ذم ، وهذا يشعر بأن هناك محاولة لدفع ودرء كل ذم ومنقصة الحقت مهما كان نوعها وحجمها .

وعليه فالتشكيك بصحة صدور مثل هذه الرواية محيط بها من كل جانب، خصوصاً إذا ما علمنا ان زرارة هذا منزلته كما يدعون في المذهب كبيرة فلولاه لاندرست آثار النبوة .

ومع هذا لم يوجه هذا التبرير للذم – الكبير جداً في حق زرارة والذي لو

---

(١) [رجال الكشي / الكشي ص ٩٦]

أخذ على ظاهره لنسف زرارة نسفاً ولم يبق له أثر – من قبل المعصوم إلا لابنه فقط.

والمفروض ان يوجه إلى اكبر عدد ممكن من الناس المحيطين بالمعصوم المنتشرين في البلدان والاقطار وخصوصاً اصحابه ، وذلك لرفع الشبهة ، ونفي التشكيك الذي قد يتبادر إلى اذهان الناس جراء انحصار التبرير في ابنه فقط، لذا فمن الممكن جداً ان تكون هذه الرواية مختلقة ، أو مكذوبة على المعصوم .

ومما يرجح هذا انها وردت في كتاب (الكشي) الذي ذهب مرتضى العسكري إلى رميه بشتى انواع النقائص من : (الاختراق ، والدس ، والتسرب، والخلط، والتخليط ، والتحريف ، والضعف)* فلا مانع بناءاً على اختيار مرتضى ان تشمل هذه الرواية بحكم من الأحكام التي حكم على الكتاب بها .

وختاماً أقول :

ان الدافع من وراء رد هذه التخريجات هو التركيز على المنهاج الذي يعتمده علماء الشيعة في التعامل مع الروايات التي لا تخدمهم ، ولا تصب في مصلحتهم بل قد يترتب عليها ضرهم وفساد مذهبهم .

المثال الثالث

الخطبة الشقشقية

ان المنهج العام المتبع عند علماء الشيعة في إثبات القضايا العقدية والفكرية، وكذلك الفرعية أو التاريخية ، أو نفيها من جهة الدليل هو الاعتماد الكلي والتام في التعامل مع هذه القضايا على اساس الحكم المؤصل لها عندهم ، والثابت لها فيما بينهم ، ويكون هذا الحكم هو المنطلق في إلحاق أي دليل من الادلة بهذه القضايا مهما كان حاله في منظومة الاثبات، أو النفي .

فالقضية العقدية أو غيرها إذا كانت ثابتة عندهم ، ومتفق عليها فيما بينهم فاي أمر متداول فيما يتعلق بها من آية متشابهة ، أو حديث ظني ، أو ضعيف ،

---

* إن هذه الطعون كلها قد رمى بها مرتضى العسكري كتاب الكشي حال التعريف به، كما اوردنا لكم نص مرتضى العسكري في الكتاب انفاً .

أو مختلق ، أو قول لعالم لا تعلم نسبته له أو لا يعلم من هو ، واي كتاب مهما كان حال هذا الكتاب من الجهالة ، أو حتى ان لم يكن موجوداً ، كل هذه الأمور تصير عندهم أدلة دامغة ، وبراهين قاطعة تثبت الأصل الذي قعدوه ، والحكم المقرر عندهم الذي يريدون اثباته باي صورة وطريقة ، وكذا العكس فهم إذا اتفقوا على نفي قضية مهما كان حال هذه القضية فانهم سيقومون برد كل الادلة المثبتة لها حتى لو كانت قواطعاً ، وحججاً دامغة، وبراهين قطعية .

فلا القرآن يكون وقتها حجة أو دليل ، ولا السنة حتى لو كانت متواترة تكون صالحة أو يعتمد عليها في الاثبات أو النفي ، ويلغى الاجماع ، وتأتيك الطعون، والقوادح للعلماء المخالفين لهم من كل حدب وصوب وبمختلف الإشكال والالوان ، وتسقط الكتب الموردة لما يعارضهم تسقيطاً لا يرجى بعده حياة له أو رجوع إلى ساحة التوثيق ، بل يعتبر من التاريخ الغابر الذي صدق عليه حكم المتهالك .

فهذا هو منهجهم في التعامل مع القضايا من حيث التطبيق الفعلي لها ويمكن لاي باحث ان يلمس هذا المنهج ويتحقق منه بمجرد قرائته للقضايا التي يطرحونها ، وكيف يستدلون لها ، ويتعاملون معها .

ومرتضى العسكري ليس بدعاً من هذا النهج ، فهو فرد من افراد منظومة العلماء الشيعة يخضع لزوماً لمسالكهم ، ويلتزم وجوباً بطرائقهم وقواعدهم العامة في التعامل مع القضايا المختلفة والعناوين المتنوعة .

وبخصوص قضيتنا هذه (عبد الله بن سبأ) وتعامل مرتضى العسكري معها نجد امام اعيننا مصداقاً جلياً واضحاً على هذا النهج ، وحجة ساطعة على هذا التعامل ، فهو عندما اثبت ابتداءاً حكماً بخصوص (عبد الله بن سبأ) يقضي بانكار وجوده ، وانتفاء تحققه على الواقع في جزئية من جزئيات الزمان انطلاقاً من دوافع واغراض وميول طائفية كما بينا ، أخذ يتعامل مع الادلة المثبتة لوجود هذه الشخصية انطلاقاً من معطيات الحكم الذي اصدره بنفي وجودها ، فالغى أي اعتبار للروايات المثبتة للوجود ، وطعن بها أشد المطاعن، وتلاعب باقوال علماء الجرح والتعديل لأجل إثبات هذه المطاعن.

ومن ضمن الألاعيب التي تفنن مرتضى العسكري بـــاداء ادوارهـــا تلـــك الخاصة باسقاط الكتب فعندما اعياه رد بعض الروايات الثابتة بسند صحيح والتي تثبت وجود هذه الشخصية التف حول هذه الكتب ، واخذ يبحث عن أسباب ولـــو موهومة لأجل اسقاطها ، ومن ثم إسقاط ما تحتويها من روايات واقـــوال تثبـــت نقيض مدعاه ، فتوجه إلى ثلاث مطاعن رئيسية جعلها أصلاً في الغـــاء اعتبـــار هذه الكتب واخذ محاولاً بكل ما اوتي من قوة ان يلحقها بهذه الكتب .

هذه المطاعن هي :

١- ادعاؤه بأن الكتب التي تناولت شخص عبد الله بن سبأ من كتب الفـــرق والمقالات تنقل الأقوال من دون سند ، معتبراً هذا الأمر أي نقل الأقـــوال بغيـــر سند علة قادحة تسقط هذه الكتب ، وتلغي اعتبارها ، ودليل مرجح علـــى انتفـــاء الاعتماد عليها وعلى المذكور فيها .

٢- تسقيطه للكتب عن طريق اتهامها بانها ساحة مباحة لكل من هب ودب ، يدسون فيها ما يشاؤون ، ويخترقونها ويزرعون فيها الروايات التي يريدون فـــي الوقت الذي يختارون .

اضافة إلى اتهام أصحاب هذه الكتب بكونهم متسامحين في نقل الروايـــات، متساهلين في ادراجها تحت عناوين كتبهم ، حتى لو كانت من مخالف أو ممن لا يعتمد عليه .

٣- استخدامه لعنصر التعارض بين الروايات في الكتاب الواحد مع إثبـــات التناقض المستفاد من هذا التعارض ، متوصلاً بذلك إلى إسقاط جميع الروايـــات الواردة في الكتاب الخاصة في الموضوع المبحـــوث فيـــه عـــن طريـــق هـــذا التعارض.

٤- جعله من الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة أصلاً مرجحاً فـــي تحديـــد ثبوت الرواية من عدمها خصوصاً إذا كان الكتاب الذي يحوي الرواية مشهوراً ، أو كانت الرواية هي بحد ذاتها تدل على أمر مشـــهور ، وتـــدل علـــى قضـــية مستفيضة وشائعة .

ومن ها هنا لم يبق مرتضى أي كتاب تناول (عبد الله بن سبأ) مهما كانت درجته ومهما كانت منزلته وحاله إلا والغاه من الاعتبار ، ولم يبق له وزنـــاً ولا

قيمة ، ولم تبق رواية مهما كانت درجتها من القبول إلا واسقطها مضعفاً اياها مبطلاً لمدلولها ، ولم يترك أي عالم إلا واثبت عليه من المطاعن بايراده مختلف الاشكالات على شخصه مما يؤدي إلى انتفاء الثقة فيما يذكر وعدم الاطمئنان إلى ما ينقل .

ونحن إذ قمنا بالرد على جميع هذه الادعاءات التي ذكرها مرتضى مبطلين لاثارها ، داحضين للنتائج المترتبة عليها بخصوص قضية (عبد الله بن سبأ) فلا يعني هذا الفعل منا باننا قد الزمنا مرتضى بما توصلنا إليه ، أو اننا قد تمكنا من الغاء هذا النهج الذي يعتمده علماء الشيعة في التعامل مع الادلة المثبتة للقضايا المعتقدين بها أو النافية لها من الاعتبار والتداول عندهم .

ولكننا اوضحنا ضعف هذا المنهج وقصوره والاغراض التي يسعون لأجل تحقيقها من خلاله مع بيانٍ لعدم اضطراده ، وانتفاء امكانية تعميمه .

الخطبة الشقشقية

وللتدليل على هذه الحقيقة ولاثباتها بالدليل الواقعي ، والحجة القاطعة مع إثبات ما ذكرناه ابتداءاً في حكمنا على مناهجهم ناخذ مثالاً حياً ومهماً ، وذا أثر على الواقع كبير صورته كالصورة التي تناولها مرتضى في تعامله مع (عبد الله ابن سبأ) والادلة المثبتة له وحيثياته تشترك مع حيثيات هذه القضية ، وكيفية معالجة مرتضى لها في اغلب الأمور .

ونقوم بتطبيق منهج مرتضى – الذي اشرنا إلى بعض مفرداته – عليه ، والذي هو من حيث العموم منهج علماء الشيعة عموماً قابلين به على سبيل التنزل كطريقة للتعامل ، ووسيلة لإثبات الأحكام ونفيها ثم نرى بعد ذلك حقيقة هذا المنهج ، وحقيقة ما ينبني عليه وحقيقة تصرف علماء الشيعة مع القضايا التي تبنوها ، والمسائل التي ينتحلونها ، هذا المثال هو: (الخطبة الشقشقية) .

هذه الخطبة التي وضعها علماء الشيعة في أعلى الدرجات ، وانزلوها اسمى المقامات حتى اوصلوها إلى درجة القرآن والسنة في البناء والاستدلال

والاعتماد والقبول ، وجعلوا منها أصلاً يوجهون على إثره ما يعارضه من الآيات والاحاديث ، ويردون به ما يناقضه ويبطله *.

مكانة الخطبة واهميتها عند الشيعة

وقبل الشروع بتطبيق منهج مرتضى على هذه الخطبة لا بد من التعريف بها أولاً لايضاح صورتها في ذهن المتلقي وبيان حالها للقارىء ، ذلك الحال الذي يرسمه الشيعة لها ، ليتسنى له معرفة المثال وكيفية التطبيق .

فهذه الخطبة يدعي علماء الشيعة انها من كلام سيدنا علي ﷺ ، فهي من الخطب التي حواها كتاب نهج البلاغة الذي يروي خطب سيدنا علي ، هذه الخطبة احتوت على كلام كثير ورد باسلوب بلاغي منمق الالفاظ مبهرج الصور، اقرب ما يكون إلى اسلوب أصحاب الكتب البلاغية المعتنية بالمعاني والالفاظ الذين يعرضون في كتبهم الغريب من الالفاظ والجميل من المعاني ابرازاً للطاقات في تصريف الوقائع والمجريات ، وحفاظاً على الاساليب العربية المستعملة في استخدام الكلمات .

وحوت فيما حوت على كلام يفهم منه أمور تتعلق بالامامة من جهة استحقاق سيدنا علي ﷺ لها ومن جهة كون المتقلد لها قبله غاصباً ومتعمداً التجاوز على حق علي ﷺ في تقلد هذا المنصب ومما ورد في هذه الخطبة :

[أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى. ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير . فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا. وطفقت أرتإى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير. ويشيب فيها الصغير ... فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها ... جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني

* استدل مرتضى العسكري في كتابه معالم المدرستين (ج١ ص ١٨٣) بالخطبة (الشقشقية) على نقض إمامة (أبي بكر ، وعمر ، وعثمان) .

أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا ...] [١] .

النص الوحيد الوارد عن علي لإثبات امامته

ولكون هذه الخطبة قد فهم البعض من علماء الشيعة هذا الأمر كانت عندهم على درجة عالية من الاهمية ، وعظيمة القدر جداً ومن أشد ما يتمسكون به ومن أهم ما يستدلون به ويبنون حكم الامامة عليه ، فهي تعتبر النص الوحيد المثبت بأن سيدنا علي قد صرح باحقيته للامامة على غيره مع كون ذلك الغير في وقت تنصيبه كان غاصباً لهذا الحق ، سالباً لهذا المنصب .

نتيجة لهذا الأمر الخطير جداً قام علماء الشيعة باعلاء شأن هذه الخطبة، وهولوا في طرائق عرضها مكررين في كل مجال ذكرها حتى صارت عندهم من الأمور المسلم بها المشهورة التي لا تناقش ، ولا تعارض ، ولا يمكن ان ترد، ضاربين بعرض الحائط كل دليل يعارضها وكل حجة تناقضها ، مهما كان مصدرها ، واياً كان المورد الذي تستسقى منه .

خطب نهج البلاغة لا اسناد لها ومنها الخطبة الشقشقية

فطرقوا كل الابواب الموصلة إلى تقوية شأن هذه الخطبة ، وبحثوا في كل الكتب مهما كان حال هذه الكتب ، ومهما كان حال كاتبها مفقوداً كان أو معدوماً، موجوداً أو لا وجود له ، فقاموا باخراجها من قبرها ونفض التراب عنها ليجعلوا منها مصدراً يسندون به هذه الخطبة ، ومرجعاً يعتمدون عليه في عرضها للاخرين بغية ايهامهم بصحة ثبوتها .

وكان المحفز لهم على هذا السعي الحثيث والجهد الكبير في محاولاتهم هذه هو ان هذه الخطبة لا سند لها يمكن عن طريقه اثباتها ، فضلاً عن إثبات ان سيدنا علي هو من قالها أو خطب بها فعلاً ، مع كون هذه الخطبة قد وردت في كتاب نهج البلاغة ذلك الكتاب الذي يحتوي كما ذكرنا على خطب تنسب لسيدنا علي ولكن مع الاسف الكتاب أيضاً لا سند له ، ولا للخطب التي حواها ، ولا يمكن مطلقاً الجزم بأن الكتاب مع الخطب التي يحويها هي من كلام سيدنا علي

(١) [نهج البلاغة / خطب الإمام علي عليه السلام ج ١ ص ٣٠]

أو مما خطبه فعلاً.

انطباق منهج مرتضى على الخطبة الشقشقية اكثر من انطباقه على ابن سبأ

فهذه هي الصورة الاجمالية للخطبة الشقشقية يتضح من خلالها انها اصدق ما يمكن ان يطبق عليه منهج مرتضى في تعامله مع الادلة المثبتة لعبد الله بن سبأ من جهة كون جميع ما ذكره مرتضى من ضوابط وقواعد اعتمد عليها في نقض ورود روايات (عبد الله بن سبأ) تخضع لها هذه الخطبة وبدون أي تخلف، أو عدم وضوح .

ولكنهما يختل فإن في جزئية وهي ان منهج مرتضى هذا الذي وضعه في هذا الكتاب ينطبق انطباقاً تاماً على الخطبة (الشقشقية) وبدون أي تخلف ، أو قصور ، أو ضعف في التطبيق ولكنه مع (عبد الله بن سبأ) وجدناه قد تخلف وكان قاصراً ولم يحقق واقعاً كما سيتضح .

البعد الزمني بين علي ﷺ وكتاب نهج البلاغة

لقد قام مرتضى العسكري برد جميع الوارد في حق (عبد الله بن سبأ) والمنقول في كتب المقالات والفرق مضعفاً اياها بعلة كونها واردة من دون سند، وجعل من امكانية قبولها والاعتماد عليها امراً ممتنعاً ، وذلك للبعد الزمني ما بين أصحاب هذه الكتب وما بين شخصية (عبد الله بن سبأ) ذلك البعد الذي يوجب ان يكون المنقول في حقه وارداً بسند *.

---

* وقد حقق علي آل محسن – موافقاً لمرتضى فيما ذهب إليه – هذا الأمر باثباته اياه حين صرح بأن الفترة الزمنية الفاصلة ما بين عبد الله بن سبأ ، واصحاب الفرق والمقالات طويلة بحيث تمنع الكلام منهم عن عبد الله بن سبأ من دون ذكر سند، حيث قال في كتابه عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل ، مانصه :

[ثم اننا لا نعلم مستند النوبختي ، وسعد بن عبد الله في ذلك ، فإن النوبختي الذي عاش في حوالي سنة ٣٠٠ هـ ، وسعد بن عبد الله المتوفى سنة ٣٠١ هـ بينهما وبين عبد الله بن سبأ (على فرض وجوده) أكثر من مائتين وستين سنة ، فكيف يحتج بقولهما مع هذه الفاصلة =

وإذا ما انتقلنا إلى الخطبة (الشقشقية) وطبقنا عليها هذه القاعدة التي سار عليها مرتضى في التعامل مع الكتب الخاوية من السند ، والموردة للاقوال بدونه مع كونها ليست مما يختص بذكر الأسانيد فما هو الحكم الذي سينبني على هذا التطبيق لمنهج مرتضى .

ان الحكم الذي لا يشك فيه ولا يوجد له معارض المبني على هذا المنهج هو رد الخطبة (الشقشقية) وابطالها ابطالاً لا قيام لها معه ، ولا يكون لها بعده نهوض ولا حتى وجود وذلك لما ياتي :

١- ان الكتاب الحاوي لهذه الخطبة وهو نهج البلاغة لم يرو بسند ، بل لا يعرف له سند ، وهذا من الطعون اللازمة لهذا الكتاب الذي تعرض له العلماء كثيراً وعلى مختلف العصور مبينين كونه السبب المانع من قبول هذا الكتاب كمصدر يعتمد عليه ومرجع يتوجه إليه في إثبات الأحكام وتأصيلها .

لذا فمن هذا الباب وبتطبيق منهج مرتضى الخاص بالكتب يكون هذا الكتاب مردوداً ، ولا يمكن ان يعتمد عليه في اسناد القول جزماً إلى سيدنا علي ﷺ.

٢- بخصوص الخطبة (الشقشقية) نفسها فإننا أيضاً لن نجد لها اسانيد، أو حتى اسناد واحد فقط يمكن الركون إليه لأجل إثبات كونها متحققة أصلاً .

فضلاً عن صدورها عن سيدنا علي ﷺ وهذا وفق قواعد مرتضى الخاصة بالروايات غير المسندة في الكتب ، يوجب ردها ، وعدم قبولها مطلقاً، لانتفاء السبيل الذي عن طريقه يمكن معرفة حالها ، والحكم المترتب على هذا الحال .

٣- ان الكتب التي عرضها مرتضى واسقطها من هذه الجهة ككتاب المقالات والفرق للقمي الأشعري ، وكذلك كتاب النوبختي ، جعل من الفاصل الزمني بين كتابتها وبين التاريخ الذي وجد فيه (عبد الله بن سبأ) سبباً مانعاً لقبول المذكور فيها من دون اسناد لامتناع وصول المعلومة عن هذه الشخصية بصورة مباشرة أو تلقائية لأن هذه المدة تصل إلى ما يقارب (٢٦٠) سنة ، مع

=

الزمنية الكبيرة المحققة للارسال ؟]

[عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ١٢٦]

العلم انهم لم ينقلوا كلاماً لـــ (عبد الله بن سبأ) ينسب إليه ، وانما ذكـــروا مـــا يتناوله الناس في حقه من دعاوى بثها وافكار نشرها .

وإذا ما انتقلنا إلى الخطبة (الشقشقية) فإننا نجد هذا الوصف قد تحقق فيها باوضح صورة إلا وهو البعد الزمني بين ظهورها على الواقع وبين زمان ســيدنا علي ﷺ الذي يدعى انه قالها فيه .

فلو أخذنا نهج البلاغة المصدر المعتمد لهذه الخطبة واعتمدنا سنة (٤٠٠) كسنة صدور له فإنه على الاقل سيكون بينه وبين الزمن الذي خطب بـــه ســيدنا علي (٣٦١) سنة وهذا كما ترون يزيد بـــ (١٠٠) سنة عن حال (عبـــد الله بن سبأ) والمنقول عنه في كتب المقالات والفرق .

لذلك ينبغي ان يكون الحكم عليهما متشابهاً من هذه الجهة لانتفـــاء الفـــرق بينهما، ويقوى فيما يخص الخطبة (الشقشقية) لانها عبارة عن نقل لكلام طويل صعب الكلمات ، كثير التحكمات مما يستحيل معه ان تروى هكذا من دون ســند مثبت، وطريق معتبر ، ومصادر ، ومراجع مرسخة ومثبتة .

فضلاً عن مخالفتها للكثير من الآيـــات ، والاحاديـــث النبويـــة المتـــواترة المادحة للشخصيات التي تعرضت لها الخطبة بنوع ذم (أبو بكر وعمر وعثمان) والمناقضة للمفهوم من هذه الخطبة بخلاف (عبد الله بن سبأ) الذي لا يوجد لـــه معارض ينفي وجوده ، أو يشير إلى هذا النفي وبالاخص في كتب الشيعة .

لذا فالذي ينتج من تطبيق المنهج الموضوع من مرتضى في التعامـــل مـــع الكتب والروايات الخالية من السند ان تكون هذه الرواية مردودة ومرفوضة هـــي والكتاب الذي يتضمنها لتحقق ما ذكره فيهما مع زيادة في التحقق ، وقـــوة فـــي الثبات والوجود .

على الرغم من اهمية هذه الخطبة وشهرتها إلا انها لم ترد في الكتب الاربعة

٤- أيضاً من الأمور الرئيسية التي اعتمد عليها مرتضـــى العســـكري فـــي إسقاط الروايات المثبتة لوجود (عبد الله بن سبأ) في كتاب رجال الكشـــي هـــو انها لم تورد في الكتب الأربعة المعتمدة عندهم في الروايات علـــى الـــرغم مـــن

شهرة كتاب رجال الكشي عندهم ذلك الكتاب الذي اورد تلك الروايات عن ائمتهم.

وهذا يعني ان هذه الروايات ليست ذات قيمة عندهم ، ولا اعتبار لها ، بدليل انهم لم يكلفوا انفسهم روايتانتقلنا إلى الخطبة (الشقشقية) تلك الخطبة التي جعلها علماء الشيعة في مصاها ، ولم يقوموا بايرادها في كتبهم.

وإذا ما ف النصوص الجلية المثبتة للامامة ، وانزلوها المنزلة التي بينت لك قبل قليل فهي على درجة من المفترض ان تفوق درجة الشهرة الثابتة لكتاب رجال الكشي ، ومتقدمة عليه من جهة التداول فيما بينهم ، والانتقال من احدهم إلى اخر على نوع ارقى واهتمام اكبر .

ولكن على الرغم من هذه الشهرة المفترضة لهذه الخطبة ، والمنزلة والدرجة المزعومة لها فإننا لن نجد لها اثراً في الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة ، بل ولم يشيروا إليها بادنى إشارة من ذكر لاسمها ، أو اقتطاع لبعض الالفاظ منها.

واخص بالذكر من هذه الكتب كتاب أصول الكافي بالذات لانه جمع بين دفتيه كل ما تيسر وامكن من الادلة المثبتة للامامة عندهم ، والمحققة لها فيما بينهم .

لذا فمن هذا الوجه ينبغي ان تكون الخطبة (الشقشقية) هي الأولى بعدم الاعتبار ، وهي الاقرب إلى الرفض ، والانكار لتحقق هذا الضابط الذي اعتمده مرتضى هنا فيها تحققاً تام الابعاد ، كامل الصورة ، واضحاً جلياً من غير غبش ولا غواش .

الدس والاختراق في كتب الشيعة

٥- وكذلك لقد وضع مرتضى قواعد تخص الكتب فيما يتعلق بالروايات التي لا يمكن على وفق المعتقد المؤصل ان يعمل بها ، أو الثابت من الأفكار الخاصة بهذه الروايات ان تقبل وعلى وفق الأمور المتسالم عليها ان يكون لها ثبوت هذه القاعدة ادرجها مرتضى تحت باب التسامح في نقل هذه الروايات ، أو تسربها إلى هذه الكتب عن طريق الدس والاختراق .

وانطلق بعيداً بهذه القاعدة ليجعل منها سببأ رئيسياً للطعن بالمرويات المخالفة لما عنده ، والمصادمة لمعتقد الشيعة التي حوتها الكتب وليتوصل إلى ردها ونقضها عن طريق هذا المطعن وبنى عليه ان الروايات الواردة بحق (عبد الله بن سبأ) المثبتة لوجوده انما هي ليست من مرويات الشيعة انفسهم ، وانما دخلت إلى ساحتهم خلسة ، عن طريق تمريرها من قبل بعض أصحاب الاغراض .

وساعد في هذا التمرير والاختراق تسامح علماء الشيعة في الاخذ بالروايات، وانتفاء الحزم عنهم في التعامل معها مع الإشارة إلى ان هذه الروايات كلها مسندة وذهب علماء الشيعة إلى صحة هذه الأسانيد مع كون المسندة إليه والمروية عنه هم أئمة الشيعة المعصومون وهنا نقول :

اذا كان رد الروايات المسندة ، والصحيحة السند – وهذا نادر عند الشيعة– والمروية عن الرؤوس المعتمدة عندكم وهم ائمتكم المعصومون بهذه السهولة، وبهذا اليسر غير المسبوق ، فماذا سيكون والحال هكذا الحكم على الخطبة (الشقشقية) إذا ما طبقنا عليها هذا الضابط ، واستخدمنا معها هذه المعايير ؟

الدس ، والاختراق ، والتمرير ، والتسرب ينطبق على الخطبة الشقشقية اولى من غيرها

فالخطبة كما هو معلوم يقيناً بالنسبة لنا وللمحققين – كما سيتبين – لا سند لها يمكن اثباتها عن طريقه ، أو الحكم عليها باي حكم من الأحكام المقررة أو المقوية بواسطته، ونقلها وتناقلها انما كان في كتب لا اعتماد عليها ، ولا احتجاج يمكن ان يتوصل إليه بها بل هي إلى كتب القصاص اقرب ، وإلى مصنفات أصحاب الاساطير والخيالات اشبه .

لذا فامكانية ان ينطبق عليها هذا الحكم الخاص – بالدس ، والاختراق، والتمرير، والتسرب ، من بعض أصحاب الاغراض ، واصحاب التوجهات الخاصة، والميول المنحرفة وما اكثرهم في وقت ظهور هذه الخطبة على الساحة – كبير، واحتمالية تحققه على أعلى درجات هذا الاحتمال .

لا وجود حقيقي لهذه الخطبة قبل الشريف الرضي

ومما يرجح هذه الامكانية ويجعل لها نوع ثبوت في الذهن تمسك الكثير ممن ينتسب إلى العلم واهله بهذه الخطبة بعد ظهورها مع عدم وجود إشارة إليها من علماء الشيعة السابقين لها ، والذين تسند اليهم الصدارة في المذهب ، وعليهم الاعتماد في تأصيل قواعده ، وارساء ، وترسيخ اصوله ، واسسه فلو كان لمثل هذه الخطبة وجود حقيقي قبل تاريخ ظهورها ، اكان من المعقول ان يغفل عنها كبار علماء المذهب ، وفحوله الرئيسيون ؟

وهم في سبيل إثبات نظريتهم في الامامة جمعوا كل ما هب ودب من الروايات، والأقوال ، والاثار ، والاخبار بلا استثاء ، وبلا تمييز .

فاي كتاب يعثروا عليه حتى لو كان لعجوز من عجائز بلاد ما وراء النهر فيه إشارة لفضيلة لعلي ، أو تلميح بمنقبة من مناقبه إلا وجاؤوا به معتبرين اياه دليلاً جلياً على إثبات الامامة .

ونقبوا في كتب المرويات واخرجوا كل ما فيها من الروايات مما فيه إشارة ولو مبهمة على قضية الامامة ، أو فضيلة لعلي ﷺ حتى لو كانت هذه الرواية مختلقة ، أو موضوعة ، أو لا أصل لها ، واعتبروها حجة قاطعة ، ودليلاً ظاهراً ، وبرهاناً ساطعاً على الامامة من حيث العموم ، وامامة علي ﷺ من حيث الخصوص .

ونحن على يقين ان هذه الخطبة لو كانت متداولة بين ايديهم ، ولها وجود كما يزعم القائلون بذلك لتشبثوا بها حد الالتصاق ، ولعضوا عليها بالنواجذ، ولجعلوا منها قولاً فصلاً من الإمام علي نفسه يثبت الامامة له بيقين ، ويثبت حكم المخالفين له والمعاندين ممن يزعمون انهم للامامة غاصبين .

فكل هذه ترجح ، ان لم تكن مثبتة لحكم الدس والتسرب والتمرير لهذه الخطبة في ثنايا الكتب مع الصاق نسبتها للامام علي ﷺ ، وسهل هذا التسرب والتمرير تسامح بعض المغرضين أصحاب الاهواء الذين قبلوا مضمونها لموافقته ما يعتقدون ، وامكن اثباتها في الكتب تحقيقاً لذاك الدافع الخاص بجعلها دليلاً لإثبات الامامة لعلي ﷺ ، والطعن بمن غصبها منه كما يزعمون .

لا مرجح في رد روايات ابن سبأ الصحيحة وفي قبول الخطبة الضعيفة

وكما ذكرنا ان انطباق الضوابط التي وضعها مرتضى في الحكم على الروايات التي لا يمكن قبولها ولا تستساغ عقلاً من وجهة نظره ، ولا واقعاً بانها مدسوسة وممررة ومسربة من قبل أصحاب الاغراض قد تحققت بصورة اكبر ، وباحتمالية اقوى، وبمرجحات أكثر في الخطبة (الشقشقية) عما هو الحال في الروايات المثبتة لـ (عبد الله بن سبأ) .

فلماذا ياترى روايات عبد الله بن سبأ ترد ، وتنكر ، ويشنع عليها مع كونها مسندة وصحيحة الاسناد باعتراف علماء الشيعة ، والخطبة (الشقشقية) التي لا اسناد لها ، ولم تعرف عند المتقدمين تثبت وتصبح دليلاً ، وحجة ، وبرهاناً وترد على اساسها القواطع المتكررة والكثيرة من الآيات القرانية ، والاحاديث النبوية المخالفة لها المادحة صراحةً وبكل وضوح وجلاء لـ (أبي بكر وعمر وعثمان) والمثنية عليهم افضل الثناء واعلاه درجة واثراً ؟ اهو التطفيف ؟ أم الكيل بمكياليين ؟ أم هو الهوى ؟ أم كل ذلك جميعاً ؟ أم عندكم علم فتخرجونه لنا ؟ نبئونا ان كنتم صادقين ، فإننا حقيقة نقولها قد تحيرنا في امركم ، واذهلتنا تصرفاتكم فهي إلى الخداع ، والتلاعب ، والمكر ، والخبث ، والدهاء اقرب منها إلى العلم ، والدين ، والحكمة ، والمنطق .

في كتاب نهج البلاغة خطب كثيرة تخالف مفهوم الخطبة الشقشقية

٦- وكذلك أيضاً مما اعتمده مرتضى في رده للروايات المثبتة لوجود عبد الله بن سبأ قاعدة تناقض الروايات وذلك عن طريق معارضتها بروايات أخرى بحيث لا يمكن مع هذه المعارضة ان يتحقق جمع لهذه الروايات وعليه نقوم باسقاطها تخلصاً من هذا التناقض ، وكما اتضح لنا من خلال البحث انه قام بمعارضة الروايات المثبتة لشخص عبد الله بن سبأ بروايات الإحراق .

متوصلاً بهذه المعارضة إلى محاولة إثبات تناقض واقعي لا يمكن معه ان يكون هناك وجود لـ (عبد الله بن سبأ) ، وعليه فاي رواية تثبت وجوده فهي مردودة لا يمكن قبولها بناءاً على هذا التعارض.

ورد على هذا الأساس كل الروايات الصحيحة المسندة المثبتة لوجود (عبد

الله بن سبأ) ، ونحن نقول إذا كان تحقق التناقض عندكم بهذه السهولة ، وبناء الأحكام عليه بتلكم البساطة فرددتم على إثره روايات صحيحة مسندة إلى ائمتكم المعصومين ، فما الداعي إلى اعراضكم عن الخطبة (الشقشقية) ؟

ولماذا تغافلتم عن التناقض البين المتحقق بين الخطبة (الشقشقية) التي وردت في نهج البلاغة مع غيرها من الخطب التي حواها نفس الكتاب ، والتي تخالف وتعارض مضمون الخطبة (الشقشقية) ولا يمكن ان يستدل معها بالخطبة (الشقشقية) لا على إمامة ، ولا على غيرها ؟

مع الإشارة إلى ان هذه الخطب النافية – في نهج البلاغة – بمفهومها لنظرية الامامة ودعاوى الشيعة فيها أقوى من حيث امكانية الاثبات ، وابين من جهة الدلالة من تلك الخطبة المسماة بالخطبة (الشقشقية) ، من مثل قول علي في هذه الخطب :

* [إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا] .

* [دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ... إلى أن قال : وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أميرا] .

* [والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها] .

* [وبسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككتم علي تداكُ الهيم على حياضها يوم وردها] .

* [لله بلاء فلان– عمر بن الخطاب – لقد قوم الأود ، وداوى العمد، وأقام السنة ، وخلف البدعة ، وذهب نقي الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها واتقى شرها ، أدى لله طاعة واتقاه بحقه ، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي إليها الضال، ولا يستيقن المهتدي] .

* [لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحدا يشبههم منكم

لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم ويقبضون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى ابتلت جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء الثواب].

* [أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرأو القرآن فأحكموه ، وهيجوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللقاح إلى أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً ، وصفاً صفاً ، بعض هلك ، وبعض نجا ، لا يبشرون بالأحياء ، ولا يعزون بالموتى ، مر العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين ، أولئك أخواني الذاهبون ، فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم] [1] .

ضوابط مرتضى منطبقة على الخطبة الشقشقية أكثر من غيرها

ان الضابط الذي وضعه مرتضى كمنهج في التعامل مع الروايات المثبته لـ (عبد الله بن سبأ) لردها عن طريق ادعاء التناقض نجده منطبقاً وبقوة في الخطبة (الشقشقية) الواردة في كتاب نهج البلاغة و بقية الخطب الاخرى التي وردت في الكتاب ، والمعارضة مفهوماً لمفهوم الخطبة (الشقشقية) .

وعلى اقل تقدير وعلى سبيل التنزل وعلى فرض القبول نقول : لماذا لا يتم الجمع بينها بحمل الخطبة (الشقشقية) على معنى موافق لتلك الخطب، ومنسجم معه كما فعله ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة ؟

هذا كله على تقدير إثبات وجود واقعي للخطبة الشقشقية ، والا فإن إثبات هذا الوجود للخطبة ممتنع إلى درجة الاستحالة ، لانتفاء السند القاضي باثبات مثل هكذا حكم.

---

(١) [نهج البلاغة / شرح محمد عبده ج١ ، ٢ ، ٣ ص ٧ – ٢٤٣]

الطعن بكتاب الكشي وبمؤلفه

٧- لقد قام مرتضى العسكري بمحاولات كثيرة ومتعددة لاسقاط كتاب رجال الكشي والغائه من الاعتبار ، وتوجهت محاولاته هذه بصورة مباشرة على الكشي نفسه من خلال الصاق الطعون فيه ، وبمنهجه العلمي – كروايته عن الضعفاء – ، وبضوابطه التي يتبعها ، متوصلاً إلى كونه ليس من أصحاب الشأن الذين من الممكن ان يعتمد على المروي في كتبهم .

كما توجه إلى الكتاب نفسه – رجال الكشي – طاعناً فيه جاعلاً اياه مسرحاً لعدة مشاهد من النقائص من كون المروي فيه بدون سند ، والتسامح في ادخال الروايات إليه من قبل مؤلفه وقبولها دون تشدد أو زيادة في التأكد والتحقيق ، إلى اخر ذلك مما اتهمه فيه .

وكان جل قصده من هذا المسعى التوصل إلى الطعن بالروايات المثبتة لشخص (عبد الله بن سبأ) كونها لا يمكن ان ترد بنفسها لاعتمادها على أسانيد صرح علماء الشيعة انفسهم بصحتها ، وقبلوا مدلولها ، ومضامينها فما كان منه إلا ان يلتف هذه الالتفافة لأجل إسقاط هذه الروايات .

تطبيق ضوابط مرتضى على كتاب نهج البلاغة

ونحن نقول له ما اجمل منهجك هذا لو قمت بتعميمه على جميع الكتب والتعامل به مع جميع المرويات ، ولكن مع انتفاء هذا الأمر منك ، فإن قصور هذا المنهج ، وضعف هذا الضابط هو المتحقق الثابت .

ذلك اننا لو طبقنا ضوابطك هذه التي استعملتها في إسقاط كتاب رجال الكشي على كتاب نهج البلاغة الحاوي على الخطبة (الشقشقية) لما بقى لنهج البلاغة وجود ، ولما تجرأ أحد على التلفظ باسمه بعد ذلك ، فضلاً عن ان يستدل به، ولصار كتاب رجال الكشي بمنزلة الصحاح ، والمسانيد ، والكتب المعتمدة على غاية ما يمكن من الاعتماد مقارنة مع النهج .

الشريف الرضي ليس من المتخصصين بعلم الحديث والرواية

لأن نهج البلاغة الفه الشريف الرضي وهو رجل لا يعرف بأنه من أهل الاختصاص بالاخبار والروايات ، ولا هو من المهتمين بالاحاديث والاثار ، ولم يعرف عنه انه من المعتنين برجال الأسانيد ، ولا أصحاب الخبرة في تمييز صحيح المرويات من ضعيفها ، ومقبولها من مردودها .

لذا فوفق هذا الضابط الذي وضعه مرتضى يكون رده هو المتحقق وعدم الاعتماد عليه هو الأصل الثابت ، خصوصاً إذا ما علمنا ان كتاب رجال الكشي الذي اسقطه مرتضى للعلامة الكشي المتخصص بالرجال ، وصاحب الخبرة بالاسانيد ، بل ان كتابه هذا الذي اسقطه مرتضى مخصص أصلاً للرجال وللحكم عليهم .

كما اننا لا يمكن ان نعرض عن حقيقة ان هذا الكتاب – نهج البلاغة – أصلاً لا أسانيد للخطب التي يحويها ، ولم يشر إلى مصادر قد أخذ منها معتمداً عليها في النقل ، بخلاف كتاب رجال الكشي الحاوي على أسانيد ، والمذكورة فيه الطرق التي يمكن عن طريقها معرفة صحيح المرويات من ضعيفها ، ومقبولها من مردودها .

لذا وبناءاً على الضوابط التي اعتمدها مرتضى في إسقاط الكتب ، أي الكتابين احق بالرد ان كنتم صادقين ؟!

واي المصنفين اولى بالاعتماد والاستدلال ، ان كنتم عن الحق باحثين، وبالقواعد عالمين ، وبهذا العلم الذي تدعونه عاملين ؟

كتب الشيعة ساقطة عن بكرة ابيها إذا طبقنا عليها قواعد مرتضى

بعد هذا العرض لهذا المثال عن طريق اجراء مقارنة ما بين روايات المثبتة لشخصية (عبد الله بن سبأ) ، وبين الخطبة (الشقشقية) باعتماد الضوابط والمنطلقات التي اعتمد عليها مرتضى في إسقاط هذه الروايات ، واسقاط الكتب التي اوردتها تبين لنا منهجهم على حقيقته ، وكيف انهم يتعاملون مع القضايا على اختلافها على اساس الغرض والمنفعة ، منطلقين في اثباتها أو نفيها من

نظرة قاصرة ، وجزئية يحكمون من خلالها على القضية بحد ذاتها غاضين الطرف ، ومتغافلين عن غيرها من القضايا التي تشترك معها في الصور، وتتفق معها في الكينونة ، وتتشابه معها في الورود والاستدلال ، لانهم ينظرون إلى ذات مجردة عن غيرها مما يتعلق بها .

لذا إذا ما اخذت ضوابط علماء الشيعة التي يعالجون بها جزئية معينة من جزئيات الفكر – عقائدية كانت أو فرعية ، تاريخية كانت أو روائية– كالضوابط التي اعتمدها مرتضى العسكري لأجل تحقيق مساره في انكار وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) ، وطبقت على غيرها من القضايا الاخرى المشابه لها من حيث الشكل والمضمون ، فالنتيجة ستكون ان الحكم الصادر بحق هذه القضايا سيكون مخالفاً لما هو عليه عند الشيعة ، ومعارضاً لما يذهبون إليه ، ومناقضاً للذي يتفقون عليه ويقررونه ويعتمدونه ، وهذا ما اتضح ورأيناه هنا في كلامنا عن الخطبة (الشقشقية) .

ولا ابالغ في القول انه إذا ما طبقت قواعد مرتضى هنا على كتب الشيعة جميعاً، وعلى مروياتهم جملة وتفصيلاً ، فانك لن تجد لهم كتاباً مقبولاً يمكن ان يعتمد عليه ، ولا رواية موثوق منها يمكن ان يطمئن إليها .

وكتبهم ها هي بفضل دولة إيران الاسلامية موجودة وبكثرة على الساحة، ومروياتهم تلكم قد فاحت ريحتها ، وطفحت على وجه الأرض .

فحيهلا إليها ايها الباحثون والمحققون المريدون للحق توجهوا وتقدموا بنية البحث ، وقصد التحقيق ، ولن تتعبوا ، ولن تحتاجوا إلى جهد مضني للتوصل إلى حكم مناسب وحقيقي على هذه الكتب يقضي باسقاطها وابطالها فما عليكم ايها الباحثون ان تأخذوا فقط بضوابطهم ، وبقواعدهم التي يعالجون بها القضايا الجزئية نفياً أو اثباتاً ، وتطبقونها على الغير المطلوب البحث فيه فستتوصلوا إلى الحكم انف الذكر وستجدوا الذي وجدناه مما قد عرضناه عليكم في هذا المثال .

عرض أو مساومة

بعد ان اكتملت صورة المثال الذي قصدنا عرضه إليكم توضيحاً لمناهج علماء الشيعة في التعامل مع الروايات ، وطرائقهم في الاختيار ، والاثبات ، والنفي.

وتبين لنا من خلال هذا المثال التشابه التام ما بين الخطبة (الشقشقية) ووجود (عبد الله بن سبأ) في الأمور التي عرضها مرتضى حصراً لأن الحقيقة ان قضية (عبد الله بن سبأ) في ميزان الاثبات العلمي كفتها ارجح ، وثقلها اكبر .

ولكن على الرغم من هذا وتنزلاً مع مرتضى وغيره من علماء الشيعة، سنعرض عليهم عرضاً فيه نوع مساومة متعلق بهذين الامرين اللذين تم تناولهما في هذا المثال وهما : (الخطبة الشقشقية ، وعبد الله بن سبأ) ، صورة هذا العرض يمكن ان تقدم على الوجه الاتي :

هل يقبل مرتضى العسكري ، أو غيره من علماء الشيعة ممن تبنى اختياره في انكار وجود ابن سبأ بأن ينكر وجود الخطبة (الشقيقية) ويلغيها من الاعتبار لكونها على هيئة (عبد الله بن سبأ) في امكانية الانكار بناءاً على ما أصله مرتضى ، ونحن نضمن له ان قبل بهذا الاسقاط للخطبة (الشقشقية) ان نسقط (عبد الله بن سبأ) من الاعتبار ، وان لا يكون له تداول فيما بيننا .

فعبد الله بن سبأ بالنسبة الينا شخصية غير مؤثرة لا على عقائدنا ، ولا على مناهجنا ، فانتم من يحتاج هذا الانكار لا نحن ، كما إن عقائدكم سواءاً نسبت إلى ابن سبأ أم لم تنسب فإنه لن يغير في الحكم عليها من شيء ، فتبقى عقائد غريبة على هذا الدين لا تمت له بصلة ، بعيدة كل البعد عن مصادره وموارده، لا دليل يثبتها ، ولا حجة تقررها .

لكن الكلام على الخطبة عندكم يختلف ، فهي لكثرة تداولها بينكم ، ولكثرة استدلال علمائكم بها ، واعتمادهم عليها ، صارت كالوثيقة الرسمية المعتمدة عندكم في إثبات دعواكم بامامة علي رضي الله عنه .

فهل ياترى مع هذا الحال الذي انزلتم الخطبة (الشقشقية) اياه تقبلوا بهذا العرض ؟ أو تسمحوا لانفسكم ان تفكروا فيه ولو للحظة ؟ أم ان التعصب

الطائفي ، والانغلاق على مصالح المذهب وما يخدمه سيكون حاجزاً يمنع من مجرد التفكير بهذا العرض فضلاً عن قوله ، والامر إليكم فانظروا ماذا تصدرون؟ *

النتيجة

بعد ان اوردنا إليكم هذه الامثلة : (توثيق العصابة ، توثيق زرارة ، الخطبة الشقشقية) التي اثبتنا بواسطتها انخرام القواعد التي اعتمدها مرتضى لنفسه لأجل تثبيت اختياره في نفي وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) وتوجيه هذا الأمر واضح من خلال البحث الذي عرضناه إليكم ، واكتفينا بهذه الامثلة لتثبت هذه الحقيقة والا فالامثلة كثيرة وكثيرة جداً تلك التي تخص بيان التناقض.

ولاجل تحديد المنطلقات التي على اساسها اعتمدنا نقض ما جاء به مرتضى، سنقوم بعرضها عليكم على شكل نقاط مختصرة تجمع النتائج التي تم التوصل إليها عن طريق هذا العرض للامثلة :

اولاً :

رواية توثيق زرارة لم ترد في الكتب الاربعة

ان الرواية التي عن طريقها اعتمد الشيعة على توثيق أهم راوي لمرويات الائمة، والتي يحتج علماء الشيعة بها لم تتناولها الكتب الأربعة ، ولم تعتمدها في مباحثها وابوابها ، على الرغم من الأثر الكبير الذي ينبني عليها .

وإذا ما اردنا ان نجعل من ضوابط مرتضى العسكري قاعدة عامة في التعامل مع المرويات ، فينبغي حينها ان نسقط هذه الرواية ، لأن الأولى اسقاطها فهي أهم من قضية (عبد الله بن سبأ) التي بَّرر عدم الاعتماد على المرويات المثبة لوجودها لانها لم ترد في الكتب الأربعة .

---

* اثبتنا في كتابنا (أسطورة الخطبة الشقشقية) انتفاء وجود أي مصدر حقيقي أو أي سند ، يمكن بواسطتهما اعتماد هذه الخطبة أو امكانية اثباتها .

فمن أراد الاستزادة من المعرفة عن حقيقة هذه الخطبة ، وحقيق الدعاوى فيها فما عليه إلا الرجوع إلى هذا الكتاب فسيجد فيه ضالته .

فالرواية هنا اساس يعتمد عليه للتعديل والتوثيق لا لرجل عادي كما ذكرنا وانما لراو من افضل الرجال عند الشيعة ، كما ان الطعن الذي قد ورد عليه لا يتم تخريجه إلا بهذه الرواية .

وعليه نقول لمرتضى العسكري أنت بين واحد من امرين :

اما ان تقبل باطراد قاعدتك التي اعتمدت عليها وعند ذاك فالحكم برد الرواية هذه (الموثقة لزرارة) ، واسقاطها هو الحكم اللازم لك الذي لا تنفك عنه مطلقاً.

او تعترف بانتقاض قاعدتك هذه بعدم امكانيتها استيعاب جميع الاحوال والمتعلقات الخاصة بالروايات ، وعند ذاك فيجب طرحها ، وابعادها عن الساحة لانتفاء اهليتها في الحكم والتأصيل ، وعليه فلا عبرة بها ، ولا اعتماد عليها في ضوابط العلم .

ثانياً :

الرواية بدون سند

اذا فرضنا قبول ادعاء مرتضى صحة الحديث الذي يرويه الكشي من دون سند والذي على اساسه تم توثيق العصابة .

فالسؤال الذي ينبني على هذه الفرضية ، ويفرض نفسه بقوة في الوقت نفسه هو :

لماذا قبلت هذه الرواية ، وتم الاخذ بها ، والتسليم باغلب حيثياتها – هناك اختلاف بين علماء الشيعة في بعض جزئيتها – ، ورفضت ونبذت الروايات الصحيحة الوارادة في كتاب الكشي ، والمسندة إلى الأئمة المعصومين ؟

فكما اشرنا إليكم ان هناك ثلاث روايات تثبت وجود شخص (عبد الله بن سبأ) مسندة إلى الأئمة المعصومين صححها علماء الشيعة ، قام مرتضى العسكري بالتغافل عنها ، واعتبارها في حكم غير الموجودة ، بدليل تغاضيه عن النتائج المترتبة عليها والأحكام المستفادة منها .

وعليه سنقولها إلى مرتضى :

اما ان تبين القواعد والضوابط التي على اساسها تحكم بالضعف أو القبول

للروايات ، وعند ذلك يسلم باحكامك التي تصدرها عليها ؟

أو ان تترك هذا الأمر لما فيه من اخلال بضوابط العلم وقواعده والذي يجعل من قبول احكامك في الروايات امراً غير ممكن ، ولا مقبول .

ثالثاً :

كتاب الكشي له منزلة كبيرة في المذهب

ان الثابت في المذهب الشيعي والمتعارف عليه عند علمائه اهمية كتاب (الكشي) إذ انه يعتبر عندهم من المصادر الرئيسية ، والاساسية في توثيق الرجال ، أو تجريحهم * .

هذا الكتاب الذي يحتل هذه المنزلة ، وجه مرتضى إليه مختلف الطعون، والتجريحات بغية تضعيغه ، وتسقيطه وصولاً إلى تحقيق مبتغاه في نفي شخص (عبد الله بن سبأ) الذي تثبت روايات هذا الكتاب وجوده .

وهنا تبرز عندنا اشكالية المثال الذي اوردناه بأن هناك في كتاب الكشي نفسه وفي غيره من الكتب الذم الكثير الموجه إلى (زرارة) ، والذي لا يمكن تخريجه إلا عن طريق رواية رواها ابن زرارة ، واوردها (الكشي) في كتابه.

وإذا ما اردنا ان نعتمد تسقيط مرتضى لكتاب الكشي ، وتشكيكه لمروياته فعند ذاك سنرد هذه الرواية ، ويثبت الذم في حق زرارة لانتفاء التخريج له عن طريق الروايات.

---

* واثباتاً لاهمية كتاب (الكشي) عند علماء الشيعة نجد ان الخوئي في كتابه (معجم رجال الحديث) قد اعتمد على مرويات هذا الكتاب في أكثر من (١٠٠٠) موضع، وهذا خلاف ما ذهب إليه مرتضى العسكري من تقليله لشأن هذا الكتاب .

رابعاً :

قواعد مرتضى في الحكم على الكتب والروايات تنطبق بوضوح على الخطبة الشقشقية

ان الخطبة (الشقشقية) لها حظور متميز ووقع كبير عند الشيعة وبالاخص فيما يتعلق باثبات إمامة علي رضي الله عنه كما سبق ان بينا ، ولكن مرتضى لم ينتبه إلى ان ما وضعه من قواعد وضوابط في حكمه على الكتب بالرد ، وعلى الروايات بالتسقيط ينطبق على هذه الخطبة بوضوح وبقوة ، ولا يمكن ان يحكم عليها إذا ما طبقت هذه القواعد عليها إلا بالرد والتسقيط :

فورود الخطبة لم يظهر للعيان إلا بعد مرور فترة زمنية طويلة من تولي الإمام علي رضي الله عنه للخلافة زادات على الثلاثة قرون .

كما ان هذه الخطبة لم ترد في الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة في الرواية على الرغم من اهميتها .

اضف إلى ذلك فإن احتمالية الدس ، والاختراق ، والتحريف وارد على هذه الخطبة وبدرجة كبيرة .

فهذه الأمور عينها جعل منها مرتضى مسقطات للروايات الواردة في كتاب الكشي المثبتة لوجود (عبد الله بن سبأ) ، ومرجحات للحكم عليها بالرد والتضعيف.

كما انه اسقط كتاب الكشي نفسه باعماله هذه الضوابط السالفة الذكر فيها، وبتعدية هذه الضوابط على الخطبة (الشقشقية) فلم يبقى امام مرتضى إلا ان يرضى بردها وبتسقيطها ، أو يبطل ما قعده من قواعد واصله من ضوابط في الحكم على الروايات والكتب .

فأي السبيلين يختار ؟

والى أي طريق يتجه ؟

خامساً :

مرتضى منهجه العلمي ضعيف

لقد اوضحت لنا هذه الامثلة وغيرها مما تم تناوله ضعف المنهج العلمي الذي يعتمده مرتضى العسكري في تأصيله للمباحث وفي بنائه للاحكام على هذه التأصيلات .

فمرتضى تجد له في كل مبحث – فضلاً عن الكتب – منهجاً خاصاً ، وطريقة جديدة يعتمد عليها في إثبات حيثياته ، على الرغم من الاشتراك المحقق بين مواضيع هذه المباحث والتي توجب الاشتراك في المنهجية .

سادساً :

اضطراب وتناقض قواعد مرتضى

عدم اطراد قواعده ، والتناقض الكبير الذي اوقع مرتضى به نفسه في تناوله لقضايا التاريخ وغيرها من المسائل بسبب هذا الأمر .

فهو عندما يضع قاعدة له من أجل إثبات أمر معين يختاره في قضية ما، تجده في قضية أخرى اللازام فيها اتباع نفس القاعدة لا يلتزم بهذا الاتباع ، ويخط لنفسه طريقاً جديداً بعيداً كل البعد عن القواعد المعتمدة عنده .

سابعاً :

نظرة مرتضى للمسائل جزئية وقاصرة

ان الأمر الذي يلزم من تطبيق الضوابط والقواعد التي اعتمد عليها مرتضى العسكري في كتابه هذا هدم كثير من الروايات الموجودة في مذهبهم ، والتي تشكل اهمية عظيمة عندهم بما ينبني عليها من أحكام هامة ، وأصول تثبت دعائم مذهبهم وهذا دعى إليه النظرة الجزئية القاصرة للمسألة التي يتناولها ، إذ هو ينظر إليها بمعزل عن غيرها من القضايا ، فلا ينتبه إلى التأثير الذي يترتب وينبني عليها .

ثامناً :

مرتضى خالف الكثير من علماء الشيعة

وقوعه في المخالفات لعلمائه الذين يعتمد عليهم في إثبات قواعد المذهب وتأصيل مبانيه ، والداعي لهذا الاسباب التي اشرنا إليها في النقطة السابقة والمثال الواضح فيه تسقيطه لكتاب (الكشي) مع اعتماد علمائه عليه .

تاسعاً :

المنهج الانتقائي المحقق للمصالح والاغراض

اثبات المنهج الانتقائي ، والغرضي له في التعامل مع القضايا التي يبحثها، فالعبرة في الاثبات والنفي عنده كما ذكرنا تحقيق المصالح ، واثبات ما يخدم وترسيخ الاغراض ، فعلى اساسها يتم الاثبات والنفي وقد اشرنا إلى أمثلة كثيرة تثبت هذا الأمر .

نصائح لمن يقرأ كتب الشيعة

وختاماً نود أن نضع بين أيديكم حقيقة مهمة لا ينبغي ان تغفلوا عنها ، وينبغي أن تجعلوها نصب أعينكم إذا ما قرأتم في كتب الشيعة هذه الحقيقة ان هذا المذهب ترد عليه من الشبه والاشكالات الشيء الكثير والكبير والتي لا تحتاج في إخراجها إلا لأمرين :

الأول :

التركيز في القراءة .

ثانياً :

صرف الذهن إلى حقيقة وجود الشبه ، ولذلك تجد علماء الشيعة وخصوصاً المتاخرين منهم يحاولون وبشتى الوسائل درء ودفع هذه الشبه عن مذهبهم ولكنهم بفعلهم هذا يقعون في ما هو اكبر من الشبه ، ويسقطون في حفر مظلمة لا نهاية لها ولا قرار .

وهذا ما اتضح لي جلياً في بحثي في كتب الشيعة ، وهو الذي انصح القراء والباحثين بأن يتوجهوا إليه حال قراءتهم لكتب الشيعة ، فانهم سيرون ما رأيت،

ويجدون ما وجدت ، بل ربما سيصلون إلى ابعد من ذلك ، ولكن بشرط ان يركزوا في القراءة ، ويحققوا في المكتوب ، ويصرفوا الذهن إلى النوايا والمقاصد الدافعة لعلماء الشيعة للكتابة . والله اعلم .

المبحث الثاني
استدراكات على مرتضى

مدخل

كما ذكرنا في التمهيد لهذا الفصل ان الكتاب مهما بلغ ومهما كانت قيمة المعروض فيه ، ومهما كان حال كاتبه من العلم والوصول فلا يخرج عن كونه جهداً بشرياً ، يعتريه ما يعتري الصادر من البشر من السهو ، والخطأ، والنقص الناتج اما عن الجهل بالمسألة ، أو القصور في احاطة العلم الخاص بها، أو في بعض الاحيان وربما غالبه في هذه الازمان التعمد بغض الطرف عن بعض المسائل طاعة للنوازع البشرية ، والميول النفسية .

وكتاب مرتضى هذا ليس بدعاً في ذلك بل حاله كحال بقية الكتب ، وان كانت صفة الاعراض والتغافل منه عن إيراد بعض الأمور أو تحقيقها هي الصفة الغالبة عليه ، والمستشريه في بحثه هذا .

وانا هنا في هذا المبحث استدركت عليه اموراً ذات أثر كبير على موضوع البحث ، وعلى الأمور المبنية فيه التي حاول مرتضى تثبيتها ، مبيناً السبب الذي دفعه إلى ترك إيراد هذه الأمور ، أو إلى ضعف تناولها إلى درجة رفض هذا التناول ومجه ، وقد جمعت بعضاً من هذه الاستدراكات والتي وجدتها على جانب كبير من الاهمية في مطلبين ، وترتيبهما على النحو الاتي :

المطلب الأول :

مرتضى لم يناقش روايات الكشي سنداً .

المطلب الثاني :

تخريج ممجوج لروايات الأئمة الذاكرة لابن سبأ .

المطلب الاول

مرتضى لم يناقش روايات الكشي سنداً

مرتضى العسكري لم يناقش روايات الكشي سنداً

أقول :

كما ذكرنا سابقاً ان مرتضى العسكري في بحثه هذا توصل إلى نتيجة مفادها:

ان عبد الله السبائي بن وهب هو الشخص الوحيد الذي يمكن إثبات وجوده في عصر عثمان وعلي ، وانه لا وجود لشخص باسم عبد الله بن سبأ ، وبنى على ذلك ان كل رواية من الممكن حملها على عبد الله بن وهب ، فيجوز عليها الصدق والصحة ، وما لا يمكن حملها عليه فهي موضوعة على الأئمة ومدسوسة على علماء الحديث ، حيث قال :

[فما أمكن صدقها من تلكم الروايات على عبد الله السبائي جاز صدقها وصحة صدورها منهم مثل رواية :

اعتراضه على الإمام في رفع اليدين للدعاء .

أو رواية جلب المسيب إياه إلى الإمام لتكهنه بالغيب .

أو رواية ابتلاء الإمام به .

وما لم يمكن صدقها على عبد الله السبائي ابن وهب فموضوع على الائمة، ومدسوس على علماء الحديث .

فإنه لا يصح أي خبر أو آية رواية عن شخص مختلق مثل عبد الله بن سبأ أو القعقاع بن عمرو ، حين لم يوجد أحدهما بتاتا] (١).

قصور في البحث

أقول :

هذا هو النتاج الذي توصل إليه مرتضى بعد طول بحث وعناء ، ولكننا ومن كان معنا من أهل العلم والتحقيق لا يمكننا قبول هذه النتيجة ، ولا التسليم لها، لما فيها من قصور في البحث ، مع عدم استيعاب لجميع الروايات الواردة

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٣٧٤]

في هذا الباب .

كما اننا لاحظنا القصور الشديد في تحقيق الروايات الواردة في هذا البـــاب، لذلك سنقوم ببيان الأمور التي تتعلق بهذا الموضوع بنوع من التفصيل لمـــا فيـــه من غلق تام لدعاوى مرتضى المطروحة ، ولما يحويه من تركيز شديد على كل الأسانيد والروايات الثابتة عن الأئمة بخصوص شخص (عبـــد الله بـــن ســـبأ) والتي أعرض عنها ، وعن تحقيقها مرتضى العسكري .

وسيكون نقاشنا على شكل نقاط ليستوعب الموضوع استيعاباً تاماً وحتـــى لا يبقى هناك مجال للنقض أو الطعن أو الاعتراض ، فنقول :

أولاً :

إن إثبات وجود ابن سبأ كان بروايات صحيحة ومسندة

ان الذي يقرأ عنوان كتاب مرتضى العسكري (عبد الله بن ســـبأ وأســـاطير اخرى) ، سيتبادر إلى ذهنه ان المواضيع التي يحويها هذا الكتاب ، ستركز فـــي نقاشها وطرحها على كل ما يدور بخصوص هذه الشخصية ، وســـتقوم بتنـــاول ابعادها بصورة شمولية عامة ومحددة .

فإن عنوان الكتاب ينبغي ان يتناسب مع المطروح والمعروض فيـــه مـــن أمور، لذلك كان من المنتظر لزوماً ان يقوم مرتضى العســـكري بمناقشـــة كـــل الروايات التي تتكلم عن (عبد الله بن سبأ) ، وتتناول ما يتعلق به في أي مكـــان وجدت، وعن أي طريق وردت ، وفي أي كتاب من كتب الروايات تـــم تناولهـــا وعرضها لكي يصل إلى مطلوبه الذي يسعى لايجاده بخصوص (عبـــد الله بـــن سبأ) .

لانه مما ينبغي ان يعلم ان هذا الكتاب متكون من مجلدين كبيـــرين – كمـــا بينا– مصدر باسم (عبد الله بن سبأ) وعليه فينبغي ان لا يبقي شـــاردة أو واردة تتعلق بهذا الشخص إلا ويجيء بها ويقوم بتحقيقها وبيانها ، هذا هـــو المطلـــوب والذي ينتظر قارىء الكتاب وجوده فيه .

ولكن الذي حصل أمر مخالف للمطلوب ولا يستقيم مـــع عنـــوان الكتـــاب وموضوعه ، إذ ان الذي قام به مرتضى العسكري انه انتقى فقط مـــن مجمـــوع

الروايات الواردة بحق هذه الشخصية ما يخدم غرضه ، والامر الذي يسعى لاثباته وتاصيله ، إلا وهو انكار وجود شخص (عبد الله بن سبأ) .

فعمد إلى الروايات التي وردت في كتب التاريخ والسير والتي رواها (سيف بن عمر) وجاءت عن طريقه فقام بتضعيفها وتسقيطها اسقاطاً تاماً بكل ما اوتي من قوة وبشتى الطرق والاساليب ، وكانه بفعله هذا قام بحصر ورود الروايات المتعلقة بهذه الشخصية عن طريق (سيف بن عمر) .

مع العلم ان هناك روايات متعددة تثبت وجود هذه الشخصية وبطرق صحيحة ومسندة عن الأئمة المعصومين عند الشيعة ، نجد ان مرتضى العسكري قد ابتعد عنها معرضاً اعراضاً شديداً فلم يناقشها سنداً ، ولم يتطرق إلى دلالتها، واثارها، وما ينبني عليها لانها لا تخدم غرضه من جهة ، ولان فيها النقض الكامل لمدعاه ، والالزام التام بخلاف ما ذهب إليه ، وهذه الروايات الواردة بطرق صحيحة جاءت عن ثلاثة من الأئمة المعصومين عند الشيعة وهم : (زين العابدين ، والباقر ، والصادق) .

ثانياً :

اعتراف علماء الشيعة بصحة روايات الكشي

بعد هذا العرض الموجز للمطلوب اثباته من صاحب الكتاب ولحقيقة فعله فيه والذي تبين من خلاله عدم الاستيعاب للموضوع من جهة ، والقصور الكبير الذي وقع فيه صاحب الكتاب من جهة أخرى في التناول والبحث .

نسلط الضوء الآن على الكيفية التي تعامل فيها مرتضى العسكري مع الروايات الصحيحة الواردة عن الأئمة بخصوص شخصية عبد الله بن سبأ ، فكما بينا سابقاً ان هناك روايات خمسة اوردها الكشي في رجاله عن الأئمة تثبت وجود هذه الشخصية وتثبت الدعاوى التي دعى إليها وقام بترويجها .

هذه الروايات الخمسة الملفت للنظر فيها ان مرتضى العسكري لم يقم بمناقشتها من حيث السند ، ولم يتعرض إليها تعرضاً مباشراً لكي يغلق الباب على المواضيع التي تتعلق بهذه الشخصية ، هذا ما فعله ابتداءاً .

ولاثبات صحة هذه الروايات سانقل إليكم أقوال علماء الشيعة التي اثبتت

وجود هذا الشخص وما جرى له من أحداث :

قال صائب عبد الحميد :

فالشيعة قد رووا بالأسانيد الصحاح عن ثلاثة من الأئمة :

[(زين العابدين ، والباقر ، والصادق) أنهم لعنوا عبد الله بن سبأ وأصحابه.

ورووا عن الباقر ، والصادق ان علياً قد احرقه بالنار مع أصحابه] (١).

وبعد ان بين علي آل محسن هذه الحقيقة أخذ بالكلام عن الروايات الثلاثة الاخيرة ، فقال عنها :

[وهذه الروايات الثلاث صحيحة السند ، وهي دالة بوضوح على ان رجلاً اسمه عبد الله بن سبأ قد غلا في أمير المؤمنين (ع) فادعى الوهية فاستتابه أمير المؤمنين عليه السلام فلما لم يتب احرقه بالنار وانتهى أمره] . (٢)

ويؤيد ما ذهب إليه هذا المحقق هنا غيره من محققي الشيعة في ذهابهم إلى اعتبار صحة أسانيد هذه الروايات وانتفاء المطاعن عنها ، فهذا محمد علي المعلم ينص على صحة اغلب هذه الروايات ، عندما قال ناقلاً للحكم عليها ما نصه :

الرواية الثانية : وهذه الرواية صحيحة السند .

الرواية الثالثة : والرواية من حيث السند صحيحة .

الرواية الرابعة : وهذه الرواية صحيحة السند بكلا طريقيها (٣).

مرتضى يبتعد عن المنهج الصحيح المطلوب في التحقيق

أقول :

ان ابتعاد مرتضى العسكري عن مناقشة هذه الروايات الصحيحة من حيث السند يثبت عليه مطعناً لا انفكاك عنه في دقته البحثية ، وامانته العلمية ، مما يؤدي بالنتيجة إلى رفع الثقة عنه ، وحجبها بحيث تنتفي اهليته في الاثبات العلمي والنفي فلا يعتد بعد بقوله ، ولا يعتبر باختياراته واجتهاداته ، لابتعاده عن المنهج

(١) [ابن تيمية حياته عقائده / صائب عبد الحميد ص ٢٣٧]

(٢) [عبدالله بن سبأ دراسة وتحليل / الشيخ علي آل محسن ص ٥٦]

(٣) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢٥]

الصحيح ، وتخليه عن الطريق القويم المطلوب اتباعه في الاستدلال والتوصل إلى النتائج .

ثالثاً :

مرتضى لم يحقق الروايتين المعارضتين للروايات الخمسة سنداً

ثم بعد ذلك انتقل مرتضى العسكري إلى مجال اخر في بحثه ، وهو أيضاً مجال قد اخل فيه ، ولم يسر معه على الطريق المطلوب ، والنهج العلمي الرصين في تحقيق المراد منه .

والذي يتمثل بأن مرتضى هنا لم يناقش الروايتين اللتين جاء بهما ليعارض بمدلولهما الروايات الخمسة التي اوردها الكشي ليتبين للمطلع حال هاتين الروايتين، وهل هما على درجة من القبول تؤهلهما للمعارضة والنقض ؟ أم انهما مردودتان لا يمكن مع الحال الذي هما عليه من الضعف ان يقويا على التعارض أو تصح بهما المنابذة والمناقضة .

والملفت للنظر انك عندما تبحث محققاً عن حال هاتين الروايتين فانك ستجد فيهما ضعفاً وباعتراف علماء الشيعة يجعل من امكانية الاحتجاج بهما امراً غير ممكن ولا يقبل عند أهل العلم والتحقيق ، كما انه يجعل من المعارضة بهما من باب اولى مرفوضة .

ضعف هاتين الروايتين باعتراف علماء الشيعة

ولتأكيد هذه الحقيقة في ضعف هاتين الروايتين والتي تهرب مرتضى العسكري من اظهارها وبيانها ، ساقوم بنقل حكم علماء الشيعة على هاتين الروايتين ليتضح لك حقيقة حالهما أولاً ، ولتعرف حقيقة هذا الرجل ، وحقيقة دعاويه التي يدلي بها من غير ضابط ولا رابط .

أما الرواية الأولى :

والتي وردت في (التهذيب ، والصدوق في الفقيه ، والعلل ، والخصال)، والتي جاءت باسانيد تنتهي جميعها إلى الحسن بن راشد ، عن أبي بصير عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام عن ابائه :

هذه الرواية قال عنها الشيخ علي آل محسن في كتابه عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل ، ما ياتي :

[هذه الرواية ضعيفة السند بالحسن بن راشد ، فإنه لم يثبت توثيقه في كتب الرجال ، فالرواية ساقطة لا يحتج بها على وجود عبد الله بن سبأ] (١).

أقول :

ان هذه الرواية الضعيفة بحكم أهل التحقيق من علماء الشيعة جاء بها مرتضى العسكري معارضاً للروايات التي اوردها الكشي والتي ثبت صحتها عند علماء الشيعة ، محاولاً كما ذكرنا التوصل إلى وجود تناقض بين هاتين الروايتين وبين تلك الروايات ليردها بهذه الطريقة .

الرواية الثانية :

وبالانتقال إلى الرواية الثانية فإننا لن نجد هناك فرقاً فهي أيضاً ضعيفة لا تقوى على المعارضة ، ولا يثبت لها ساق يمكن الاعتماد عليه ، ولبيان هذه الحقيقة نسوق لكم الحكم الخاص بها والذي أورده آية الله محمد آصف محسني في تحقيقه لكتاب بحار الأنوار للمجلسي ، حيث ان هذه الرواية موجودة في كتاب (بحار الأنوار) وقد نقلها المجلسي من امالي الشيخ الطوسي ، وذلك في باب (احوال سائر اصحابه وفيه احوال عبد الله بن عباس) (٢).

فبالرجوع إلى كتاب مشرعة بحار الأنوار الذي حقق فيه آية الله محمد آصف محسني بحار الأنوار نجد الحكم على هذه الرواية بالضعف وإليك البيان ، قال آصف محسني :

[اورد المؤلف المتتبع فيه اربعين رواية بل أكثر والمعتبر منها سنداً ما ذكر برقم (٢) و (٣٢)] . انتهى كلامه (٣).

أقول :

وبخصوص الرواية التي اوردها مرتضى العسكري محاولاً عن طريقها

---

(١) [عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ٥٤]

(٢) [بحار الأنوار/ المجلسي ج ٤٢ ص ١٤٦]

(٣) [مشرعة بحار الأنوار/ محمد آصف محسني ج ٢ ص ١٢٤]

إثبات التعارض والتناقض مع روايات الكشي فانها قد وردت تحت رقم (٤) وهذا يعني انها من الروايات غير المعتبرة من جهة السند ، والمحكوم عليها بالضعف والرد ، وهذا ما اعترف به علم من اعلام الشيعة المعاصرين .

رابعاً :

قواعد رفع التعارض بين الروايات

وحتى لو فرضنا بصحة هاتين الروايتين فإن محاولة إثبات التناقض في روايات الكشي عن طريقهما لا تسلم ولا تتم لمرتضى ، لأن التناقض المؤدي إلى الرد والرفض للروايات لا يتوصل إليه إلا بعد انتفاء امكانية الجمع بين هذه الروايات ولكن مع تحقق هذه الامكانية فإن التناقض لا وجود له بحال وفي هذا يقول محمد علي المعلم راداً على دعوى مرتضى هذه ، ما نصه :

[ان ما يدعيه السيد العسكري من التناقض بين روايات الكشي وبين روايتين اخريين غير تام ، وذلك لامكان الجمع ، ورفع التنافي بما ذكرناه مفصلاً فيما تقدم في الفصل الأول وقد وقع السيد العسكري في التخليط كما وقع غيره .

على ان وقوع التعارض بين الروايات كثير جداً ، وقد وضعت الضوابط العلمية لرفع التنافي بين الروايات في مبحث التعادل والترجيح من علم الاصول، وليس مجرد التنافي بين الروايات مبرراً كافياً في رمي الرواية بالوضع والاختلاق][1].

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣١]

النتيجة

مرتضى يحقق ما يخدم غرضه ويعرض عن الذي يتعارض مع هذا الغرض

بعد هذا البيان لحقيقة الروايتين اللتين اوردهما مرتضى العسكري محاولاً إثبات التناقض في روايات الكشي واللتين تبين لك ضعفهما ، وعدم اهليتهما للاعتبار، وامكانية الاستدلال ، نقول لمرتضى العسكري :

لقد اسقطت يامرتضى كلما ورد عن الأئمة بروايات صحيحة الأسانيد تثبت وجود شخصية باسم (عبد الله بن سبأ) ، هذه الشخصية التي بناءاً على هذه الروايات اثبت وجودها اعمدة المذهب ، كما انك يامرتضى العسكري لم تستطع ان تأتي بشيء يعارضها لذلك عندما قمت بالاتيان للروايات لإثبات التعارض جئت بروايتين ضعيفتين لا تقويان على إثبات هذا التعارض ، ولا يمكن الاعتماد عليهما في الاثبات والنفي ، وهذا أيضاً باعتراف علماء الشيعة ومحققيهم .

ان هذا يبين لنا المنهج الذي يسير عليه هذا الرجل في كيفية تعامله مع القضايا والاحداث ، فهو يحقق ما يخدم غرضه ويعرض عن الذي يتعارض ويتقاطع مع ما يخدم اغراضه ويحقق مطلوبه وهذا ليس في هذا الموضع فقط ، بل هو نهج عام يسلكه في تناوله للروايات المختلفة الدلالات .

فنجده مثلاً عندما تناول الروايات المتعلقة بتحريف القرآن والتي بلغت حد التواتر والاستفاضة في كتابه (القرآن الكريم وراوايات المدرستين) قام بتحقيق أكثر من الف رواية للتوصل إلى ما يرمي اثباته من ضعف هذه الروايات ، وعدم اهليتها للاحتجاج ، مع العلم ان جزءاً كبيراً منها صحيح لا يمكن رده باعتراف اكبر محققي الشيعة آية الله الخوئي حيث قال:

[إن كثرة الروايات على وقوع التحريف في القرآن تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين ولا أقل من الاطمئنان لذلك ، وفيها ما روي بطريق معتبر] (١)* .

---

(١) [البيان في تفسير القرآن / أبو القاسم الخوئي ص٢٢٦]

=

*** روايات تحريف القرآن متواترة ومستفيضة**

ان الأخبار الدالة على تحريف القرآن والواردة في كتب الشيعة تصل إلى درجة التواتر والاستفاضة فهي تزيد في تعدادها على ألف حديث ، وقد جمعها خاتمة المحدثين الشيخ النوري الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) فبلغت (١١٢٢) حديثاً .

بل ان نعمة الله الجزائري أوصلها إلى الفي حديث ، وقال عن هذه الروايات :

[إن تسليم تواتره عن الوحي الإلهي ، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين ، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة ، بل المتواترة ، الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن ، كلاماً، ومادةً ، وإعراباً ، مع ان أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها] .

[الأنوار النعمانية / نعمة الله الجزائري ج٢ ص٣٥٧]

تضعيف روايات التحريف

هذه الروايات المتواترة المستفيضة المثبتة لتحريف القرآن عند الشيعة تناولها علماؤهم بتحقيق، وتمحيص ، وتدقيق ، وتفصيل لأجل تضعيفها واسقاطها ، لكونها تلحق بهم جرماً لا يغتفر.

وعلى راس هؤلاء المحقق مرتضى العسكري الذي اجهد نفسه في تضعيف هذه الروايات بينما نجده في الروايات المتعلقة بـ (عبد الله بن سبأ) والتي لا تتجاوز (٧) روايات وهي تخص صلب مذهبه هنا ومضمون بحثه نجده متغافلاً معرضاً لم يكلف نفسه ان يناقش واحدة منها ، وذلك لأن النقاش لها لا ينفعه ، ولا يخدم اغراضه.

فمرتضى العسكري في كتابه (القرآن وروايات المدرستين) المتكون من ثلاثة مجلدات ناقش في مجلده الثالث المتكون من (٨٤٧) صفحة (١٠٦٢) رواية في تحريف القرآن وأسقطها جميعاً اما من ناحية المتن ، أو من ناحية السند ، وقال في نهاية الكتاب:

[استشهد الشيخ النوري ، والأستاذ إحسان الهي ظهير على حد زعمهما باثنتين وستين والف (١٠٦٢) رواية تدل على التحريف والتبديل والنقصان في آيات من كتاب الله العزيز الحكيم وقمنا بفضل الله تعالى بدراستها رواية بعد رواية سنداً ومتناً فوجدناها جميعاً لا تخلو من أمرين :

اما ان يكون في إسنادها غلاة كذبة وضعفاء ومجاهيل ، واما ان يكون ما في متن الرواية بياناً وتفسيراً للآية الكريمة خلافاً لما زعما بانها نص محذوف منها ، وكثيراً ما اجتمع الأمران المذكوران في ما استدلا بها من رواية .

ثم قال :

=

=

وهكذا انتج البحث لهما في كل رواية استدلا بها صفراً وصدق عليهما المثل :
تمخض الجبل فولد فأراً ، وهكذا انتج البحث في هذا الكتاب فانتج لهما اثنتين وستين والف صفراً] .

[القرآن الكريم وروايات المدرستين / مرتضى العسكري ج٣ ص ٨٧٤]

أقول :

ولو طبق هذا المنهج على مرويات الشيعة كلها لانتج البحث الاف الاصفار بل لكانت كتب القوم ليست إلا اصفاراً في اصفار ولن يسلم لهم حينها من مصادرهم شئ ولكان دين الشيعة صفراً في صفر .

ولكن القوم أهل هوى يستخدمون هذا المنهج حين تصل النكارة في أمر من أمور دينهم إلى درجة من الشناعة كبير ما يعود عليهم باسوأ العواقب ، وذراً للرماد في عيون المخالفين وحين يكون الأمر على العكس ويكون مع مخالفيهم ، فانهم يعرضون عن هذا المنهج ايما اعراض ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر : ٥٠ – ٥١).

ومناقشتهم لهذه الروايات المتواترة والمستفيضة بهذه الطريقة وفق هذا الاسلوب لم يكن مقتصراً على مرتضى العسكري فقط ، بل هو منهج عام لجميع علماء الشيعة حال تعاملهم مع الروايات التي لا تخدم مذهبهم ولا تحقق اغراضهم ، مهما كان عدد هذه الروايات ، ومهما كان حكمها من حيث الثبوت والدلالة ، وإليك نماذج من هؤلاء العلماء لتتضح لك صورتهم وحقيقة تعاملهم :

*** الخوئي في كتابه (البيان) بعد أن قال مقالته السابقة :**

[إن كثرة الروايات على وقوع التحريف في القرآن تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين ولا أقل من الاطمئنان لذلك وفيها ما روي بطريق معتبر] .

التي فيها اعتراف ضمني بصحة كثير من تلك الروايات التي وردت من طريق معتبر على تحريف القرآن حاول ان يبرر صدور تلك الروايات وان يوجهها توجيهاً يتلاءم والمصلحة المذهبية من وراء عدم القول بالتحريف ، لذا قام بتقسيمها إلى اربع مجاميع ، وقام بتضعيف تلك المجاميع واحدة بعد الاخرى سنداً ومتناً ، ثم وقف عند المجموعة الرابعة التي تصرح بنقصان القرآن ، فقال :

[على إن أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند ، وبعضها لا يحتمل صدقه في نفسه ، وقد صرح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات ، أو لزوم طرحها .

ثم قال :

وعن المحقق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك ، ونقله عن المحقق الكركي الذي صنف

=

=

في ذلك رسالة مستقلة ، وذكر فيها :

[إن ما دل من الروايات على النقيصة لا بد من تأويلها أو طرحها ، فإن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة ، والإجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه].

[البيان في تفسير القرآن / الخوئي ص ٢٣٣]

من نصدق ؟ وقول من نعتمد ؟

المحقق الكبير الخوئي أم مرتضى العسكري

أقول :

هذا هو حال ركاب سفينة النجاة لا قائد يقودهم ، ولا ثوابت تحكمهم ، ولا مقومات تثبت كيانهم ولا مقررات وقواعد تضبط تصرفاتهم .

وها هنا حيث ضعف مرتضى جميع روايات التحريف ، يأتي محقق الشيعة الأكبر المعاصر لمرتضى آية الله الخوئي فيصحح بعضها فيقول : [وفيها ما روي بطريق معتبر] ، ويدعو إلى تأويلها أو طرحها .

مع العلم ان هذه القضية قضية جد خطيرة إذا ان متعلقها (الثقل الأكبر) كتاب الله منبع الادلة وأصل الأصول ، فإذا كان اختلافكم في هذه القضية ، وفي جزء من جزئياتها وصل إلى هذا الحد :

فكيف بغيرها مما هو دونها ؟!

وكيف بعد ذلك يمكن ان نثق بقول عالم من علمائكم ، أو بحكم يصدر من أحد محققيكم أو مراجعكم ؟

لا نريد منكم ياركاب سفينة النجاة إلا ان تدلونا على حكماً فصل في أحاديث التحريف عندكم.

* وإليك شاهد اخر من فعل ثامر هاشم حبيب العميدي في كتابه (دفاع عن الكافي) فقد قام بمناقشة روايات التحريف الموجودة في كتاب (الكافي) ، وردها جميعاً، حيث قال في كتابه هذا :

[سنذكر في هذا الفصل احدى وستين رواية من روايات الكافي اصولاً وفروعاً وروضة وهذا العدد يمثل جميع ما رواه ثقة الإسلام الكليني من الروايات المدعى دلالتها على التحريف ، وسيتضح من مناقشتها جميعاً ان لا دلالة في آية واحدة منها على المدعى فهي اما ان تكون من قبيل الايضاح والتفسير ، أو من اختلاف القراءة وما إلى ذلك من أمور أخرى لا علاقة لها بالتحريف المدعى] .

[دفاع عن الكافي / ثامر هاشم حبيب العميدي ج٢ ص ٣٣٥]

=

خامساً :

مرتضى ناقش سنداً مواضيع لا تسمن ولا تغني من جوع

ولاجل إثبات منهج مرتضى العسكري الاعوج وغير المنضبط في التعامل مع المواضيع التي ينبغي تناولها في الكتاب ، والتي تتناسب مع عنوان الكتاب ولاجل بيان كيفية نقاشه لاسانيد هذه المواضيع أقول :

كما ذكرنا سابقاً ان المطلع على عنوان هذا الكتاب (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) سينتظر نقاشاً مستفيضاً لما يتعلق بشخصية عبد الله بن سبأ مع

=

تنبيه

ان الذي دفعني إلى ذكر كل هذه الأقوال المسندة إلى علماء الشيعة والصادرة عنهم والتي تثبت بما لا يقبل الشك ان روايات التحريف في كتب الشيعة متواترة ومستفيضة هو بيان منهج الشيعة في التعامل مع الروايات قبولاً ورفضاً ، اعتماداً وتسقيطاً ، اثباتاً ونفياً ذلك المنهج المعتمد على المصلحة وخدمة الاغراض .

فإذا ما كانت القضية الدالة عليها الروايات لا تصب في مصلحتهم ، ولا تخدم اغراضهم فالحكم عليها سيكون بعدم الاعتماد ، والتسقيط ، والنفي التام لها ولمدلولها .

اما إذا كانت الروايات تصب في مصلحتهم ، وتخدم اغراضهم فسيكون الحكم عليها بالاعتماد المطلق ، والتصحيح ، والاثبات الكامل لها ولمدلولها مهما كان حالها، ومهما كان حال الكتاب الذي اوردها ، بغض النظر عن الدرجة التي تحملها ، بل حتى لو كانت من اضعف الروايات ، وتم ايرادها في اضعف الكتب .

ومن ذلك الروايات الواردة في الطعن بصحابة رسول الله ﷺ حيث انها تقبل وبدون تردد مهما كان حالها من الرفض وحتى لو رويت بدون سند ، وحتى لو خولفت بروايات كثيرة ومتعددة .

وأقول أيضاً :

قد رأيت عزيزي القارئ حرص مرتضى العسكري في تعامله مع روايات التحريف وكيف قام بعمل مضني في توجيه تلك الروايات جعلته يسقط ويطعن في امهات الكتب الشيعية في التفسير من أمثال (تفسير القمي ، تفسير العياشي ، تفسير فرات الكوفي، كتاب سليم بن قيس الهلالي) هذه الكتب التي تمثل محور ومادة كتاباته ويعتمد عليها في صغير الأمور وكبيرها ، لكنه ما لبث أن عمل هنا على تسقيطها لأن المقام هنا مقام دفاع وتقية .

إشارة إلى مواضع أخرى ترتبط بهذه الشخصية .

ولكن الموجود في هذا الكتاب استفاضة تطرق صاحبه إلى مواضيع أخرى لا تستحق النقاش ، لانتفاء أثرها على موضوع الكتاب ، كما انها لا دخل لها بشخصية عبد الله بن سبأ والذي هو موضوع الكتاب كما سبق وبيناه.

وقيامه بمناقشة أسانيد هذه المواضيع نقاشاً مستفيضاً ، مع انه كما بينا لكم قد أعرض عن نقاش الأسانيد المتعلقة باهم الروايات المثبتة لشخصية عبد الله بن سبأ ، ومن الامثلة على تناوله ومناقشته لهذه المواضيع واسانيدها ما يلي :

[السقيفة – قصة مالك بن نويرة – قصة العلاء بن الحضرمي – نباح كلاب الحوأب – استلحاق زياد – قصة المغيرة بن شعبة – حبس أبي محجن – أيام اخترعها سيف – يوم ارماث وأغواث وعماس – يوم الجراثيم – يوم النحيب– قماذان بن الهرمزان – حروب الردة – ردة طي – ردة أهل عمان ومهرة– ردة اليمن – وقعة ذات السلاسل – يوم المقر وفم فرات بادقلي – خبر ما بعد الحيرة– خالد لا يؤثر فيه سم ساعة – بشارات الأنبياء بعمر – تهدم حمص من تكبير المسلمين – الدجال يفتح سوس – قصة الاسود العنسي] .

منهج انتقائي غرضي

أقول :

ان هذا السرد للقضايا التي ناقشها مرتضى العسكري يثبت لنا المنهج الذي سار عليه في التعامل مع الاحداث ومجرياتها في كتابه هذا ، وهو المنهج الغرضي الانتقائي ، فهو عندما ساق هذه القضايا ، وسرد هذه الاحداث اختار اسانيدها التي جاءت عن طريق (سيف بن عمر) والذي حكم عليه بالضعف واسقط جميع المروي عنه رامياً من وراء ذلك امرين :

الاول :

اسقاط هذه الاحداث من جهة ، لما تحويه بعضها من فضائل ومناقب للصحابة.

الثاني :

واثبات مدعاه في ان (سيف بن عمر) هو انسان ملفق ومختلق من جهة

اخرى.

وتجاهل ان هذه الاحداث قد وردت بطرق أخرى اثبتتها ، لم تكن عن طريق (سيف بن عمر) وهي طرق صحيحة ، كما ان من هذه الاحداث ما اتفق العلماء على عدم صحته وقبوله لذلك فذكرها وعدمه سيان بالنسبة للمطلع والباحث .

كما تجاهل أقوال العلماء المتعلقة بسيف بن عمر من جهة كونه اخبارياً ليثبت في ذهن القارئ مدعاه في سيف بن عمر بأنه انسان كذاب ومختلق بانتفاء وجود المعارض للحكم الذي ذكره في حقه .

كما ان الثابت ان من هذه الاحداث ما لا ينبني على ذكرها أحكام ولا يترتب عليها آثار في خدمة هذه الدين إذ هي لا تخرج عن كونها أخباراً وقصصاً لوقائع سواء وردت عن سيف بن عمر أو عن غيره فهي لا تسمن ولا تغني من جوع ولن تزيد في الميزان خردلة .

ان الغرض المطلوب في هذا الكتاب وهو مناقشة روايات (عبد الله بن سبأ) الصحيحة عندهم هو الذي تم تجاهله ، ولم يستوعب من قبل مرتضى العسكري.

سادساً :

نهج بعيد كل البعد عن الاسلوب العلمي المطلوب اتباعه

اذا ما اجرينا مقارنة بسيطة بين ما قام به مرتضى العسكري في تعامله مع تحقيق الأسانيد الخاصة بروايات (عبد الله بن سبأ) ، وبين تحقيقه لاسانيد الروايات الاخرى المتعلقة بالمواضيع البعيدة التعلق عن شخص (عبد الله بن سبأ) تلك التي اشرنا إليها سابقاً سنجد ان هناك فرقاً شاسعاً وهوة واسعة في التعامل مع تحقيق هذين الموضوعين .

فإننا نجد اهمالاً مقصوداً في تحقيق أهم الروايات التي تبنى عليها الأحكام الخاصة بـ (عبد الله بن سبأ) كوجوده واقعاً ووجود آثار لدعوته على الناس ذلك الوقت وتأثيره وتأثره في المجتمع حوله ذلك الزمان .

وهذا الاعراض عن هذه المناقشة وذلك التحقيق المطلوبين وبقوة هنا لأن الكتاب مخصص لتناول شخصية (عبد الله بن سبأ) قد دفع إليه عدم خدمة هذين

الامرين للغرض الذي يسعى إلى ايجاده مرتضى العسكري مؤلف هذا الكتاب.

إذ اننا قد بينا لكم ان أي أمر من شأنه ان يصادم المقرر ابتداءاً في ذهن مرتضى العسكري وهو انكار وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) فإنه سيتعامل معه بعدم الاكتراث والتصغير لشأنه ، وبيان انه لا اهمية له يمكن ان تخدم في هذا المجال ، لذلك وجدناه عندما وصل إلى الروايات التي لا يستطيع ان يجد مخرجاً خاصاً لها قد أعرض عنها ولم يكلف نفسه تحقيقها أو تخريجها .

بخلاف الروايات التي من الممكن ان يضعفها ويوجهها توجيهاً موافقاً لغرضه المؤصل مسبقاً فهو قد عالجها معالجة تامة وشاملة لجميع جوانبها مع قيامه بتوجيهها التوجيه المناسب له الخادم لاغراضه ، هذا بخصوص روايات (عبد الله بن سبأ) التي عالجها مرتضى في كتابه هذا .

اما الروايات الاخرى ذات المواضيع البعيدة عن موضوع الكتاب والتي تكفي الإشارة إليها دون تفصيل وشمولية في المناقشة والتحقيق نجده قد افاض فيها متناولاً اياها من جوانب عديدة لغرض الوصول في تحقيقه هذا لها إلى تسقيطها.

ان تركيزنا هنا على هذا الأمر دعى إليه المقتضي التام لبيان بعد صاحب هذا الكتاب عن الغرض المطلوب في كتابه وتسليط الضوء على نهج بعيد كل البعد عن الاسلوب العلمي المطلوب اتباعه ، والمسلك البحثي الذي يجب السير عليه عند التعامل مع قضايا مشتركة ذات طابع متشابه .

ان مما هو معلوم عند الجميع ان الذي يؤلف كتاباً يتناول فيه مواضيع متعددة فإنه ابتداءاً يقوم بوضع منهج خاص له في هذا الكتاب يسير عليه في جميع جزئيات ومباحث هذا الكتاب وذلك المنهج يحدده موضوع الكتاب اولاً، والحيثيات التي يتكون منها هذا الموضوع ثانياً وان أي اخلال باتباع هذا المنهج الموضوع للكتاب يقدح بالكتاب كله من جهة انه خالٍ من المنهجية المطلوبة ويقدح بمؤلف الكتاب نفسه بأنه غير دقيق في تعامله البحثي مع المواضيع التي بين بيديه والتي يسعى للبحث فيها .

وهذا هو الذي وقع فيه مرتضى العسكري هنا إذ انه قد اخل بالمنهجية المطلوبة في كتابه هذا ، ويتضح ذلك من خلال النقاط الاتية :

قصور في البحث

١- إن مضمون الكتاب بعيد كل البعد عن عنوانه الذي صدر بـه فعنـوان الكتاب هو (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) وهذا يعني ان المفـروض علـى صاحب هذا الكتاب ان يجعل جل تركيزه على شخصية (عبد الله بن سبأ) .

وان يفرد للقضايا الاخرى مساحة تتناسب مع كونها قضايا ثانوية وهذا مـا لا نجده هنا كما بينا لكم ذلك في النبذة المختصرة عن الكتاب المعرفة له ، وهـذا بحد ذاته قصور في البحث كبير يخل به ويجعله مطعناً قد يكون سبباً في تسقيطه ونبذه ورفض محتواه .

أعرض عن تحقيق أهم الروايات

٢- انتفاء الدقة المطلوبة في تناول وتحقيق الروايات الخاصة بعبـد الله بـن سبأ، إذ نجده قد أعرض عن أهم الروايات تلك التي اوردها الكشي فـي رجالـه والتي حكم بصحتها علماء الشيعة ، ووافقوا على مضمونها .

ضعف منهجية مرتضى

٣- ان قضية بها الحجم – انكار وجود عبد الله بن سبأ – نتائجها تخطـيء سلسلة كبيرة من العلماء الاجلاء والباحثين الاصلاء ، والمحققـين ذوي الخبـرة والدراية من طائفتي السنة والشيعة ، ينبغي على من تبناها ان يأتي بادلة يقينيـة ملزمة تثبت مدعاه ، وتبين خطأ من سبقه .

ومع انتفاء وجود مثل هكذا أدلة لا يمكن للباحث إلا ان يحكم على صـاحب هذه القضية بالتهويل والجعجعة الفارغة ولا يجد نفسه إلا متوجهـاً إلـى اؤلئـك الاساطين الذين بنوا اختياراتهم على أدلة وبراهين .

هكذا ومن خلال هذا العرض الموجز لمواضيع قد تناولنها في ثنايـا هـذا البحث فإنه قد تبين بما يبقى لا يقبل مجالاً للشك ضعف منهجيـة صـاحب هـذا الكتاب، أو انعدامها ، والنتيجة المبنية على هذا صعوبة واستحالة قبول المـدعى لركاكة الذي حاول ارساءه والاساس الذي بني عليه ، وهشاشـة القواعـد التـي رسخت هذه الادعاءات التي القاها.

المطلب الثاني

تخريج مرفوض لروايات الأئمة الذاكرة لابن سبأ

تخريج ممجوج لروايات الأئمة التي فيها ذكر اسم ابن سبأ

بعد ان اوهم مرتضى نفسه باثبات مدعاه من ان شخصية (عبد الله بن سبأ) هي شخصية محرفة ومصحفة وقعت في كتبهم ، وان الذي قام بهذا التصحيف والتحريف هو (سيف بن عمر) فعمد إلى اسم (عبد الله بن وهب) فصحفه وحرفه (بعبد الله بن سبأ) .

وبعد ان حاول ترسيخ هذا الذي توصل إليه عن طريق ادعائه بأن شخصية (عبد الله بن وهب) هي الشخصية الحقيقية وما عداها واقصد به (عبد الله بن سبأ) هي شخصية مختلقة وباطلة ، أخذ يبني على هذا الأمر الأحكام والنتائج ومن تلك الأحكام والنتائج التي بناها على استنتاجه هذا ذلك الحكم المهم والكبير والذي يتعلق بتوجيه الروايات الصحيحة المسندة إلى أئمة أهل البيت والتي ورد فيها ذكر ابن سبأ ، حيث انه قام بتوجيهها توجيهاً غريباً ، والتعامل معها تعاملاً مستهجناً فقال فيما قال بخصوص هذه الروايات :

اما الروايات التي رويت في الكتب عن أئمة أهل البيت وفيها ذكر ابن سبأ فنقول فيها :

[إن الرواية لا تصير غير الموجود موجودا ، وقد مر علينا في البحث عن كلمة عبد الله بن سبأ أنه لم يوجد شخص باسم عبد الله بن سبأ في عصري عثمان وعلي بتاتا ، اللهم إلا (عبد الله السبائي ابن وهب) ، فما أمكن صدقها من تلكم الروايات على عبد الله السبائي جاز صدقها وصحة صدورها منهم مثل رواية : اعتراضه على الإمام في رفع اليدين للدعاء .

أو رواية جلب المسيب إياه إلى الإمام لتكهنه بالغيب .

أو رواية ابتلاء الإمام به .

وما لم يمكن صدقها على (عبد الله السبائي ابن وهب) فموضوع على الائمة، ومدسوس على علماء الحديث ، فإنه لا يصح أي خبر أو آية رواية عن شخص مختلق مثل (عبد الله بن سبأ) أو القعقاع بن عمرو ، حين لم يوجد أحدهما بتاتا] [١].

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٣٧٤]

انتقائية للشخصيات

أقول :

فهذا هو امامكم الحكم الذي توصل إليه والذي بناه على ان الشخص الموجود فعلاً في ذلك الوقت هو (عبد الله السبائي بن وهب) ، مع نفيه المطلق لاسم (عبد الله بن سبأ) وأخذ يوجه الروايات من حيث القبول والرد على مقتضى شخصية (عبد الله بن وهب) .

فالروايات التي تتماشى مع هذه الشخصية حكم عليها بالقبول ، اما التي لا تتماشى معها حكم عليها بانها موضوعة ومدسوسة ، ونحن بعد هذا العرض لدعواه نقول :

ان ما ذهبت إليه في عرضك لهذه النتيجة وايضاحك للحكم المبني على المقدمات التي اصلتها أمر بعيد كل البعد عن كونه امراً ملزماً ، هذا من جهة.

ولا يمكن لاحد عنده ذرة من علم ان يقبل به أو ان يذعن له وذلك لكونه ضعيفاً إلى درجة لا يؤهله للقبول أو الاخضاع ، ويتضح ذلك من خلال ما ياتي:

امر غير ممكن

اولاً :

ان هذه النتائج والأحكام التي بناها كان استناده فيها على اختياره هو، واجتهاده الذي حاول ان يثبته باي وسيلة ، فالحكم الذي توصل إليه في نفي وانكار (عبد الله بن سبأ) عن طريق الاختلاق والتصحيف أمر لا يوافقه عليه أحد ، ومردود من قبل أهل العلم والتحقيق ، لذلك فنتيجته هذه هي نتيجة خاصة لا عمومية فيها وامكانية الزام الغير بمثل هكذا نتائج أمر غير ممكن .

لم نسمع فيما طرق مسامعنا من توجه هذا التوجه

ثانياً :

في محاولة منه لإثبات مدعاه لما توصل إليه قام بالغاء الاثار التي تبنى على الروايات ، فجعل من الرواية خبراً يخضع لمقاييس خاصة به ، ويتماشى مع اختيارته هو وجعل منها دليلاً محكوماً عليه لا دليلاً حاكماً وقاضياً .

إذ انه بالحكم الذي توصل إليه عن طريق ادعائه التصحيف والاختلاق أخذ يوجه الروايات ، ويحدد كيفية الحكم عليها ونوع الحكم الذي تستحق .

وهذا أمر جديد من حيث النوع خطير من حيث الأثر ، إذ اننا لم نسمع فيما طرق مسامعنا من توجه هذا التوجه ، ولم نعلم ان أحداً من العلماء قد انتهج هذا النهج كما انه ينبني عليه الزامات تلغي أصول التشريع ، وضوابط الاستنباط وذلك يتضح بما ياتي :

العبرة في الحكم على الرواية من حيث القبول والرد هو السند

١- كما هو معلوم ان العبرة في الحكم على الرواية من حيث القبول والرد هو السند ، فهو المعيار الذي بالرجوع إليه نحدد نوع الحكم الذي تستحقه الرواية ولذلك نجد ان أهل العلم دائماً ما يدندنون حوله ، ويضعون له الضوابط والمحددات والقواعد التي تناسبه .

وبناءاً على ادعاء مرتضى هنا فإن الاسناد سيلغى بلا شك من الاعتبار ، ولا يكون له ذلك الدور المطلوب للتوصل إلى الأحكام إذ انه اوجد لنا مؤثرات أخرى خارجة يوجدها العقل ويخضع لها الرواية وعن طريقها يحكم عليها.

وهذا سيؤدي بالنتيجة إلى انتفاء الضوابط في الحكم على الرواية فهو يجعل قضية الحكم عليها امراً مطاطياً مرناً خاضعاً لاختيارات العقول ، واجتهادات الناس ، وهذا أمر لا يمكن القبول به ولا الالتزام بمقتضاه .

افسح المجال واسعاً لرد الروايات

٢- الغاء أي أثر للرواية في إثبات الأحكام ، وافادة التشريع ، وتوضيح المبهمات ، وبيان شخصيات التاريخ وما جرى فيها ، إذ انه بقوله ان الروايات:

(لا تصير غير الموجود موجوداً) .

أهمل أي امكانية لبناء الأحكام على الروايات وتعليق الاثار عليها ، فالمعلوم ان الرواية تجعل من الموجودات امراً ثابتاً بتناولها لها ، كما انها تكشف عن المخفيات من الأمور التي لا تتضح إلا بها .

وانها هي الحاكمة على الأمور والقضايا بالثبات من عدمه ، لا اننا نحن

الحاكمين عليها بانها مؤهلة أو غير مؤهلة للاثبات والنفي ، خصوصاً في الأمور المشهورة والمتداولة بين الناس والمتفق عليها ، لمجرد ان عقل فلان من النـــاس لا يقبل بمقتضاها ، أو ان اجتهاد احدهم لا يوافق المبني عليها .

ان الناتج الخطير المبني على هذا الادعاء هو :

فتح الباب وفسح المجال امام أي أحد ليأتـــي إلى الروايات مهمـــا كانـــت وينفي مدلولها ، أو يحكم عليها بالرد والنقض والبطلان لا لشيء يخـــص العلـــم والبحث وانما لكون هذه الرواية لا توافق ما يذهب إليه ويختاره .

طعن بعلماء الشيعة

٣- الطعن بالعلماء وبكيفية تعاملهم مع الروايات الواردة في الكتب والمسندة إلى الأئمة خصوصاً ، إذ ان مرتضى هنا وبجرة قلم منه اسقط كل علماء الشيعة الذين صححوا الروايات الواردة عن الأئمة بخصوص (عبد الله بن ســبأ) مـــن الاعتبار وحكم عليهم بضعف التحقيق ، وضعف الامكانية في التعامل معها.

كما انه رماهم بتهمة مفادها :

انهم يلحقون بائمتهم المدسوس والموضوع من الأخبار وهـــذا يعنـــي انهـــم أسباب مباشرة لاضلال الناس ، وتعمية الحق عنهم .

التبرير المطروح امامنا هو تبرير مرفوض فاسد

٤- ان ادعاء مرتضى العسكري هنا بأن اسم (عبد الله بن سبأ) قد صحف أو اختلق ، لا يستقيم مطلقاً مع مجموع الروايات التي وردت في حقـــه ، فـــإن الروايات التي وردت في حق (عبد الله بن سبأ) وما دعى إليه كثيرة، وتنوعـــت المواضيع التي تطرقت إليها .

فمنها ما تعلق بذكره هو ، ومنها ما تعلق بدعوته وأفكاره ، ومنها ما تعلـــق بالكيفية التي انتهى عليها *.

---

* إن مما يقوي ويؤكد ثبوت وجود هذا الشخص ، وان اسمه متحقق في الدلالة عليه مع انتفاء أي مبرر لدعوى التصحيف في اسمه هذا ، ما ورد في كتب الرواية عند الشيعة ، والمنقولـــة عن ائمتهم تلك التي تثبت ان لـــ (عبد الله بن سبأ) ذرية خرجت من صـــلبه تنتســـب إليـــه =

لذلك فالتبرير الموضوع لمثل هذا الشخص ينبغي ان يستوعب جميع هذه المواضيع ، وينبغي ان يكون متناسباً معها من حيث امكانية الحمل عليها، ومن حيث موافقة التبرير لها ، وهذا ما لا يستقيم مطلقاً مع دعوى التصحيف ، لأن دعوى التصحيف إذا ما اطلقت فانها ستنحصر بجزئية معينة ، ونوع خاص من انواع الروايات يصعب تعميمه على الكل وهو ذلك النوع الخاص بالاسم نفسه لأن عليه مدار التصحيف وفيه يقع الناس بالخطأ وعن طريقه تحدث الاغلاط .

وبناءاً عليه فإن هذا التبرير المطروح أمامنا هو تبرير مرفوض فاسد في الاعتبار لانه لا يستوعب جميع انواع الروايات الواردة في حق (عبد الله بن سبأ) ، كما انه قاصر في التحقيق لعدم تغطيته للمواضيع التي وردت في حق هذا الرجل .

عبد الله بن سبأ في روايات الائمة

والغريب في الأمر ان ما ورد في حق هذه الشخصية مما تناولته كتب الحديث عند الشيعة ، وما ردده علماؤهم بشأنه هو أكثر واصح مما هو موجود في الكتب الاخرى الخاصة بغير الشيعة من فرق المسلمين ، وقد صرح بهذه الحقيقة كاتبهم صائب عبد الحميد عندما قال في كتابه (ابن تيمية حياته عقائده) ما ياتي:

فإن أراد أحد ان يعرف حقيقة هذا اليهودي المحترق فعليه ان يرجع إلى كتب الشيعة وحدهم .

فالشيعة قد رووا بالأسانيد الصحاح عن ثلاثة من الأئمة :

=

وتشكل معه استمرارية نسبه ، وهذا بحد ذاته من أقوى الأدلة على وجود الرجل ، واشتهاره ومعرفة الناس له ، واهتمامهم لامره ، واعتنائهم بشأنه ، فقد روي عن زرارة أنه قال :

قلت للصادق عليه السلام إن رجلاً من ولد (عبد الله بن سبأ) يقول بالتفويض .

قال عليه السلام : وما التفويض ؟ قلت : يقول : إن الله عز وجل خلق محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام ثم فوّض الأمر إليهم فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا .... إلى آخر الرواية .

[الاعتقادات / الصدوق – طبعة حجرية ص ٣٩] [بحار الأنوار / العلامة المجلسي ج ٢٥ ص ٣٤٣]

زين العابدين ، والباقر ، والصادق أنهم لعنوا عبد الله بن سبأ وأصحابه .
ورووا عن الباقر ، والصادق أن علياً قد أحرقه بالنار مع أصحابه[١].

ان إثبات وجود عبد الله بن سبأ انما يكون من كتب الشيعة

وفي معرض رده على ابن تيمية نجده مجابهاً له متحدياً بخصوص هذه القضية بالذات حينما قال له :

انك لا تستطيع ان تأتي بخبر واحد صحيح في عقيدة ابن سبأ إلا عن طريق الشيعة[٢].

وزيادةً في تأكيد هذه الحقيقة يقول صائب عبد الحميد في كتابه تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي والصادر عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية في إيران، تحت عنوان (السبئية) :

الذي قيل في السبئية كالذي قيل في غيرهم : حق ، وباطل ... حق قليل، وباطل كثير !

فوجود رجل دعا بدعوة الغلو في الإمام علي يقال له عبد الله بن سبأ حق وليس باطل فقد ثبت ذلك عن أولاد علي بأسانيد معتبرة :

فعن زين العابدين علي بن الحسين ، قال :

إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي لقد إدعى أمراً عظيماً ماله ؟ لعنه الله ! كان علي والله عبد لله صالحاً أخا رسول الله ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله ...

وعن الإمام محمد الباقر :

إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويدعي إنه الله !! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فبلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال :

أنت هو وقد كان أُلقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي !! فقال له أمير المؤمنين : ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب فأبى

---

(١) [ابن تيمية حياته عقائده / صائب عبد الحميد ص ٢٣٧]
(٢) [ابن تيمية حياته عقائده / صائب عبد الحميد ص ٢٣٧]

فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار .

وعن الإمام جعفر الصادق نحو ما تقدم :

وعنه أيضاً قال :

لعن الله عبد الله بن سبأ إنه إدعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً ، الويل لمن كذب علينا وإن قوماً يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم ، وروي عنه حديث آخر نحو هذا.

فأشار في الهامش إلى المصادر فقال :

(إنظر هذه الأحاديث في رجال الكشي ج١ : رقم ٣٢٣ / رقم ١٧٠ – ١٧٤ وأخذها عنه سائر أصحاب الموسوعات الرجالية عند ترجمتهم لعبد الله بن سبأ ولم يرد من أحدهم طعن في أسانيدها ، ولا في مضامينها) .

عبد الله بن سبأ حقيقة وليس أسطورة

وبنى صائب عبد الحميد على ما نقله من أخبار احكاماً رسخها ثبوتاً ، بقوله:

فالثابت في هذه الأخبار المعتبرة أمور ثلاثة تمثل أعمدة الظاهرة السبئية وهي:

١– إن عبد الله بن سبأ حقيقة وليس أسطورة كما ذهب إلى هذا بعض المعاصرين كطه حسين ، والسيد مرتضى العسكري ، وعلي الوردي .

٢– إنه غلا في علي فادعى له الالوهيه وادعى لنفسه النبوة .

٣– ان الإمام علي قد قتله حرقاً بالنار .

ومما ذكره أيضاً في معرض إثبات هذه الحقائق المتعلقة بابن سبأ ما ياتي:

إن أول الأعمدة الثلاثة للظاهرة السبئية : هو حقيقة وجود ابن سبأ والسبئية، لم يعد فيه كلام بعد أن نأخذ تلك الأخبار المتقدمة بعين الاعتبار ، أما تجاوز هذه الأخبار المعتبرة فهو مصادرة للحقيقة بلا شك .

صائب ينكر على من نفى وجود عبد الله بن سبأ

وأيضا فقدماء المحققين كانوا يتعاملون مع هذه الظاهرة تعاملهم مع الوقائع الثابتة التي لا نزاع في وقوعها ، فيكتفي الشيخ الطوسي ، مثلا ، عند ذكر ابن سبأ بقوله : عبد الله بن سبأ ، الذي رجع إلى الكفر واظهر الغلو .

أما الذين ذهبوا إلى إنكار وجوده وإلى انه خرافة ، وان حديث السبئية كله أسطورة ، فإنما خرجوا بهذا الحكم حين وقفوا على الصورة المنكرة والمهولة التي ينقلها التاريخ عن ابن سبأ والسبئية ، فاستنكروا مضامينها ، ثم وجدوا أن طريقها الوحيد هو الوضاع الزنديق سيف بن عمر التميمي [١].

علماء اخرون يثبتون وجود عبد الله بن سبا

وهذه الحقيقة قد ذهب إليها كذلك الشيخ علي آل محسن في كتابه (عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل) ، فقال :

[وخلاصة ما توصلنا إليه هو ان الاحاديث الصحيحة المروية في بعض المصادر الشيعية دلت على ان رجلاً كان على زمن أمير المومنين عليه السلام اسمه عبد الله بن سبأ ، قد غلا في أمير المؤمنين وادعى الالوهية ، فاستتابه أمير المؤمنين عليه السلام في جملة جماعة كانوا معه على رأيه ، فلم يتوبوا فأحرقهم بالنار وانتهى أمره] .

---

(١) [تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي / صائب عبد الحميد ص ٥٧٣ – ٥٧٥]

آل محسن ينكر على من نفى وجود عبد الله بن سبأ

ثم قال :

[واما عبد الله بن سبأ كان كذاباً ، وانه ادعى الالوهية في أمير المؤمنين عليه السلام فاحرقه عليه السلام بالنار وانتهى دوره ، فهو صحيح بحسب دلالة الروايات المعتبرة التي مر ذكرها ، هذا خلاصة ما توصلنا إليه من الرأي في عبد الله بن سبأ، وهذا هو رأي اعلام الشيعة الامامية السابقين الذين ذكرنا كلامتهم فيما تقدم .

ومنه يتضح أن من قال : (إن عبد الله بن سبأ رجل مختلق) فقد رد الأخبار المعتبرة بدون حجة صحيحة][1].

كبار علماء الامامية يثبتون وجود هذه الشخصية

وقال آل محسن :

ذهب جمع من العلماء إلى ان ابن سبأ احرقه أمير المؤمنين عليه السلام بسبب ادعاء الالوهية له عليه السلام : فقد قال العلامة الحلي في كتابه خلاصة الأقوال :

عبد الله بن سبأ غال معلون ، حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار ، كان يزعم ان علياً عليه السلام إله ، انه نبي.

وهذه العبارة هي عين عبارة السيد أحمد بن طاووس في كتابه (حل الإشكال في معرفة الرجال) المنقولة في التحرير الطاووسي.

وقال أبو عمرو الكشي :

كان يدعي النبوة وأن علياً عليه السلام هو الله ، فاستتابه عليه السلام ثلاثة أيام فلم يرجع، فاحرقه في النار في جملة سبعين رجلاً ادعوا فيه ذلك.

وقال الشيخ يوسف البحراني :

وابن سبأ هذا هو الذي كان يزعم ان أمير المؤمنين عليه السلام اله ، فاستتابه أمير المؤمنين ثلاثة أيام ، فلم يتب فأحرقه [2].

---

(١) [عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ١٣٤ - ١٣٦]

(٢) [عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص١١٨]

أقول :

ومما يمكن ان يضاف إلى الأقوال التي ساقها آل محسن ، أقوال أخرى هي أيضاً لعلماء شيعة اثبتت وجود هذه الشخصية وواقعيتها ، ومنهم :

* الشيخ حسن صاحب المعالم ، قال :

عبد الله بن سبأ ، غال ملعون ، حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار ، كان يزعم ان عليا عليه السلام الها، وأنه نبي لعنه الله تعالى[١].

* شيخ الطائفة الطوسي :

عده الشيخ في رجاله : ٥١ رقم ٧٦ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قائلا: عبد الله بن سبأ الذى رجع إلى الكفر وأظهر الغلو[٢].

* ابن داود :

ذكره ابن داود في القسم الثاني من رجاله : ٢٥٤ رقم ٢٧٨ ناقلا في ترجمته عبارة الشيخ والكشى[٣].

* التفريشي :

عبد الله بن سبأ : الذي رجع إلى الكفر واظهر الغلو ، من أصحاب عليه السلام، رجال الشيخ[٤].

* الخوئي في رجاله :

عبد الله بن سبأ : الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو : من أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ (٧٦) [٥].

وانظر هنا أيضاً في ترجمة عبد الله بن سبأ في تنقيح المقال (ج٢ ص ١٨٤).

والأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري (ص ٢٣٤) وكلها مراجع

---

(١) [التحرير الطاووسى / الشيخ حسن صاحب المعالم ص ٣٤٦]
(٢) [التحرير الطاووسى / الشيخ حسن صاحب المعالم ص ٣٤٦]
(٣) [التحرير الطاووسى / الشيخ حسن صاحب المعالم ص ٣٤٦]
(٤) [نقد الرجال / التفرشي ج ٣ ص ١٠٨]
(٥) [معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ج ١١ ص ٢٠٥]

شيعية .

لا اختلاف بين علماء الشيعة على وجود مثل هذه الشخصية

أقول :

إذن هذه بعض أقوال علماء الشيعة الذين يعدون من اعمدة المذهب والمصدرين فيه ، قد اثبتوا ان هناك شخصية وجدت في التاريخ اسمها عبد الله بن سبأ فهي حقيقة واقعة عندهم لا يختلف فيها علماؤهم .

وهم قد عابوا على من أنكر هذه الشخصية ، وكذلك فانهم عابوا في كلامهم لمصلحة المذهب ان يكون لرجل هذا الدور في التاريخ الذي نسب له في كتب التاريخ وانه هو من اسس عقائد الشيعة ، فهذا الأمر طبيعي من أجل تجميل صورة المذهب ، والجدير بالذكر ان انكار وجود مثل هذه الشخصية لم يرد إلا في العصور المتأخرة ، وكان رائد هذا التوجه هو العلامة (مرتضى العسكري) في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) هذا الكتاب الذي خالف فيه المتقدمين والمتاخرين باخراجه هذا القول الشاذ .

نفي وإثبات

إن وجود (عبد الله بن سبأ) كشخصية حقيقية لها آثار وبروز أمر ثابت ولا يمكن لأحد أن ينكره وبالأخص علماء الشيعة إذ أن مرويات التاريخ طافحة بذكره ، ولزيادة بيان هذا الأمر وتحقيقه أنقل لكم ها هنا ما دار بين علي آل محسن في كتابه (لله وللحقيقة) وبين السيد حسين الموسوي * في كتابه (لله ثم للتاريخ) .

---

* السيد حسين الموسوي من علماء الشيعة درس وتخرج وحصل على درجة الاجتهاد من حوزة النجف ، عاش في النجف ، وعاصر عدداً كبيراً من مراجع الشيعة المصدرين من امثال: (الخوئي ، والخميني ، والحكيم ... وغيرهم الكثير).
خرج على المذهب الشيعي بعد ان تبين له بطلانه بالأدلة العقلية والشرعية، ومحاولة منه لايصال الحقائق التي يعرفها عن المذهب الشيعي إلى الناس أجمعين قام بتأليف كتاب اسماه (لله ثم للتاريخ) ضمنه الكثير من الفضائح والممارسات اللاخلاقية، ولا المقبولة التي وقع فيها مراجع الشيعة الكبار واتباعهم .

حيث قام الأول بالرد على الموسوي عندما اتهم علماء الشيعة بأنهم ينكرون وجود مثل هذه الشخصية ، ويصنفونها في مصاف الاوهام والخيالات فلم يرض علي آل محسن منه هذا القول ، بل اثبت أن الشيعة تقول بوجود (عبد الله بن سبأ) ، وأثبت أن المخالف لهذا معدود ومتفرد في اختياره ، خارج عمن سبقه من علماء الإمامية ، ثم أخذ بالرد على هذا المخالف لأجل إثبات مدعاه .

وإليك هذا الحوار الذي دار بينهما نقلته بتصرف مركزاً على المتعلق بموضوعنا لقصد إثبات حقيقة وجود هذه الشخصية :

قال السيد حسين الموسوي :

[إنَّ الشائع عندنا معاشر الشيعة أنَّ عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لا حقيقة لها ، اخترعها أهل السنة من أجل الطعن بالشيعة ومعتقداتهم ، فنسبوا إليه تأسيس التشيع ليصدوا الناس عنهم ، وعن مذهب أهل البيت] .

أقول :

لقد رد علي آل محسن ادعاء حسين الموسوي هذا من وجهين :

الأول :

اعتباره أن الشائع عند الشيعة هو وجود (عبد الله بن سبأ) ، وتحقق ثبوت هذه الشخصية حتى أن هذا الأمر اقترب من الإجماع عندهم .

الثاني :

عاب عليه ادعاءه الاجتهاد والفقه مع خفاء مثل هذه المسألة البسيطة عنه ، فقال آل محسن في معرض هذا الرد :

[إن العجب ممن يدَّعي الفقاهة والاجتهاد كيف تخفى عليه مسألة بسيطة من أبسط المسائل الرجالية ، وهي أن المشهور الذي كاد أن يكون إجماعاً بين علماء وفقهاء الإمامية قديماً وحديثاً أن عبد الله بن سبأ شخصية كان لها وجود، وقد نصَّ العلماء على ذلك في كتبهم الرجالية المعروفة] .

ولإثبات مدعاه في أن هذا هو الشائع عند علماء الشيعة قام بسرد أقوال علمائهم المثبتة لوجود شخصية ابن سبأ ، وهم : (الطوسي ، الحلي ، ابن طاووس ، الكشي ، البحراني) معقباً على هذا السرد ، بقوله :

[إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تخفى على صغار طلبة العلم ، فضلاً عمَّن يدعي الاجتهاد والاطلاع على ما في كتب الرجال من أحوال الرواة] .

قال السيد حسين الموسوي :

[وسألت السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء عن ابن سبأ فقال :

إن ابن سبأ خُرافة وضعها الأمويون والعباسيون حقداً منهم على آل البيت الأطهار ، فينبغي للعاقل أن لا يشغل نفسه بهذه الشخصية] .

أقول :

وقد رد علي آل محسن ما نسب إلى كاشف الغطاء عن طريق التشكيك بصدور مثل هذا القول منه ، وحتى على سبيل التنزل والتسليم في ثبوته ، قام بحمله على معنى لا يترتب عليه انكار شخصية ابن سبأ ، فقال :

[ما نقله عن الشيخ كاشف الغطاء غير معروف عنه ، فلا يُعتد بهذا النقل، ولا يعوَّل عليه .

ومع التسليم بأن كاشف الغطاء رحمه الله قد قال ذلك فعلاً ، فلعل مراده هو أنه ينكر صحة الأساطير التي حيكت حول عبد الله بن سبأ ، ويرى أنها من دسائس الأمويين والعباسيين ، لا أنه ينكر أصل وجوده الذي صرَّح به في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) كما سيأتي ذلك في كلامه الآتي] .

قال السيد حسين الموسوي :

[ولكني وجدت في كتابه المعروف (أصل الشيعة وأصولها) ص٤١ – ٤٠ ما يدل على وجود هذه الشخصية وثبوتها حيث قال : (أما عبد الله بن سبأ الذي يلصقونه بالشيعة ، أو يلصقون الشيعة به ، فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه ...)] .

أقول :

ورد عليه علي آل محسن هذا القول بإثبات أن المشهور بين علماء الشيعة هو تحقق وجود شخصية ابن سبأ ، مستدلاً عليه بنقله هو عن كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها ، حين قال :

[إن مشهور علماء الشيعة ــ ومن جملتهم كاشف الغطاء ــ قد ذهبوا إلى وجود عبد الله بن سبأ ، وأنه ادعى الألوهية لأمير المؤمنين (ع) ، فأحرقه بالنار

في جملة رجال ادعوا ذلك معه ، وهذا يعرفه كل من بحث في كتب الرجال وتفحص الأقوال .

وما جاء في كتاب (أصل الشيعة وأصولها) دليل على عدم صحة النقل السابق عن كاشف الغطاء] .

قال السيد حسين الموسوي :

[بيد أننا إذا قرأنا كتبنا المعتبرة نجد أن ابن سبأ شخصية حقيقية وإن أنكرها علماؤنا أو بعضهم] .

أقول :

وهنا أيضاً رد عليه آل محسن مكرراً قوله أن المشهور بين علماء الشيعة، والذي يصل إلى حد الإجماع عندهم أن ابن سبأ شخصية حقيقية ولها وجود .

وبناءاً على هذا الأمر اعتبر آل محسن أن المخالف له غير معتبر ، ولا وزن له وأنه من إحداثات عقول كتاب غير معروفين وليسوا من أصحاب المنازل والدرجات عندهم وهذا وان لم يصرح به بخصوص عالم بعينه ، فهو طعن واضح وتسقيط بيَّن لاؤلئك الذين ذهبوا هذا المذهب والذين تصدر قائمتهم كما تبين لنا مرتضى العسكري ، لذلك فالكلام حسب ما نرى وحسب الواقع الذي عرضناه لكم موجه توجيهاً مباشراً إلى مرتضى العسكري .

ثم ان علي آل محسن لم يكتف بهذا الالغاء ، وعدم الاعتبار بتلكم الشخصيات بل طعن في الأسس التي عليها بنوا اختيارهم في نفي وجود ابن سبأ واعتبرها أوهاماً لا ترتقي حتى إلى درجة الشك مع ما يعتري منهجية هذه المحاولة من أخطاء فادحة ، وبالتالي فهي مزاعم لا يمكن أن يعتمد عليها ، وإليك نص قوله لتتضح لك الصورة كاملاً :

[لقد قلنا فيما مر : إن المشهور بين علماء الشيعة ، إن لم يكن إجماعا أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية ، ولم ينكر وجودها معروف من الأساطين ، وكتبهم خير شاهد على ما نقول .

وعليه فما سيأتي بعد ذلك كله مبتن على وهم فاحش ، وخطأ فادح ، وهو زعم الكاتب أن علماء الشيعة ينكرون وجود شخصية عبد الله بن سبأ ، مع أن ذلك غير صحيح كما قلنا] .

ثم قال علي آل محسن منهياً رده على حسين الموسوي :

[ومنه يتضح أن ما زعمه الكاتب من أن فقهاء الإمامية ينفون شخصية ابن سبأ بعيد عن الصواب] (١) *.

---

(١) [لله وللحقيقة رداً على كتاب لله ثم للتاريخ / علي آل محسن ص ٣٤ – ٥٦]

* إن الأصل الذي يتعامل به علماء الشيعة في إثبات القضايا أو نفيها ، هو المصلحة المتحصلة منها للمذهب ، والخدمة المستفادة منها ، والغرض الذي تساق لاجله في الموضوع المعالج والامر المبحوث .

ولذا تجد عالماَ شيعياَ يثبت قضية في موطن ينفيها نفسها في موطن آخر خدمة للغرض وتحصيلاَ للمصلحة ، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصى نذكر منها هنا (علي آل محسن) نفسه .

فهو أثبت وجود ابن سبأ هنا تحصيلاً لغرض وحاجة ، بينما ينفيه في موضع آخر لنفس السبب فهو في كتابه (كشف الحقائق رد على هذه نصيحتي إلى كل شيعي) قد أنكر وجود مثل هذه الشخصية عندما ذكر ما نصه :

[إن اغفال هؤلاء المؤرخين لهذا الرجل الذي كان له هذا الدور الكبير في أحداث الفتنة ، وفي تغيير وجه التاريخ الإسلامي دليل على أنه رجل مكذوب مختلق] .

وذكر ايضا في موضع آخر بعد أن أورد أربعة وجوه لإنكار مثل هذه الشخصية ما نصه :

[من كل نخلص إلى أن ابن سبأ كان شخصية وهمية اختلقها سيف بن عمر للدفاع عن عثمان من جهة ، وللطعن في علي وشيعته من جهة أخرى] .

[كشف الحقائق رد على هذه نصيحتي إلى كل شيعي / علي آل محسن ص ٢٣٠ – ٢٣٣]

أقول :

فلك عزيزي القارئ بعد هذا أن تتصور مقاصد علماء الشيعة في الكتابة، وأمانتهم في البحث والتحقيق ، وإذا ما تصورت هذا الأمر فلا أظنك تجهل الحكم اللائق بهم ، والوصف الذي يستحقون . اللهم جنبنا الهوى ووفقنا لفضح أهله .

المبحث الثالث

آثار ونتائج (عقول لعلماء تبنت منهج مرتضى العسكري)

مدخل

في هذا المبحث أشرت إلى الأمور التي قد بنيت على ما ذهب إليه مرتضى، وحصرت هذه الإشارة بتبني العلماء لقوله ، أو مدحهم وثنائهم له .

فأما ما يتعلق بالتبني لقوله ، فإن علماء الشيعة لم يصدقوا حينما وصلهم خبر اختيار مرتضى هذا ، وطاروا به فرحاً ، ورقصوا له طرباً ، فكان كالمنقذ لهم من الأهوال ، والمنجي لهم من المصاعب والمشاكل ، لأن (عبد الله بن سبأ) اقلق مضاجعهم ، وزعزع عقائدهم وهم وقفوا امامه عاجزين .

فروايات الأئمة المعصومين عندهم مثبتة لوجوده واخبار عقائده التي بثها والتي هي ما يعتقده الشيعة الآن قد طفحت بها الكتب وشاعت وانتشرت حتى صارت من المشهورات ، لذا عندما جاءهم هذا الاختيار ووصلهم هذا التوجه لم يتأخروا عن تبنيه ولم ينظروا في ادلته أو مقدماته ، ولا اتعبوا انفسهم في معرفة كيفية الوصول إلى هذا القول ، بل تشبثوا به واخذوا يلقونه في المحاظرات ويردون به الاعتراضات ويسودون به الصفحات حتى صار عندهم من الثوابت والمسلمات .

وهؤلاء الذين اقصدهم هنا وكما ساذكر لك في المبحث ليسوا من علماء الشيعة العاديين ، بل من المصدرين أصحاب الدرجات العلى والمنازل الرفيعة.

وكذلك تناولت في هذا المبحث من انساق خلفهم متبعاً اثارهم من المنسوبين إلى أهل السنة المتخاذلين الذين لا علم يلجمهم ، ولا ضوابط تخدمهم بل يعجبون بكل ما هب ودب ، وبأي صادر من أي شخص مهما كان ، وايأ كان.

ووجهت النظر إلى حقيقة دوافع هؤلاء في انقيادهم هذا ، وإلى المؤثرات التي وجهتهم إلى هذا التوجه ، ولم اقصد بذلك فضحهم بل اردت البيان والايضاح ليكون الناس على بينة من امرهم ، فلا يخدعون بايراد هذه الاسماء عليهم ولا يكون لها أثر عليهم .

انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً

بعد ان تبين لنا ولك عزيزي القارئ البطلان والضعف اللذان حملتهما محاولات (مرتضى العسكري) في استدلاله على مدعاه في انتفاء وجود شخص (عبد الله بن سبأ) تلك الحقيقة التي لا تخفى على الباحثين والمطلعين والمنصفين والتي ايَّدنا فيما ذهبنا إليه فيها الكثير من علماء الشيعة .

وبعد ان ثبت راسخاً لكل ذي عقل ولب ابتعاد هذه الاستدلالات والتبريرات عن مجال امكانية القبول ، وانتفاء أي صفة للاهلية عنها ، بحيث ان طلاب العلم يأنفون عن قبولها والتفكير بها فضلاً عن المحققين منهم ، والكبار الذين يدعون انهم من أهل العلم والتحقيق ، أقول :

على الرغم من كل هذا البطلان والضعف الذي حملته استدلالات وتبريرات مرتضى ، وعلى الرغم من انفراده بهذا الأمر ، ومخالفته لجميع علماء الشيعة ممن سبقه من اولهم إلى اخرهم .

على الرغم من كل هذا نجد ان من علماء الشيعة وكبارهم من ذهب إلى تأييد مرتضى فيما ذهب إليه ، وتبنيه لهذه الادعاءات التي سعى لتحقيقها ، هذا التأييد وتلك الموافقة كانت شفوية فقط ، إذ هي لا تخرج عن كونها رضى مجرد، ونصرة لمذهب وطائفة ، ومتنفس ، ومخرج يمكن عن طريقه دفع شبه ، وازالة احراجات واشكالات ، ولا نبالغ إذا قلنا انه من باب (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) على مراد الجاهلية لا على مراد الإسلام .

جرأة كبيرة من قبل آية الله الخوئي

وإليك كلام ثلة من هؤلاء الذين وافقوا مرتضى على هواه ، واولهم وعلى راسهم آية الله الخوئي :

فقد ذهب الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث إلى هذا المذهب عندما تناول ترجمة كاملة لـ (عبد الله بن سبأ) ، نقل فيها روايات رجال الكشي والتي لم يرد في سندها (سيف بن عمر) ، ثم قال :

[عبد الله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو : من أصحاب علي عليه السلام].

وقال أيضاً :

[قال الكشي : ذكر البعض أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو ! فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام مثل ذلك ، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي !! وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه وأكفرهم ، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة : أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية !!] .

ثم حاول ان ينكر هذه الحقيقة عن طريق ابتعاده كثيراً عن مضمون قول الكشي، هذه الحقيقة ان هذا المذهب ما هو إلا من تأسيس هذا الكافر المدعو عبد الله بن سبأ ، فقال :

[بطلان قول من خالف الشيعة واضح ناشئ عن العصبية العمياء فإن أصل التشيع والرفض مأخوذ من الله عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى :﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث قال في الغدير: من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ...

وأما عبد الله بن سبأ ، فعلى فرض وجوده فهذه الروايات تدل على أنه كفر وادعى الالوهية في علي عليه السلام لا أنه قائل بفرض امامته عليه السلام] .

ثم قال وهو يثني على مرتضى العسكري وكتابه لتأييده التشكيك الذي زعمه الخوئي :

[مضافا إلى أن أسطورة عبد الله بن سبأ ، وقصص مشاغباته الهائلة موضوعة مختلقة اختلقها سيف بن عمر الوضاع الكذاب ، ولا يسعنا المقام الاطالة في ذلك والتدليل عليه ، وقد أغنانا العلامة الجليل والباحث المحقق السيد مرتضى العسكري في ما قدم من دراسات عميقة دقيقة عن هذه القصص الخرافية وعن سيف وموضوعاته في مجلدين ضخمين طبعا باسم (عبد الله بن سبأ) وفي كتابه الآخر (خمسون ومائة صحابي مختلق) [1]] .

(١) [معجم رجال الحديث / الخوئي ج ١١ ص ٢٠٦]

أقول :

إن الخوئي كما ذكرنا في عنوان هذا المبحث قد ارتكب فعلاً جريئاً عندما تعامل مع شخصية عبد الله بن سبأ ، والذي دفعه إلى ارتكاب هذه الجرأة هو المحاولة منه للتشكيك بوجود هذه الشخصية أولاً .

ومحاولته ابعاد الانظار عن حقيقة الدعاوى التي دعى إليها ويمكن ان نوضح المطاب الكبيرة التي اوقع الخوئي بها نفسه على وفق النقاط الاتية :

أولاً :

عبارة تشكيك تدل على عدم الجزم

لقد شكك الخوئي بوجود شخصية تدعى بعبد الله بن سبأ لقوله (فعلى فرض وجوده) فهذه عبارة تشكيك تدل على عدم الجزم بوجود مثل هذا الشخص وان وجوده أمر مفترض فقط .

واعتماداً منه على ما يقوي تشكيكه هذا قام بالثناء على مرتضى العسكري وكتابه الخاص بعبد الله بن سبأ والذي اعلن فيه انتفاء وجود مثل هذه الشخصية، هذا ما فعله الخوئي بخصوص هذا الأمر .

ولكن الذي وقع فيه هنا أمر لا تحمد عقباه فهو عندما نقل ترجمة (عبد الله بن سبأ) اعتمد في ذلك على مصادر شيعية فقط ناقلاً منها الأخبار المعتمدة على أسانيد لا يتضمن سندها الراوي (سيف بن عمر) ، هذا الراوي الذي عن طريق التلاعب باقوال علماء الجرح والتعديل الواردة فيه ، والاقتطاع من قبل مرتضى قام بتضعيف الروايات الدالة على وجود عبد الله بن سبأ معتبراً شخصيته شخصية اسطورية .

فها هنا وقع الخوئي في المطب الأول والمتمثل بالاعتماد على اختيار مرتضى العسكري في نفي شخصية (عبد الله بن سبأ) ، مع العلم ان سنده في هذا النفي يتناقض مع السند الذي اعتمده الخوئي عندما نقل ترجمة (عبد الله بن سبأ)، وهذا ما يدل على انتفاء الدقة البحثية عند الخوئي من جهة ، والابتعاد عن الضوابط العلمية التي ينبغي اتباعها في مثل هذه الأمور ، يثبت له التصرف الكيفي والانتقائي في الحكم على الأشخاص وجوداً وعدماً ، عدالةً وتجريحاً .

ثانياً :

مصلحة الطائفة

ومما يدل على مدى جرأة هذا المرجع ، انه وبسهولة متناهية يحاول انكار ما هو ثابت مستقر في كتب التاريخ ، وامر مشتهر عند المتقدمين والمتاخرين منهم فـ (عبد الله بن سبأ) اوردته روايات كثيرة ، وبطرق متعددة ، وفي كتب الشيعة قبل كتب أهل السنة ، ومن طريق سيف بن عمر وغير سيف بن عمر.

فلماذا إذن تذهب كل هذه المقدمات ادراج الرياح ، ويبطل العمل بكل هذه الادلة بسهولة وبدون أي اعتبار ؟!

ان المسوغ لذلك هو اعتبار مصلحة الطائفة التي قد تتأثر بوجه من الوجوه إذا ما اثبتت هذه الشخصية لذلك شكك الخوئي بوجودها وجعلها فرضاً .

ثالثاً :

التفصيل لا يخدم الخوئي

لقد ابتعد الخوئي في سبيل تحقيق مبتغاه عن كامل مضمون الروايات بحيث انه حاول ان يحصر دلالتها في جهة واحدة منطلقاً من هذا الحصر إلى تحقيق مدعاه فقال : (فهذه الروايات تدل على انه كفر وادعى الالوهية في علي).

نافياً في الوقت نفسه ان الكشي قد قال : (بفرض إمامته) ولم يشر أصلاً إلى أنه قد (أظهر البراءة من اعدائه) ، (وكاشف مخالفيه وكفرهم) .

وهذا الفعل منه لا يتماشى مع المطلوب في مثل هذه القضايا ، إذ المطلوب هو التحقيق الكامل لجميع مجالات البحث ، والاحاطة بكل متعلقاتها ، فقول الكشي هنا قد دل بوضوح كامل على ان عبد الله بن سبأ هو (أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي) ، كما انه اظهر البراءة من اعدائه ، وكفر مخالفيه .

فالمطلوب من الخوئي ان يعالج هذه النتائج والمقررات التي عرضها الكشي كلها لا ان يجتزئ في إيراد مدلولات ومضامين هذا التصريح ، فهذا ان دل على شيء فانما يدل على ضعف الارضية التي يقف عليها الخوئي ، وعلى ضعف مقدماته التي يحاول من خلالها الوصول إلى مطلوبه في نفي هذه الشخصية ،

وهذا الذي يبرر اجماله في الحكم لأن التفصيل لا يخدمه هنا ففيه إثبات نقيض ما ذهب إليه .

رابعاً :

اجماع علماء الشيعة المتقدمين على وجود عبد الله بن سبأ

مخالفته هو ومن ذهب مذهبه لكل علماء مذهب الامامية واعمدته منذ بداية القرن الرابع الهجري عندما غاب المعصوم وإلى الزمن الذي ظهرت فيه هذه الدعوى والتي اعلنت على لسان مرتضى العسكري ، وقام الخوئي بتأييدها .

فلم نسمع واحد من علماء الشيعة قريبي العهد من زمن الامامة حكماً على هذه الشخصية بانها اسطورية ، ولم نعثر في المتناول بين ايدينا من كتب على قول لواحد منهم ينكر فيه وجود مثل هذه الشخصية ، أو يشكك فيها ، مع العلم انهم قريبون من زمن المعصومين ، ولهم جهود حثيثة في التنقيب والتفتيش في كتب التاريخ عن أي شيء وكل شيء ، وعن كل صغيرة وكبيرة لتثبيت عقائدهم أولاً ، ولدفع الشبهة والاتهامات عن مذهبهم .

وهذا المبدأ ، مبدأ المخالفة لما هو معروف ومشهور قد صار سجية للشيعة في وقتنا الحاظر ، ومنهجاً جديداً من فروض الوقت عليهم اخذوا في تناوله وسلوكه تحقيقاً لمأربهم ، كما ان حالة الانكار والنفي لما هو ثابت ومستقر عندهم والذي تواترت فيه اخبارهم قد أصبح منهجاً جديداً أيضاً يسلكونه تحقيقاً لاغراضهم وخدمة لمصلحة مذهبهم .

خامساً :

مرتضى لم يناقش روايات الكشي سنداً ووافقه على هذا الخوئي

الخوئي عندما تناول ترجمة (عبد الله بن سبأ) قام بايراد روايات الكشي الخمسة ولكنه عندما اوردها اغفل نقاش سندها وتحقيقه ، وفعل عين فعل مرتضى في هذا الأمر .

وذلك لأنه على علم مسبق بأن نقاشه لها غير نافع ولا مفيد لعموم المذهب من جهة ، ولثنائه ومدحه لمرتضى من جهة أخرى ، وذلك لأن مدحه له وثنائه

عليه كان مبنياً على جهده في استدلاله لانتفاء وجود شخص (عبد الله بن سبأ)، وهذا هو منهج عام لعلماء الشيعة يتبعونه في كل جزئية لا تخدمهم ولا تنفعهم .

وهو الذي فعله الخوئي أيضاً عندما ناقش الروايات الذامة لـ (زرارة) وقام بتحقيقها كما اشرنا إليه ، مع اعراضه عن نقاش وتحقيق الروايات المادحة له –كما بينا– تحقيقاً لنفس الغرض وتثبيتاً للمنهج الغرضي المصلحي .

اعتذار علماء الشيعة نيابة عن الخوئي في خطئه الكبير (تبني كتاب مرتضى)

إن موافقة مرتضى العسكري على آرائه بخصوص رجال الكشي خطأ كبير، وجريمة لا تغتفر وفق كل المقاييس التحقيقية المعتمدة عند علماء الشيعة، والغريب في الأمر ان الذي وقع بهذا الخطأ ، وارتكب هذه الجريمة هو مرجعهم الأكبر ومحققهم الاعظم آية الله الخوئي – كما بينا – ، ونظراً لجسامة هذا الأمر وخطورته فقد حاول بعض علماء الشيعة ايجاد تخريج لفعلة الخوئي هذا والاعتذار بالنيابة عنه عن هذا التصرف ، ومن هؤلاء الذين قاموا بهذا الأمر محمد علي المعلم ، وتسلسل في هذا الاعتذار عن طريق ما يأتي :

ابتداءاً اثبت صحة كتاب الكشي معتبراً اياه أحد الأصول الرجالية المعتمدة عندهم بحيث لا يستغني عنه محقق أو عالم أو باحث عن طريق الخوئي نفسه، حيث قال :

[ان الخوئي يصرح بأن كتاب الكشي أحد الأصول الرجالية ويعول على رجال الكشي في التوثيق والتضعيف] (١).

ثم بعد ذلك أخذ يقارن بين قول الخوئي هذا الذي يعتمد عليه في التأصيل والبناء، وبين ما يراه مرتضى العسكري في هذا الكتاب ، حيث قال :

[في حين إن السيد العسكري يسعى للتقليل من شأن كتاب الكشي وأهميته واظهاره بأنه كتاب مدسوس فيه ولا يعتمد العلماء عليه] (٢).

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٠]

(٢) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٠]

وبعد هذه المقارنة يصل إلى نتيجة لا يجد غيرها لتخريج موافقة الخوئي لمرتضى على كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) حينما يقول :

[فانا نطمئن بل نجزم بأن السيد الخوئي لم يقرأ كتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى وإنما أوكل قراءته وتقييمه إلى بعض طلابه .

ويقيناً لو انه قرأ الكتاب بنفسه لما وافق على ما ذكره السيد العسكري مما يتعلق بكتاب الكشي ، ولما استغنى عن التحقيق في هذا الموضوع واعتبره من الدراسات العميقة الدقيقة] (١).

أقول :

بعد هذا العرض لمحاولة ايجاد عذر لفعلة الخوئي لنا وقفة مع هذا العذر وما الذي يبنى عليه من أمور ، فنقول :

إن هذا العذر المقدم قد نوافق عليه المعلم ، وقد لا نوافق ولكن في الحالتين هناك أمور ينبغي ان نوضحها نراها لازمة للموافقة أو عدمها .

كيف لنا أن نثق بتحقيقات الخوئي ؟

فأما إذا وافقنا وقبلنا العذر المقدم للخوئي ، فكيف يتسنى لنا بعده ان نقبل بتحقيقات هذا الرجل ؟ وكيف تطمئن انفسنا للمكتوب المنسوب إليه والمنقول عنه؟

فإن هذا الكلام قد يصلح لأن يكون عذراً ، ولكنه في نفس الوقت يثبت تهمة ومطعناً عليه تسقط تحقيقاته للكتب واختياراته في المسائل واحكامه على الرجال والأقوال .

ولعل المعلم لم ينتبه إلى هذه الطامة المبنية على هذا التخريج كعادتهم عندما يوجدون التخريجات والمعاذير لكثير من القضايا فلا ينتبهون إلى ما يلزم منها، وإلى ما ينبني عليها .

---

(١) [عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١١٠]

مرتضى والخوئي في الحكم سواء

واما في حالة رفض هذا العذر ، وعدم القبول له لكونه لم يستند إلى أدلة مقنعة فإننا سنكون ملزمين باعتبار الخوئي قارئاً لهذا الكتاب ، مستوعباً لمضامينه، عارفاً بالمبحوث فيه محيطاً به ، ولذلك وافق صاحبه على نتائجه واحكامه واختياراته التي توصل إليها فيه .

وعند ذاك سيلحق بالخوئي أي حكم يلحق بمرتضى مما قد اتفق عليه الباحثون وقال به المحققون سنة وشيعة من الحكم عليه بضعف المنهجية ، والقصور في التحقيق ، وشذوذ الأقوال والمخالفة المرفوضة لما عليه المتقدمون، والغرضية والمصلحية في التبني والاختيار ، وعدم الانتباه للوازم المبنية على الاختيارات ورد روايات الأئمة الصحيحة والحكم على فهم العلماء منها وقبولهم لها بالخطأ ومجانبة الصواب .

هذه الأحكام الثابتة جزماً لمرتضى تنبه إليها محققون لا يعدون إذا ما قورنوا بآية الله الخوئي ، ولا يحسبون إذا ما قيسوا به قد غفل عنها هو ، ولم ينتبه لها، وعليه فلا يخرج عن كونه في هذه الحالة عن أحد رجلين :

اما ان يكون حاله كحال مرتضى لا اختلاف بينهما وبالتالي فاي حكم يثبت لمرتضى ينسحب عليه باعتبار الموافقة .

أو ان يكون مخالفاً له في كثير من الأمور ولكنه غفل عنها ووهم ولم ينتبه للمذكور في هذا الكتاب ، وعند هذا يسقط في الاعتبار وترفع عنه حصانة الثقة وامكانية قبول احكامه على الكتب والأقوال وحتى الروايات ، هذا ما اردنا بيانه هنا ونترك الأمر للقارىء ليحكم بحسب قناعته .

اكتشافات جديدة غفل عنها من سبقهم

ان العسكري هنا ينكر وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) لأن هذه الشخصية لا تنفعهم ويعتبر هذا اختياراً منفرداً واكتشافاً جديداً ، وكذلك فعل فعله نجاح الطائي عندما انكر في كتابه (صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر ؟) ان يكون أبو بكر رضي الله عنه كان مع النبي ﷺ في الغار حال الهجرة .

والادهى انهم يعتبرون هذا اكتشافات جديدة قد غفل عنها من سبقهم، وهكذا وما دام الأمر كذلك فإننا نجزم والعلم عند الله بأن هذه الاكتشافات ستستمر في هذا المذهب ، فهو مذهب يعتمد على المتغيرات في تحديد طبيعته ، وكينونته، وهيئته فلا حدود عنده للممنوع فكل شيء جائز ويمكن استحداثه، واستخدامه.

ويضاف إلى ذلك انهم بعد ان استنفذوا كل ما هو ممكن ان يستخدموه من أساليب الطعن والتضعيف للأخبار لجؤوا لاستخدام هذا الطرح الجديد، والأسلوب الحديث المتمثل بالنفي والانكار * .

*** مذهب الاكتشافات**

ان هناك صفة يمتاز بها المذهب الشيعي ، يمكن ان تندرج تحت خصائصه التي ينفرد بها عن غيره من مذاهب المسلمين ، هذه الصفة هي تعدد الاكتشافات فيه، والتجدد ، والتغيير المتوالي عليه ، فلا يخلو عقد من الزمان إلا ودوى فيه صوت قوي اصدره بعض من ينتسب إلى التحقيق من الشيعة يعلن عن طريقه اكتشافاً لم يسبقه إليه الاوائل ، وينفرد به عن الأمة جميعاً ويخالفها مخالفة تامة بإخراجه له .

والصور والمصاديق الموضحة لهذه الاكتشافات قد لا تحصى كثرة لتشعب المتعلقات، وتعدد الموضوعات ، واختلاف الاتجاهات التي يرد عليها الاكتشاف .

اكتشاف مرتضى العسكري

ومن تلكم الاكتشافات ذات الصدى المدوي لا من ناحية الأثر الايجابي لهذا الصدى ولكن من ناحية الازعاج الناتج عنه ، والاضطراب الفكري والنفسي المتولد منه ، ذلك الاكتشاف الذي اعلنه (مرتضى العسكري) وابرزه إلى الساحة على كونه اكتشافاً جديداً قد امتاز بالجرأة في التحقيق ، والقوة في العرض ، والصلابة في النتائج والمباني .

هذا الاكتشاف مفاده ان وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) وجود خيالي منتف لا أثر له حقيقي على الواقع ، وخالف فيه جميع العلماء والمؤرخين من السنة والشيعة .

اكتشاف الدكتور نجاح الطائي

هذا الاكتشاف من مرتضى مع ما فيه من القوادح والمبطلات مر عليه نصف قرن من الزمان ، وظن الناس بعده ان عصر الاكتشافات لاهل هذا المذهب ربما قد ولى أو انتهى ، حتى لاح لهم في الافق شراع مكتشف جديد الصق نفسه الصاقاً باهل العلم والتحقيق اسمه (الدكتور نجاح الطائي) ولعل اكتشافه قريباً من جهة النوع من اكتشاف مرتضى لوجود مشابهة بينهما .

=

=

ان (الدكتور نجاح الطائي) الذي صدح باكتشافه بأن (أبا بكر) ليس هو الرجل الذي كان مع النبيﷺ في الغار اثناء حادثة الهجرة وانما هو رجل آخر ادعى انه الدليل الذي كان معه (ابن اريقط) المنسوب إلى قبائل (بن بكر) متهماً الأمة انها حرفت الاسماء فابدلت اسم (أبي بكر) بدلاً من عبد الله بن اريقط الذي يرجع نسبه إلى (بن بكر) .

فهذه هي اكتشافاتهم تضرب بالأمة جميعاً عرض الحائط ، وتخالفهم ملغية أي اعتبار لها مهما كان قدر هذه الأمة فلا يعتبرون عالماً ، ولا محققاً ، ولا اجماعاً ، ولا تواتراً ، فالكل عندهم ساقط ، والجميع عندهم ملغي ما دام يخالف اكتشافهم .

ولعلكم تستغربون من استخدامي لفظ الاكتشاف على مخالفات أمثال هؤلاء وشذوذهم ولكنه هو التعبير الذي يستعملونه في الاطلاق على اختياراتهم هذه فنجاح الطائي هذا اعتبر نفسه مكتشفاً حينما قدم لكتابه الذي ضمنه ما توصل إليه (صاحب الغار أبو بكر أم رجلُ آخر ؟) بما نصه :

[عزيزي القارئ هذا البحث الذي بين يديك أول اكتشاف علمي لأدلة صحيحة بعد أربعة عشر قرناً من التخبط في الجهل والابتعاد عن الحقيقة والعدول عن الواقع الذي طمسه المستبدون وأخفاه الجاهلون ، وهو أعظم توفيق الهي حصل لي في حياتي إلى اليوم اشكره تعالى على ذلك] .

[صاحب الغار أبو بكر أم رجل أخر ؟ / نجاح الطائي ص١- ١٣]

أقول :

ما اشبه اليوم بالبارحة .. فعندما ظهر لنا اعلان مرتضى لقوله الذي خالف به كل من سبقه ، قلنا ظهر عهد جديد لمنهج جديد في توجيه الأقوال والروايات ، وهذا ما تحقق اليوم عندما سار (الدكتور نجاح الطائي) على خطى مرتضى في اعتماد هذا المنهج القاضي بالنفي، والابطال ، والالغاء مع تجدد في الطريق والمسلك الموصل للمقصد .

اكتشاف أحمد الكاتب

ولا ندري ما هو الجديد الآخر الذي سيدوي في أرجاء هذه الساحة ، هل سيكون اعلانهم الكشف عن كون (المهدي) ابن الحسن العسكري اكذوبة مختلقة نسجها القصاصون ووضعها الكذابون من الذين ينتسبون إلى العلم من أهل التشيع ليغروا بها العوام والجهال لتحقيق أغراضهم ؟

وان كانت قد اكتشفت حقيقةً من العالم الشيعي (أحمد الكاتب) ولكنهم لم يقبلوا لحد الآن هذا الاكتشاف المبني على أدلة صحيحة ومقدمات منطقية موافقاً في اتجاهه ما عليه الأمة جميعاً – بأستثاء من ينتسب إليها من الشيعة الامامية الاثني عشرية – لا لشيء إلا لأنه يدمر مذهبهم ،

=

أقول :

إن محصلة ما تناولناه هنا تبين لنا مدى الجرأة الكبيرة التي قام بها الخوئي عندما تعامل مع شخص ابن سبأ لأجل نفي وجوده ، أو التشكيك في ذلك وقصدنا من هذا البيان هو أن نضع اليد على حقائق تصرف هؤلاء الناس في قضايا التاريخ وشخوصه مهما كانت هذه القضايا وأياً كان هؤلاء الاشخاص*.

=

ويذهب به إلى اسفل سافلين .

لماذا قبلتم باكتشاف مرتضى ونجاح مع كونهما بعيدين كل البعد عن التحقيق ولا يملكان أي دليل يمكن ان يؤهلهما لامكانية القبول فضلاً عن الاثبات ، فهما بلا خلاف مردودان بنفسيهما، ورفضتم اكتشاف (أحمد الكاتب) المدعوم بالأدلة والبراهين، والذي عجز كل علماء الشيعة عن رده ، وكذلك عن ابطال ما جاء به ؟

أود أن أشير إلى أني قد رددت على اكتشاف نجاح الطائي في كتاب اسميته (الرد الشافي على نجاح الطائي في كتابه صاحب الغار أبو بكر أم رجل أخر ؟)

*** محقق شيعي كبير يسقط في شراك مرتضى أيضاً !**

ذهب علي آل محسن إلى اعتبار السيد (محمد حسين الطبطبائي) صاحب تفسير (الميزان) من علماء الشيعة الكبار الذين اختاروا القول القاضي بنفي وجود (عبد الله بن سبأ) أصلاً مع الحكم عليه بأنه موضوع خرافي حيث نقل قوله من تفسيره الموضح لهذا الأمر :

[وهذان اللذان روى (الطبري) عنهما الحديث وعنهما يروى جل قصص عثمان اعني شعيبا وسيفا هما من الكذابين الوضاعين المشهورين ذكرهما علماء الرجال وقدحوا فيهما . والذى اختلقاه من حديث ابن السوداء وهو الذى سموه (عبد الله بن سبأ) ، وإليهما ينتهى حديثه، من الاحاديث الموضوعة ، وقد قطع المحققون من أصحاب البحث اخيرا ان ابن السوداء هذا من الموضوعات الخرافية التى لا أصل لها].

[عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ١١٣]

أقول :

ان الذي يظهر من كلام صاحب الميزان انه سقط في مهاوي هذا القول بسبب فعل بعض المحققين ممن اخرج هذا القول مبحوثاً واعلن عنه محققاً ، وبما اننا لا نجد مصداقاً حقيقياً لمن أخرج هذا القول مبحوثاً محققاً إلا مرتضى العسكري فلذلك لا نجد إلا ان نحمل قوله (بعض المحققين) على مرتضى نفسه وبالتالي يكون الطباطبائي هذا العلامة الكبير عند الشيعة ممن وقع كذلك في شراك مرتضى كما وقع غيره من اكابر علماء الشيعة المحققين من أمثال الخوئي .

محمد جواد مغنية وتبجيله كتاب مرتضى

وهذا محمد جواد مغنية علم اخر من أعلام الشيعة مدح الكتاب مغالياً في مدحه واصفاً اياه بالمتفرد والمتوحد في موضوعه ، وفي سياقاته ، وفي النتائج التي توصل إليها حتى انه جعل منه الكتاب الوحيد الذي جعل من العلم اساساً لبحث قضايا التاريخ والوصول بها إلى النتائج المقبولة منطقياً ، حيث قال :

[أما صاحب كتاب (ابن سبأ) فقد هدم البناء من الأساس ، وأثبت بأن ابن سبأ أسطورة لا وجود له ، وهذا هو الجديد في الكتاب .

ولا أغالي إذا قلت : إنه الكتاب العربي الوحيد الذي بحث التاريخ على أساس العلم ، وتعمق فيه هذا التعمق] .

وفي سياق تأكيده في الموافقة على صحة ما ذهب إليه صاحب هذا الكتاب في نفيه لوجود شخص (عبد الله بن سبأ) قال واصفاً ادلته بما يلي :

[أما الدليل الصحيح الواضح ، أما الارقام المحسوسة الملموسة على هذه الحقيقة، فتجدها في كتاب (عبد الله بن سبأ) للبحاثة العسكري ، فقد اعتمد في كتابه هذا منهج الحق والعدل ، والتزم بكل شرط يفرضه العلم في عملية البحث، بحيث لا يستطيع القارئ مهما بلغ من الفكر والعلم أن يرفض النتائج التي توصل إليها المؤلف ، أو يشكك فيها ، ولو باحتمال كيفي موهوم ، لأن الأسس التي بنى عليها المؤلف ، مادية لا فكرية فحسب ، ومشاهدات لا نظريات، وقضايا ضرورية لا اجتهادية].

وراح مغنية يصول ويجول مادحاً مرتضى العسكري ، قائلاً :

[لقد جمع هذا البحاثة المقارن تحقيقاته العلمية ، وأبحاثه الشيقة من متفرقات الكتب ومنشورات الآثار وبطون المصادر ، وصال وجال في كل ميدان من ميادين التاريخ الاسلامي حتى وصل إلى هذه الحقيقة ناصعة جلية] .

ثم بعد ذلك أخذ يسلط الضوء على السبب الذي لاجله اثنى على كتاب مرتضى كل هذا الثناء ومدحه كل هذا المدح معبراً عنه بأنه قد سد باباً من ابواب الهجمة على مذهبهم وأراحهم من السنة كانت دائماً ما تتناولهم حيث قال :

[إن المؤلف قد أدى إلى الدين والعلم (وبخاصة إلى مبدأ التشيع) – خدمة لا يعادلها أي عمل في هذا العصر الذي كثرت فيه التهجمات والافتراءات على الشيعة والتشيع ، بل قد أدى خدمة جلى للاسلام وجميع المسلمين ، لانه أفقل الباب في وجوه السماسرة والدساسين الذي يتشبثون بالطحلب لتمزيق وحدة المسلمين ، وإضعاف قوتهم .

أما اليوم وبعد كتاب (عبد الله بن سبأ) فماذا يقول هؤلاء الانتهازيون المرتزقة؟!] (١)

أقول :

الطيور على اشكالها تقع عندما تتقارب المشارب ، وتلتقي المصالح، وتتقارب وجهات النظر ، ويمدح حينها المذموم المذموم ، والمقصر يثني على المقصر .

فها هنا عندما صب ما ذكره مرتضى في مصلحة التشيع ، وخدمة المذهب وجدنا هذا المدح له والثناء عليه من قبل مغنية وغيره ممن تجمعهم مصلحة المذهب لا مصلحة الدين والحقيقة العلمية .

فالقضية قضية مصالح لا قضية علم ودين بدليل ان من لم ير فيما ذهب إليه مرتضى مصلحة للمذهب ورأى فيه المفسدة هي الراجحة قام برد قوله هذا وابطاله وبيان الاثار السلبية المترتبة عليه .

مغنية يعترف بخطأه تكرار ما قاله القدماء

ولم يتوان عن الاعتراف بأنه كان مخطئاً وعلى سبيل غير سوي ، ولا قاصد عندما رد على من تبنى ما ذهب إليه السابقون من علماء الشيعة الذين اثبتوا وجود (ابن سبأ) وتبرؤوا منه ، وانكروا اقواله ، ولم يتردد في تخطئته لهؤلاء العلماء وحكمه على نفسه وعلى غيره بالامعة الذين لا يعرفون إلا ما ينقل اليهم ولا دور لهم ، ولا فعل في التحقيق والاختيار، حيث قال :

[لقد رددت على المفترين والمعترضين مرات ومرات ، واعترف أني لم آت بجديد لا تعرفه الناس ، بل كنت أكرر ما أجاب به المفيد والمرتضى

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ١ ص ١٣ – ١٤]

والعلامة، ولا شئ لي سوى الاسلوب والتوضيح .

ذلك أن الاعتراض واحد لم يتغير منذ زمان وزمان ، فجوابه أيضا واحد لم يتغير ، تماما كجواب من أنكر الباري عزوجل .

وكنت أعزي النفس بأن الكثير يجهلون ما أجاب به الاولون ، وبأن السكوت يغري بنا السفهاء ويفسر بالضعف والعجز عن الجواب ، وعلى آية حال فكنت أجيب كما أجاب غيري على أساس الاعتراف بابن سبأ ، ثم الانكار والتبري منه ومن أقواله] [١].

تبني مغنية بقول مرتضى على سبيل القطع والالتزام

ثم أخذ بعد ذلك محمد جواد مغنية يتكلم عن هذه القضية وعن ادلتها على سبيل التبني المقطوع به فهو عندما يعرضها يعرضها باسلوب يفيد تحقيقها ، وتحقيق جميع متعلقاتها .

وإليكم ما ذكره بخصوصها وبخصوص طريقة انتشارها وتداولها والذي اقتبسه تماماً من مختارات مرتضى العسكري في هذا الجانب حيث قال :

[من هؤلاء بطل اختلق شخصيته ، واختلق اسمه ، واختلق قضايا ربطها به، هذا البطل الاسطوري هو (عبد الله بن سبأ) الذي اعتمد عليه كل من نسب إلى الشيعة ما ليس لهم بن علم ، وتكلم عنهم جهلا وخطأ ، ونفاقا وافتراء .

وجاء المؤرخون بعد سيف الوضاع ، فرأوا الكتابين المذكورين بين مصادر التاريخ، فنهلوا منهما دون فحص وتمحيص ، ونقلوا عنهما بأعينهم وأيديهم وعقولهم ، وأول من خدع بسيف ، الطبري ، ثم نقل عن الطبري ابن الاثير، وابن عساكر ، وابن كثير وغيرهم ، وبهذا امتدت أغصان سيف الكذاب إلى مصادر التاريخ بصورة غير مباشرة ، أما الجذر والاصل فواحد هو : كتاب (الفتوح) (والجمل)] [٢].

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج١ ص ١٢ – ١٤]

(٢) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج١ ص ١٢]

نصيحة للحوزات العلمية يوجهها مغنية

ثم غطى عقله ، وارخى الستر على فكره وعلى حقيقة هذا الكتاب ، وحقيقة ما فيه وذلك لشدة اعجابه به ، وفرحه الزائد بمحتواه موجَّهاً النصح إلى الحوزات العلمية لتبني هذا الكتاب وطبعه وترجمته ، لما راى فيه من تحقيق مصلحة للتشيع وتقديم خدمة للمذهب ، فقال :

[وبالتالي ، فإني أرى أن يتفضل السادة العلماء والمراجع الكبار في النجف الاشرف بتخصيص مبلغ من الحقوق ، أو يأمروا من يمتثل أوامرهم من أصحاب الثراء بإعادة طبع هذا الكتاب طبعا حديثا وأنيقا على أجود ورق .

ثم يعرض للبيع في البلاد الاسلامية والعربية بواسطة شركات التوزيع بثمن يقل عن نصف تكاليفه ، كي يصبح في متناول الجميع ، كما هي الحال في سائر كتب الدعايات التي يراد بها انتشار مبدأ وتشجيع فكرة .

بل اقترح أن يأمروا بترجمته إلى عدة لغات ، وينشر على هذا النحو ، وبذلك يقدمون خدمة للدين دونها جميع الاعمال والخدمات .

هذا هو والله الغرض الاكمل لمصرف الحق الالهي ، وسهم الإمام منه وإليه][1].

ايتام وارامل السادة جياع على طرقات النجف وكربلاء

أقول :

ما هو دليلك على ان هذا الفعل هو الغرض الاكمل لمصرف الخمس؟

ومن أين جئت بهذا الأمر ؟ فاموال الخمس هي حقوق الإمام التي كفلها له الشارع – كما تدعون – ، وعلى هذا الأساس فهي امانة في الاعناق ينبغي صيانتها والتحرز في صرفها ، وانفاقها ، والتصرف فيها ، فينظر أي الاعمال اكمل واصلح ، وأكثر خدمة للامام ولمذهبه فتنفق فيها ، ويبتعد عن الأمور التي لا نفع فيها ولا خدمة يرتجى من ورائها ، أو ان تنفق في سفاسف الأمور

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج١ ص ١٢ – ١٤]

وترهاتها والتي يتحقق من جرائها المفاسد والفتن *.

وعلى هذا الأساس وبعد ان تبين لنا ، وسيتبين حال هذا الكتاب فالذي نـــراه ان انفاق اموال الخمس لأجل طباعته خيانة للامانة ، واهـــدار لحقـــوق الامـــام، وتضييع للمصالح فإن هذا الكتاب وامثاله هي إلى الافســـاد اقـــرب منهـــا إلـــى الاصلاح ، ولا تقدم ولا تؤخر ، ولا نفع فيها لعباد الله في دينهم ولا في دنياهم.

فإن قيل انما نطبع هذا الكتاب وامثاله من الفائض من اموال خمس الإمام ، قلنا لهم حفظاً للامانة الأولى ان يصرف هذا الفائض لسد حاجات النـــاس غيـــر الملباة، ولاطعام الايتام والارامل من اتباع آل البيت (السادة) وسد حاجـــاتهم ، والذين ازدحمت بهم شوارع النجف وكربلاء .

ولما راى علماء الشيعة ابتعاد مغنية في ما قال هنـــا عـــن جـــادة الحـــق والصواب لم يتعبوا انفسهم في انفاذ وصاياه ، وبالتالي فلقد ذهبت امنيات مغنيـــة في تبني هذا الكتاب في الحوزات ادراج الرياح لانهم على علـــم كامـــل ويقينـــي بأنتفاء المنهجية العلمية مطلقاً عن هذا الكتاب ، وفراغـــه مـــن الادلـــة العلميـــة والعقلية التي يمكن عن طريقها اقناع الغير ، والزامهم بما يترتـــب عليـــه مـــن

*** أموال الخمس تصرف على طباعة الكتب الخلافية**

السيد عصام الحسيني الياسري (الشيعي) في كتابه إسلام بلا هوية عاب على مراجع الشيعة صرفهم أموال الخمس على كتب تؤجج الطائفية ، فقال :

صرف بعضهم الأموال الطائلة على ترويج المسائل الخلافية المذهبية وإثارتها والتركيز على نقاط الافتراق ، بل أعادوا تنقيح وتحقيق عشرات الكتب الحديثة منها والقديمة التي تركز على هذه المسائل وإهدار الحقوق الشرعية في سبيل ذلك.

بل صرف بعضهم الحقوق الشرعية في الترويج لكل ما هو خلافي ويزيد الافتراق بين أهل المذاهب الإسلامية ، ويرسخ الهوة فيما بينهم ، والحق كل ذلك يقع في خدمة أهداف أعداء الدين .

نعم الواجب بحث المسائل الخلافية من جهة علمية بعيداً عن إثارة العواطف وتهييج المشاعر وترسيخ الضغائن ، بما يجلي أمر المسائل العلمية ، والاكتفاء بذلك وعدم التعدي فيه إلى ما يفرق أمور المسلمين ، ويوقع العداوة والبغضاء بينهم كما هو حاصل في هذا الزمن المتوحش.

[إسلام بلا هوية محاظرات في الاصلاح السياسي والديني في العراق /عصام الحسيني الياسري ص ٣٢٩]

الزامات تتعلق بمخالفة اعمدة مذهبهم واكابره وتتعلق بالحكم على كتب هذا المذهب ورواياته بالرفض والرد [*] .

صحوة من النوم بعد قرون

لقد ضل علماء الشيعة في حيرة من امرهم لا يدرون أين يتوجهون والشبه من كل حدب تحيط بهم ، وعن المنقذ يبحثون فـ (عبد الله بن سبأ) صار لهم شبحاً مخيفاً صداه يعصف بهم ، ويزلزل وجدانهم .

وهم في هذه الحالة إذ ظهر لهم من بعيد وبيص امل لاح من رجل يدعى مرتضى العسكري تعلقوا بطود نجاته ، وتشبثوا بحبائل اذيالـه فما ان سمعوا بمقالته وعلموا بطرحه وعرضه حول هذه الشخصية التي اقلقتهم وازعجتهم، حتى نبذوا كل ما عندهم ، والقوا بمورثاتهم ، ونسفوا كل بنائهم ، وضربوا بعرض الحائط أقوال علمائهم ، وتمسكوا بهذا العرض الجديد الذي جاء به مرتضى ، لأن فيه راحتهم ، وتتحقق بواسطته استكانتهم [*] .

---

* قال علي آل محسن :

[وأما ما ذهب إليه السيد مرتضى العسكري ، والشيخ محمد جواد مغنية من نفي وجود ابن سبأ ، فهو رأي من الآراء التي وافقهما عليه بعض الباحثين من أهل السنة، وإن كنا لا نوافقهم فيه] .

[عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل / علي آل محسن ص ٥٦]

*** غيبات لعبد الله بن سبأ كما للمهدي**

فهذا محمد جواد مغنية في كتابه (الشيعة في الميزان) كان من المثبتين لوجود (عبد الله بن سبأ) ، القائلين بتحقق شخصه واقعاً ، وضمن هذا التوجه كتابه المذكور.

ولكن بعد ان اطلع على ما سطره مرتضى في كتابه حول (عبد الله بن سبأ) تحولت عنده هذه الشخصية في لحظة سريعة من الوجود إلى العدم ، ومن الحقيقة إلى الاسطورة والخيال، فنفيت ونفي معها كل تاريخ سابق .

والمثير في الأمر ان تبني هذا القول أو امثاله يعني نسف كل ما أستدل به سابقاً، ونفي كل الحجج والبراهين التي بنى عليها اجتهاده الأول ، مع اعراضه وتركه لكل أقوال العلماء ممن سبقه ، وكل هذا لأن القول الجديد يسد عليهم باب يورد عليهم المشكلات مهما كان حال هذا القول من الضعف والركاكة ، أو الانحراف والزيغ .

فالظاهر ان اعتقادهم بتعدد غيبات المهدي المنتظر أثر حتى على اختياراتهم في إثبات =

فهو قد نفى أصلاً وجود هذه الشخصية فأنتفت معها كل متعلقاتها فبعد ان كانوا يدافعون بكل الطرق عن مذهبهم ، وينافحون لأجل رد ما تعلق به من سؤات وفضائح تسبب بها نسبة عقائدهم إلى شخص (عبد الله بن سبأ) صاروا الآن بامان وارتاح بالهم ، فمرتضى نفى لهم وجود هذا الشخص من الاساس.

وهكذا فإن الشيعة كلما خرج لهم عالم بشيء جديد يطرح ما فيه راحتهم، ويسد عنهم باباً عسر عليهم غلقه تراهم يرددون ما ذكره مقلدين ومنقادين من دون تأكد من صحة ما يقول ، ولا تمحيص ، ولا فحص في صدق واحقية ما ذهب إليه .

والطامة الكبرى ان هؤلاء الذين ينقادون ، ويقلدون ليسوا عواماً أو جهالاً وانما هم من العلماء المصدرين ذوو المنزلة والدرجة العالية ، وإليك ما ذكره بعضهم تحقيقاً لهذه الحالة التي اوضحناها لك :

* قال آل كاشف الغطاء :

[إن قصة ابن سبأ إن سلمنا بوجود شخص بهذا الاسم ، لأن هناك أقوالاً وتصريحات قائمة على دراسات علمية رصينة تذهب إلى نفي وجود هذه الشخصية ، كما ذهب إلى ذلك العلامة السيد مرتضى العسكري في كتابه المعروف (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) أسطورة نسجت حول شخصية تافهة منحرفة ، وبولغ فيها أشد المبالغة حتى أمست أقرب منها إلى حكايات العجائز في ليال الشتاء الباردة ، بل ومثيرة للاستخفاف والاستهجان] (١).

=

الأشخاص ونفيهم ، فكما لأن لمهديهم غيبات عدة ، كذا لاشخاص التاريخ عندهم حالات عدة ما بين الوجود والعدم ، وإليك ما ذكره مغنية عن شخصية (عبد الله بن سبأ) قبل غيبتها :

فتحت عنوان : الغلاة في نظر الإمامية قال : الغلاة أصناف :

منهم السبئية أتباع (عبد الله بن سبأ) ، وهو أول من أظهر الغلو ، قال هؤلاء :

حل في علي عليه السلام جزء إلهي واتحد بجسده ، وبه يعلم الغيب ، وأتى في الغمام، والرعد صوته، والبرق تبسمه ، وينتقل هذا الجزء الإلهي بنوع من التناسخ من إمام إلى إمام.

[الشيعة في الميزان / محمد جواد مغنية ص ٢٩١]

(١) [أصل الشيعة وأصولها / الشيخ كاشف الغطاء ص ١٨٠]

* قال آية الله جعفر السبحاني وهو يلخص مقدمات مرتضى في نفيه لابن سبأ ومتبنياً قوله بتمسك والتزام ومؤيداً اياه بقرائن وشواهد ، ما نصه :

[إن القرائن والشواهد والاختلاف الموجود في حق الرجل ومولده ، وزمن إسلامه ، ومحتوى دعوته يشرف المحقق على القول بأن مثل عبد الله بن سبأ مثل مجنون بني عامر وبني هلال ، وأمثال هؤلاء الرجال والأبطال كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر والمجون ، فإن الترف والنعيم قد بلغ أقصاه في أواسط الدولتين : الأموية والعباسية ، وكلما اتسع العيش وتوفرت دواعي اللهو اتسع المجال للوضع وراج سوق الخيال ، وجعلت القصص والأمثال كي تأنس بها ربات الحجال ، وأبناء الترف والنعمة] .

ثم قال :

إلى أن وصل الدور إلى المحقق البارع السيد مرتضى العسكري فألف كتابه (عبد الله بن سبأ) ودرس الموضوع دراسة عميقة ، وهو الكتاب الذي يحلل التاريخ على أساس العلم] [١].

هذه الأقوال تطعن بائمة الشيعة وعلمائهم

أقول :

فهذان رجلان من أكابر علماء الشيعة ومحققيهم المتاخرين لم يتوانوا في نسف وجود هذه الشخصية لمجرد أكتشاف مبني على نظر لا يقين فيه ، ولا دقة توصل إليه ، وتحولت هذه الشخصية من كونها حقيقة ثابتة يصرح بها علماؤهم ويذهب إليها مصنفوهم ومحققوهم خلال قرون طويلة من الزمان إلى حكايات عجائز وخيالات نسجها ذهن القصاص واصحاب الامثال ليؤنسوا بها ربات الحجال واهل الترف والنعمة .

فلم يراع هذان العلمان حرمة لعلمائهم ، بل اسقطوهم ايما إسقاط بجعلهما اياهم قصاصاً للنساء وسعاة لاهل الترف والنعم يرجون من قصصهم هذه فضلة من هؤلاء ، والعجيب في أمر جعفر انه جعل من علمائه ساعين على موائد الامويين والعباسيين يلتقطون منها اقواتهم مقابل قصصهم هذه التي يدعي،

(١) [أضواء على عقائد الشيعة الإمامية / الشيخ جعفر السبحاني ص ٧٤]

واساطيرهم التي يصف بها اقوالهم واختياراتهم .

ولا يفوت جعفر سبحاني وغيره من علماء الشيعة ان أئمة أهل البيت هم من اثبت وجود حقيقة هذا الشخص عن طريق الروايات الصحيحة الواردة عنهم.

التبرير الجاهز عند علماء الشيعة الامويين والعباسيين

فماذا سيقول جعفر في ائمته وهذه هي الحقيقة ؟

هل سيبقى متمسكاً بقوله ان من وضع هذه الشخصية كان من قصاص الامويين والعباسيين ؟

أم ان هذه التهمة الجاهزة عندهم ، والمتمثلة بالتشكيك والنفي لاي شيء تحت شماعة وضعها من قبل الامويين والعباسيين اعمت ابصارهم وغلفت عقولهم فتناسوا حقيقة ان المثبت لوجود هذا الشخص هي الروايات الصحيحة الوارادة عن ائمتهم والتي تلقاها علماؤهم بالقبول وبنوا عليها المضامين والاحكام؟

وإذا كان هذا هو الميزان الذي يسير عليه جعفر وغيره في الحكم على شخصيات التاريخ والمجريات فيه ، فنقول له :

عمم حكمك ، واجعل معيارك شاملاً لكل ما يتطرق إليه شك ، أو لا يقبل به عقل أو منطق ، فإذا كان (عبد الله بن سبأ) هذه الشخصية التي اتفق على وجودها – بغض النظر عن العقائد التي دعى إليها – السنة ، والشيعة، والمستشرقون من أهل الديانات الاخرى لم تتوان عن نفيها ، ودعوتك فيها انها أسطورة وخيال لانها لم ترض مطالبكم ، ولم تخدم اغراضكم وتوجهاتكم.

المهدي المنتظر تلك الخرافة والاسطورة

فماذا سيكون قولك وهذا هو حالك في الحكم على مهديكم المزعوم ؟! هذه الاسطورة التي انفردتم انتم باثباتها ، على الرغم من انتفاء أي مقوم لهذا الاثبات، وعلى الرغم من الاضطراب الشديد ، والاختلاف الكبير المحيط بحيثيات وجود مثل هكذا شخص من أمثال :

(ولادته ، من هي امه ، كيفية اختفائه ، عمره ، ثبوت امامته ، لقياه في زمن الغيبة بالعلماء من عدمها .... إلى اخر ذلك من المتعلقات به) .

هل ستحكم عليه بحكمك هذا بأنه نسج خيال واسطورة افرزها عقل القصاص وذهن المتسولين على الموائد وفي المجالس ؟ أم هي من افرازات ترف الامويين والعباسيين ؟ أم ماذا سيكون حكمك فيه ؟

وعلى كل المقاييس التي تعتمدها أنت ويعتمدها غيرك تعتبر شخصية (عبد الله بن سبأ) أقوى منه في الاثبات وأكد منه في التحقق ، واشد تمكناً في الالزام والمحاججة .

لا توجد رواية واحدة صحيحة في كتب الشيعة تثبت ان المهدي قد ولد

فهذا أحمد الكاتب رجل شيعي عالم من بني جلدتكم ، درس في مجالس علمائكم، واحتضنته حوزاتكم وهو واحد منكم من بين اظهركم ، خرج بحقيقة لم يتمكن من اخفائها أو التستر عليها ، لشدة وضوحها ، وقوة حجتها فاضطره الضغط الشديد منها إلى التصريح بها ، واعلانها بصوت جهوري مسموع هي ان (المهدي) لا يمكن إثبات تحقق ولادته بالرجوع إلى كتب المرويات الشيعية، فانها تخلو من رواية واحدة صحيحة يمكن إثبات ولادة المهدي عن طريقها أو تحقيق حصول هذه الولادة .

وتحدى هذا الرجل ومن اتفق معه في هذا التحقيق كل العلماء من الشيعة بأن ينقضوا قوله هذا ، أو يردوه باثبات العكس والنقيض ، فهم إلى وقتنا هذا لم يستطيعوا إثبات ذلك .

واما ما خرج من ردود عليه فهي عبارة عن محاولة تسقيط لهذا الرجل لا غير، بجعجعات فارغة ، وتهويلات ساقطة وهي من العلم خواء لم تتمكن مطلقاً من رد ما جاء به أو إثبات النقيض له ، واصدق وصف توصف فيه ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ (النور : ٣٩) .

ايهما اولى بأن يكون أسطورة ابن سبأ أم المهدي المنتظر ؟

فمن بربك يصدق عليه النسج والخيال ، والخرافة والاسطورة ، مهديكم هذا المزعزم ، الذي لا توجد رواية صحيحة واحدة تثبت ولادته في كتبكم ، أم عبد

الله بن سبأ ذلك الرجل الذي صحت في إثبات وجوده ، وتحقق وجـود شخصـه روايات تسند إلى ائمتكم ؟

ومن ها هنا وبعد الكشف عن هذا المستور من الحقائق الذي مهما حـاولتم اخفاءه عن الناس فإنه لا بد وسيظهر ، نقدم لك نصيحة يامرتضى بـأن تسـتغل وقتك ، وتصرف جهودك باثبات ما لا يمكن اثباته في مذهبك ومما يؤدي انتفـاء اثباته إلى نسف مذهبك كله ، ومن ذلك هذا الذي كشفه أحمد الكاتب من حقـائق ان لم تردوها عليه أو تثبتوها له ولمن تأثر به واقتنع بقوله فالويل لكم ثم الويل.

وهذا خير لك من الانشغال بسيف بن عمر والبحث فـي مخلفـات الكتـب والمنزوي منها عن اسماء صحابة مختلقين ، فما الذي ستنتفعون بـه مـن وراء ذلك ، فلا سيف يخدمكم ولا (١٢٠) الف صحابي ادعيتم انهم شـهدوا حادثـة الغدير قد انتفعتم بهم حتى تذهب وتبحث عن اسماء مختلقة فيهم ؟

فكن حريصاً على عقائد مذهبك وتداركها فانها تتجه نحو الافول ، ومصيرها الذي يلوح في الافق قد بدى عليه الهرم والهلاك فهذا اولى لك ثـم اولـى مـن اضاعة وقتك ووقت القراء في أمور لا نفع فيها لا للدين ولا للدنيا .

الجرس المنبه

ان ما فعله مرتضى – اكتشاف ان ابن سبأ شخصية وهمية – مـع علمـاء الشيعة كان كفعل الجرس المنبه حيث انه ايقضهم من سبات طويل امتد لقـرون، ونبههم من نوم عميق غطوا فيه حتى علا شخيرهم ولذلك اخذوا يـديرون قـول مرتضى هذا فيما بينهم كالكأس الذي يتلقفه الظمأى ، واخـذوا يرددونـه تـرداد الخائف من النسيان الوجل من الرسوب في الامتحان لأجل حفظـه ، وتثبيتـه ، وترسيخه، وجعلوا منه العمدة التي ينطلقون منهـا فـي نقاشـاتهم ، واثبـاتهم ، واختياراتهم وعلى هذا جاء كل علماء الشيعة المتأخرين ، واذكر لك منهم في هذا المقام ما يتيسر :

* الشيخ حسين الراضي : في كتابه سبيل النجاة فـي تتمـة المراجعـات (ص ٢٥٢) .

* الشيخ طالب الخرسان : في كتابه نشاة التشيع (ص٥٣) .

* الشيخ حسن عبد الله : في كتابه وقفة مع الجزائري (ص ١٣٨) .
* الدكتور الوائلي : في كتابه هوية التشيع (ص ٥٤) .
* السيد بدر الدين الكاظمي : في كتابه مناقشة عقائدية (ص ٣٥) .
* الدكتور جعفر الخليلي : في كتابه محاكمات الخلفاء واتباعهم (ص ٢٩٥).
* عبد الصمد شاكر : في كتابه نظرة عابرة إلى الصحاح (ص ٢٣٣) .
* مرتضى الرضوي : في كتابه مع رجال الفكر (ص ٢٢) .
* نجاح الطائي : في كتابه أزواج النبي وبناته (ص ٦٤) .
* الشيخ محمد صادق النجيمي : في كتابه اضواء على الصحيحين (ص ٤٥٥).
* حسين الشاكري : في كتابه نشوء المذاهب والفرق (ص ٣٢) .
* الشيخ لطف الله الصافي : في كتابه صوت الحق ودعوة الصدق (ص ٣٨).
* الدكتور أحمد عز الدين : في كتابه الامامة والقيادة (ص ١٠٤) .
* السيد محمد الكثري : في كتابه السلفية بين أهل السنة (ص ٦٤١) .
* السيد مرتضى الرضوي : في كتابه اراء المعاصرين حول آثار الامامية (ص ١٣) .
* حسين الشاكري : في كتابه الإمام جعفر الصادق (ج١ ص ٥٢١) .
* السيد أمير محمد القزويني : في كتابه الالوسي والتشيع (ص ٢٣٩) .
* محمود البدري : في كتابه الرد على كتاب الله ثم للتاريخ (ص٢٦) .
* الشيخ كاشف الغطاء : في كتابه أصل الشيعة واصولها (ص ١٨٠) .
* الشيخ محمد شوقي الحداد : في كتابه حوار مع الموسوعة الوهابية (ص ٦٦
* محمد حسين الطبطبائي : في كتابه مقالات تأسيسية في الفكر الاسلامي (ص ١٢٤) .
* الدكتور جعفر الخليلي : في كتابه شرح القصيدة الرائية (ص ٤٤٢) .
* محمد حسين الفقيه : في كتابه لماذا انا شيعي (ص ٥٩) .
* الشيخ جواد حسين : في كتابه شبهات السلفية (تحريف القران– التقية – عدالة الصحابة) (ص ١٠٣) .
* الشيخ علي الباميانى : في كتابه الخلافة والتغطية الاعلامية (ص ١٩٥) .

* احسان الامين : في كتابه التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الامامية (ص ٢٧٥) .
* حسن الجواهري : في كتابه دعوة إلى الاصلاح الديني والثقافي (ص ٣٧٨).
* الشيخ علي آل محسن : في كتابه كشف الحقائق رد على هذه نصيحتي إلى كل شيعي (ص ٢٢٨) .
* الشيخ عبد الله نعمة : في كتابه روح التشيع (ص ٧٩) .
* محقق كتاب الأنوار النعمانية (ج٢ ص ٢٣٥) .
* مؤسسة أهل البيت : مجلة تراثنا (ج١٢ ص ١٢١) .

المتخاذلون والمنبطحون ممن ينتسب إلى أهل السنة

لعلنا اصابنا العجب مما قاله محمد جواد مغنية في حق مرتضى وكتابه هذا، ولكن عجبنا هذا يزداد ويكبر وتشوبه حالات الدهشة والاستغراب عندما نرى اناساً ينتسبون إلى أهل السنة ويحسبون عليهم يقولون ما قاله مغنية في هذا الكتاب معبرين عن الرضا باختياراته .

والاشد عجباً انهم على الرغم من الضعف البين في استدلال هذا الكتاب والاخلال الظاهر في منهجيته يوافقونه على ما ذهب إليه في انتفاء وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) .

فالحمد لله الذي هدانا للطريق الذي زاغ عنه هؤلاء وامثالهم ، وله الشكر على براءة الذمة ، ونظافة الفناء والساحة لا كامثال هؤلاء ممن استدرجوا بطريقة أو أخرى ، وتدنسوا ببيع مبادئهم وغرروا لأجل خدمة غيرهم وتحقيق اهدافهم.

الدكتور حامد حنفي داود

فهذا الدكتور حامد حنفي داود قال عن كتاب مرتضى مادحاً ومثنياً وكذلك عن مرتضى نفسه ومدافعاً عن مذهب الشيعة دفاعاً لا تجده عند الشيعة انفسهم قال :

[وها هو البحاثة الجليل (مرتضى العسكري) يسجل لنا في كتابه (عبد الله بن سبأ) أن هذه الشخصية لم تخرج عن كونها شخصية خرافية .

وأن ما أورده المؤرخون عنه من حكايات في ترويج التشيع لم يكن أكثر من أكذوبة سجلها الرواة حول هذه الشخصية الوهمية ليحملوا على الشيعة ما شاء لهم أن يحملوا وليغمزوا عليهم ما شاء لهم أن يغمزوا .

لقد جمع هذا البحاثة المقارن تحقيقاته العلمية ، وأبحاثة الشيقة من متفرقات الكتب ومنشورات الآثار وبطون المصادر ، وصال وجال في كل ميدان من ميادين التاريخ الاسلامي حتى وصل إلى هذه الحقيقة ناصعة جلية] .

ولم يكتف بهذا مع ما فيه من الشناعة والوقاحة ، فتجرأ على المؤرخين والباحثين القدماء فطعن بهم ، وانتقص من قدرهم جهودهم لأجل عيون مرتضى هذا ، فقال :

[ولعل أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين، وغم عليهم أمرها فلم يفقهوها ويفطنوا إليها ، هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة حين لفقوا عليهم قصة (عبد الله بن سبأ) ، وزعموا أن كل خرافة أو أسطورة أو أكذوبة جاءت من فجر التاريخ الاسلامي ، كانت من نسج خيال علماء الشيعة واعتبروها مغمزا يغمزون به عليهم] [(١)].

محمود أبو رية

وليت الأمر وقف عند حامد هذا لكن مع الاسف نجد غيره ممن سقط في الهاوية ، وركب الرذيلة ، وقبل الخذلان ، والذلة سجية وطريقة ، وهو المدعو (محمود أبو رية) صاحب كتاب (أبو هريرة شيخ المضيرة) الذي جمع فيه

---

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ١ ص ١٧]

السوآت، وملأه بالمنكرات من الطعن بهذا الصحابي الجليل ، حيث قام بالثناء والمدح على مرتضى العسكري هذا في ما قدمه في كتابه عبد الله بن سبأ، حيث قال :

[فإني انتهز اليوم هذه الفرصة فأذكر لكم كلمة وجيزة عن مؤلفكم النفيس (عبد الله بن سبأ) ، فأقول لكم :

إن بحثكم في هذا الكتاب كان بحثا أكاديميا لم يطرقه أحد قبلكم ، وإني أهنئكم تهنئة صادقة على أن الله قد وفقكم للقيام بهذا البحث وهداكم إلى الوصول إلى هذه الحقائق التي لم يهتد إليها أحد في الأربعة عشر قرنا الماضية ، وقد صدق بحثكم هذا ما قاله بعض علماء أوربا – وأظنه (ويلز) – من أن التاريخ كله أكاذيب !! وأن هذا لينطبق – وأسفاه – على التاريخ الاسلامي الذي أملته الاهواء والعصبيات في كل عصر ، حتى أصبح في حاجة إلى أن يدرس من جديد دراسة عميقة صحيحة ، وإن كتابكم (عبد الله بن سبأ) ليعد بحق المدخل لهذه الدراسة ، فاحمدوا الله على أن ادخر ذلك إليكم ، واستعينوا بالله وسيروا في طريقكم ملتزمين هذه السنن ، ولا تبالوا أحدا أبدا ...] [(١)].

أقول :

ان الذي تبلغ به الجرأة والوقاحة إلى الطعن براوية الإسلام الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ، لا نستغرب منه هذا الذي صدر عنه في حق مرتضى وكتابه لأن من كان على هذه السجايا والصفات لا ينتظر منه إلا اقبح الصادرات والمخرجات فهو ومرتضى على خط واحد فـ (الطيور على أشكالها تقع)، (وكل اناء بالذي فيه ينضح).

المستبصرين !!

وكذلك في سلسلة هؤلاء المنقادين والمنساقين ظهرت لنا حلقة أخرى لا هم لها إلا الترديد ، ولا شغل لها إلا إعادة وتكرار الذي جاء به من سبقهم ، ولا عيش لها تقتات به إلا فتات الموائد ، وفضلات المجالس ، وكأنهم جامعون لكناسة الاذهان يبحثون عن مخلفات العقول والافكار .

(١) [عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص١٣]

هذه الحلقة المؤلف اطارها من مجموعة برزت على الساحة لقبت بـ(المستبصرين) ، هؤلاء ساروا على طريق من سبقهم من الشيعة في الترداد كالببغاء السير خلف الآثار كالعميان والعشي لا يفقهون من العلم شيئاً ، ولا يملكون في التحقيق قدراً ولا منزلة ، يتلقفون من ها هنا وهناك كل خادم لاغراضهم، ملبي لمراداتهم ، مسعف ومنجي ومداوي لجراحاتهم من دون تحقيق يتميز به الصحيح من الخطأ ومن دون تمحيص يتضح به الجيد من الزيوف ومن دون ما تأكد وتثبت من صحة صدور المعروض أو عدمه .

هؤلاء مقتبسون ، نساخون ، مستنسخون عن كل ابداع وأحداث بعيدون وغريبون، فهؤلاء لو رجعت إلى كتبهم فانك لن تجد فيها شيئاً جديداً يمكن ان يضاف إلى هذا المذهب ، أو ان يثريه بما ينميه أو يغنيه أو على الاقل يكفيه.

فهم في حقيقتهم ومن خلال المعروض في كتبهم ليسوا إلا ابواقاً تصيح بمعزوفات الغير وطبولاً تستنفر الناس إلى كلام الغير ، فكتبهم صورة مستنسخة لما قاله (الأميني ، وعبد الحسين ، والمظفر) ، اضيفت إليه رتوش للتجميل ، واطر للتحسين ، والوان للبهرجة والهيلمان وإلا فالمضمون واحد، والمحتوى لا يختلف ، والمقصد هو هو ولم يختلف فيه شيء إلا العنوان .

وإليك أمثلة حية من هؤلاء (المستبصرين) الذين كعادتهم في التكرار والترديد رددوا ما قاله مرتضى وجعله لهم رباناً وقائداً ، وانقادوا له كما انقادوا لغيره فيما سبق ، وهم :

* صالح الورداني : في كتابه السيف والسياسة (ص ١٩٥) .
* التيجاني السماوي : في كتابه لاكون مع الصادقين (ص ٦٤) .
* ادريس الحسني : في كتابه الخلافة المغتصبة (ص ١٦١) .
* اسعد وحيد القاسم : في كتابه حقيقية الشيعة الاثني عشرية (ص ٦٧) .
* سعيد ايوب : في كتابه معالم الفتن (ص ٤٢٧) .
* مروان خليفات : في كتابه وركبت السفينة (ص ١٢٨) .
* صالح الورداني : في كتابه الشيعة في مصر (ص ٢٠) .
* محمد بيومي مهران : في كتابه الامامة واهل البيت (ص ٣٨٠) .
* هشام آل قطيط : في كتابه ومن الحوار اكتشفت الحقيقة (ص ٦٨) .

* صالح الورداني : في كتابه الخدعة (ص ١٥٤) .
* ادريس الحسني : في كتابه لقد شيعني الحسين (ص ١٢٨) .
* أسعد وحيد القاسم : في كتابه ازمة الخلافة والامامة (ص ٢٨٥) .
* إدريس الحسني : في كتابه هكذا عرفت الشيعة (ص ٥٧) .

أقول :

بعد هذا العرض لأقوال من وافق مرتضى في اختياره هذا ، ومن مدحه واحسن الظن به في تأليفة لكتابه هذا ، وكذلك من جعل هذا الكتاب من الكتب الغنية علمياً وذات الطابع التحقيقي السليم والدقيق .

وبعد ان بينا ترهات كل هذه الأقوال وفسادها انقل لكم توصيفاً لاحد علماء الشيعة لواقع حال كتاب مرتضى وحقيقة حال الضجة المفتعلة الواردة بشأنه والتي حكم عليها بانها زوبعة لا حقيقة لها ، وحكم على الكتاب والمعروض فيه بكونه بعيداً كل البعد عن التحقيق وأساليبه ، يقول المعلم :

[واعتبر الكتاب في حينه قفزة من قفزات التحقيق والبحث العلمي ، وأحدث ضجة كبيرة ذات صدى ، حتى أن بعض المحققين من علماء الشيعة ، وأهل الفن والتحقيق في علم الرجال قد أحسن الظن بالمؤلف والكتاب فأحال عليه– من دون أن يقرأه – تسامحاً منه على غير عادته في التحقيق والتدقيق فكانت النبوة التي يقع فيها السيف .

وقد تجاوزت هذه الضجة الحدود الشيعية إلى مصر وغيرها من البلدان، فكتب عنه بعض الكتاب تأييداً للمؤلف أو مجاملة أو لغير ذلك .

ولكن كل ما أثير حول هذا الكتاب وما توصل إليه الكاتب في معزل عن التحقيق] [١] .

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤– ٥]

نتائج البحث

بعد البحث في كتاب مرتضى العسكري (عبد الله بن سبأ وأساطير اخرى) والدراسة له وبعد النقاش والاخذ والرد معه في قضيته التي حاول بشتى الوسائل، وبمختلف الطرق ان يثبتها ، أو يجعل لها قبولاً عند المتلقين ، وهو ادعاؤه بأن شخصية (عبد الله بن سبأ) شخصية خرافية لا وجود لها على ارض الواقع.

توصلنا إلى نتائج قد توصل إلى قسم منها غيرنا من الباحثين ، وانفردنا نحن بقسم اخر منها ما يتعلق بالكتاب ، ومنها ما يتعلق بالكاتب نفسه ، واخرى تتعدى اثارها إلى الخارج عنهما مما يتصل بهما ، ويمكن ان نحدد هذه النتائج بالنقاط الاتية :

١- ان مما ثبت وتأكد ثبوته بعد استقراء المصادر سواءً القديمة منها والمتأخرة ان وجود (عبد الله بن سبأ) كان وجوداً حقيقياً ، تؤكده الروايات التاريخية وتفيض به كتب العقائد وتتناوله على وجه التبني والتحقق كتب الحديث، والرجال ، والانساب ، والطبقات ، والادب ، واللغة ، ولقد سار على هذا النهج موافقاً ومعتمداً كثير من المحققين ، والباحثين ، والمحدثين ، قال محمد علي المعلم :

[إن شخصية (عبد الله بن سبأ) حقيقة موجودة ، كان لها دور بارز في التاريخ وليست هي شخصية خيالية كما حاول البعض أن يثبت ذلك فإن لدينا عدة من الروايات المعتبرة الواردة عن الأئمة تدل على وجود شخص بهذا الاسم، وكان معاصراً لأمير المؤمنين ، وقد عده الشيخ الطوسي من أصحابه كما تقدم ، وأنه كان من الشيعة إلا أنه انحرف وساقه انحرافه إلى الغلو فتبرأت منه الشيعة...] [١] .

٢- ان اختيار مرتضى العسكري في كتابه هذا يمثل مخالفة لما تسالم عليه العلماء قديماً وحديثاً ، ويشكل نوعاً من انواع الشذوذ الفكري الذي يندر وجوده، ويقل تحققه بين دعاة الفكر واصحاب التحقيق لذلك فنتيجته كانت سلبية عليه ولم

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤٤ – ٤٦]

تتمخض إلا عن جهود قد ضاعت ، واوقات واموال قد اهدرت واشغال للساحة بما لا طائل تحته ولا ثمرة ترجى منه ، قال المعلم :

[فإن النتيجة هي إن ما بذله السيد العسكري من جهود في تأليف هذا الكتاب لإثبات أسطورة (عبد الله بن سبأ) لم يحقق الثمرة التي كان يتوخاها من كونه شخصية خرافية خلقتها ذهنية (سيف بن عمر) ، والذي تبين لنا أن العكس هو الصحيح ، وقد أتعب المؤلف نفسه على غير جدوى ، على أن أصل فكرة الإختلاق التي ادعاها المؤلف قد سبقه إليها غيره من المستشرقين وغيرهم، فلم يأت بجديد] (١).

٣- ان الطرح الذي عرضه مرتضى في كتابه فيه من الغرابة ما لا يخفى على أصحاب العقول ، فالمعروض فيه لا يرقى إلى أهل العلم ، وما يدعيه هو لنفسه من البحث والتحقيق وكذلك ما ادعاه له الاخرون من انه المحقق الكبير فمنهجيته التي اتبعها في كتابه هذا بعيدة كل البعد عن أي لون من الوان المنهجية، وخالية من أي اطار يمكن ان يثبتها وفي هذا ، يقول المعلم :

[ولقد كنا نتهيب الدخول في البحث حول هذا الموضوع ولا سيما مع ملاحظة تلك العبارات الكبيرة التي صدر بها المؤلف كتابه من أقلام شيعية وسنية .

ولكن بعد أن قرأنا الكتاب ، وتأملنا في أبحاثه وجدنا أن هذه العبارات كلها إغراق في المديح ، ومبالغات في الإطراء ولم تكن في محلها ، وهي وأبحاث الكتاب كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً] (٢).

٤- ان هذا الكتاب الذي وضعه مرتضى فيه كل شيء إلا القضية التي حاول طرحها فيه ، والف كتابه هذا لأجل تحقيقها فهو سعى في كتابه لتسليط الضوء بصورة مباشرة على (عبد الله بن سبأ) حاصراً كل ما يتعلق به من روايات واخبار مع أقوال العلماء والمحققين ، ولكنه عند التطبيق تناول قضايا الشرق والغرب ، وحقق القصص والحوادث ، ناسياً أو متناسياً هدفه الرئيسي (عبد الله

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣٣ – ١٣٥]
(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣٣ – ١٣٥]

بن سبأ) الذي غاب عن كتابه جملة وتفصيلاً .

٥- ان المحور الأساس الذي حاول مرتضى العسكري عن طريقه إسقاط أي مثبت لشخص عبد الله بن سبأ هو الراوي (سيف بن عمر) ، حيث تكلف وتعسف في محاولته لتحقيق هذا الاسقاط من خلال امرين :

أ – محاولة حصره للروايات الواردة في إثبات (عبد الله بن سبأ) بسيف بن عمر شخصياً ، ونفيه ورودها عن غيره .

ب- تسقيط (سيف بن عمر) تسقيطاً لا قيام له معه ، ولا قبول لاي رواية مهما كان تعلقها إذا ما وردت عنه ، وبالتالي تسقط روايات عبد الله بن سبأ الواردة عن طريقه .

٦- ان هذا الطرح القاضي بنفي شخص ابن سبأ بواسطة هذا المنهج هو توجه خاص لمرتضى متبع عنده في المسائل ، ويمكن ان نوضح هذا المنهج من حيث التعامل مع القضايا والمسائل بالنقاط الاتية :

أ – ان مرتضى يؤصل في عقله فكرة يسعى لتحقيقها ، مع توجيه كل متعلقاتها على مقتضاها بمعنى انه يثبت ادعاءاً في الذهن ، ويحكم عليه بأنه الحق الذي ينبغي اعتماده ، ويقوم باخراجه كواقع متحقق ومؤكد ، ويوجه كل الملابسات المحيطة به والامور المتعلقة والمتقاطعة معه على مقتضى ذاك التثبيت .

وهذا ما فعله مع ورود ابن سبأ في كتبهم ، حيث قام بتبرير هذا الورود مع توجيهه للروايات المثبتة لوجود ابن سبأ توجيهاً بعيداً عن الواقع ظاهر الانحراف ليتماشى مع المثبت عنده من ادعاءاته .

ب- لأجل تحقيق مدعاه يلغي أي اعتبار لاي ثابت من الثوابت مهما كان وزنها ومهما كان أثرها ، وينقض أي قاعدة من القواعد التي تقف حائلاً دون تحقيق مدعاه ويتكبر عن الخضوع لاي مسلم من المسلمات ما دام معارضاً للقضية التي يسعى لاثباتها .

ج- في سبيل تحقيق مزاعمه لا يبالي بأن يسقط العلماء تسقيطاً عاماً شاملاً حتى لو كانوا كثيري العدد ، وفي ازمان مختلفة .

كما انه لا يبالي بتسقيط عام وشامل للكتب والمصنفات على الرغم من علو درجتها ، وارتفاع شأنها ما دامت تعارض القضية المطروحة التي يريد اثباتها .

د – الغرضية والانتقائية في اختيار الأقوال ، وبناء القواعد ثابتة عند مرتضى بصورة مخيفة وعلى درجة عالية تفوق مستوى التصور ، فالضوابط المعتمدة في التحليل والتأصيل منتفية عنه ، والقواعد المتعارف عليها في التثبيت والاعتماد بعيدة عنه ولا أثر لها في كتاباته ، فالاهواء وحدها هي المحركة لاختيارات ذهنة وهي فقط المتحكمة في توجهاته وابنيته .

هـ – التناقض ، والاضطراب ، والتأرجح سمة بارزة لمرتضى في طروحاته، فهو في الكتاب الواحد يناقض نفسه في المسائل التي يعرضها فيه ، ناهيك عن اضطرابه الشديد في عروضاته التي يضمنها كتبه المختلفة ، فهو يثبت في كتاب ضابطأ وقاعدة ويقوم بمخالفتها ونقضها في كتاب اخر .

و – مصلحة المذهب عند مرتضى العسكري فوق كل اعتبار ، واعلى واسمى من أي مبدأ أو عقيدة وهذا ديدن المتأخرين من علماء الشيعة ، فهم لأجل رد الهجومات المتتالية عليهم ، وفي سبيل ايجاد حلول للمشكلات المحيطة بهم من كل جانب لم يتوانوا عن رفض الثابت عندهم ، والغاء المتحقق المقرر فيما بينهم .

ولعل هذا السبب هو الذي دفع بعض من ينتسب إلى العلم من الشيعة إلى مدح مرتضى والثناء عليه ، فمرتضى من وجهة النظر العلمية لا يستحق إلا الذم والتوبيخ جراء مجازفاته وانتهاكاته السافرة لقواعد العلم وضوابطه .

ولكنه في بعض اختياراته الملغية للاعتبارات الثابتة عندهم في المذهب والقافزة على المبادىء والقواعد حقق لهم مصالح شخصية تتمثل بسد باب كبير من الإشكال كان مفتوحاً عليهم ولذا قاموا بمدحه والثناء عليه .

ان انتفاء المنهجية عن مرتضى كانت سمة له في كتبه التي يكتبها فلم تكن منحصرة في هذا الكتاب ، والعجيب في الأمر ان انتفاء الدقة عن هذه المنهجية التي يتبعها في كتاباته تثبت قضية الغرضية الموجودة عنده وتنفي عنه المصداقية المطلوب توافرها لدى المحققين ، وفي هذا يقول المعلم :

[هذا ، وقد أعقب السيد العسكري كتابه بكتاب آخر أسماه (مائة وخمسون

صحابي مختلق) ، ولم يحظ بتلك الضجة التي حظي بها كتاب عبد الله بن سبأ، إلا أنه رسخ الفكرة بأن المؤلف محقق متتبع ، ولم يكن الكتاب بأحسن حالاً من أخيه ، لأن المؤلف اعتمد منهجاً غير دقيق في كلا الكتابين] (١).

٧- اما بخصوص هذا الكتاب الذي عرضه مرتضى لأجل تحقيق مدعاه في نفي شخص ابن سبأ فلنا معه وقفات نوضح فيها حقيقة المعروض فيه والمبني على ادعاء مرتضى من الالزامات الخطيرة:

أ – لقد طرح مرتضى العسكري في كتابه هذا الروايات الواردة عن الأئمة والمثبتة لوجود شخصية (عبد الله بن سبأ) ملغياً لها الغاءاً تاماً بناءاً على رأيه هو الذي قدمه على أقوال الأئمة ، لذا اعتبر قوله هو الراد والمعارض ، فكان كتابه هذا حاكماً على الأئمة لا محكوماً عليه بالوارد عنهم ، وذلك لاننا بتتبع روايات هؤلاء الأئمة لا نجد في مقابل الروايات المثبتة لوجود ابن سبأ ما يعارضها من روايات نافية لهذا الوجود أو منكرة لهذه الشخصية .

وعند ذاك يكون المعارض والمخالف راداً على الأئمة ، معترضاً عليهم مقدم لاختياراته على ما حكموا به واثبتوه .

وإذا أراد تبرئة من هذا الجرم فعليه ان يخرج رواية واحدة عنهم تثبت مدعاه في نفي هذه الشخصية وانكارها .*

ب- السعي الحثيث في كتابه هذا لتحقيق المؤثرات النفسية وتثبيت وجودها في اذهان القراء ، وذلك عن طريق تكثير الصفحات وتسويدها بالغث والسمين، مما له تعلق بموضوع الكتاب أو لا تعلق له لأجل تغرير القارئ وايهامه بقوة المعروض ودقة المطلوب .

كما انه ابتغى زرع هاجس في النفوس ممتلىء خوفاً ودهشةً وحيرة عن طريق الكم الكبير من المواضيع التي تم تناولها في الكتاب ، والتي لا يستطيع

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤- ٥]

* إن هذا الحال الذي عليه الروايات المثبتة لوجود (عبد الله بن سبأ) عن الأئمة المتمثل بانتفاء وجود المعارض من روايات تخالف مدلولها عنهم هو عينه حال روايات تحريف القرآن ، فلم يرد عن الأئمة أي رواية تخالف آلالف الروايات المثبتة لوقوع التحريف في القرآن والواردة عنهم .

القارئ لها جواباً ، ولا يتمكن من توجيهها ، وبالتالي يوهم القارئ بأن هذه المواضيع تصب في خدمة القضية المطروحة فيسلم عند ذاك لها ، ويخضع لمراد صاحب البحث واختياره .

وهذا ديدن عام لعلماء الشيعة متفقين عليه عند كتابتهم للكتب وخصوصاً عندما يتكلمون عن المسائل التي لا يسعفها الدليل ، أو المخالفة لما عليه الدليل والواقع، وما غدير الاميني منكم ببعيد .

ج- لقد سار مرتضى العسكري في كتابه هذا عند ايراده للمصادر على ما تسالم عليه علماء الشيعة في تعاملهم مع الكتب والمرويات سواءاً منها السنية أو الشيعية، فكتب أهل السنة تكون جميعها صحيحة ، واي رواية ترد فيها تحتل أعلى درجات القبول حتى لو كانت في الأصل موضوعة إذا كانت تخدمهم ونافعة لهم في معارضة السنة والاحتجاج عليهم وتكون مصدراً موثوقاً منه وعلى أعلى درجات التوثيق .

ولا ابالغ في القول ان الجرائد والمجلات وقصاصات الورق تكون مصدراً لهم معتمداً معتبراً إذا كان فيه تحقيق مصلحة لهم وخدمة تلبي تطلعاتهم ، والعكس صحيح ، فإذا كانت الروايات لا تخدمهم ، ولا يترتب عليها تحقيق مصلحة لهم فحتى لو كانت متواترة رواها الجمع الغفير ترد ، ولا يشار إليها ، ولا يكون لها أي اعتبار وحتى لو كانت في اصح كتبهم مثل البخاري ومسلم .

اما كتب الشيعة وعلى رأسها الكافي فهي كتب مردودة ساقطة من الاعتبار، ضعيفة الدلالة والاثبات ما دام أهل السنة هم المستدلون بها لأجل إثبات قضية من القضايا التي تنسب إلى الشيعة ولا تعتبر مصدراً يعتمد عليه في تحديد المقبول والمرفوض من المنسوب إلى الأئمة في هذه الحالة .

اما فيما بينهم حال نقاشهم واستدلالهم بعضهم على بعض فتكون الكتب كلها وبلا استثناء صحيحة ، ومقبولة ، ويعمل بها على اساس التسليم والتبني وهذا ما وصفناه في كثير من كتبنا بقولنا : (انهم اخباريون فيما بينهم اصوليون مع أهل السنة) .

٨- ان الاختيارات التي حاول مرتضى تحقيق وجودها واثبات كيانها في كتابه هذا تنبني عليها الزامات لا يمكن ان ينفك عنها مطلقاً ، وذات آثار سلبية

على المذهب الشيعي عموماً فكراً ، ومعتقداً ، ومنهجية ، وتؤدي لزوماً إلى إسقاط المذهب بكل مكوناته وذلك من خلال ما ياتي :

أ – طعنه بالائمة عن طريق عدم اعتباره للمرويات الثابتة عنهم ، وعدم قبوله للمضامين التي تدل عليها هذه المرويات مع توجيه تهم الدس والاختراق من قبل الزنادقة ، والمنحرفين ، والمخالفين على مروياتهم ، فنفى أي دور لهم في صيانة اخبارهم ، وحفظ المنقول عنهم .

ب– طعنه بالعلماء فاي عالم مهما كان وزنه ، ومهما كانت درجته يعتبر على وفق ما اعتمده مرتضى في كتابه هذا ساقطاً لا اعتبار له من خلال نفيه لاي دور له في حفظ مرويات الأئمة ، وصيانتها من التحريف والاختراق .

ج – طعنه بالكتب الشيعية بجعلها ساحة مباحة لكل من هب ودب ، ينفثون فيها سمومهم، ويبثون فيها أفكارهم الدخيلة وتوجهاتهم المنحرفة الغريبة ، وانسحاب هذه التهمة المسقطة لكتب الشيعة عموماً وبلا استثناء لانتفاء أي ضابط ومحدد لكتاب معين ، أو لمجموعة محددة من الكتب ، وقد وجه محققو الشيعة فعلته هذه إلى انه اخافه (عبد الله بن سبأ) إلى درجة جعلته يطعن بكتبهم بسببها، وفي هذا يقول المعلم :

[على أن ما ذكره السيد العسكري من تسرب أساطير الخرافة إلى كتب الملل والنحل إنما هو لذكر الشبح المخيف (عبد الله بن سبأ) فيها] [١].

والذي دفعه لهذا التوجيه انه لم يجد له أي مبرر ، أو مسوغ لفعلته هذه غير هذا المذكور ، قال المعلم :

[وأما حملته على كتابي المقالات والفرق للأشعري ، وفرق الشيعة للنوبختي، فمما لا وجه ولا مبرر له] [٢] .

د– انتفاء المرجعية لهذا المذهب ، فلا الروايات تبنى عليها الأحكام ويخضع لها المستدل ، ولا أحكام العلماء واختياراتهم تؤثر على التوجهات والمذاهب ،

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢١ – ١٢٢]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢١ – ١٢٢]

فكل من أراد ان يثبت قولاً ، أو ينفيه فالساحة مشرعة امامه لا مرجع يقيده، ولا موجه يلجمه ويحكم تصرفاته .

هـ – اثباته لطفيلية المذهب الشيعي على المذاهب الاخرى عن طريق تحقيقه المثبت لتأثر هذا المذهب بالأفكار المتداولة عند المذاهب الأخرى وعن طريق اتهامه مذهبه بالاختراق المؤدي إلى انتشار روايات واختيارات المخالفين فيه، مع اعترافه بأن الكثير من هذا الاختراق قد تضمن دخول الاسرائليات والمنحرف من العقائد والشاذ والمنكر من التوجهات والمذاهب .

٩– لقد سعى مرتضى في كتابه هذا إلى تحقيق غرض رئيسي يتمثل بمحاولته الحثيثة للطعن والتشويه بالتاريخ الاسلامي عموماً عن طريق القدح بجميع احداثه ، والطعن بكل مجرياته مع تشبثه بتأكيد بيان ان مجريات هذه الاحداث كلها مدسوسة ومختلقة متسللاً إلى اذهان الناس ليوصل فكرة مفادها ان تاريخ هذه الأمة مشوه ومظلم واسود مدسوس ومشوش ، ولا رصيد لها مطلقاً في الحضارة واشراقات التاريخ * .

هذا ما تكشف لنا من حقيقة دوافعه واغراضه في دعواه هذه ولم نجد غيرها من الممكن ان تكون دافعاً لفعله هذا ، اما بعض المحققين من الشيعة ممن يعلم هذه الدوافع لم يشأ ان يعلن بها صراحةً ولكنه اكتفى بالاشارة إليها دون تصريح لحاجة في نفسه – ربما يقصد تنكير هذه الدوافع لأجل تفخيم شأنها – ، يقول المعلم.

---

* هذه هي حقيقة نتائج فعل مرتضى في بحثه هذا ، وقد اعترف بمعاتبة الكثير له على هذا البحث لترتب هذه النتائج السيئة عليه ، محاولاً ان يوجد له عذراً لما فعله ولكن هيهات له هذا العذر ففعله هذا لا ينفع معه أي عذر ، أو اسف قال مرتضى العسكري في معرض بيانه لهذا الأمر قائلاً – واظنه لم يصدق فيما قال – :

[دفعني كل ذلك إلى القيام بهذه الدراسات المضنية في سنوات طويلة ، وتجشمت في سبيل ذلك مصاعب جمة من آلمها على القلب ازورار نفوس كريمة علي ظنا منهم أن ذلك غيرة منهم على وحدة الصف ، وليتهم شعروا ان في اخفاء الحقائق وأ داً للعلم والدين وانى لله وانى إليه راجعون والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه] .

[عبدالله بن سبأ / السيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٢٠]

[وقد حاول السيد مرتضى العسكري – ولا ندري بأي دافع – أن يثبت أن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية ، واسطورة لا حقيقة لها صنعها خيال أحد الرواة وهو (سيف بن عمر التميمي) ، ووضع كتاباً في مجلدين أسماه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى)] [١].

١٠- لقد تهرب مرتضى العسكري في كتابه هذا عن أمور فيها تسقيط تام لبحثه واختياراته فلم يناقشها ، ولم يتعرض إليها لا ذكراً ، ولا تحقيقاً وهي :

أ – نقاش روايات الكشي ، تلك الروايات الواردة عن الأئمة باسانيد صحيحة باعتراف علماء الشيعة ، والمثبتة لوجود شخصية (عبد الله بن سبأ) فلم يتعرض لها لا تضعيفاً ، ولا توجيهاً .

ب- لم يتعرض للالزامات المترتبة على ما ذهب إليه في اختياره هذا لا توجيهاً ولا بياناً.

ج- ابتعاده عن الاعتراف بأن ما توصل إليه من أحكام ومقررات لا يخرج عن كونه ظناً ، أو وهماً ، اما اختياراً وعرضه لها على صورة الثبوت والتحقق انما هو لغرض الايهام والخداع .

د- عدم التطرق إلى موضوع مهم ويرتبط بقضية الكتاب ارتباطاً مباشراً إلا وهو عقائد هذا الرجل (عبد الله بن سبأ) ومدى ارتباطها بالمذهب الشيعي وتأثيرها عليه ، مع العلم ان علماء الشيعة يولون هذا الجانب اهمية كبيرة لما له من أثر على مذهبهم وعلى عقائدهم لذلك يذهب المحققون إلى الإشارة دائماً لما دعى إليه (عبد الله بن سبأ) وإلى الفكر الذي نشره بين الناس ويحاولون باي وسيلة تحديده وضبطه يقول المعلم :

[إن (عبد الله بن سبأ) هو أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وكل من مالأ على غصب الخلافة وتبرأ منهم ، وهذا أمر في غاية الحساسية] [٢].

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤- ٥]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٤٤ – ٤٦]

١١- ان العرض هذا في جميع حيثياته لا يمكن ان يذعن له ، ولا امكانية فيه تؤهله لأن ينقاد له الباحثون والمحققون فالعكس هو المتحقق فيه لانتفاء أي صفة من صفات الالزام ، والثبات ، والجزم عنه .

١٢- ان هذا الكتاب ، وهذا الكاتب على الرغم من كل هذا الذي ثبت لهما من صفات التجريح ، ونعوت التوبيخ نجد ممن ينتسب إلى العلم من قام بالتصفيق لهما ، والتهويل لشأنهما بموافقتهم لهما في نفس النهج الغرضي الانتقائي مع كونهم على نفس الشاكلة العوجاء في البحث والتحقيق .

فهذا كامل خلف الكناني صاحب كتاب (العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد) قد اعتبر هذا الكتاب نصراً ما بعده نصر ، وفتحاً ازيح به الغلاف الذي كان يغطي عقول علماء هذه الأمة كابراً عن كابر حينما قال :

[هذا كتاب فتح لنا جديداً في عالم التحقيق والتمحيص ، وهو أول نهج من نوعه في تقليب صفحات التأريخ وتمحيصها ، وغربلة الروايات بطريقة علمية بعيدة عن الأهواء ، والميول ، والعواطف ، الأمر الذي يستدعي تسطير الإعجاب كل الإعجاب ، إلى سماحة مؤلفه العالم الكبير السيد مرتضى العسكري][1].

ثم أخذ يحشد له المؤيدين فبوب عنواناً جمع تحته اصداء كتاب عبد الله بن سبأ فأورد فيه :

[عندما صدر كتاب (عبد الله بن سبأ) اعتبره المحققون انجازاً علمياً لم يسبق له مثيل من حيث الدقة ، وتنوع مصادر البحث .

والأهم من كل ذلك انه آثار الكثير من الجدل ، وحتى الاضطراب ولا سيما لدى أتباع مدرسة الخلفاء لأنه نسف من الأساس (حقائق) تعارفوا عليها منذ قرون وتوارثوها جيلاً بعد جيل .

وانهارت الأسس والقواعد التي بني عليها كثير من المؤرخين بينهم الطبري وغيره وقائع وأحداث جسام لم يكن لها أساس من الصحة . فكان الكتاب- حقاً- صدمة عنيفة لأنه أثبت بما لا يدع مجالاً للشك زيف كثير من المتبنيات التأريخية

(١) [العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد / كامل خلف الكناني ص ١٢٦]

التي كانت تعبر لدى البعض حتى صدور الكتاب من الثوابت التي لا يرتقي إليها الشك ، واستخدموه دليلاً على وصم معارضيهم بما يشاءون من التهم والافتراءات.

حتى قال له أحد العلماء الكبار آنذاك :

[لقد رفعت عن الشيعة ظلامة كبيرة ، ورفعت رؤوسهم عالياً] (١).

أقول :

فهذا هو حال علماء الشيعة عندما يتفقون في الهوى ، ويجتمعون على نفس المشرب ، يصفق بعضهم لبعض ، ويهلل احدهم للاخر ، والا فإن الثابت لهذا الكتاب هو ما ذكرناه فيه من كونه قلباً للحقائق ، وتزييفاً لحوادث ومجريات التاريخ ، وطعناً سافراً بالتراث الروائي والتاريخي للامة بلا استثناء ، وانعداماً للمنهجية بما يسقط أي بحث على وجه الأرض .

والذي تمخض من هذا البحث هو السراب والفراغ وعدم الوصول إلى أي نتيجة سعى صاحبه لتثبيتها على العكس ما توصل إليه ابطل بحثه ورد جميع الذي حاول اثباته ، وفي هذا الشأن يقول العالم الشيعي المعلم حاكماً على كتاب مرتضى هذا بقوله :

[فإن النتيجة هي إن ما بذله السيد العسكري من جهود في تأليف هذا الكتاب لإثبات أسطورة (عبد الله بن سبأ) لم يحقق الثمرة التي كان يتوخاها من كونه شخصية خرافية خلقتها ذهنية (سيف بن عمر) ، والذي تبين لنا أن العكس هو الصحيح ، وقد أتعب المؤلف نفسه على غير جدوى] (٢).

لذا فإن هذا البحث وامثاله لن يزيد رؤوسكم إلا انخفاضاً وذلة ، ولن يرفعها إلا اتباعكم للحق ، وترككم لعقائدكم الزائفة تلك التي ادخلها ابن سبأ عنوة وعلى حين غفلة إلى هذا الدين فخلف بعده عشرات السبئين – من أمثال الكليني والطوسي والقمي والعياشي والمجلسي والنوري والخميني والخوئي والسستاني... والقائمة تطول – الذين ولدوا وفرخوا مختلف العقائد المنحرفة ،

---

(١) [العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد / كامل خلف الكناني ص ٥٨ – ٥٩ وص٢١٤]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٣٣ – ١٣٥]

والمتعدد من المناهج الزائغة ، فما ابن سبأ قياساً بهم ونسبة اليهم إلا تلميذ صغير، أو طفل وديع ، فأين هو مما جاء به هؤلاء ؟!

١٣- إن هذه الأحكام التي كشفنا عنها والحقناها بمرتضى العسكري وبكاتبه هذا ليست من الأمور الخارقة للعادة أو التي يعجز الغير عن الاتيان بها، فكثير من علماء الشيعة انفسهم فضلاً عن غيرهم من محققي السنة قد الحقوا هذه الأحكام بمرتضى وكتابه وبصورة أشد وردوا عليه مزاعمه وادعاءاته ، ولم يوافقوه مطلقاً فيما أورده وتبناه .

وفي الختام لا يسعنا إلا ان نتقدم بالشكر الجزيل لـ (مرتضى العسكري) حين قام مقام المهدم ، والناقض ، والمبطل للمذهب الشيعي فكفانا مؤونة هذا الفعل ، واختصر لنا كثيراً من الازمان ، وحفظ لنا الجهود باخراجه في بحثه هذا للمطاعن الحقيقية الثابتة على مذهبهم ، والمتحققة عندهم .

فلم يكن منا إلا ان نأخذها على وجه الثقة والاطمئنان ، ونخرجها واضحة للعيان ، فلن نجد افضل من أهل الدار لوصف ما فيه من اجزاء ضعيفة واركان هشة ، وكما قالوا (أهل قم ادرى بشعابها) .

وفي هذا المقام لا اجد امامي افضل من قول الدكتور عبد الجبار شرارة في مقدمته لكتاب محمد باقر الصدر (بحث حول المهدي) لا جعل منه اخر ما اوجهه إلى مرتضى ولكتابه هادماً ، ومبطلاً لتوجهاته ، حيث قال الدكتور :

[ولعل من المناسب أن ننبه إلى أن الاختلاف حول موضوع ، أو قضية، أو شخص لا يستلزم العدم ، إذ لو جرينا على هذا المنطق لما قامت عقيدة ، ولا ثبت دين ، ولا استقام شأن من الشؤون .

فالاختلاف دائم في العقائد ، وفي التواريخ والشخصيات ، وفي الحوادث الواقعة، وفي الفروع ، وفي سائر الأمور] [(١)].

(١) [بحث حول المهدي / محمد باقر الصدر ص ٢٤]

ضربة قاضية لمرتضى العسكري واكتشافه

لقد كنا نتكلم عن (عبد الله بن سبأ) واحد ، فوجدنا انفسنا بعد كتاب مرتضى هذا نتكلم عن رجلين اسمهما (عبد الله بن سبأ) هذه احدى النتائج التي اوجدها كتاب مرتضى هذا .

فقد ظهر لاحد الباحثين ممن حقق ما ذهب إليه مرتضى في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) مناقشاً اياه لمذهبه هذا ، ومبطلاً له ، وملغياً لاصله واثاره.

أقول ظهر له بعد البحث والتدقيق ، ومعالجة الروايات ، والغوص في دلالتها ومعانيها ان وجود شخصية (عبد الله بن سبأ) لم يكن موجهاً إلى ذات واحدة وانما إلى ذاتين مختلفتين .

بمعنى ان المفهوم من الروايات كما يقول وجود شخصيتين تحملان نفس الاسم (عبد الله بن سبأ) كلاهما ظهر في زمن الإمام علي ، احدهما مغالي ، والاخر موالي .

اكتشاف جديد .. (عبد الله بن سبأ)

ليس واحداً وإنما اثنان

هذا المحقق هو محمد علي المعلم الذي نقلنا كثيراً من اقواله في كتابنا هذا حيث صرح بهذا الأمر في أكثر من موضع في كتابه الذي رد به على مرتضى (عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة) مبيناً ان هذا الأمر هو أحد الطرق التي يمكن بها الجمع بين الروايات والأقوال راداً على مرتضى ادعاءه عدم امكانية رفع التنافي بين الروايات والأقوال ، يقول المعلم :

[واما إذا حاولنا معالجة هذا الموضوع ، ورفع التنافي بين الروايات والأقوال فنقول :

إن الذي يظهر من خلال التأمل في ما ورد حول (عبد الله بن سبأ) من النصوص ، أن (عبد الله بن سبأ) ليس واحداً وإنما اثنان ، أي أن هناك شخصين باسم (عبد الله بن سبأ) ، وأما (عبد الله بن وهب الراسبي السبأي) فهو شخص ثالث .

وقد وقع الخلط في كلمات المؤرخين والباحثين ، ولم يميزوا بين هذه المشتركات ، فنشأ ما يتراءى من التنافي والتعارض بين الروايات والأقوال، ومن أنعم وأمعن النظر وأعطى التأمل حقه انكشف له صحة ما نقول] (١).

أقول :

في هذا الموضع اخرج لنا المعلم اكتشافاً جديداً قصم به ظهر كتاب مرتضى وظهر قوله هذا ، فمرتضى احتاج إلى مجلدين لأجل نفي شخص ابن سبأ استخدم فيهما كل الوسائل مشروعة كانت وغير مشروعة ، ولم يبق أحداً إلا وطعن به لأجل تحقيق مسعاه ، مهدماً الأصول ، وقافزاً فوق القواعد ، فما الذي سيفعله بعد ان يصل إليه هذا الاكتشاف الجديد ، والصادر من محقق شيعي وليس من المخالفين – أو من سيف بن عمر جديد – قد بحث في روايات ائمته .

هل سيصدر كتاباً اخر لينفي به وجود هذا الشخص الثاني ؟ أم ماذا سيكون رد فعله ليجابه هذا التوجه الجديد ، كان الله في عون مرتضى !!

عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والبراءة من الصحابة

ثم في موضع اخر أخذ المعلم يكشف عن توجهات هذين الشخصين ، وكيف تصرف الإمام علي رضي الله عنه معهما لأجل تثبيت مذهبه في تغايرهما واختلاف ذاتيهما، يقول المعلم :

[والذي تحصل من جميع ما ذكرنا أن الذي يسمى بعبد الله بن سبأ هما اثنان لا واحد ، والأول أحرقه علي بالنار ، والآخر سيره علي إلى المدائن ونفاه إليها، لأنه لم يحسن التوقيت في إظهار براءته من مخالفي علي لأن الظرف كان حرجاً جداً ، وخشي أمير المؤمنين أن تنفتح من إبقائه في الكوفة ثغرة يستغلها مناوؤه فاختار له المدائن وهي من الحواضر الشيعية آنذاك .

وكان عبد الله بن سبأ في أول أمره وبحسب ظاهره في عداد الشيعة وأنه هو أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والبراءة من الصحابة،

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٥٨]

والتف حوله بعض الصحابة ممن كانوا من شيعة أمير المؤمنين لأنهم يوافقونه في الرأي والمعتقد ، ولكنه بعد أن نفاه أمير المؤمنين إلى المدائن انتهى أمره إلى الإنحراف والمغالاة في علي فخرج عن التشيع .

وبذلك يتم الجمع بين الروايات والأقوال ، ويرتفع التنافي والتعارض من الجهة الأولى] (١).

لطمة جديدة على وجه مرتضى

أقول :

وهذه لطمة جديدة على وجه مرتضى اخاله يترنح على أثرها فهي اضافة لكونها تبطل بحثه جذرياً انطلاقاً من مبدأ الجمع بين الروايات اولى من اهمالها أو ابطالها فهي كذلك تفتح عليه ابواب الايرادات ، ومنافذ الاشكالات لانه سيحتاج بعد هذا إلى إعادة النظر في كل تحقيقاته التي قام بها ، واعادة النظر في كل احكامه التي اصدرها مع تمحيص وتدقيق في كل جزئية تناولها سواءً تعلقت برواية أو بقول عالم أو بتوجيه أو بتأويل .

وإذا كان انفق من عمره السنين – كما يدعي – لاخراج بحثه هذا ، فإن استدراكاته هذه ستحتاج لأجل اتمامها إلى اضعاف مضاعفة من السنين ودون ذلك خرط القتاد.

عبد الله بن سبأ حقيقة لا اسطورة

وفي موضع اخير وجه المعلم إلى وجه مرتضى لكمة قاضية اسقطته على الأرض صريعاً ، عندما اكد حقيقة وجود ابن سبأ ، نافياً دعوى الاسطورة، موجهاً جميع ملابسات هذه الحقيقة توجيهاً يتماشى مع أساليب المحققين مشيراً إلى ان فعل مرتضى لا يعد شيئاً في مجال التحقيق والبحث والكتابة ، حينما قال:

[والحاصل : ان (عبد الله بن سبأ) حقيقة لا أسطورة وكان موجوداً في زمان أمير المؤمنين ، وتشير بعض الروايات أن له نسلاً موجوداً في زمان الإمام الصادق ... وكان (عبد الله بن سبأ) من الشيعة وقد أخطأ في تقديراته

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ٧٠ – ٧١]

وعالج أمير المؤمنين موضوعه بنفيه للمدائن .

وقد وقع الخلط بين الشخصين نتيجة لاشتراك الاسم بينهما فنسبت افعال واقوال أحدهما إلى الاخر وأعطى عنه الكتاب والمؤرخون صورة غريبة منفرة، واتخذ خصوم الشيعة شخصية ابن سبأ احدى الوسائل للكيد للشيعة وبالغوا في الافتراء والزور على الشيعة والتشيع ، واعتبروا أن ابن سبأ هو أصل التشيع، وان التشيع هو الملاذ لكل من أراد هدم الدين .... وصرحنا بأن التشيع لعلي لا يمت إلى أبن سبأ بصلة ، وان أصل الشيعة وأصولها قد أسست على يد النبي ﷺ وتحت رعايته] [١].

المفاجأة

معلناً بعد ذاك المفاجأة التي توصل إليها من بحثه هذا قائلاً :

[كانت نتيجة البحث مفاجأة ، لانها تثبت وجود شخصين بأسم (عبد الله بن سبأ) ، أحدهما : أحرقه أمير المؤمنين كما أحرق غيره .

والآخر : (عبد الله بن سبأ) الذي تزعم الفرقة السبئية في الدعوة إلى فرض إمامة أمير المؤمنين واعلان البراءة من الصحابة المخالفين له ، والخلفاء السابقين] [٢].

أقول :

ماذا تقول يامرتضى للمعلم بعد قوله هذا ؟ لقد شنعت على الأمة كلها ، وطعنت بهم ، واتهمتهم بأقبح التهم على مدى قرون لأنهم اثبتوا شخصاً يدعى (عبد الله بن سبأ) ، ولم نجد منك أي صدور لردة فعل تجاه ما قاله محقق واحد من محققي الشيعة المعاصرين لك ، والذي قد يكون قاطناً معك في نفس البلد، والذي تستطيع لقاءه والحديث معه ، ومجادلته ونقاشه .

فلماذا هذا الاختلاف منك في ردة الفعل ؟!

هل لأنك أمنت السابقين وأمنت ردودهم عليك واعتراضهم على مخالفتك

---

(١) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢٦]

(٢) [عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة / محمد علي المعلم ص ١٢٥]

لهم؛ لأنهم في عداد الميتين ؟! أم لأنك تخاف أن تجابه المعارضين لكونهم أقوى منك حجة ، وأكثر منك علماً وأبلغ منك تحقيقاً فتخشى الافتضاح وانكشاف أمرك؟ أم لغير ذلك مما لا نعلم؟

وأخيراً أوجهها نصيحة إلى كل مكتشف شيعي قد يجود ذهنه بمثل ما جاد به ذهن مرتضى أن يتعظ بمرتضى وأمثاله وأن يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على إخراج اكتشافه فإن وراءه أناساً الحق دليلهم ، والحكمة ضالتهم ، والهدى سبيلهم لن يتركوه مطلقاً يسرح ويمرح كيفما شاء بل سيقفون له بالمرصاد كاشفين ومبينين مناقشين ومعارضين من دون أي تحفظات ومن دون أي اعتبارات .

الخاتمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والاكرام ، الحمد لله ذي الفضــل والإنعــام . فيــاربي أحمدك حمداً يليق بكمالك ويكافئ إحسانك .

(جنت على نفسها براقش) أصدق وصــف يمكــن أن نلحقــه بمرتضــى العسكري بعد أن تبينت لنا حقيقته هو وحقيقة كتابه (عبد الله بن ســبأ وأســاطير أخرى) وحقيقة ما عرضه في هذا الكتاب من ادعاءات وبالأخص ادعاؤه الأخطر والأكبر – انتفاء وجود شخصية عبد الله بن سبأ – ، فمرتضى قد أدخل نفسه بعد إعلانه لإختياره هذا في كم كبير من الاشكالات وفي مهــاوي ســحيقة لا يعلــم قعرها واورد عليه من الالزامات والأحكام ما يكفي لإسقاط جيل كامل لا شخص واحد .

كما انه لأجل تحقيق مسعاه في إثبات اختياره هذا تخبط فــي كــل اتجــاه وتناطح مع كل جبل ، ولم يبق أي وسيلة مشروعة ، وغيــر مشــروعة ممكنــة التطبيق أو غير ممكنة مقبولة مــن حيــث العــرض ، أو ممتنعــة القبــول إلا واستخدمها وأصَّلها وساقها واعتمد عليها ، فأسقط كل رواية ، وعالم ، وكتــاب مهما كانت أقدارهم ودرجاتهم من الاعتبار لا لشيء إلا لأنها تخالف مــا تبنــاه وتبطل ما ادعاه .

ولم تقف مضار مرتضى وبوائقه عند حدود نفسه بل تعدت هــذه الحــدود لتشمل مذهبه برمته فأختياره هذا بالطريقة التي توصل إليه بواسطتها قــد فــتح أبواب الطعن على مصراعيها أمام مذهبه ، وأدخل عليه من التهم ما لا يعــد ولا يحصى وجاء عليه بالويلات ثم الويلات .

فهو أراد ان يسد ثلمة في جدار مذهبه إلا وهي اتهامه بأن أصله يهــودي مأخوذ من (عبد الله بن سبأ) عن طريق نفي وجوده أصلاً ولكنه بفعله هذا فــتح المئات من الثغرات في هذا الجدار وأصابه بالمختلف والمتنوع من الأضرار .

لقد رفع مرتضى العسكري عن نفسه الثقة فيما يكتب والإطمئان إلــى مــا ينقل ويحقق ويسطر فهو في أصل قضيته التي من أجلها أَلَّف هذا الكتاب تخــبط

كل هذا التخبط ووقع في كل هذه الانحرافات مع ما ارتكبه من أخطـــاء منهجيـــة وجرائم علمية .

فكيف للقارئ بعد ذلك أن يثق فيما يتناوله من قضايا أخرى سواءاً أكانـــت من قضايا التاريخ ، أو من قضايا الحكم على الفرق وأصحابها ، لا شك أنه مـــن باب أولى ستكون الثقة مرفوعة عنه بدرجة أكبر والإطمئنان لا ينسب إلـــى مـــا يذكر بدرجة أشد .

لذا فإن مرتضى قد حكم على نفسه بالتسقيط والذل والعـــار عنـــدما أعلـــن وجهر بهذا الاختيار ، ومما يزيده خزياً ويلحق به أشد العار ، أن أكثـــر الـــذين رفضوا مدعاه وناقشوا اختياره مبينين الفاسد من آثاره والباطل من لوازمـــه هـــم أهل جلدته وأتباع مذهبه ممن علموا يقيناً خطر ما ذهب إليه وشديد أثر ما اختاره وتبناه ، ولسان حالهم يقول لك الويل يامرتضى مما فعلت فقـــد فضـــحتنا علـــى رؤوس الأشهاد ، ونشرت غسيلنا أمام الناس فكانت قبل مسألة ننافح عنهـــا والآن لا ندري ما ننافح وكم نكافح ، لقد جاء مرتضى بسيئة فعاقبه الله بمثلهـــا وأشـــد (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

ان مرتضى هذا في معزل عن التحقيق ، وبعيد عن المنهج مع ايغـــال فـــي الترهات والانحرافات لا في هذا الكتاب نفسه بل في كل كتبه فهي إن لـــم تكـــن مثل هذا الكتاب في السوء والانحراف فهي أشد واسوء حالاً .

وأخص بالذكر كتابه (معالم المدرستين) الذائع الصيت الذي ستكون لنـــا معه وقفات بإذن الله نبين فيها عواره ونفضح فيها المستور من أسراره .

وحتى حين أسأل الله جل وعلا أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجه ابتغي بـــه مرضاته أبين فيه الحق واقمع فيه الباطل وأهله وأن لا يشرك أحداً ســـواه فـــي عملي هذا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المؤلف

علاء الدين البصير

٢٠/ ١١ / ٢٠٠٧

تم بعون الله الجزء الأول من سلسلة الأجزاء الثلاث المتعلقة بعبد الله بن سبأ ولنا معكم إن شاء الله لقاء قريب مع الجزء الثاني مـــن هذا الكتاب والخاص بإثبات عقائد ابن سبأ وتأثيره المباشر والرئيسي على أصول فكر التشيع الموجود الآن .

المصـــادر

القران الكريم .

١- **عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى :** السيد مرتضى العسكري – دار نشر توحيد ، الطبعة السادسة ١٩٩٢ م .

٢- **عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل :** علي آل محسن – الناشر : دار الهادي– بيروت ط ١ ٢٠٠٢ م .

٣- **عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة :** محمد علي المعلم – الناشر : دار الهادي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٥ م .

٤- **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام :** سليمان بن حمد العودة – الناشر : دار طيبة ، الرياض ، ط ٤ ، ١٩٩٩ م .

٥- **عبد الله بن سبأ دراسة وتحليل :** علي آل محسن – الناشر : دار الهادي، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٦- **لله وللحقيقة رداً على كتاب لله ثم للتاريخ : علي آل محسن** – الناشر: دار الهادي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .

٧- **العلامة العسكري بين الأصالة والتجديد :** كامل خلف الكناني – مطبعة ليلى ، إيران ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .

٨- **آراء وأصداء حول عبد الله بن سبأ وروايات سيف في الصحف السعودية:** اعداد ونشر : كلية أصول الدين ، إيران ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٩- القرآن **الكريم وروايات المدرستين : السيد** مرتضى العسكري – شركة التوحيد للنشر ، بيروت– ط١ ، ١٩٩٦ م .

١٠- **مستدركات علم الرجال :** الشيخ علي النمازي الشاهرودي – مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم – ط١، ١٤٢٦ هـ . ق .

١١- **العدة في أصول الفقه :** شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي – مطبعة : ستارة ، قم – ط١ ، ١٤١٧ هـ. ق .

١٢- **منتهى المقال في الدراية والرجال :** الشيخ حسين عبد الله مرعي مؤسسة العروة الوثقى – ط١ ، ١٤١٧ هـ بيروت .
١٣- **٥٠٠ آية نزلت في أمير المؤمنين :** للحافظ رجب البرسي – ط١ موسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ٢٠٠٣م .
١٤- **انسان العيون في سيرة الامين والمأمون الشهير بالسيرة الحلبية :** علي ابن برهان الدين الحلبي – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ط١ : ١٩٦٤ .
١٥- **تأويل مختلف الحديث :** ابن قتيبة – صححه وضبطه ، محمد زهري النجار .
١٦- **اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي :** الشيخ الطوسي– تحقيق مير داماد ، مهدي الرجائي ، الناشر مؤسسة آل البيت – المطبعة بعثت، ١٤٠٤هـ .
١٧- **تنقيح المقال في احوال الرجال: الشيخ** المامقاني – المطبعة المرتضوية النجف الاشرف ١٣٥٢هـ .
١٨- **تاريخ مدينة دمشق :** ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي)– الناشر ، دار الفكر ، تحقيق علي شيري – ط ١٤١٥ هـ .
١٩- **مقالات الاسلامين واختلاف المصلين : أبو** الحسن علي بن اسماعيل الأشعري – مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ .
٢٠- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منها : أبو** منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي – طبعة المدني ، مصر .
٢١- **منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية :** شيخ الإسلام ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) – ط١ ، مصر ١٣٢١ هـ .
٢٢- **الملل والنحل : أبو** الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني – الناشر: دار المعرفة، بيروت ط٢ ، ١٩٧٥ م .
٢٣- **ميزان الاعتدال :** أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي – دار احياء الكتب العربية، ط١ ، ١٩٦٣ م .
٢٤- **الوافي بالوفيات :** خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي – مخطوط .

٢٥- **كتاب ما بعد الظهور :** محمد محمد صادق الصدر – ط١ ، النجف .
٢٦- **أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق :** سليمان بن صالح الخراشي– مكتبة الرضوان ، مصر – ط ١ ، ٢٠٠٥.
٢٧- **تاريخ الامم والملوك :** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – مؤسسة الاعلمي بيروت .
٢٨- **التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع : أبو** الحسن محمد بن أحمد الملطي – الناشر : مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٨ م .
٢٩- **فرق الشيعة : أبو** محمد الحسن بن موسى – ط١ النجف ١٩٦٩ م .
٣٠- **معجم رجال الحديث :** السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، مطبعة النجف– ١٣٩٩هـ.
٣١- **الأنوار النعمانية :** نعمة الله الجزائري– مطبعة شركت جاب ، إيران تبريز .
٣٢- **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات :** الميرزا محمد باقر الخونساري – مكتبة اسماعيليان، قم ١٣٩١ هـ .ق .
٣٣- **مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة :** السيد جعفر مرتضى العاملي – المركز الاسلامي للدراسات ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .
٣٤- **حقبة من التاريخ :** الشيخ عثمان بن محمد الخميس – ط٢ ، ١٤٢٤ هـ .
٣٥- **التحرير الطاووسي :** الشيخ حسن بن زين الدين – دار الذخائر ، قم ١٤٠٨هـ .
٣٦- **الروضة من الكافي :** محمد بن يعقوب الكليني – حققه وعلق عليه علي اكبر الغفاري – الناشر دار الكتب الاسلامية ، الطبعة الثالثة :١٣٨٨ هـ .
٣٧- **مدخل إلى فهم الإسلام :** يحيى محمد – مؤسسة الانتشار العربي ، لندن– ط١، ٢٠٠٠م .
٣٨- **رسائل الشريف المرتضى :** علم الهدى الشريف المرتضى – الناشر : دار القرآن ، ١٤٠٥ هـ .
٣٩- **سماء المقال في علم الرجال : أبو** الهدى الكلباسي – ط١ ، ١٤١٩هـ، مطبعة أمير .

٤٠- **هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار :** شهاب الدين الكركي- مطبعة النعمان ، النجف- ط١، ١٣٩٦ هـ .
٤١- **معالم المدرستين : السيد** مرتضى العسكري ، ط٣ ، المجمع العلمي الاسلامي – طهران ١٩٩٣هـ .
٤٢- **الموضوعات في الاثار والاخبار :** هاشم معروف الحسني – دار التعارف للمطبوعات ١٩٨٧م.
٤٣- **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار:** محمد باقر المجلسي- الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت- الطبعة ١٩٨٣م .
٤٤- **وسائل الشيعة :** الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي – دار احياء التراث العربي ، الطبعة الخامسة ١٩٨٣م .
٤٥- **صيانة القرآن من التحريف :** محمد هادي معرفة ، ط١ مؤسسة النشر الاسلامي قم ، ١٤١٣هـ .
٤٦- **دروس تمهيدية في القواعد الرجالية :** الشيخ باقر الايرواني – مكتبة دار الجوادين – ط١، ٢٠٠٥ م .
٤٧- **الذريعة إلى تصانيف الشيعة :** آقا بزرگ الطهراني – دار الاضواء، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ .
٤٨- **التحقيق في نفي التحريف :** السيد علي الحسيني الميلاني – مركز الابحاث العقائدية ، قم- ط١٤٢١،١هـ .
٤٩- **رجال السيد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية :** السيد محمد المهدي بحر العلوم – مطبعة الاداب ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م .
٥٠- **مشرعة بحار الأنوار : آية** الله محمد آصف محسني – الناشر مكتبة عزيزي ، مطبعة : شريعت، قم – ط١ ، ١٤٢٣ هـ . ق .
٥١- **رسالة إلى كل شيعي :** الشيخ نزيه القميحا – دار الهادي ، بيروت- ط١، ١٩٩٩م.
٥٢- **فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب :** الشيخ حسين النوري الطبرسي – مخطوط ، مكتبة وزارة الاوقاف ، بغداد .

٥٣- **كتابه حجية القرآن ووجوب العمل بظواهره :** محمد مهدي الخالصي- الناشر مركز وثائق الإمام الخالصي ، إيران – ط١ ، ٢٠٠٠م .
٥٤- القرآن **في الإسلام :** محمد حسين الطبطبائي – دار الزهراء ، بيروت- ط٢ ،١٩٧٨م.
٥٥- **خلفيات ضلت الطريق دراسة موجزة في خلفيات السيد جعفر مرتضى:** جمع من طلاب العلوم الدينية ، قم – ط٣ ، ٢٠٠٠م .
٥٦- **الندوة :** محمد حسين فضل الله – دار الملاك ، بيروت- ط١، ١٩٩٨م.
٥٧- **مرجعية المرحلة وغبار التغيير :** جعفر الشاخوري البحراني- دار الامير للثقافة والعلوم الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٠م .
٥٨- **الأصول من الكافي :** محمد بن يعقوب الكليني – حققه وعلق عليه علي اكبر الغفاري – الناشر دار الكتب الاسلامية ، الطبعة الثالثة :١٣٨٨ هـ .
٥٩- **المقالات والفرق :** أبو خلف سعد بن عبد الله الأشعري القمي – مؤسسة مطبوعاتي ، طهران ١٩٦٣ م .
٦٠- **تصحيح اعتقادات الامامية :** الشيخ المفيد – الناشر ، دار المفيد – بيروت، ط٢ ١٤١٤ هـ .
٦١- **نقد الرجال :** السيد مصطفى التفرشي – الناشر : موسسة آل البيت، طهران – ط١ ، ١٤١٨ هـ .
٦٢- **مجمع الرجال :** علي القهبائي .
٦٣- **جامع الرواة :** محمد بن علي الاردبيلي الغروي الحائري – الناشر مكتبة المحمدي ، قم .
٦٤- **الضعفاء :** أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي – الناشر : دار احياء التراث ،بيروت – ط١ ، ١٩٧١ م .
٦٥- **لسان الميزان :** أحمد بن علي العسقلاني ، ابن حجر – الناشر : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ، حيدر اباد – ط١ ، ١٣٣٠ هـ .
٦٦- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار: أبو** العباس أحمد بن علي المقريزي – الناشر : مكتبة المثنى بغداد ، ١٩٧٠ م .

٦٧- **تقريب التهذيب** : أحمد بن علي العسقلاني ، ابن حجر – نشر : دار المعرفة ، بيروت – ط٢ ، ١٩٧٥ م .
٦٨- **منتهى المقال في الدراية والرجال** : الشيخ حسين عبد الله مرعي – مؤسسة العروة الوثقى ، ط١ ، ١٩٩٦ م بيروت .
٦٩- **أضواء على عقائد الشيعة الإمامية** : جعفر السبحاني – إيران ط١، ٢٠٠١ م .
٧٠- **تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية** : عبد الجبار الرفاعي – كتاب قضايا اسلامية معاصرة – مؤسسة الاعراف للنشر .
٧١- أحاديث **أم المؤمنين عائشة** : السيد مرتضى العسكري
٧٢- **قواعد الحديث** : محي الدين الموسوي الغريفي – الناشر : دار الاضواء- ط٢ ، ١٩٨٦ م . – مطبعة النهضة ، ط١ ، ١٤١٨ هـ .
٧٣- **حوار في العمق من أجل التقريب الحقيقي** : صائب عبد الحميد مركز الغدير للدراسات الاسلامية – قم .
٧٤- **التجديد والاجتهاد في الإسلام** : مرتضى مطهري – إيران ، ط١، ١٩٩٩م.
٧٥- **ذكريات مع الشهيد مطهري** : علي دواني– ترجمة خالد توفيق – الناشر: مؤسسة أم القرى ، ط١ ، ١٤١٧ هـ . ش .
٧٦- **الاعتقادت** : المجلسي ، مطبوع في حاشية الاعتقادات للصدوق .
٧٧- **مصطفى الشيبي** : الفكر الشيعي .
٧٨- **السيد محمد حسين فضل الله مفسراً** : محمد الحسيني – بيروت – ط١ ٢٠٠٠م.
٧٩- **قضايا اسلامية معاصرة** : العدد الثالث عشر ، ٢٠٠٠ م – الناشر: الفلاح، بيروت.
٨٠- **أهل البيت سماتهم وحقوقهم** : جعفر سبحاني – إيران ط٢ ، ٢٠٠٢ م .
٨١- **منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الاسلامي** : عبد الجبار الرفاعي
٨٢- **شكوى القرآن** : الشيخ محمد اليعقوبي – النجف ، ط١ ١٩٩٨ .

٨٣- **محمد جواد مغنية حياته ومنهجه في التفسير** : جواد علي كسار – دار الصادقين ، إيران – ط١، ٢٠٠٠م.
٨٤- **تفسير الكاشف** : محمد جواد مغنية – دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٦٨.
٨٥- **مجلة الفكر الجديد العدد التاسع** – السنة الثالثة .
٨٦- **تفسير البرهان** : السيد هاشم الحسيني البحراني ، طهران : مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ ق .
٨٧- **تفسير الصافي** : الفيض الكاشاني – الناشر : مكتبة الصدر طهران، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ .
٨٨- **تفسير القرآن الكريم (تفسير شبر)** : عبد الله شبر – دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى بيروت ١٤١٢ هـ .
٨٩- **تفسير العياشي** : النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي– تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي – طبع ونشر: المكتبة العلمية الاسلامية ، طهران .
٩٠- **تفسير نور الثقلين** : الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي – الناشر : مؤسسة اسماعلييان ، قم – ط١ ، ١٤١٢ هـ .
٩١- **اراء حول القرآن** : آية الله الفاني الاصفهاني – دار الهادي ، بيروت– ط١ ، ١٩٩١ م .
٩٢- **تهذيب المقال** : السيد محمد على الأبطحى .
٩٣- **رجال الخاقاني** : الشيخ علي الخاقاني – تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم– ط٢، ١٤٠٤ هـ . ق – مكتب الاعلام الاسلامي .
٩٤- **تهذيب الأحكام** : محمد بن الحسن الطوسي – دار الكتب الاسلامية ، طهران– الطبعة الثالثة ١٣٩٠ .

٩٥- **كمال الدين واتمام النعمة** : الشيخ الصدوق – صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري – الناشر : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٩٦- **مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار** : السيد عبد الله شبر – تحقيق آية الله السيد علي شبر–اصدار مكتبة تصبيرتى ، قم .

٩٧- **دراسات في علم الرجال** : الشيخ حميد الزيدي البغدادي – مطبعة مهر، قم – ط١، ١٤٢٠هـ ق.

٩٨- **أعيان الشيعة** : السيد محسن الامين الحسيني العاملي ، مطبعة الانصاف الطبعة الأولى ١٩٥٠م.

٩٩- **التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية** : تأليف إحسان الأمين– الطبعة الأولى ،١٤٢١ هـ – بيروت .

١٠٠- **مسند زراراة** : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

١٠١- **المراجعات** : عبد الحسين شرف الدين الموسوي – تحقيق حسين الراضي– الدار الاسلامية، بيروت ط٣ ، ١٤٠٦ هـ .

١٠٢- **الحدائق الناظرة** : الشيخ يوسف البحراني – مؤسسة النشر الاسلامي ١٤١٥.

١٠٣- **المكاسب** : الشيخ الانصاري – المطبعة : باقري ، قم – ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٤- **مصباح المنهاج** : محمد سعيد الحكيم – الناشر : مكتبة الحكيم ، ط١، ١٤١٥ هـ .

١٠٥- **منهاج الفقاهة** : السيد محمد صادق الروحاني – المطبعة : ياران– ط٤، ١٤١٨ هـ .

١٠٦- **كتاب الصلاة** : تقريرات المحقق الداماد – الناشر : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة التابعة لجماعة المدرسين بقم – ط١ ، ١٤٠٥ هـ . ق.

١٠٧- **وضوء النبي** : السيد علي الشهرستاني – المطبعة : ستاره ، قم – ط١، ١٤١٥ هـ .

١٠٨- **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل** : النوري الطبرسي – تحقيق مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .
١٠٩- **معجم أحاديث المهدي** : الشيخ علي الكوراني – الناشر : مؤسسة المعرف الاسلامية ، قم – ط١ ، ١٤١١ هـ . ق .
١١٠- **تاريخ آل زرارة** : أبو غالب الزراري – مطبعة : رباني – ١٣٩٩ هـ.
١١١- **بحث حول المهدي** : محمد باقر الصدر – بيروت ، دار التعاريف ط١،١٣٩٩ هـ .
١١٢- **كليات في علم الرجال** : جعفر سبحاني – مؤسسة النشر الاسلامي، قم– ط٣، ١٤١٩ هـ . ق.
١١٣- **ابن تيمية حياته عقائده** : صائب عبد الحميد – الناشر : مركز الغدير للدراسات الاسلاميه– الطبعة الثانية – مطبعة باقري –١٩٩٧ .
١١٤- **البيان في تفسير القرآن** : السيد أبو القاسم الخوئي مطبعة مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٩٧٤.
١١٥- **دفاع عن الكافي** : ثامر هاشم حبيب العميدي – مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم – ط١، ١٩٩٥م .
١١٦- **الاعتقادات** : الصدوق – طبعة حجرية .
١١٧- **إسلام بلا هوية محاظرات في الاصلاح السياسي والديني في العراق:** عصام الحسيني الياسري – مؤسسة النبراس للطباعة والنشر ، النجف – ط١، ٢٠٠٣م .
١١٨- **الشيعة في الميزان** : محمد جواد مغنية – الناشر ، دار الشروق، بيروت– ط٣ ، ١٣٩٩ هـ .
١١٩- أصل **الشيعة واصولها** : محمد حسين آل كاشف الغطاء – الناشر مؤسسة الإمام علي – تحقيق علاء آل جعفر .
١٢٠ - **توضيح البيان عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ بين اقلام أهل السنة والشيعة وغيرهم** : أبي الحسن علي بن أحمد بن حسن الرازحي – مكتبة الادريسي السلفية ، اليمن – الطبعة الأولى .

١٢١ – **كشف الحقائق رد على هذه نصيحتي إلى كل شيعي :** الشيخ علـــي آل محسن – دار الصفوة ، بيروت ط١ ، ١٩٩٥ م .

١٢٢ – **في رحاب العقيدة :** باقر شريف القرشي – دار جواد الأئمة ، بيـــروت ط١ ، ٢٠٠٥ هـــ .

١٢٣ – **خلافة الإمام علي (ع) بالنص أم بالنصيب ؟ :** أحمد القبانجي– الطبعـــة الأولى _ ٢٠٠٤ م _ قم .

١٢٤ – **منهج الطوسي في تفسير القرآن :** محمد حسن آل ياســين – مطبعـــة المعارف بغداد / ١٣٩٨ هـــ .

١٢٥ – **موسوعة طبقات الفقهاء الفقه الإســلامي منابعــه وأدواره :** جعفــر السبحاني الطبعة الأولى – مؤسسة الإمام الصادق / ١٤١٨ هـــ ٠ق .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الاهداء	
المقدمة	٥
مدخل عبد الله بن سبأ ومرتضى العسكري	١٣
عبد الله بن سبأ	١٤
نفي ابن سبأ إلى المدائن قول مختار عند الشيعة	١٦
اعتراض	١٦
النفي مرجح على الاحراق.....	١٦
اختلاف العلماء في تحديد الكثير من المعلومات الخاصة بالمشاهير.....	٢٣
حقيقة يقر بها علماء الشيعة.....	٢٥
الاختلاف في شخصية المهدي المنتظر	٢٦
لا جدوى من الخلاف في شخصية لا وجود لها.....	٢٨
اهتمام العلماء في البحث بما يتعلق بابن سبأ.....	٢٩
اسباب أخرى للخلاف.....	٢٩
طريقة المؤرخين في جمع المعلومات.....	٣٠
عبد الله بن سبأ شخصية مذمومة لم يجهد المؤرخون انفسهم في التحقق من حيثياتها.....	٣٢
عقائده وافكاره.....	١٧
الوصية.....	٢٠
الرجعة.....	٢١
الطعن والتبرؤ من صحابة رسول الله ﷺ.....	٢١
السبئية.....	٣٣
مرتضى العسكري ينكر وجود الفرقة السبئية.....	٣٧
علماء الشيعة يردون على مرتضى.....	٣٨
معتقدات السبئية.....	٣٥
حياة علي ﷺ لا تقبل الموت.....	٣٥
الغيبة.....	٣٦

الموضوع	الصفحة
علي رضي الله عنه شريك في النبوة	٣٦
ألوهية علي رضي الله عنه	٣٦
الحلول والتناسخ	٣٧
التجسيم	٣٧
البداء	٣٧
عبد الله بن سبأ شخصية اهتم بها المؤرخون	٣٩
عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية	٤٠
روايات الأئمة المعصومين تثبت وجود شخصية ابن سبأ	٤٠
مزايا هذه الروايات	٤٢
من فمك أدينك	٤٣
روايات في كتب متعددة للسنة والشيعة تثبت وجود ابن سبأ	٤٤
الطائفة الأولى : علماء الشيعة	
لا اختلاف بين علماء الشيعة على وجود مثل هذه الشخصية	٤٩
الطائفة الثانية : علماء أهل السنة	
الطائفة الثالثة : غيرهم من المستشرقين	
النتيجة	٥٥
آراء مستحدثة لمتأخرين جداً بخصوص عبد الله بن سبأ	٥٦
كون ابن سبأ هو عمار بن ياسر قول مردود عند علماء الشيعة	٥٨
علماء أهل السنة لم يوافقوا مرتضى مطلقاً فيما ذهب اليه	٦٠
مرتضى العسكري	٦٢
رأي مرتضى الغريب في عبد الله بن سبأ	٦٣
تعريف بالكتاب	٦٦
نبذة مختصرة معرفة بحقيقة الكتاب	٦٦
الجزء الأول	٦٨
النتيجة التي توصلنا إليها واضحة لكل مطلع	٦٩
الجزء الثاني	٧٠
حقيقة كتاب مرتضى العسكري	٧٢

الموضوع	الصفحة
الكتاب حوى كل شيء إلا عبد الله بن سبأ.....	٧٤
حقيقة لا يمكن ان يغفل عنها احد.....	٧٤
منهجية مرتضى العسكري في كتابه.....	٧٦
حقيقة لا يمكن التغافل عنها.....	٧٧
الميزان الاعوج.....	٧٨
بجرة قلم نسف شخصيات التاريخ.....	٧٩
كتاب مرتضى منسوف بنفسه حتى عند الشيعة انفسهم.....	٨٠
الكتاب بعيد كل البعد عن مناهج أهل العلم وضوابط أهل التحقيق.....	٨١
علماء شيعة ردوا على مرتضى العسكري.....	٨٧
الفصل الأول : مبررات مرتضى لدعواه ونقضها	
تمهيد.....	٨٥
المبحث الأول : مرتضى العسكري وسيف بن عمر	
سيف بن عمر.....	٨٨
أسئلة مفترضة في الطرح تناولها مرتضى العسكري.....	٨٨
مرتضى يشكك بوجود هذه الشخصية.....	٨٩
مرتضى يشكك بظاهرة السبئية.....	٨٩
مرتضى يشكك بدور ابن سبأ بالفتن التي قامت بين المسلمين.....	٨٩
النتيجة التي وصل إليها مرتضى العسكري بعد كل هذا التشكيك.....	٩٠
مرتضى العسكري يبحث عن تخريجات لانكار وجود شخصية ابن سبأ....	٩٠
سيف بن عمر هو الأصل في إثبات وجود ابن سبأ حسب مرتضى.....	٩٠
تاريخ الطبري الوعاء الوحيد لروايات سيف الخاصة بأبن سبأ حسب مرتضى.....	٩١
اساقط الراوي سيف بن عمر.....	٩١
مقدمات مرتضى العسكري تتساقط واحدة تلو الأخرى.....	٩٣
مجازفة كبيرة وغريبة من قبل مرتضى.....	٩٤
اثبات وجود ابن سبأ بأسانيد ليس فيها سيف بن عمر.....	٩٥
هذه الروايات تسربت ودست في كتبهم.....	٩٧

الموضوع	الصفحة
اهل السنة اوردوا إثبات ابن سبأ من غير طريق سيف وفي غير كتاب الطبري.....	٩٨
روايات أخرى لم ترد عن طريق سيف بن عمر.....	٩٩
تلقي العلماء للروايات المثبتة لوجود شخص ابن سبأ بالقبول.....	١٠٠
وجوب الالتزام بما اتفق علية المتقدمون.....	١٠١
تطبيق قواعد مرتضى على المذهب الشيعي ينسفه نسفاً.....	١٠١
انكار ابن سبأ ممتنع بعقائد وجماعات نسبت اليه.....	١٠٢
الاصل في النقاش الفكر والمعتقد وليس الاشخاص.....	١٠٣
فرق كثيرة لا تعرف معلومات كافية عن مؤسسيها.....	١٠٤
شهرة ابن سبأ مكاناً وزماناً.....	١٠٥
الشهرة والشيوع واستفاضة الذكر لا تنطلق من فراغ.....	١٠٦
احداث تاريخية ودينية ادلتها قليلة جداً.....	١٠٧
احداث ما قبل الاسلام.....	١٠٨
الاحداث المعاصرة.....	١٠٩
شخصية عبد الله بن سبأ في زمانها لا تقل شهرة عن غيرها من شخصيات التاريخ	١١٠
سيف بن عمر ضعيف محدثاً.....	١١١
مرتضى اختار ما يناسبه من أقوال علماء الجرح والتعديل.....	١١٣
حكم رجال الجرح والتعديل على سيف بن عمر مؤرخاً.....	١١٣
لكل عالم اختصاصه ومجاله الذي يتميز به.....	١١٤
حكم علماء الجرح والتعديل في سيف لا ترضي علماء الشيعة.....	١١٤
مرتضى انتقى من أقوال علماء الجرح والتعديل في سيف ما يخدم اغراضه.....	١١٥
علي آل محسن يقتطع من كلام ابن حجر اقتطاعاً مخلاً.....	١١٦
اعتراض.....	١١٧
رد الاعتراض.....	١١٧
لا يحق لمرتضى ان ينتقي ما يخدم اغراضه من أقوال علماء السنة.....	١٢٠

الموضوع	الصفحة
مرتضى حاول إسقاط سيف عن طريق المعارضة.....	١٢٠
دعوى مرتضى غير مقبولة.....	١٢١
مرتضى ينتقي ما ينفعه من الكتب والاخبار والروايات.....	١٢٢
تعميم قواعد مرتضى يقتضي فساداً وافساداً.....	١٢٣
النتيجة : حقيقة مقدمات العسكري على خلاف ما عرضه فيها.....	١٢٦
المعلم ينسف كتابين من كتب مرتضى.....	١٣٤
المبررات والدوافع.....	١٢٦
أتعب المؤلف نفسه على غير جدوى.....	١٢٧
العلة من اهتمام علماء الشيعة في تحقيق سيرة الصحابة.....	١٢٩
علماء أهل السنة هم الاعرف برجالاتهم وبأحوالهم.....	١٢٩
لماذا هذا البحث عن سيرة الصحابة وهم عندكم كفار مرتدون إلا نفر يسير؟!.....	١٣٠
ارتداد الصحابة إلا انفار أصل ثابت في المذهب الشيعي حسب ما قرره علماؤه.....	١٣١
الفتنة وزرع الشقاق هما وراء تكلم علماء الشيعة عن سيرة الصحابة.....	١٣١
المبحث الثاني : رميه كتاب رجال الكشي بالتهم والمطاعن	
مدخل.....	١٣٧
المطلب الأول : إسقاط كتاب رجال الكشي من الاعتبار	
تسقيط كتاب رجال الكشي من الاعتبار	١٤٠
حيلة عليلة لا تخدمه.....	١٤٢
اتفاق علماء الشيعة على الاعتماد على كتاب الكشي.....	١٤٣
يجب على مرتضى اظهار الاغلاط وتحقيقها لا إسقاط الكتاب كله.....	١٤٤
يؤصل ولا يطبق.....	١٤٥
مرتضى يعتمد كثيراً على كتاب الكشي.....	١٤٦
اخباريون فيما بينهم اصوليون في تعاملهم مع أهل السنة.....	١٤٧
اسئلة لا اجابة عليها.....	١٤٧
كتاب الكشي جرت عليه تعديلات من قبل علماء الشيعة.....	١٤٨

الموضوع	الصفحة
علماء الشيعة يقرون بحقيقة كتاب الكشي وحقيقة قيام التعديلات فيه.....	١٤٩
سؤال وجيه.....	١٥٠
اصل كتاب الكشي اختفى من الوجود . لماذا ؟!!	١٥٠
مرتضى ينتقي ويقتطع حتى من أقوال علماء الشيعة ليثبت ما يريده.....	١٥١
مرتضى يوجه عبارات الكتب حسب ما تمليه عليه اهواؤه.....	١٥٤
الرواية عن الضعفاء أمر مشهور عند فقهاء الشيعة ومحدثيهم.....	١٥٦
نصيحة نقدمها لمرتضى العسكري.....	١٥٩
علماء الشيعة يدافعون عن كتاب الكشي.....	١٦٠
رجال الكشي قبلة لمن أراد معرفة شخص ابن سبأ وعقائده.....	١٦٢
تبرير جديد تحت عنوان (رداءة الخط)	١٦٣
في أي نسخة ثبتت رداءة الخط ؟	١٦٤
حكم جزافي.....	١٦٤
المطلب الثاني : روايات الإحراق واثرها على كتاب رجال الكشي	
روايات الإحراق وتأثيرها على كتاب الكشي.....	١٦٧
لم يحقق مرتضى أسانيد هذه الروايات.....	١٦٨
نقاش الروايات سنداً لا يخدمه.....	١٦٨
مناقشة الروايات التي استدل بها مرتضى.....	١٦٩
اعتمد على روايتين من كتاب الكشي الضعيف.....	١٦٩
استدل برواية أحد رجال سندها مجهول العين والحال.....	١٦٩
مرتضى يوثق عكرمة باعتماد مرويه	١٧٠
عكرمة مطعون فيه عند علماء الشيعة.....	١٧١
اية الله سبحاني يطعن بعكرمة.....	١٧١
عكرمة ضعيف حين يروي ما لا ينفع مرتضى.....	١٧٢
الرواية تنفي العصمة عن علي ﷺ	١٧٣
رواية واضحة السخف.....	١٧٤
النتيجة.....	١٧٥

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث : تسامح علماء الشيعة في نقل الروايات من كتب أهل السنة	
مرتضى ادخل كتب علماء الشيعة في نفق مظلم.....	١٧٨
دعوى عريضة ذات ابعاد شائكة.....	١٧٩
ما المقصود بالمدسوس عندك ؟ واين نجده ؟	١٧٩
منهجاً انتقائياً.....	١٨٠
لم يحدد الادلة والكيفية.....	١٨١
هدم المذهب الشيعي.....	١٨١
كتب الشيعة مخترقة.....	١٨١
الشيعة عيال على أهل السنة.....	١٨٢
كتب الشيعة تحتوي على الاسرائليات.....	١٨٣
جميع كتب الشيعة مخترقة.....	١٨٣
مرتضى يطعن بعلماء الشيعة	١٨٤
لا دور للائمة المعصومين في التحصين والحماية.....	١٨٦
متطفلون على موائد اهله يأخذون الفتات منها	١٨٦
لم يحقق هذه الروايات.....	١٨٧
لماذا يقيد الحكم بوجود روايات غير صحيحة بشخص ابن سبأ.....	١٨٨
تهرب جديد بدعوى الدس.....	١٨٩
هل الدس موجود في جميع كتب الشيعة ؟؟؟	١٨٩
لم يصرح أحد من علماء الشيعة قبل مرتضى ان هذه الروايات مدسوسة..	١٩٠
وقوع الدس الذي اتهم به مرتضى كتب مذهبه مردود ومرفوض.....	١٩٠
المهدي تركهم هملاً.....	١٩٢
روايات الأئمة المعصومين تثبت وجود شخصية ابن سبأ.....	١٩٢
اعتراض !	١٩٢
(تخبط . تناقض . دور . انتفاء المنهجية) كل هذه الأمور وقع فيها مرتضى.....	١٩٣
ان مرتضى قد حاول بناء قصرٍ ولكنه هدم مصراً.....	١٩٥
الشيعة عيال على أهل السنة حقيقة وواقع.....	١٩٥
لم تتضح عقائد الشيعة إلى وقتنا الحاضر.....	١٩٨

الموضوع	الصفحة
نسفَ المذهب الشيعي.....	١٩٩
اذا كان بيتك من زجاج فلا ترمي الناس بالحجارة.....	١٩٩
كتب الهدف منها اشعال الفتن.....	٢٠٠
اشغل نفسه بما لا يعنيه.....	٢٠١
مَن مِن علماء أهل السنة سلك مسلك مرتضى.....	٢٠١
محدثو السنة أكثر وعياً من محدثي الشيعة.....	٢٠٢
ضربة قاضية أخرى للمذهب الشيعي.....	٢٠٣
تداركوا سفينة أهل البيت من الغرق.....	٢٠٤
المطلب الرابع : دعواه تسرب روايات عبد الله بن سبأ إلى كتاب رجال الكشي	
مقدمة ظنية مبنية على تخمين.....	٢٠٦
تبرير عليل.....	٢٠٧
واقع كتب الشيعة المتهالك بلسان علمائهم.....	٢٠٧
المبحث الثالث : تبريرات أخرى لمرتضى للايهام بصحة دعواه	
مدخل.....	٢١٠
المطلب الأول : الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة لم تورد روايات الكشي	
قاعدة جديدة لمرتضى لم يسبقه لها احد.....	٢١٣
مرتضى يثبت وجود عبد الله بن سبأ من كتابي التهذيب والفقيه.....	٢١٣
اعتراض ورد.....	٢١٥
رواية ثانية اوردها مرتضى تثبت وجود ابن سبأ.....	٢١٦
لم يحاول مناقشة سند الروايات السبعة.....	٢١٧
مناقشة هذه الروايات تؤدي إلى هدم كل ما بناه مرتضى.....	٢١٧
المثبت مقدم على النافي عند التعارض.....	٢١٧
هل يقبل مرتضى العسكري باطراد هذه القاعدة وتعميمها أو لا ؟.....	٢١٨
احاديث كثيرة لم ترد في الكتب الاربعة.....	٢١٩
كلا الاحتمالين المترتب عليهما أمر خطير.....	٢٢٠
الكتب الأربعة لا تبحث في شؤون الرجال.....	٢٢٠
اسقاط بقية كتب الشيعة.....	٢٢١

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني : ادعاؤه بأن عبد الله بن سبأ مصحف عن عبد الله بـــن وهب السبائي	
انحرافات وقع بها مرتضى.....	٢٢٤
مرتضى لم يشر إلى طريق صحيح يثبت به وقوع هذا التصحيف.....	٢٢٤
يعتمد على الأشعري في موضع ويسقطه في موضع اخر.....	٢٢٦
العلماء الذين ذكرهم لم يذهبوا إلى التصحيف.....	٢٢٧
شخصيتين مختلفتين.....	٢٢٩
التعليل لمحاولة إثبات خفاء التصحيف عن العلماء	٢٢٩
رغبة السلطات.....	٢٣١
انتفاء أي دور لعلماء الشيعة في إثبات التصحيف والتحريف.....	٢٣٢
الاعتماد على مصادر أهل السنة لإثبات التصحيف والتحريف.....	٢٣٢
اين ذهبت الحكومات الشيعية عن كشف هذا التصحيف والتحريف ؟.....	٢٣٢
مرتضى يطعن بالأمة جميعِها.....	٢٣٤
مرتضى لا يملك دليلاً ولو كان ضعيفاً على التصحيف.....	٢٣٥
الشيخ علي آل محسن ينسف ما بناه مرتضى العسكري.....	٢٣٥
المطلب الثالث : تضعيف كتب أصحاب المقالات على الفرق	
الطعن بالمؤلف والكتاب.....	٢٤٣
وجوب تعميم الحكم على جميع الكتب.....	٢٤٣
طعن خالٍ من الضوابط والمحددات.....	٢٤٤
الكثير من الكتب بدون اسانيد.....	٢٤٤
كتابه ذائع الصيت (معالم المدرستين)	٢٤٤
الفصل الثاني : كتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى (تطبيقات ، استدراكات، آثار ونتائج)	
تمهيد.....	٢٤٧
المبحث الأول : تطبيقات عملية لتبريرات مرتضى	
مدخل.....	٢٥٠
المطلب الأول : تطبيق التبرير الخاص بـــ (إسقاط الكتب)	
قاعدة مطاطية ومرنة قابلة للتغيير.....	٢٥٢

الموضوع	الصفحة
منهجية تسقيط الكتب وسيلة للتخلص من الايرادات والاشكالات.....	٢٥٣
طعنهم بمرويات الثقل الاصغر.....	٢٥٣
تسقيط عدد كبير من امهات كتب التفسير الواردة عن الأئمة	٢٥٤
١- تفسير أبي الجارود.....	٢٥٥
٢- تفسير القمي	٢٥٥
٣- التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري.....	٢٥٧
٤- تفسير العياشي	٢٥٨
٥- تفسير فرات ابن إبراهيم الكوفي.....	٢٥٩
٦- تفسير محمد بن العباس الماهيار(ابن الحجام)	٢٦٠
٧- تفسير النعماني.....	٢٦٠
التفاسير ساقطة اصلاً.....	٢٦٠
يعتمدون على نفس الكتب التي اسقطوها.....	٢٦١
اسقاط هذه التفاسير يقتضي إسقاط وتسقيط عموم المذهب الشيعي.....	٢٦٢
تفاسير أهل السنة افضل بكثير من تفاسير الشيعة.....	٢٦٣
اعتراض مقبول.....	٢٦٣
الكتب الأربعة ليست باحسن حالاً من كتب التفسير.....	٢٦٤
جراثيم وميكروبات بحار الانوار.....	٢٦٥
يجب حرق هذه الكتب.....	٢٦٦
مسكين قائم آل محمد.....	٢٦٧
اضحك مع عالم شيعي.....	٢٦٧
هذه الكتب لا يتحصل منها تفسير القرآن كاملاً.....	٢٦٧
تنبيه.....	٢٦٨
ما بني على فاسد فهو فاسد.....	٢٦٨
تفسير البيان ومجمع البيان.....	٢٧٠
الاعتماد على مفسري أهل السنة.....	٢٧٠
تبرير مستهلك : التقية والمماشاة مع أهل السنة.....	٢٧١
طرق جديدة للتفسير لم ترد عن الائمة.....	٢٧١
ايات كثيرة لم يرد فيها تفسير عن الائمة.....	٢٧٢

الموضوع	الصفحة
فراغ يجب سده باقوال علماء أهل السنة.....	٢٧٣
اعتماد المتاخرين من مفسري الامامية على تفاسير أهل السنة.....	٢٧٣
اعتماد تأصيلي لا استدلالي على الخصم.....	٢٧٤
لم نعثر على مفسر من أهل السنة يعتمد على تفاسير الامامية.....	٢٧٥
اهل السنة يعتمدون على روايات الأئمة الصحيحة في كتبهم.....	٢٧٥
علماء الشيعة متلبسون بينما يتهمون الغير به.....	٢٧٦
تركوا سفينتهم وركبوا سفيتنا.....	٢٧٦
لا يفسر القرآن إلا عن طريق المعصوم.....	٢٧٦
الابتعاد عن هذه الطريقة.....	٢٧٧
القران يفهم من دون الحاجة إلى المعصوم.....	٢٧٧
الكثير من علماء الشيعة يذهبون إلى ما ذهب إليه الطباطبائي.....	٢٧٨
الخارج عن تفسير المعصوم مطعون فيه.....	٢٧٩
معاناة آية الله الخوئي واية الله الطباطبائي.....	٢٧٩
القران مهجور عندهم.....	٢٨٢
شكوى القران.....	٢٨٤
فاجعة.....	٢٨٥
جهل طلاب الحوزة بأبسط علوم القران.....	٢٨٦
تخصص مع خبرة في النوح والبكاء والعويل واللطم.....	٢٨٧
الشيعة علماء وعوام يعتمدون على أهل السنة في تعلم القران.....	٢٨٧
اعتمادهم على أهل السنة.....	٢٨٨
تضحية كبرى.....	٢٨٩
الشيعي المفسر مضحٍ بنفسه.....	٢٨٩
الاهتمام بالثقل الأصغر دون الثقل الاكبر.....	٢٨٩
هجوم شديد على الطباطبائي.....	٢٩١
اين رد علماء الشيعة عندما كتب (فصل الخطاب) للنوري.....	٢٩١
الانقياد لمنهج أهل السنة.....	٢٩٣
تقليد لاهل السنة في كل شيء.....	٢٩٣
ولاية الفقيه.....	٢٩٤

الموضوع	الصفحة
الدافع الحقيقي.....	٢٩٤
اين المعصوم من تفاسيركم.....	٢٩٥
ما هو دور المعصوم.....	٢٩٦
لا دور للمعصوم في كل هذه العلوم.....	٢٩٦
الائمة تركوا الشيعة هملاً من دون كتاب يرجعون اليه.....	٢٩٧
بيان اختلاف علماء الشيعة في تفسير الايات.....	٢٩٧
امثلة على هذا الخلاف.....	٢٩٨
اختلاف في تفسير آيات لا يتصور فيها الخلاف عندهم.....	٢٩٩
هل قام المعصوم بحسم جميع مرادات القرآن للشيعة ؟	٣٠١
مقولة لا توافق العقل والمنطق.....	٣٠٢
ربع آيات القرآن نزلت في الائمة.....	٣٠٦
تأويلات باطنية في تفسير القران.....	٣٠٧
كم هائل من هذه التأويلات الفاسدة.....	٣٠٩
هذه التفاسير وصمة عار على المذهب.....	٣١٠
النصح لكم والشفقة عليكم.....	٣١٢
من أين تأخذون دينكم ؟ !	٣١٢
سفن للهلاك لا للنجاة.....	٣١٣
نصيحة إلى مرتضى العسكري.....	٣١٤
خدمتك للقران خير لك من انشغالك بـــ (سيف بن عمر)	٣١٤
سيف اعطب معدة مرتضى.....	٣١٥
المطلب الثاني : تطبيق التبرير الخاص بدعوى (الدس)	
مرتضى يتذرع بالاختراق عندما تعييه الوسائل.....	٣١٨
مثال تطبيقي.....	٣١٨
الزامات لمرتضى بناءاً على اقواله.....	٣٢٠
دعوى عليلة.....	٣٢١
حكم عام غير مخصص بجزئية معينة.....	٣٢٢
تسقيط لكبار علماء المذهب الشيعي من قبل مرتضى.....	٣٢٢
دعوى عريضة.....	٣٢٢

الموضوع	الصفحة
ما خالف العامة ففيه الرشاد.....	٣٢٢
اقوال واختيارات للعلماء.....	٣٢٣
اختيارات علماء كبار في المذهب تذرع بها مرتضى.....	٣٢٣
جهل كبير عند مرتضى باقوال علمائه.....	٣٢٤
اما جاهلاً أو متعمداً.....	٣٢٥
قول صريح ونص قاطع على إثبات نسخ التلاوة.....	٣٢٦
مناقشة المعترضين.....	٣٢٦
افترض اعتراضاً ورد عليه ليثبت عقيدته في نسخ التلاوة.....	٣٢٦
اصرار وتصميم على ما يعتقده.....	٣٢٧
اقتناع ورسوخ لا تغافل.....	٣٢٨
لو اعترض مرتضى العسكري على قولنا ؟	٣٢٩
الطوسي يرد مسبقاً على قول مرتضى العسكري.....	٣٢٩
منهجية مرتضى العسكري.....	٣٣٠
لا يوجد عالم واحد من أهل السنة يقول بتحريف القران.....	٣٣٠
المطلب الثالث : أمثلة تنقض تبريرات مرتضى الرئيسية حال التطبيق	
امثلة من كتب مرتضى تسقط تبريراته وادعاءاته.....	٣٣٣
المثال الأول : مرتضى ينقض تبريراته باعتماده رواية من الكشي	
الاختلافات عند الشيعة اكبر واعمق من الاختلافات عند غيرهم.....	٣٣٧
اختلاف شديد بين علماء الشيعة في توثيق الرجال	٣٣٨
النتيجة.....	٣٣٩
المثال الثاني : سيف بن عمر	
حديث ضعيف.....	٣٤٠
سيف بن عمر (الضعيف)	٣٤١
مرتضى أعطى وزناً لسيف اكبر من حجمه.....	٣٤٢
وفسر الماء بعد الجهد بالماء.....	٣٤٢
علماء الشيعة يردون على مرتضى.....	٣٤٣
حروب الردة عار على الإسلام والمسلمين يدعي المعلم !!	٣٤٣
مرتضى تسلل عن طريق سيف بن عمر للطعن باهل السنة.....	٣٤٤

الموضوع	الصفحة
زرارة بن اعين (الثقة)	٣٤٥
لولا زرارة لاندرست آثار النبوة.....	٣٤٦
اسقاط زرارة يعني إسقاط قدر كبير من مذهب الشيعة.....	٣٤٦
زرارة وقواعد مرتضى العسكري.....	٣٤٧
التوثيق الوحيد لزرارة عن طريق كتاب الكشي الضعيف عند مرتضى.....	٣٤٨
الروايات المادحة.....	٣٤٨
اية الله الخوئي حكم على الروايات المادحة اجمالاً ومن دون تحقيق.....	٣٥٠
الروايات الذامة.....	٣٥٠
زرارة لا يعرف امام زمانه.....	٣٥١
علماء الشيعة يخالفون الخوئي.....	٣٥١
اية الله آصف محسني يصحح رواية واية الله الخوئي يضعفها.....	٣٥٣
اشارات إلى منهج الخوئي.....	٣٥٤
الروايات الصحيحة قليلة جداً.....	٣٥٥
لم يفصل في المناقشة خوفاً من الوقوع في الاشكالات.....	٣٥٥
هذا الفعل لم ينفرد فيه الخوئي فقط.....	٣٥٥
لعْنُ الصادق لزرارة.....	٣٥٦
مناقشة قضية اللعن الورادة بحق أصحاب الائمة.....	٣٥٧
من الضروري ايجاد تبرير للطعن لكثرة مرويات زرارة في كتب الشيعة..	٣٥٨
كيف التعامل لو كان هذا الطعن موجه لواحد من صحابة النبي ﷺ ؟.....	٣٥٨
ابو هريرةﷺ وزرارة.....	٣٥٩
المعصوم هو الذي طعن في زرارة.....	٣٥٩
لعن الله من تخلف عن جيش اسامة.....	٣٥٩
حديث الحوض.....	٣٦٠
الخطبة الشقشقية.....	٣٦٠
رزية يوم الخميس.....	٣٦٠
كانت بيعة أبي بكر فلتة.....	٣٦٠
كتاب الله وعترتي.....	٣٦٠
يترضون عن زرارة ويلعنون صحابة رسول الله ﷺ	٣٦١

الموضوع	الصفحة
الروايات التي تطعن بزرارة كثيرة.....	٣٦١
عبد الحسين شرف الدين ينكر وجود روايات تطعن في زرارة.....	٣٦١
الخوئي حقق روايات الذم لزرارة.....	٣٦٣
زرارة يطعن بالصادق.....	٣٦٢
تبرير ضعيف لهذا اللعن.....	٣٦٣
الروايات المخرجة للذم.....	٣٦٤
تخريج فاسد لهذا الكم من الروايات الذامة.....	٣٦٥
المثال الثالث : الخطبة الشقشقية	
الخطبة الشقشقية.....	٣٦٧
مكانة الخطبة واهميتها عند الشيعة.....	٣٧١
النص الوحيد الوارد عن علي لإثبات امامته.....	٣٧٢
خطب نهج البلاغة لا اسناد لها ومنها الخطبة الشقشقية.....	٣٧٢
انطباق منهج مرتضى على الخطبة الشقشقية أكثر من انطباقه على ابن سبأ.....	٣٧٣
البعد الزمني بين علي ﷺ وكتاب نهج البلاغة.....	٣٧٣
على الرغم من اهمية هذه الخطبة وشهرتها إلا انها لم ترد في الكتب الاربعة.....	٣٧٥
الدس والاختراق في كتب الشيعة.....	٣٧٦
الدس ، والاختراق ، والتمرير ، والتسرب ينطبق على الخطبة الشقشقية اولى من غيرها.....	٣٧٧
لا وجود حقيقي لهذه الخطبة قبل الشريف الرضي.....	٣٧٨
لا مرجح في رد روايات ابن سبأ الصحيحة وفي قبول الخطبة الضعيفة....	٣٧٩
في كتاب نهج البلاغة خطب كثيرة تخالف مفهوم الخطبة الشقشقية.....	٣٧٩
ضوابط مرتضى منطبقة على الخطبة الشقشقية أكثر من غيرها.....	٣٨١
الطعن بكتاب الكشي وبمؤلفه.....	٣٨٢
تطبيق ضوابط مرتضى على كتاب نهج البلاغة.....	٣٨٢
الشريف الرضي ليس من المتخصصين بعلم الحديث والرواية.....	٣٨٣
كتب الشيعة ساقطة عن بكرة ابيها إذا طبقنا عليها قواعد مرتضى.....	٣٨٣

الموضوع	الصفحة
عرض أو مساومة	٣٨٥
النتيجة	٣٨٦
رواية توثيق زرارة لم ترد في الكتب الاربعة	٣٨٦
الرواية بدون سند	٣٨٧
كتاب الكشي له منزلة كبيرة في المذهب	٣٨٨
قواعد مرتضى في الحكم على الكتب والروايات تنطبق بوضوح على الخطبة الشقشقية	٣٨٩
مرتضى منهجه العلمي ضعيف	٣٩٠
اضطراب وتناقض قواعد مرتضى	٣٩٠
نظرة مرتضى للمسائل جزئية وقاصرة	٣٩٠
مرتضى خالف الكثير من علماء الشيعة	٣٩١
المنهج الانتقائي المحقق للمصالح والاغراض	٣٩١
نصائح لمن يقرأ كتب الشيعة	٣٩١
المبحث الثاني : استدراكات على مرتضى	
مدخل	٣٩٤
المطلب الأول : مرتضى لم يناقش روايات الكشي سنداً	
مرتضى العسكري لم يناقش روايات الكشي سنداً	٣٩٦
قصور في البحث	٣٩٦
ان إثبات وجود ابن سبأ كان بروايات صحيحة ومسندة	٣٩٧
اعتراف علماء الشيعة بصحة روايات الكشي	٣٩٨
مرتضى يبتعد عن المنهج الصحيح المطلوب في التحقيق	٣٩٩
مرتضى لم يحقق الروايتين المعارضتين للروايات الخمسة سنداً	٤٠٠
ضعف هاتين الروايتين باعتراف علماء الشيعة	٤٠٠
قواعد رفع التعارض بين الروايات	٤٠٢
مرتضى يحقق ما يخدم غرضه ويعرض عن الذي يتعارض معه	٤٠٣
روايات تحريف القرآن متواترة ومستفيضة	٤٠٤
تضعيف روايات التحريف	٤٠٤

الموضوع	الصفحة
من نصدق ؟ وقول من نعتمد ؟ المحقق الكبير الخوئي أم مرتضى العسكري.....	٤٠٦
مرتضى ناقش سنداً مواضيع لا تسمن ولا تغني من جوع.....	٤٠٧
منهج انتقائي غرضي.....	٤٠٨
نهج بعيد كل البعد عن الاسلوب العلمي المطلوب اتباعه.....	٤٠٩
قصور في البحث.....	٤١١
اعرض عن تحقيق أهم الروايات.....	٤١١
ضعف منهجية مرتضى.....	٤١١
المطلب الثاني : تخريج مرفوض لروايات الأئمة الذاكرة لابن سبأ	
تخريج ممجوج لروايات الأئمة التي فيها ذكر اسم ابن سبأ.....	٤١٣
انتقائية للشخصيات.....	٤١٤
امر غير ممكن.....	٤١٤
لم نسمع فيما طرق مسامعنا من توجه هذا التوجه.....	٤١٤
العبرة في الحكم على الرواية من حيث القبول والرد هو السند.....	٤١٥
افسح المجال واسعاً لرد الروايات.....	٤١٥
طعن بعلماء الشيعة.....	٤١٦
التبرير المطروح امامنا هو تبرير مرفوض فاسد.....	٤١٦
عبد الله بن سبأ في روايات الائمة.....	٤١٧
ان إثبات وجود عبد الله بن سبأ انما يكون من كتب الشيعة.....	٤١٨
عبد الله بن سبأ حقيقة وليس أسطورة.....	٤١٩
صائب ينكر على من نفى وجود عبد الله بن سبأ.....	٤٢٠
علماء اخرون يثبتون وجود عبد الله بن سبا.....	٤٢٠
ال محسن ينكر على من نفى وجود عبد الله بن سبأ.....	٤٢١
كبار علماء الامامية يثبتون وجود هذه الشخصية.....	٤٢١
لا اختلاف بين علماء الشيعة على وجود مثل هذه الشخصية.....	٤٢٣
نفي واثبات.....	٤٢٣
المبحث الثالث : آثار ونتائج (عقول لعلماء تبنت منهج مرتضى العسكري)	

الموضوع	الصفحة
مدخل.....	٤٢٩
انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً.....	٤٣٠
جرأة كبيرة من قبل آية الله الخوئي.....	٤٣٠
عبارة تشكيك تدل على عدم الجزم.....	٤٣٢
مصلحة الطائفة.....	٤٣٣
التفصيل لا يخدم الخوئي.....	٤٣٣
اجماع علماء الشيعة المتقدمين على وجود عبد الله بن سبأ.....	٤٣٤
مرتضى لم يناقش روايات الكشي سنداً ووافقه على هذا الخوئي.....	٤٣٤
اعتذار علماء الشيعة نيابة عن الخوئي في خطأه الكبير (تبني كتاب مرتضى)	٤٣٥
كيف لنا ان نثق بتحقيقات الخوئي ؟	٤٣٦
مرتضى والخوئي في الحكم سواء.....	٤٣٧
اكتشافات جديدة غفل عنها من سبقهم.....	٤٣٧
مذهب الاكتشافات.....	٤٣٨
اكتشاف مرتضى العسكري.....	٤٣٨
اكتشاف الدكتور نجاح الطائي.....	٤٣٨
اكتشاف أحمد الكاتب.....	٤٣٩
محقق شيعي كبير يسقط في شراك مرتضى أيضاً !!	٤٤٠
محمد جواد مغنية وتبجيله كتاب مرتضى.....	٤٤١
مغنية يعترف بخطأه تكرار ما قاله القدماء.....	٤٤٢
تبني مغنية بقول مرتضى على سبيل القطع والالتزام.....	٤٤٣
نصيحة للحوزات العلمية يوجهها مغنية.....	٤٤٤
ايتام وارامل السادة جياع على طراقات النجف وكربلاء.....	٤٤٤
اموال الخمس تصرف على طباعة الكتب الخلافية.....	٤٤٥
صحوة من النوم بعد قرون.....	٤٤٦
غيبات لعبد الله بن سبأ كما للمهدي.....	٤٤٦
هذه الأقوال تطعن بائمة الشيعة وعلمائهم.....	٤٤٨
التبرير الجاهز عند علماء الشيعة الامويين والعباسيين.....	٤٤٩

الموضوع	الصفحة
المهدي المنتظر تلك الخرافة والاسطورة.....	٤٤٩
لا توجد رواية واحدة صحيحة في كتب الشيعة تثبت ان المهدي قد ولد.....	٤٥٠
ايهما اولى بأن يكون أسطورة ابن سبأ أم المهدي المنتظر ؟	٤٥٠
الجرس المنبه.....	٤٥١
المتخاذلون والمنبطحون ممن ينتسب إلى أهل السنة.....	٤٥٣
الدكتور حامد حنفي داود.....	٤٥٤
محمود أبو رية.....	٤٥٤
المستبصرين !!	٤٥٥
نتائج البحث.....	٤٥٨
ضربة قاضية لمرتضى العسكري واكتشافه.....	٤٧٠
اكتشاف جديد .. (عبد الله بن سبأ) ليس واحداً وإنما اثنان.....	٤٧٠
عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والبراءة من الصحابة.....	٤٧١
لطمة جديدة على وجه مرتضى.....	٤٧٢
عبد الله بن سبأ حقيقة لا اسطورة.....	٤٧٢
المفاجأة.....	٤٧٣
الخاتمة.....	٤٧٥
المصادر.....	٤٧٨
الفهرست.....	٤٨٨

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.